المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية أصول الدين
قسم القرآن وعلومه

الفلاح والخسران
في القرآن الكريم

دراسة موضوعية

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير من قسم القرآن وعلومه

إعداد الطالبة
أسماء بنت محمد العجلان

إشراف الأستاذ الدكتور
أحمد سلامة أبو الفتوح
الأستاذ المساعد بقسم القرآن وعلومه

العام الجامعي
١٤٣١-١٤٣٢هـ

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره،ونعوذ بالله من شرور أنفسنا،ومن سيئات أعمالنا،من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له،وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له،وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، [4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? Z[آل عمران:١٠٢].

[! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > Z [النساء:١].

[u v w x y z { | } ~ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ © فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا Z[الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن لله نعما عظيمة لا تعد ولا تحصى، ومن أجل النعم التي أسبغها الله على عباده نعمة العقل ، فقد كرمه الله بها على سائر خلقه ،وتلك النعمة تستوجب شكر الله عليها،وذلك باستخدامه في كل خير منشود ،وكفه عن كل شر وسوء،وصاحب العقل اللبيب المؤمن بالله يحرص على معالي الأمور ،ويجتهد في ذلك ،ويسعى إلى الفوز والفلاح في كل أمور حياته، إذ ليس من عاقل يرغب عن الفلاح، لأنه يعلم أنه لا استقامة لأمور دينه ودنياه إلا بسعيه لتحقيق أسباب الفلاح،وكُلٌ يسعى إلى الفلاح لأن درب المفلحين هو درب النجاة –بإذن الله-،ويحرص كل الحرص على البعد عن الخسران وأسبابه.

وإنني أحمد الله – عز وجل- إذ وفقني لاختيار موضوع بحثي وهو(الفلاح والخسران في القرآن الكريم – دراسة موضوعية) سعيا وراء نهوض أفراد الأمة، وتحفيزا للرقي في مدارج الفلاح، راجية من الله جل وعلا أن يجعله نافعا لي وللمسلمين؛ وتفصيل الموضوع كالآتي:

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١ . أن الفلاح مما تتطلع إليه النفوس ،وتتمنى الحصول عليه،وتحقيق أسبابه للحصول عليه،وتشتد الحاجة إليه في هذه الأزمنة حين بعد الناس عن دينهم إلا من رحم الله ،وهدف كل مسلم أن يكون من المفلحين ليفوز بالجنة.

٢ . ذكر الله عز وجل الفلاح في آيات كثيرة مما يدل على أهميته ، وأهمية تدبر هذه الآيات ، والنظر فيها .

٣ .ورد ذِكر الخسران في مواضع كثيرة ، مما يدل على أهمية الحذر منه والبعد عن أسبابه.

٤ . تعد هذه الدراسة إسهاماً في بيان الطريق الصحيح لمن ينشد الفلاح ،و البعد عن الخسران وأسبابه.

٥. حسب علمي واطلاعي أن الموضوع لم يُتناول بالبحث.

هدف البحث:

جمع الآيات الواردة في مصطلح الفلاح والخسران، ودراستها دراسة موضوعية، مع بيان كيفية عرض القرآن لموضوع الفلاح والخسران ، وما تضمنه من وجوه بلاغية.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الدراسات السابقة:

ما وقفت عليه من الدراسات السابقة للموضوع كالآتي:

أولا: المفلحون لمحمد منير الجنباز(الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م)،وهو كتاب يقع في ١٥٠ صفحة من القطع الصغير،ويتكلم عن الفلاح في سورة (المؤمنون)،ومحتوى هذا الكتاب ما يلي:

ذكر في البداية معنى الفلاح و المفلحين ،ثم بين أن الفلاح درجات ،فمن زاد من الطاعات زادت درجاته،ثم ذكر فوز المفلحين في القرآن الكريم في عدة مواضع،ثم ذكر صفات المفلحين الواردة في سورة (المؤمنون)،فذكر الإيمان وكيفيته ،وهل يزيد وينقص؟،وذكر الصلاة والخشوع فيها،وصفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم،وذكر الإعراض عن اللغو،وذكر الزكاة ،وصدقات التطوع،وذكر حفظ الفرج وحدود العورة وأخطار الزنا،وذكر الأمانة والعهد ،وذكر الحفاظ على العهد،والمحافظة على الصلوات،وختم كتابه بذكر بعض صفات الجنة والنار،والخلاصة أن هذا الكتاب يعتبر شرحاً لصفات المفلحين الواردة في سورة (المؤمنون).

ثانيا:المفلحون لساهرة فاضل، (مكتبة خالد بن الوليد- صنعاء، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م)، وهو كتاب يقع في ١٢٤ صفحة من القطع الصغير،وهو عبارة عن وقفة إيمانية مع خمس آيات قرآنية تتحدث عن الفلاح، والتي هي صدر سورة البقرة، ومحتوى الكتاب مايلي:

بداية كان التمهيد عن سبب إنزال القرآن الكريم، ثم بينت المؤلفة صفات المؤمنين المتقين المفلحين، والواردة في أول سورة البقرة، مفردة كل صفة في باب مستقل، فتحدثت أولا عن الإيمان بالغيب وما يتضمنه من الإيمان بالملائكة، والجنة، والنار، والقيامة، ثم تحدثت عن الصلاة وأثرها في تهذيب النفوس، وعناية الإسلام بشأنها، وبيّنت صفتها؛ ثم كان الباب الثالث والمتضمن الحديث عن الإنفاق في سبيل الله، ثم تحدثت عن الإيمان بما أنزل على نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، والإيمان بما أنزل من قبل، ثم الإيمان باليوم الآخر، وأخيرا الهدى من الله، والفلاح في الدنيا والآخرة.

فهذا الكتاب يعتبر بيانا لبعض صفات المفلحين، والواردة في أول سورة البقرة.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ثالثا: الفلاح في القرآن حقيقته وأهله، لسيد محمد ساداتي الشنقيطي، (دار الحضارة، الرياض، الطبعة الأولى-١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م)، وهو كتاب يقع في ٦٤ صفحة من الحجم المتوسط، وتحدث المؤلف فيه عن حقيقة الفلاح ومعانيه، ووقف على النصوص المشتملة على الفلاح بلفظ (تفلحون) ، وكان هذا هو المبحث الأول،أما المبحث الثاني فقد ضمّنه الحديث عن نصوص القرآن التي حددت أصل الفلاح والنصوص التي تضمنت لفظ (المفلحون)، ثم سرد الآيات التي ورد فيها ذكر المحرومين من الفلاح، و لم يتعرض لها بشئ من الإيضاح والبيان، وختم الكتاب بوقفة تأملية في معاني بعض كلمات الأذان(حي على الصلاة، حي على الفلاح).

فالكتاب قيّم في مضمونه، صنّف فيه الآيات الواردة في الفلاح حسب ألفاظها، إذ تحدث أولا عن الآيات التي ورد فيها لفظ (تفلحون)، ثم التي فيها لفظ (أفلح) ، ثم الآيات التي ورد فيها لفظ (المفلحون).

وبعد هذا العرض للدراسات السابقة،تتميز هذه الرسالة بما يلي:

- ذكر صفات المفلحين الواردة في جميع القرآن،وعدم الاقتصار على صفات المفلحين الواردة في بعض سور القرآن.
- ذكر جميع آيات الفلاح بكل ألفاظها، وعدم الاقتصار على بعض الاشتقاقات دون البعض.
- تقسيم الصفات إلى عناصر متناسقة،مثل: الاهتمام بتزكية القلوب، طاعة الله والدعوة إلى دينه، الإتيان بالواجبات، ترك المحرمات.
- بيان المحرومين من الفلاح في الدنيا والآخرة.
- ذكر ما أعده الله من الثواب والجزاء للمفلحين في الدنيا والآخرة.
- محاولة ربط هذا الموضوع بواقع الناس .
- ذكر ضد الفلاح وهو الخسران.
- ذكر أسباب الخسران.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

- بيان عقوبة الخسران في الدنيا والآخرة.

خطة البحث:

وتتكون من مقدمة وثلاثة أبواب تضمنت استقراءً تاما لكلمتي (الفلاح- الخسران)، وذكر أقوال المفسرين ، ورؤى العلماء الفاحصين؛ أعقبت ذلك بالخاتمة ثم الفهارس .

المقدمة: وتتضمن أهمية الموضوع ،وأسباب اختياره،وهدف البحث،والدراسات السابقة،وخطة البحث ومنهجه.

الباب الأول: الفلاح و الخسران،و طريقة القرآن الكريم في ذكره لهما،وفيه فصلان:

الفصل الأول : معنى الفلاح و الخسران، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول:مفهوم الفلاح.
المبحث الثاني:معاني الفلاح في القرآن الكريم.
المبحث الثالث: مفهوم الخسران.
المبحث الرابع: معاني الخسران في القرآن الكريم.

الفصل الثاني : طريقة القرآن الكريم في ذكر الفلاح والخسران ، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: الطرائق البلاغية التي سلكها القرآن في عرضه للفلاح والخسران .
المبحث الثاني : التعبير بالاسم أو الفعل .
المبحث الثالث : وصف هذه الألفاظ .
المبحث الرابع: موقع ذكر هذه الألفاظ في الآية .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الباب الثاني : أسس الفلاح وصفات أهله وجزاؤهم، وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول:أسس الفلاح وأركانه، وفيه اثنا عشر مبحثاً:

المبحث الأول : الإيمان بالله.

المبحث الثاني : الإيمان بالملائكة .

المبحث الثالث: الإيمان بالقرآن والكتب السابقة.

المبحث الرابع: الإيمان بالرسل عليهم السلام.

المبحث الخامس :الإيمان بالنبي عليه الصلاة والسلام ونصرته.

المبحث السادس : الإيمان باليوم الآخر .

المبحث السابع: الإيمان بالقدر خيره وشره.

المبحث الثامن : الإيمان بالغيب.

المبحث التاسع: اقتران الإيمان بالعمل الصالح .

المبحث العاشر: الولاء والبراء .

المبحث الحادي عشر: الصلاة .

المبحث الثاني عشر: الزكاة وما يلحق بها من الصدقات.

الفصل الثاني : صفات المفلحين، وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : الاهتمام بتزكية القلوب ، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول : تزكية النفوس.

المطلب الثاني : التقوى.

المطلب الثالث: الصبر.

المطلب الرابع :تذكر آلاء الله.

المطلب الخامس :التوبة.

المبحث الثاني : طاعة الله تعالى والدعوة إلى دينه وفيه ثمانية مطالب:

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المطلب الأول: الجهاد في سبيل الله.

المطلب الثاني:عبادة الله.

المطلب الثالث:فعل الخير.

المطلب الرابع:الدعوة إلى الخير .

المطلب الخامس:الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المطلب السادس:اتباع القرآن.

المطلب السابع:السمع والطاعة لله ورسوله.

المطلب الثامن: ذكر الله .

المبحث الثالث: الإتيان بالواجبات ، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: حفظ الفروج.

المطلب الثاني:أداء الأمانة .

المطلب الثالث:الوفاء بالعهود.

المطلب الرابع:إتيان البيوت من أبوابها.

المطلب الخامس:أداء الحقوق.

المبحث الرابع : اجتناب المحرمات ، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: اللغو.

المطلب الثاني: الربا.

المطلب الثالث: الخمر والميسر والأنصاب والأزلام.

المطلب الرابع: شح النفس.

الفصل الثالث : ثواب المفلحين وجزاؤهم ، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول : وراثة الفردوس.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المبحث الثاني: ضمان الهداية لهم من الله .

المبحث الثالث: ثقل الموازين يوم القيامة.

المبحث الرابع: وعدهم بالخيرات.

الفصل الرابع : أسباب الحرمان من الفلاح، وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: الكفر .

المبحث الثاني : الردة عن الدين .

المبحث الثالث : افتراء الكذب على الله .

المبحث الرابع: التكذيب بآيات الله .

المبحث الخامس : الظلم عموماً .

المبحث السادس : الإجرام .

المبحث السابع : السحر .

الباب الثالث: أسباب الخسران و عقوبته، وفيه فصلان:

الفصل الأول: أسباب الخسران، وفيه ثمانية مباحث:

المبحث الأول:الكفر بالله.

المبحث الثاني:التكذيب بلقاء الله ،وآياته، وأنبيائه.

المبحث الثالث: فعل المحرمات، وفيه تسعة مطالب:

المطلب الأول: القتل.

المطلب الثاني: عدم الاستجابة لأوامر الله ورسله.

المطلب الثالث: الإفساد في الأرض.

المطلب الرابع :استحبا ب الدنيا على الآخرة.

المطلب الخامس: التفاخر بالأموال و الأولاد ، والانشغال بها عن ذكر الله.

المطلب السادس: تحريم ما أحل الله .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المطلب السابع: الصد عن سبيل الله .
المطلب الثامن: طاعة الشيطان ، والكفار.
المطلب التاسع: الكيد بأنبياء الله.

المبحث الرابع : ترك الواجبات، و فيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: عدم عمل الصالحات.
المطلب الثاني :ترك التواصي الحق،والصبر.
المطلب الثالث: عدم الأخذ بميثاق الله، ونقضه.
المبحث الخامس: عدم مغفرة الله ورحمته.
المبحث السادس : ترك الدعوة إلى الحق.
المبحث السابع : خفة الموازين.
المبحث الثامن: الأمن من مكر الله.
الفصل الثاني عقوبة الخاسرين، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: عقوبة الخاسرين في الدنيا، وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأول:عدم الإيمان.
المطلب الثاني:إحباط العمل.
المطلب الثالث: إضلال الخاسرين.

المبحث الثاني: عقوبة الخاسرين في الآخرة، وفيه أربعة مطالب:
المطلب الأول: دخول النار.
المطلب الثاني:وجوب العذاب.
المطلب الثالث: إحباط العمل.
المطلب الرابع : خسران النفس والأهل.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث وتوصياته.

الفهارس :

- فهرس آيات القرآن الكريم.
- فهرس الأحاديث .
- فهرس الأعلام.
- ثبت المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

منهج البحث:

المنهج الذي سلكته في دراستي هذه هو المنهج الاستقرائي التحليلي الموضوعي، وفق الآتي:

١. جمعت الآيات في الفلاح ودرستها دراسة موضوعية.

٢. جمعت الآيات في الخسران ودرستها دراسة موضوعية.

٣. اعتمدت على التأمل والنظر في توزيع الآيات حسب موضوعاتها إلى فصول ومباحث ومطالب.

٤. فسرت الآية المستشهد بها معتمدة على أقوال أئمة التفسير فيها، مع الموازنة بين تلك الأقوال.

٥. أحاول الوقوف على هدايات الآيات ولطائفها البيانية.

٦. حاولت جاهدة ربط تفسير الآيات بواقعنا المعاصر، وضرب الأمثلة على ذلك قدر استطاعتي.

٧. عزوت الآيات القرآنية إلى سورها بذكر اسم السورة ورقم الآية .

٨. كتبت الآيات القرآنية بالرسم العثماني، مع وضعها بين قوسين مزهرتين.

٩. خرّجت الأحاديث النبوية من كتب السنة المعتمدة، وإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بعزوه إليهما أو إلى أحدهما إن لم يوجد الآخر،وإن كان في غيرهما اجتهدت في تخريجه من مظانه من بقية الكتب الستة، أو غيرها من المسانيد والمجاميع، مع بيان حكم العلماء على الحديث -إن وجد-.

١٠. خرّجت الآثار المروية عن الصحابة والتابعين من مصادرها المعتمدة .

١١. عرّفت بالأعلام الغير مشهورين المذكورين في البحث.

١٢. شرحت الغريب من الألفاظ والمصطلحات.

١٣. وضعت تمهيدا مختصرا بين يدي بعض الفصول والمباحث عند الحاجة إلى ذلك.

١٤. حرصت أن يكون الأسلوب سهلا واضحا، مختصرا قدر الإمكان.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ولقد توخيت حسب وسعي الالتزام بهذا المنهج ، مع اعترافي بتقصيري فيما التزمته وقصدته.

وقد كنت أستعذب الطريق في هذه الدراسة، وأستسهل صعوبته، وأضحي بكل ما أملك في سبيل ذلك، فقد نهضت لهذا الأمر نهوضا، والتمست كل ملمس، ومع هذا فإنني لا أدعي أنني أتيت بشيء جديد إنما هو جمع وتلخيصٌ لما كتبه العلماء؛ كما أنني لاأدّعي الكمال ، لأنني من جنس البشر المعرض للخطأ والنسيان، فإن يكن صوابا فمن الله، فله المنة والفضل، وله الثناء، وإن يكن خطأ ونقصا فمن نفسي والشيطان، وأستغفر الله منه،] وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ Z [هود : ٨٨].

وكل كلمات الشكر والثناء تتهاوى عاجزة عن التعبير بما في داخلي لوالديّ الكريمين، واللذين ما فتئا في مساندتي ودعمي، وتيسير سبل البحث لي، فجزاهم الله عني خير ما يجزي والداً عن ولده.

ولا يفوتني أن أكرر شكري لفضيلة الشيخ الدكتور أحمد سلامة أبو الفتوح، الذي تفضل بالموافقة على الإشراف على بحثي، وما بذله من جهد ووقت كثير في سبيل توجيهي وإرشادي، وإمداده لي بالنصائح والتوجيهات السديدة، وصبره على قراءة هذ البحث وتبيين الملحوظات.

كما أنني لا أنسى أن أشكر فضيلة الشيخ الدكتور بدر بن ناصر البدر صاحب اليد البيضاء، والذي لولا الله ثم توجيهه وإرشاده لي لما تسنّى لي تسجيل الموضوع.

كذلك أزجي الشكر والعرفان لفضيلة الشيخ الدكتور ناصر الدوسري، والذي ما فتئ في توجيهي وإرشادي أثناء إعداد الخطة لهذا الموضوع، والشكر موصول أيضا لأعضاء لجنة المناقشة الموقرة، على صبرهم ، وعلى موافقتهم على المناقشة جزاهم الله عني خيرا.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

أسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن يجنبنا شطحات القلـــم واللسان، إنه تعالى على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير، وصلى الله على نبينـــا وسيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الباب الأول: الفلاح والخسران ، وطريقة القرآن الكريم في ذكره لهما

وفيه فصلان:

الفصل الأول: معنى الفلاح والخسران.
الفصل الثاني: طريقة القرآن الكريم في ذكر الفلاح والخسران.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الفصل الأول: معنى الفلاح والخسران.
وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الفلاح.
المبحث الثاني: معاني الفلاح في القرآن الكريم.
المبحث الثالث: مفهوم الخسران.
المبحث الرابع: معاني الخسران في القرآن الكريم.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المبحث الأول
مفهوم الفلاح

الدلالة اللغوية:

الفَلَحُ والفَلَاحُ الفوز بما يُغتبط به وفيه صلاح الحال، والنجاة والبقاء في النعيم والخير.

وأفلح الرجل ظفر، وفي حديث الآذان: (حي على الفلاح)[١] أي: هلم على بقاء الخير، وقيل: أسرع إلى الفوز بالبقاء الدائم، وقيل: أقبل على النجاة.

والفلاح السحور، لأن به تبقى للإنسان قوة على الصوم [٢] .

قال ابن فارس [٣] : الفاء واللام والحاء أصلان صحيحان، أحدهما يدل على شَقٍّ، والآخر يدل على فوز وبقاء [٤] .

قال الزبيدي [٥]: ليس في كلام العرب كله أجمع من (لفظة الفلاح) لخيري الدنيا

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب كيف الأذان، (١/١٣٥)ح(٤٩٩)، وابن ماجه في كتاب الأذان والسنة فيه، باب بدء الأذان، (١/٢٣٢)، ح(٧٠٦)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود، (٢/٤٠٧)ح(٥١٢) .

(٢) انظر في مادة فلح: لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور، (٢/٥٤٧)، دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى، بدون ، تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري ، (٥/٤٧)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، تحقيق: محمد عوض مرعب، القاموس المحيط لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي، (١/٣٠٠)، مؤسسة الرسالة – بيروت، بدون ، مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي ، (٢١٣)، مكتبة لبنان – بيروت، بدون ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، تحقيق: محمود خاطر.

(٣) الإمام العلامة اللغوي المحدث أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد القزويني المالكي، كان رأسا في الأدب، بصيرا بفقه الإمام مالك، مناظرا متكلما على طريقة أهل الحق، من مصنفاته: المجمل في اللغة، ومقاييس اللغة،توفي سنة٣٩٥هـ.

انظر: طبقات المفسرين لعبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، (٢٦)، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، (١/١١٨)، تحقيق: إحسان عباس،دار صادر – بيروت، بدون.

(٤) انظر: معجم مقاييس اللغة، مادة فلح، (٤/٤٥٠)، دار الجيل – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون.

(٥) إمام النحو أبو بكر محمد بن الحسن بن عبيد الله بن مذحج الزبيدي الشامي الحمصي، أديب شاعر عروضي لغوي نحوي ، من مصنفاته: الواضح، تاج العروس،طبقات النحاة واللغويين، توفي سنة٣٧٩هـ.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

والآخرة [١] .

وقال الراغب [٢]: الفلاح الظفر وإدراك البغية، وهو على ضربين: دنيوي وأخروي، فالدنيوي الظفر بالسعادات التي تطيب بها حياة الدنيا، وهو: البقاء والغنى والعز؛ والأخروي: هو أربعة أشياء: بقاء بلا فناء، وغنىً بلا فقر، وعز بلا ذل، وعلم بلا جهل [٣] .

وقد ورد لفظ الفلاح في القرآن الكريم بمشتقاته أربعين مرة، في أربعين آية، منها ثلاث وعشرون آية في السور المكية، وسبع عشرة آية في السور المدنية.

وجاء بصيغ مختلفة، في سياقات متعددة.

انظر: سير أعلام النبلاء ، لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، ، (٤١٧/١٦)، مؤسسة الرسالة ، بيروت، الطبعة الثانية،١٤٠٢هـ،١٩٨٢م، معجم المؤلفين لعمر كحالة، (٢٢٣/٣)، مؤسسة الرسالة، بيروت،الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ-١٩٩٣م.

(١) انظر: تاج العروس من جواهر القاموس، مادة فلح، (٢٦/٧)، دار الهداية، بدون.

(٢) هو الحسين بن محمد أبو القاسم الأصبهاني الملقب بالراغب، صاحب اللغة والعربية والحديث والشعر، من مصنفاته: المفردات في غريب القرآن، توفي سنة ٥٠٢هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (١٢٠/١٨)، معجم المؤلفين لعمر كحالة، (٥٩/٤).

(٣) انظر: المفردات في غريب القرآن، مادة فلح، (٣٨٥)، دار المعرفة – لبنان، تحقيق: محمد سيد كيلاني، بدون.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ألفاظ الفلاح في القرآن الكريم

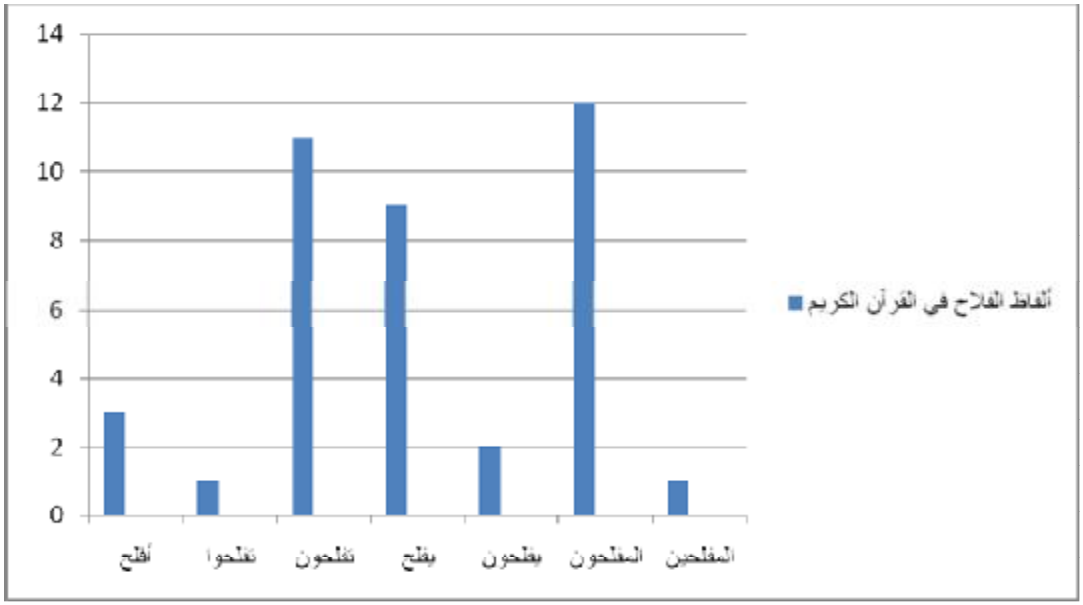

فـــ(أفلح) جاءت ثلاث مرات، و(تفلحوا) مرة واحدة، و(تفلحون) أحد عـــشر مـــرة، و(يفلح) سبع مرات، و(يفلحون) مرتين، و(المفلحون) اثني عشر مرة، و(المفلحين) مـــرة واحدة.

الدلالة الشرعية:

لا يبتعد معنى الفلاح من حيث الدلالة الشرعية عن معناه اللغوي، فالفلاح هو الفوز والظفر بقسمة الخير، والاستبداد بها [١] .

قال ابن كثير [٢] : الفلاح نيل المطلوب والسلامة من المرهوب [١] .

---

(١) انظر: الفائق في غريب الحديث لمحمود بن عمر الزمخشري، مادة فلح ، (١٣٨/٣)، دار المعرفـــة – لبنـــان، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، بدون.

(٢) هو إسماعيل بن عمر بن كثير أبو الفداء ، كان قدوة العلماء والحفاظ، وعمدة أهل المعاني والألفاظ، فقيـــه متفنن، ومحدث متقن، ومفسر نقاد، من مصنفاته: البداية والنهاية، تفسير القرآن العظـــيم، تـــوفي ســـنة ٧٧٤هـــ.

انظر: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين،لخير الـــدين الزركلـــي، (٣٢٠/١)، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة عشر، ٢٠٠٢م، طبقات المفسرين لشمس الـــدين

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وقال الشنقيطي [٢] : الفلاح هو الفوز بالمطلوب الأعظم وهو الجنة، والبقاء الدائم في النعيم والسرور [٣] .

وقال ابن عاشور [٤] : الفلاح في اصطلاح الدين الفوز بالنجاة من العذاب في الآخرة، والظفر بالمطلوب [٥] .

وباستقراء القرآن عُرِف أن الغالب فيه أن لفظة (لا يفلح) يراد بها الكافر، كقوله تعالى:] قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ Z [يونس: ٦٩]، وقوله تعالى:] m l k j i h g f e d c b a ` _ ^ ] \ [ p o n c b a ` _ ^] \ [Z [يونس: ١٧]، وقول:] j i h g f e d Z [الأنعام: ٢١]، وغيرها من الآيات [٦] .

محمد علي أحمد الداودي، (٧٩)، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى،١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم ، (٣٠٠/٣)، دار الفكر – بيروت، بدون.

(٢) هو محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، مفسر مدرس من علماء شنقيط، له مؤلفات عديدة، منها: تفسير أضواء البيان، منع جواز المجاز، آداب البحث والمناظرة، توفي سنة١٣٩٣هـ.

انظر: الأعلام للزركلي، (٤٥/٦)، علماء ومفكرون عرفتهم، لمحمد المجذوب،(١٧١)،دارالشواف، مصر، الطبعة الرابعة .

(٣) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، (٥٢١/٥)، دار الفكر للطباعة والنشر – بيروت، بدون ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات.

(٤) هو محمد الطاهر بن عاشور، رئيس المفتيين المالكيين بتونس، عالم أديب، له مصنفات عديدة، من أشهرها: مقاصد الشريعة الإسلامية، النظام الاجتماعي في الإسلام، التحرير والتنوير، توفي سنة ١٣٩٣هـ.

انظر: الأعلام للزركلي، (١٧٤/٦)، معجم المؤلفين لعمر كحالة، (٣٦٧/٣).

(٥) انظر: التحرير والتنوير، (٢٤٧/١)، (٢٨٧/٣٠)، دار سحنون – تونس، بدون ، ١٩٩٧م.

(٦) انظر: أضواء البيان للشنقيطي، (٣٩/٤).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المبحث الثاني
معاني الفلاح في القرآن الكريم

مثلما بينا مفهوم الفلاح نبين هنا معاني الفلاح في القرآن الكريم، فقد جاء في القرآن الكريم بمعنى السعادة والفوز [١] ، يقول تعالى:] ! " # Z [المؤمنون: ١].

أي: فازوا وسعدوا ونجحوا [٢] .

و يقول سبحانه:] C D E F G H I J K Z [البقرة: ٥].

أي: فازوا بالمطلوب، ونجوا من المرهوب [٣] .

---

(١) انظر: الأشباه والنظائر في القرآن الكريم لمقاتل بن سليمان البلخي ، (٣١٧ – ٣١٨)، تحقيق: عبدالله محمود شحاته، المكتبة العربية – مصر، بدون ، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م، الوجوه والنظائر في القرآن الكريم دراسة وموازنة لسليمان القرعاوي، (٥١٧)، مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ، (٢٣٩/٣)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبدالرحمن بن ناصر السعدي، (٥٤٧)، مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، تحقيق: الشيخ محمد بن صالح العثيمين.

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي، (٤١).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المبحث الثالث

مفهوم الخسران

الدلالة اللغوية:

الخسران هو: النقص والضلال والهلاك [١] .

قال ابن فارس: الخاء والسين والراء أصل واحد يدل على النقص [٢] .

وقال ابن منظور [٣] : خَسِرِ خُسْراً وخُسْرَانَاً وخَسَارَةً وخَسَاراً فهو خَاسِر، والخَسَارُ والخَسَارة الضلال والهلاك [٤] .

وقد ورد لفظ الخسران في القرآن الكريم إحدى وستين مرة، في سبع وخمسين آيـــة، تسع وثلاثين آية منها في السور المكية، وثماني عشر آية منها في السور المدنية.

---

(١) انظر في مادة خسر: مختار الصحاح للرازي، (٧٤)، تاج العروس للزبيدي، (١٦٤/١١).

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة، مادة خسر، (١٨٢/٢).

(٣) هو محمد بن مكرم بن علي، وقيل: رضوان بن منظور، جمال الدين أبو الفضل، عالم بالنحو واللغة والتاريخ، توفي سنة ٧١١هـــ.

انظر: الأعلام للزركلي، (٣٢٩/٧)، معجم المؤلفين لعمر كحالة، (٤٦/١٢).

(٤) انظر: لسان العرب، مادة خسر، (٢٣٨ – ٢٣٩).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ألفاظ الخسران في القرآن الكريم

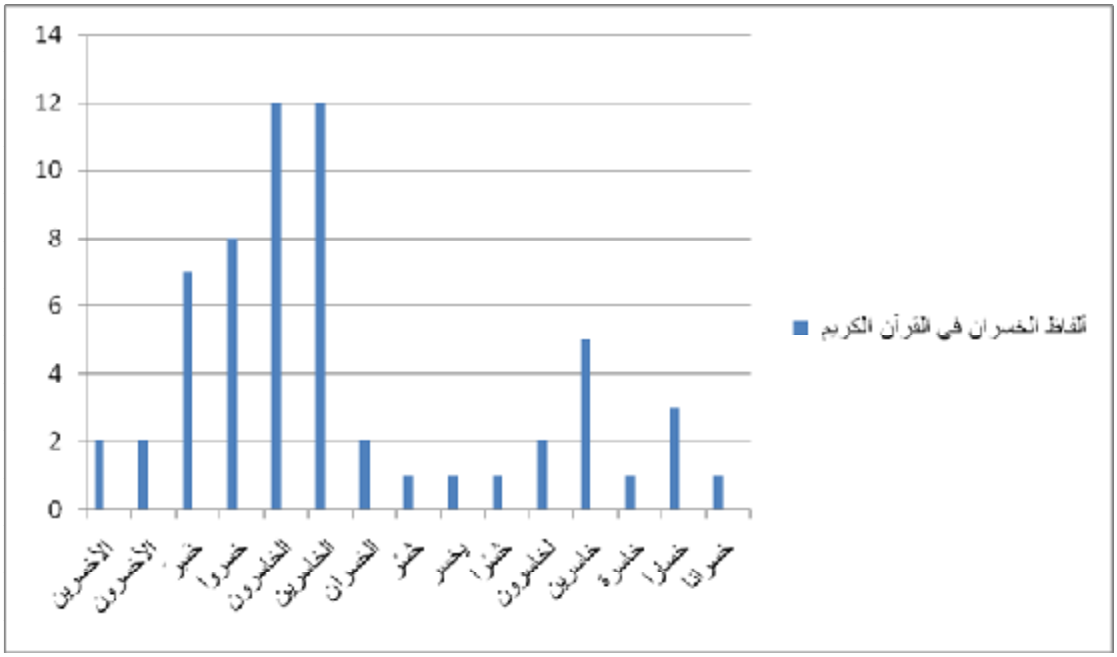

فـــ(الأخسرين) و(الأخسرون) و(لخاسرون) و(الخسران)جاءت مرتين، و(يخـــسر)، و(خُسْرا) و(خاسرة)و(خسرانا)و(خُسر) مرة واحدة، أما (خَسِر) فجاءت سبع مـــرات، و(خسروا) ثمان مرات، و(الخاسرون) و(الخاسرين) اثني عشر مرة، و(خاســـرين) خمـــس مرات، و(خسارا) ثلاث مرات.

الدلالة الشرعية:

الخسران نقص النفس حظوظها من رحمة الله بسبب المعصية، وهو الهلاك [١] .

قال الراغب: الخسران النقص، ويستمل في المقتنيات الخارجية كالمال والجاه في الدنيا، ويستعمل في المقتنيات النفيسة، كالصحة والسلامة والعقل والإيمان والثواب، وهو الـــذي جعله الله الخسران المبين، قال تعـــالى:] I H J K L M N O

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جعفر الطبري، (١/١٥٨)، دار الفكر – بيروت، بدون.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

P R S T U V Z [الزمر: ١٥]؛ وكل خسران ذكره الله في القرآن فهو على المعنى الأخير، دون الخسران المتعلق بالمقتنيات الدنيوية، والتجارات البشرية [١] .

(١) انظر: المفردات للراغب، مادة خسر، (١٤٧ – ١٤٨).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المبحث الرابع
معاني الخسران في القرآن الكريم

تعددت معاني الخسران في القرآن الكريم، وجاءت على أوجه خمسة، وهي: العجز، والغبن، والضلال، والنقص، والعقوبة [١] .

العجز:

قال تعالى:] قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ Z [يوسف: ١٤].

أي: لعاجزون [٢] .

الغبن:

قال تعالى:] ! " # $ % & Z [العصر: ١ – ٢].

الخسر الغبن، وقيل: النقص [٣] .

الضلال:

قال تعالى:] 6 7 8 9 : ; Z [فاطر: ٣٩].

أي: ضلالاً [٤] .

النقص:

قال تعالى:] وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ ´ µ Z [المطففين: ٣].

أي: ينقصون [٥] .

---

(١) انظر: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لأبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي (٢٧٧ – ٢٧٨)، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، الأشباه والنظائر في القرآن الكريم لمقاتل (١٥٧ – ١٥٨).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، (٤٧١/٢).

(٣) انظر: أضواء البيان للشنقيطي ، (٨٩/٩).

(٤) انظر: معالم التنزيل للحسين بن مسعود البغوي، تحقيق خالد عبدالرحمن العك،(٤٥٨/٤)، دار المعرفة – بيروت، بدون.

(٥) انظر: تفسير ابن كثير ، (٤٨٤/٤).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

العقوبة:

قال تعالى:] ! " # $ % & ' ( ) * + , Z [الأعراف: ٢٣].

أي: لنكونن من الهالكين [١] .

وقد يطلق الخسران على لسان البشر ويراد به الخسران وهو في الحقيقة فلاح وفوز؛ كما حكاه الله على لسان قوم شعيب عليه السلام المكذبين، قال تعالى:] h i j k l m n o p q r s Z [الأعراف: ٩٠]، وقال تعالى على لسان المكذبين المستكبرين من قوم صالح عليه السلام:] Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k Z l m n o p q r s t u v w x y Z [المؤمنون: ٣٣ – ٣٤].

ولا ريب أن اتباع الرسل فلاح، بل هو أصل الفلاح وحقيقته، وليس بخسران ولا هلاك؛ ومقولة المكذبين هذه تدلنا على شدة كفرهم وتمردهم وعنادهم، وما هم فيه من الضلال، إذ كيف لهم أن يحكموا على من اتبع الرسل بالخسران والهلاك إلا لأن قلوبهم جُبِلت على المخالفة للحق؛ ولتنفير الناس وتثبيطهم عن الإيمان، وعن اتباع الحق.

فالفوز كل الفوز، والظفر كل الظفر في اتباع الرسل ومتابعتهم؛ ومن خالف فقد خسر خسراناً مبيناً.

---

(١) انظر: جامع البيان لابن جرير ، (٨/١٤٤)، معالم التنزيل للبغوي، (٢/١٥٤).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الفصل الثاني
طريقة القرآن الكريم في ذكر الفلاح والخسران

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: الطرائق البلاغية التي سلكها القرآن في عرضه للفلاح والخسران.

المبحث الثاني: التعبير بالاسم أو الفعل.

المبحث الثالث: وصف هذه الألفاظ.

المبحث الرابع: موقع ذكر هذه الألفاظ في الآية.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

تمهيد

القرآن هو الآية الأولى لرسولنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، ودليله الأعظم على نبوته ورسالته، وقد تحدى القرآن الكافرين وطالبهم أن يأتوا من بيانهم وكلامهم بمثله، لكنهم لم يقدروا على ذلك ، وعجزوا عن معارضته، فقام الدليل على إعجاز القرآن ، فهو معجز ببلاغته، وأسلوبه، وبيانه ، وتعبيره.

ومن الثابت أن القرآن الكريم كان يأخذ الفصحاء من العرب بروعة بيانه، فكانوا لا يملكون أنفسهم عن كلِمه، وسعوا إلى أن يحولوا بين القرآن وأسماع الناس] { ~ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ Z [فصلت: ٢٦]، وما قول الوليد بن المغيرة بسرّ، فقد اجتمع إليه نفر من قريش ليجمعوا على رأي واحد يصدرون عنه يقولونه للناس، فقال بعضهم: شاعر،وقال بعضهم: ساحر، وقال بعضهم: كاهن، وقال بعضهم: مجنون، فكان يرد هذه الألفاظ حتى قال: (والله إن لقوله حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه) (١).

فالقرآن معجز، (بديع النظم، عجيب التأليف، متناه في البلاغة إلى الحد الذي عجز الخلق عنه) (٢)، لذا كان هذا الفصل في التماس شيء من مظاهر بلاغة القرآن، والوقوف على بعض ملامحها ، لأن النظر والتمعن في كتاب الله والتدبر فيه يفتح ما يَجِلُّ عن الوصف من الفوائد والحكم والمعاني العظيمة، حيث المنبع والمقصد الذي هو نور] يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ ´ µ ¶ ¸ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ Z[النساء: ١٧٤].

فإلى مباحث هذا الفصل.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير،(٤/٤٤٤)، وأخرجه الحاكم في مستدركه، (٢/٥٥٠)، ح(٣٨٧٢)، وقال: صحيح الإسناد على شرط البخاري و لم يخرجاه.

(٢) إعجاز القرآن لمحمد بن الطيب الباقلاني، (٦٨)، القاهرة، ١٣٤٩هـ.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المبحث الأول

الطرائق البلاغية التي سلكها القرآن في عرضه للفلاح والخسران

يتميز أسلوب القرآن بالفخامة والقوة والجلال، والتي اكتسبها من نواحٍ شتى، كانتقاء ألفاظ لا امتهان فيها، واستخدام ألوان التوكيد والشرط وغيرها [١]، وبواسطة هذه الألوان والأساليب ندرك شيئا من خصائص البيان ، ونفهم براعة الأسلوب، وسهولة النظم وعذوبته، ونعرض هاهنا إلى شيء من تلك الأساليب، كالتوكيد، والنفي، والترغيب والترهيب، وغيرها.

ولو نظرنا إلى التوكيد في عرض الفلاح والخسران في القرآن لوجدناه لوحة فنية متناسقة على اختلاف المؤكدات وتنوعها، وقل مثل ذلك عن أسلوب القصر، حيث نرى تعدد أدوات القصر ومجيئها في أعلى درجات الفصاحة والبيان، وقل مثل ذلك في التعجب والشرط في عرض الخسران، حيث عبَّر القرآن عن الخسران بتلك الأساليب بما يكون كافيا لترك درب الخسران، والتحذير منه، ومن عواقبه.

وقل مثل ذلك في باقي الأساليب التي تنساق في هذا المبحث، حيث نراها في لون فني عجيب.

و لم يكن القصد في هذا المبحث استقصاء أساليب القرآن في عرضه للفلاح والخسران، بل الإحاطة بمجملها وأكثرها، حيث أنني لست أنكر أو أتناسى أن هنالك غيرها من الأساليب.

أولا: النفي

النفي لغة: قال ابن فارس : النون والفاء والحرف المعتل أصل يدل على تعرية شيء

---

(١) انظر: من بلاغة القرآن، للدكتور أحمد أحمد بدوي، (١٨٦)، نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر، بدون ، ٢٠٠٥م.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

من شيء وإبعاده منه، ونفيت الشيء أنفيه نفياً[١].

والنفي اصطلاحاً: هو ما لا ينجزم بلا، وهو عبارة عن الإخبار عن ترك الفعل[٢] .

والنفي أسلوب من أساليب الفلاح، وكما أن العبد مأمور بالإتيان بأسس الفلاح، وصفات أهله، فهو كذلك مُحَذَّرٌ من موانع الفلاح، والتي نُفِي الفلاح عمّن اتصف بها، كالكفر، والسحر ، يقول تعالى:]إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ Z[المؤمنون:١١٧]، ويقول:] W V U Z Y X [طه:٦٩].

ومن استقرأ نصوص القرآن يجدها مملوءة بأسلوب النفي، يقول تعالى:] ¶ ¸ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ Z[المؤمنون:١١٧]، فكل من دعا غير الله لا يناله شيء من الفلاح؛ لأنه كافر، وكفره مانع من الفلاح[٣]، لذا نفى الله عن الكفار الفلاح بـ(لا) الدالة على النفي.

ويحذّر من الظلم في قوله تعالى:] j i h g Z[الأنعام:١٣٥]، ففي هذه الآية عبّر عن نفي الفلاح عن الكفار بنفي الفلاح عن الظالمين؛ لأنه لا أظلم ممن كفر وأشرك بالله، فـ(وضع الظالمين موضع الكافرين لأنه أعم وأكثر فائدة)[٤].

وينفي الله الفلاح عن السَحَرة، مرة بصيغة المفرد المستغرق للجنس، يقول سبحانه:] W V U Z Y X [طه:٦٩]، ومرة بصيغة الجمع :]وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ Z[يونس: ٧٧]، ففي الموضع الأول أفادت (أل) الجنس، والمعنى: لا يفلح أي ساحر[٥]، وفي الموضع الثاني أفاد الجمع كل السحرة، والمعنى: أن موسى عليه السلام لما نفى أن

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس، مادة نفي، (٤٥٦/٥).

(٢) انظر: التعريفات للجرجاني، (٣٠٠).

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي، (٥٦١).

(٤) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي، لناصرالدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، (٤٥٥/٢)،دار الفكر، بيروت، بدون.

(٥) انظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، (٧٦/٣)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

تكون آيات الله سحراً، ارتقى فأبان لهم فساد السحر وسوء عاقبة مزاوليه تحقيراً لهم وتوبيخاً ، فليس هو سحر؛ لأن الساحر لا يفلح(١).

وفي نفي الفلاح عمن يفتري الكذب على الله يقول جلّ شأنه:] إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ´ Z[النحل: ١١٦]، فـ(لا يفلحون) نفي للفلاح عن الذين يفترون على الله الكذب، فهم لا يفلحون في أمر من الأمور، ولا يفوزون بمطالبهم التي ارتكبوا الإفتراء للفوز بها(٢).

وجاء نفي الفلاح عن المرتد في قوله تعالى:] وَلَن تُفۡلِحُوٓاْ إِذٗا أَبَدٗا Z[الكهف:٢٠] مؤكداً بمؤكدات عديدة، فهو مؤكد بـ(إذاً) و(أبداً)(٣)؛ وهو تأكيد لما دل عليه النفي بـ(لن) من تأكيد النفي وتأبيده إلى غير غاية(٤).

---

(١) انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمد الألوسي، (١٦٤/١١)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون ، التحرير والتنوير ، (٢٥٠/١١).

(٢) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي ، (١٤٨/٥)،دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون.

(٣) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، (٢٨٧/١٥).

(٤) انظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، للإمام عبدالله بن يوسف بن أحمد بن هشام الأنصاري، (١٣٦/٤)، المكتبة العصرية، بيروت، بدون ، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، البلاغة فنونها وأفنانها، (علم المعاني)، للدكتور فضل حسن عباس، (١٢٢)، دار الفرقان – الأردن، الطبعة الحادية عشر، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ثانيا: التوكيد

تدل هذه الكلمة على الشد والإحكام، تقول: أوكد العقد أي شده، ويدخل التوكيد في الكلام لدفع الشك، وتقوية المعنى(١).

وفي الاصطلاح: هو أن يرد اللفظ لتقرير المعنى الحاصل قبله وتقويته(٢).

والتوكيد من أهم العوامل لبث الفكرة في نفوس البشر، وإقرارها في قلوبهم إقراراً ينتهي إلى الإيمان بها؛ واستخدم القرآن التوكيد وسيلة لتثبيت المعنى في نفوس قارئيه، وإقراره في أفئدتهم، حتى يصبح عقيدة من عقائدهم(٣).

ومن استخدامات القرآن لهذا الأسلوب، استخدامه في عرض الفلاح والخسران بما لا يدع للنفس مجالاً للشك فيه.

- ففي قضية فلاح المؤمنين المقيمين الصلاة، المعرضين عن اللغو، المؤدين للزكاة، الحافظين لفروجهم عن الحرام، القائمين بالأمانة والعهد، يقول تعالى:] ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z [المؤمنون : ١-٩]، فبين الله عز وجل فلاح المؤمنين وبأي شيء وصلوا ذلك، وأكد هذا بقوله :] ! " # Z ، فأكد الخبر بالحرف (قد) الذي إذا دخل على الفعل الماضي أفاد التحقيق ؛ ووجه التوكيد أن المؤمنين كانوا مؤمِّلين مثل هذه البشارة فيما سبق لهم من رجاء

---

(١) انظر: في مادة وكد ، معجم مقاييس اللغة لابن فارس، (٣/٩٧٤)، المفردات للراغب، (٨٨٢).

(٢) انظر: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللفظية، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، (٢٦٧) ،مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ،١٩٩٨م.

(٣) انظر: من بلاغة القرآن، للدكتور أحمد أحمد بدوي، (١١٢).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الفلاح في قوله تعالى:] e f g h i

Z o n m l k j[الحـــج:٧٧]،

فكانوا لا يعرفون تحقق أنهم أتوا بما أرضى ربهم، فأخبروا أن ما ترجوه قـــد حصل، وحقق لهم ذلك بحرف التحقيق، وبالفعل الماضي المستعمل في معنى التحقق(١).

ومثل التوكيد في هذه الآية ما ورد في شأن تزكية النفوس، يقول الباري جل شأنه:

] @ A B C Z [الأعلى:١٤] .

- وفي قضية فلاح المؤمنين بالغيب، المقيمين الصلاة، المؤمنين بالقرآن والكتب السابقة أثبت القرآن الكريم فلاحهم، يقول تعالى:] - . / 0

@ ? > = < ; : 9 8 7 6 5 4 3 2 1

-٣ : البقرة]Z L K J I H G F E D C B A

٥]، ويقول سبحانه:] , - . / 0 1 2

? > = < ; : 9 8 7 6 5 4 3

Z[لقمان: ٤-٥] ففي الآيتين جاء التأكيد على فلاحهم بالضمير (هم) في قوله:] < = > Z، وهذا تأكيد للمظهر بالمضمر، غرضـــه التأكيد على فلاحهم(٢)؛ لأن مـــن أدوات التوكيـــد ضـــمير الفـــصل(٣). يقول صاحب نظم الدرر مبيناً وجه ختم صفات المحسنين في سورة لقمـــان بما ورد في أول سورة البقرة: لما كانت هذه الخـــلال – يقـــصد صـــفات المحسنين – أمهات الأفعال الموجبة للكمال، وكانت مساوية من وجه لآيـــة البقرة، ختمها بختامها بعد أن زمها بزمامها فقال:] 6 7 8 9

(١) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، (٨/١٨)، البلاغة فنونها وأفنانها، لفضل حسن عباس، (١٢١).

(٢) انظر: الكشاف ، (٨٥/١)، البحر المحيط، (١٧٠/١)، أنوار التنزيل ، (١٣٣/١).

(٣) انظر: البلاغة فنونها وأفنانها لفضل عباس، (١١٩).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

: ; < = > Z[1].

- وفي قضية خسارة من لم يؤمن باليوم الآخر بين الله في القرآن أن من صلب الإيمان الإيمان باليوم الآخر وما فيه من بعث وجزاء وحساب، وأثبت الخسارة لمن كذّب و لم يؤمن به، وأكّد هذا المعنى في قوله:] T U V W X Y Z[الأنعام: ٣١]، وذلك بتحقيق الفعل الماضي (خسر) بالحرف (قد) للتنبيه على تحقق خسرانهم.

وقال سبحانه:] 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J K L Z[النمل: ٤-٥]، فصيغ الخبر عن خسارة المكذبين باليوم الآخر في صيغة الجملة الإسمية، وقُرن بضمير الفصل للدلالة على ثبات مضمون الجملة وانحصاره فيهم[2].

وقال تعالى:] ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ

١٩ ! " # $ % & ' ( ) * + , - . /

0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; <

= > ? @ A B C D E F G H I J K

L M Z[هود: ١٩-٢٢]، وهذه الآية مليئة بالمؤكدات لإثبات خسارة من صد عن سبيل الله و لم يؤمن باليوم الآخر، أول هذه المؤكدات (لا جرم) والذي يفيد معنى التحقيق والتوثيق[3]، وتقديم الجار والمجرور (في الآخرة)، والإتيان بأفعل التفضيل (الأخسرون).

---

(١) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور،لأبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، (٥/٦)،دار الكتب العلمية، بيروت،١٤١٥هـ،١٩٩٥م.

(٢) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، (٢٢٣/١٩).

(٣) انظر: المصدر السابق، (٣٩/١٢).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

- وفي قضية خسارة من لم يؤمن ويعمل صالحاً:

مثلما أخبر الله في آيات عديدة عن خسارة من لم يؤمن، ومن يعمل السيئات بـــدلاً من الصالحات أكد سبحانه هذه المعاني في سورة العـــصر فقـــال:] ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 Z[العصر:١-٣] ، فأكد خسارة جنس البشر، مـــا لم يؤمنـــوا ويعملـــوا الصالحات ويتواصوا بالحق والصبر – بـــ(إن) التي تفيد التوكيد، وبحرف اللام في (لفي)، وكل هذه قرائن تدل على المبالغة في وصف كون الإنسان في خسر[١].

- وفي قضية تأكيد خسارة من يصد عن سبيل الله:

يقول تعالى مؤكداً خسارة وهلاك من يصد عن ســـبيل الله:] G H I J K L M N O Q R S T U V W Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m n o p Z q r s [الأنفال: ٣٦-٣٧]، فأكد كمالهم في الخسران بالضمير (هم) ، (فهم) الكاملون في الخسران لأنهم خسروا أنفسهم وأموالهم ولا أبين منهم خسارة[٢].

- وفي قضية عدم فلاح المجرمين:

بين القرآن في آيات عديدة فلاح من آمن وعمل صالحاً، وبين في آيات أخر عـــدم فلاح طوائف من الناس لمخالفتهم أوامر الله، ومن هذه الطوائف المحرومة مـــن الفـــلاح المجرمون، وأكد الله عدم فلاحهم بقولـــه:] m n o p Z[يـــونس: ١٧]، بحرف التوكيد (إن) ،بالإضافة إلى اقتران (إن) بضمير الشأن، مما أضفى عليه مـــن الحسن الذي لم نكن نراه لو لم تدخل عليه.

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب لفخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي،(٨٣/٣٢)، دار الكتب العلمية ، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـــ-٢٠٠٠م.

(٢) إرشاد العقل السليم لأبي السعود، (٢١/٤).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

- وفي قضية فلاح حزب الله ، وخسارة حزب الشيطان وهلاكه:

مما أقره القرآن نصرة الله لأوليائه المؤمنين المتقين ، وخذلانه للعصاة الكافرين، وأكدت آيات من القرآن نجاة حزب الله وخسارة حزب الشيطان، يقول تعالى مؤكداً فلاح حزب الله: [S T U V W X Z] [المجادلة : ٢٢]، ففي الآية تحلية بفنون التوكيد: (ألا)، (إن) ، والضمير المنفصل (هم)[١].

وأكد سبحانه في موضع آخر خسارة أتباع الشيطان فقال: ﴿ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ Z [المجادلة: ١٩]، فـ(في تصدير الجملة بحرفي التنبيه والتحقيق، وإظهار المضافين معاً في موقع الإضمار بأحد الوجهين، وتوسيط ضمير الفصل من فنون التأكيد ما لا يخفى)[٢].

- وفي قضية خسارة النفس والأهل:

تحدث القرآن من خسارة من لم يؤمن و لم يقدم الصالح من العمل، وأبان عظم الخسارة حينما يخسر الإنسان نفسه وأهله يوم القيامة، وأكد هذا المعنى في قوله تعالى :

[H I J K L M N O P Q R S T U V W

Z [الزمر: ١٥] وهذه الآية مليئة بالمؤكدات لإثبات خسارة من يخسر نفسه وأهله بسبب ظلمه لنفسه بالمعاصي والشرك، وظلمه لغيره، فمن المؤكدات (إن)، وتصدير الجملة بحرف التنبيه (ألا) ، وتوسيط ضمير الفصل، وتعريف الخسران ، وكل هذه المؤكدات لتأكيد المعنى، وليستقر في النفوس، حيث أن أداة التنبيه (ألا) لا تكون إلا مع ما يُعتنى به من الأخبار[٣].

- وفي قضية فلاح الطائعين لله ورسوله:

كثيراً ما يرد في القرآن أمور يُرتب على فعلها الفلاح في الدنيا والآخرة، وفي آيات أخرى أجمل الله هذه الأمور تحت مسمى السمع والطاعة لله ورسوله، فكان ذلك عام

---

(١) انظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود، (٨/٢٢٣).

(٢) انظر: المصدر السابق ، (٨/٢٢٤).

(٣) انظر: من بلاغة القرآن، لأحمد أحمد بدوي، (١١٧).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

لكل فعلٍ أو تركٍ فيه طاعة لله ولرسوله، كقوله تعالى:] ¶ ¸ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ Z[النور: ٥١]، فأخبر بحالهم، ووعدهم بالفلاح، وأكد ذلك الوعد بضمير الفصل (هم).

فأسلوب التوكيد تواردت صوره في آيات الفلاح والخسران،ترغيبا في طريق الفلاح، وترهيبا من الخسران وتحذيرا من عواقبه.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ثالثا: القسم

القسم هو الحلف واليمين[١].

وقد عرّفه بعض أهل العلم بأنه توكيد معظم، مقرون بالواو أو بأحد حروف القسم، فإن صدر من مخلوق فلا يكون إلا بالله، وإن صدر من الخالق فهو سبحانه يقسم بما شاء، أما عند النحاة فهو جملة يؤكد بها الخبر[٢].

والقسم أسلوب من أساليب التوكيد، ورد في التنزيل كثيراً ؛ وتستعمل معه اللام فتكون موطئة له تارة، وتكون واقعة في جوابه للقسم وليست جواباً للشرط ، كما في قوله تعالى:] ! " # $ % & ' ( ) * + , Z[الأعراف: ٢٣]، فاللام في (لنكونن) داخلة على جواب القسم، ونظير هذه الآية كثير في القرآن، إذ اجتمع الشرط والقسم في القرآن كثيراً[٣]، ومن اجتماع الشرط والقسم في آيات الفلاح والخسران قوله تعالى:] لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ Z [الأعراف: ١٤٩] ، فقوله (لنكونن) جواب للقسم، لتقدمه على الشرط، والذي يدل على تقدم القسم اللام الموطئة له والمقترنة بأداة الشرط (لئن) ، أما جواب الشرط فهو محذوف وجوباً للاستغناء عنه بجواب القسم.

---

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور، مادة قسم ، (٨٨/٣)، المفردات للراغب، مادة قسم، (٦٧٠).

(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن، لمحمد بن بهادر بن عبدالله الزركشي، (٤١/٣)، تحقيق محمد أبو الفضل، دار المعرفة – بيروت، بدون ، ١٣٩١هـ؛ الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين عبدالرحمن السيوطي، (٣٥/٤)، تحقيق سعيد المندوب، دار الفكر – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .

(٣) انظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام، (١٩٦/٤)، الأساليب الإنشائية في العربية، للدكتور إبراهيم عبود السامرائي ، (١٥٠-١٥١)، دار المناهج – الأردن ، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

رابعا: القصر

القصر لغة: الحبس[١].

اصطلاحاً: هو تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص، ويقال أيضاً: إثبات الحكم لمذكور ونفيه عما عداه[٢] .

والقصر أحد الأساليب البلاغية التي يقتضيها المقام، ويدعو إليها حال المخاطب، فيؤتى بها عند الحاجة؛ وآيات القرآن مليئة بهذا الأسلوب، إذ القرآن يستخدمه عندما يريد إثبات الحكم لمذكور ونفيه عمّن عداه.

ففي قضية اختصاص الفلاح بحزب الله، والخسارة بحزب الشيطان يقول تعالى: [T S U V W X Z[المجادلة: ٢٢]، فالآية بيان لاختصاص حزب الله بالفوز بسعادة الدارين، وبسعادة النشأتين، والذي أفاد هذا المعنى ضمير الفصل (هم)[٣].

ويقول سبحانه في شأن خسارة حزب الشيطان: [أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ Z [المجادلة: ١٩] ، فأفاد ضمير الفصل (هم) القصر، وذلك للمبالغة في مقدار خسارتهم، وأنه لا خسارة أشد منها، فكأن كل خسارة غيرها هي عدم[٤].

وفي قضية اختصاص عباد الله المتقين، المقيمين الصلاة، المؤدين الزكاة، المؤمنين باليوم الآخر وبالكتب السماوية بالفلاح يقول تعالى: [! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E F G I J K L Z[البقرة: ١-٥] فجملة [I J K Z لا تخلو من إفادة الحصر، كما دل على ذلك التعريف في (المفلحون)، وهو تعريف جنس أفاد الاختصاص، بالإضافة إلى ما أفاده ضمير الفصل

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس، مادة قصر، (٩٦/٥).

(٢) انظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، (١٤٩/٣).

(٣) انظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود، (٢٢٤/٨).

(٤) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، (٥٥/٢٨).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

من القصر والتأكيد، وحصر الفلاح فيمن تقدمت صفاتهم(١).

وفي قضية اختصاص الفلاح بالمؤمنين بالقرآن وبالرسول r يقول تعالى:

o n m l k j i h g f e d c [

p Z [الأعراف:١٥٧] . فأفاد تعريف المسند (المفلحون) وضمير الفصل (هم) قصر الفلاح على هؤلاء دون من كفر(٢).

وفي قضية اختصاص الخسارة بالكافرين بالله وآياته يقول جل وعلا :] وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ Z[العنكبوت:٥٢]، فمن آمن بالباطل ، وكفر بالله فهو خاسر، والذي أفاد هذا المعنى أسلوب الحصر (أولئك هم المفلحون)(٣)، فتعريف جزأي الجملة للمبالغة في اتصافهم بالخسران العظيم، بحيث أن كل خسران في جانب خسرانهم كالعدم(٤).

ويقول تعالى في شأن اختصاص الخسار بمن كفر بآيات الله دون غيرهم:

[o p q r s t u Z[الزمر: ٦٣].

وفي قضية اختصاص الخسارة بمن كذّب بأنبياء الله ورسله، وكذّب باليوم الآخر، يقول تعالى:] © ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَانُواْ ۚ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا ~ { | Z [الأعراف: ٩٢]، ففي هذا الابتداء معنى الاختصاص، كأنه قيل: الذين كذبوا شعيباً هم المخصوصون بالخسران العظيم دون أتباعه فهم الرابحون، وفي هذا الابتداء مبالغة في رد مقالة الملأ لأتباعهم، وتسفيه لآرائهم(٥).

ويقول سبحانه:] ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ⑲ ! " # $ % & ') (* + , -

(١) انظر: الكشاف ، (٨٥/١)، أنوار التنزيل ، (١٣٣/١)، التحرير والتنوير ، (٢٤٦/١).
(٢) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، (١٣٨/٩).
(٣) انظر: مفاتيح الغيب للرازي، (٧٠/٢٥).
(٤) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، (١٧/٢١-١٨).
(٥) انظر: الكشاف للزمخشري، (١٢٤/٢).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

; : 9 8 7 6 5 4 2 1 0 / .

I H G F E D C B A @ ? > = <

J K L M Z[هود: ١٩-٢٢] فتعريف (الأخسرون) بلام الجنس أفاد الحصر، وكذلك الضمير (هم)، لتأكيد اختصاص من صد عن سبيل الله ولم يؤمن بلقاء الله بالخسارة(١).

وفي شأن قصر الخسارة على من خسر نفسه وأهله يوم القيامة يقول تعالى: [H I J K L M N O P Q R S T U V Z[الزمر: ١٥] .

فتعريف المسند والمسند إليه من طرق القصر ، وأفاد معنى قصر جنس الخاسرين على الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ، وذلك لكمال جنس الخسران فيهم، حتى كان خسران غيرهم كلا خسران، وكما أفاد القصر تعريف المسند والمسند إليه كذلك أفاد معنى القصر ضمير الفصل (هم)، فتوسيطه أفاد القصر(٢).

وفي قضية اختصاص الخسران بمن أضله الله يقول جل شأنه: [مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ Z[الأعراف: ١٧٨]، فنلحظ الزيادة في جانب الخاسرين ، الفصل باسم الإشارة، والإتيان بضمير الفصل، وذلك لزيادة الاهتمام بتمييزهم بعنوان الخسارة، واختصاصهم بها(٣).

وفي قضية اختصاص الفلاح فيمن قام بفريضة الجهاد يقول سبحانه: [- / . 0 1 2 3 4 6 7 8 : ; < Z[التوبة: ٨٨]، والمعنى: هم الفائزون بجميع مرادهم لا

(١) انظر: روح المعاني للألوسي، (٣٣/١٢).
(٢) انظر: مفاتيح الغيب للرازي، (٢٢٣/٢٦).
(٣) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، (١٨١/٩).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

غيرهم(١).

وفي قضية اختصاص الفلاح بمن ثقلت موازينهم دون من عداهم يقول تعالى: [l m n o p q Z[الأعراف:٨]، فضمير الفصل (هم) لتأكيد النسبة، ولإفادة اختصاص الفلاح بمن ثقلت موازينه؛ والتعريف في (المفلحون) أفاد حصر الفلاح واختصاصه فيهم(٢).

وفي قضية اختصاص الفلاح بمن وُقي شح النفس يقول الباري جل شأنه: [وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ Z[الحشر: ٩]، فصيغة القصر المؤدّاة بضمير الفصل للمبالغة، لكثرة الفلاح الذي يترتب على وقاية شح النفس، حتى كأن جنس المفلح مقصور على ذلك الموقَى(٣).

فأسلوب القصر في آيات الفلاح والخسران تعددت أدواته وطرقه، ومع تعدد صوره وأدواته إلا أنها تتفق في إفادة الحصر، وإظهار بلاغة المعنى بإيجاز.

(١) انظر: نظم الدرر للبقاعي، (٣/٣٧٣).
(٢) انظر: إرشاد العقل السليم ، (٣/٢١٣)، التحرير والتنوير ، (٨/٣١).
(٣) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، (٢٨/٩٥).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

خامسا: التعجب

التعجب لغة: العُجْب والعَجَب إنكار ما يرد عليك لقلة اعتياده(١).

واصطلاحاً: انفعال النفس عما خفي سببه(٢).

والمطلوب في التعجب الإبهام ؛ لأن من شأن الناس أن يتعجبوا مما لا يُعرف سببه، فكلما استبهم السبب كان التعجب أحسن(٣).

وقد يأتي التعجب قياساً بصيغة (ما أفعله) و(أفعل به)، وقد يأتي التعجب سماعياً، وقد لحظ الزمخشري(٤)، ما في طريقة التعجب من غير لفظه من قوة في الأداء ، ونفاذٍ إلى أدق مواطن الإدراك في النفس حين تواجهها بنقائصها ورذائلها مواجهة فيها حدة، وفيها قوة، ليلتفت الإنسان إلى فطرته فيعود إليها(٥).

والتعجب قوي الصلة بـ(التشنيع)، ولذا صحب أساليب الذم والتشنيع غالباً، كما في قوله تعالى:]W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f Z[الأنعام: ١٤٠]، فالمراد التشنيع بقبح فعلهم، والتعجب من سوء حالهم(٦).

وقوله تعالى:]T U V W X Y Z[الأنعام: ٣١] ، وهذا استئناف للتعجب من حالهم حيث يقعون يوم القيامة في العذاب على ما استداموه من الكفر الذي جرّأهم على استدامته اعتقادهم نفي البعث(٧).

---

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور، مادة عجب، (٥٨٠/١).

(٢) انظر: التعريفات للجرجاني، (٨٥).

(٣) انظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، (٢٠٦/٣).

(٤) محمود بن عمر بن محمد الزمخشري أبو القاسم، العلامة النحوي اللغوي المعتزلي المفسر، كان واسع العلم ، له تصانيف عديدة، منها: الكشاف في التفسير، الفائق في غريب الحديث، أساس البلاغة، توفي سنة ٥٣٨هـ. انظر: طبقات المفسرين للسيوطي، (١٠٤)، طبقات المفسرين للداوودي، (٥١٠).

(٥) انظر: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، لمحمد محمد أبو موسى، (٣٨٢)، مكتبة وهبة – القاهرة.

(٦) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية، (٣٥٢/٢).

(٧) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، (١٨٨/٧).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وقوله تعالى:] g h i j Z[المائدة: ٥٣]، فهذا فيه معنى التعجب، كأنه قيل: ما أحبط أعمالهم[١].

وقوله تعالى:] وَيْكَأَنَّهُۥ μ ¶ Z [القصص: ٨٢]، فالآية فيها دلالة التعجب؛ لأن (ويكأنه) أفادت التعجب والتندم[٢]، والمتعجب منه المصدر المؤول من (أن) وما في حيّزها (عجبٌ عدم فلاح الكفار)[٣].

وخلاصة القول هنا أن التعجب من الأساليب البلاغية في القرآن الكريم في عرض الفلاح والخسران، حيث العجب من عدم فلاح الكفار، والعجب من خسارة الكفار أنفسهم بقتل أولادهم، وتحريم الحلال، والتكذيب بآيات الله.

(١) انظر: أنوار التنزيل للبيضاوي، (٣٣٩/٢).

(٢) انظر: نظم الدر للبقاعي، (٥٢٢/٥).

(٣) انظر: أساليب المدح والذم والتعجب المحورية، لعبدالفتاح الحموز، (١٦١)، دار عمار – الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

سادسا:الشرط

الشرط لغة: العلامة(١).

واصطلاحاً: تعليق شيء بشيء بحيث إذا وجد الأول وجد الثاني، وقيل: الشرط ما يتوقف عليه وجود الشيء ويكون خارجاً عن ماهيته، ولا يكون مؤثراً في وجوده(٢).

واستخدم القرآن أسلوب الشرط في عرض مسألة الفلاح والخسران، واستعمل أدوات متعددة، فاستعمل (إن) فيما لم يجزم فيه بفعل الشرط(٣)، كقوله تعالى:] $ % & ' ( ) * + , Z[آل عمران: ١٤٩].

فالأداة (إن) استعملت في هذه الآية لأنها تتحدث عن أمر من الحري أن لا يقع، فالله عز وجل يحذرهم من طاعة الكفار، ويعبر عن ذلك بأنه أمر نادر وقوعه، وأنه ليس حري بالمؤمنين عمله.

وكذلك جاء في قوله تعالى:] % & ' ( ) * + , Z [الأعراف:٢٣]، وقوله:] لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ Z[الأعراف:١٤٩]، وقوله:] I J K L M N O Z[هود: ٤٧]، ففي الآيات هذه أسلوب شرط، والأداة (إن)، وفعل الشرط ليس مقطوعاً بوقوعه، حيث أن عدم مغفرة الله ورحمته لهؤلاء غير متوقع ، ورحمة الله وسعت كل شيء، وهو سبحانه يقبل التوبة ويغفر الذنوب؛ ولما كان هذا المعنى متحققاً في قرارة آدم عليه السلام وزوجه، وفي قرارة نبي الله نوح عليه السلام وفي قرارة قوم موسى حينئذ طلبوا المغفرة من الله والرحمة بأسلوب فيه تضرع وتذلل لله عز وجل، وردٍ للأمور

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس، مادة شرط، (٣/٢٦٠).

(٢) انظر: التعريفات للجرجاني، (١٦٦).

(٣) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، للخطيب القزويني جلال الدين محمد بن عبدالرحمن، (١٠٢)، تحقيق : محمد عبدالمنعم خفاجي، مكتبة المعارف – الرياض ، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

إليه، والخضوع له سبحانه، وأنه إن لم يغفر لهم ما بدر منهم ليكونن من الخاسرين.

والجمل التي تدخل عليها (إن) جمل فعلية ، ولابد من كونها فعلية أن تكون للاستقبال[١]، كما مر في الآيات السابقة، وقد تدخل على الفعل الماضي لإبراز غير الحاصل منزلة الحاصل، لمقاصد عديدة، كالتعريض[٢]، كما في قوله تعالى:] لَئِنْ أَشْرَكْتَ © عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ Z [الزمر: ٦٥]، فالخطاب وإن كان له عليه الصلاة والسلام إلا أنه من باب التعريض[٣].

قال الشنقيطي، على القول بأن (إن) شرطية يكون هذا شرط، والشرط لا يقتضي جواز الوقوع، كقوله تعالى:]] \ [^ _ ` a b Z [الزخرف: ٨١][٤].

(١) انظر: البلاغة فنونها وأفنانها، لفضل عباس، (٣٦١).

(٢) انظر: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، لعبدالمتعال الصعيدي ، (١٧٦/٢٠١)، مكتبة الآداب – القاهرة، الطبعة السابعة عشر، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

(٣) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، (٥٨/٢٤).

(٤) انظر: أضواء البيان، (٤٨٧/١).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

سابعا: المدح

المدح هو الثناء الحسن[١].

وأسلوب المدح من الأساليب البلاغية في الجمل الخبرية، وعند التأمل في كتاب الله وإمعان النظر في آياته نجد الترغيب في الفلاح بطريق المدح ، فقد أثنى الله عز وجل على المفلحين بما يحمل على التحلي بأوصافهم الكريمة، وسيرتهم العطرة، ومن ذلك ثناؤه عز وجل على المتقين في أوائل سورة البقرة حيث قال بعد أن ذكر أوصافهم:] D C GFE I J K Z[البقرة: ٥]، كما أثنى عز وجل على المحسنين في أوائل سورة لقمان حيث قال:] C D E F G I J K Z [لقمان: ٥].

وتنكير (هدى) في الموضعين لإفادة التعظيم[٢]، وهذا من شأنه مدحهم لقيامهم بتلك الأوصاف[٣].

وأفاد أيضاً اسم الإشارة (أولئك) زيادة الدلالة على المقصود من اختصاص المذكورين باستحقاق الهدى من ربهم والفلاح[٤].

وفي قوله تعالى:] ! " # Z[المؤمنون:١]، أفادت (قد) الداخلة على الفعل الماضي معنى تحقق حصول الفعل وتوكيد مضمونه، كما أفادت أيضاً المدح والثناء لهؤلاء المؤمنين المفلحين[٥]، ومما أشعر المدح أيضاً الإشارة إليهم باسم الإشارة البعيد (أولئك)، لتعظيم شأنهم[٦].

---

(١) انظر: مختار الصحاح، مادة مدح، (٢٥٨).

(٢) انظر: أنوار التنزيل للبيضاوي، (٢٠/١).

(٣) انظر: روح المعاني للألوسي ، (٦٦/٢١).

(٤) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع للخطيب القزويني، (٥٣).

(٥) انظر: البلاغة في ثوبها الجديد، للدكتور بكري شيخ أمين، (٦١)، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة التاسعة، ٢٠٠٤م، علم المعاني، لعبدالعزيز عتيق، (٤٦)، دار الآفاق العربية – القاهرة، بدون طبعة، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.

(٦) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني ، (٥٢).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

كما أثنى الله عز وجل على من آمن بمحمد r ، وآزره، واتبع ما جاء به، يقول سبحانه: [l k j i h g f e d c Z p o n [الأعراف: ١٥٧]، فالإشارة بـ(أولئك) للتنويه بشأنهم(١).

وأثنى الله على المؤمنين الطائعين لله ورسوله فقال: [¶ ¸ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ Z [النور: ٥١]، ففي الآية ثناء على المؤمنين، والإيذان بعلو رتبتهم، وبعد منزلتهم في الفضل(٢).

وامتدح الله الأنصار الذين تخلصوا من شح النفس، وكذلك كل من استنّ بهم فوقى نفسه شحها، يقول تعالى: [¸ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ Z[الحشر: ٩]، فالجملة لمدح الأنصار، والثناء عليهم وعلى من سار على نهجهم(٣)؛ وكذا في قوله تعالى: [وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ Z[التغابن: ١٦]، فالله امتدح العالين في الرتبة، المختصين بالفلاح والفوز بجميع المرادات(٤).

وأثنى الله على من ثقلت موازينه بالأعمال الصالحة فقال: [n m l Z q p o [الأعراف:٨]، فقوله (أولئك) إشارة بالاسم البعيد، وفيه معنى البعد المعنوي(٥).

---

(١) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، (١٣٨/٩).
(٢) انظر: روح المعاني ، (١٩٨/١٨)، التحرير والتنوير ، (٢٧٥/١٨).
(٣) انظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود، (٢٢٤/٨).
(٤) انظر: نظم الدرر للبقاعي، (٢١/٨).
(٥) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، (٣١/٨).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ثامنا: الذم

الذم ضد المدح(١).

استخدم القرآن الكريم أسلوب الذم في تقبيح الخسران وأهله، والتنفير منه، مثلما ورد في قوله تعالى: [E F G H I J K L M N Z][يونس:٤٥]، ففي التعبير بالاسم الموصول (الذين) مع كون المقام مقام إضمار لذمهم بما في حيّز الصلة(٢).

وقوله تعالى: [! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 Z][العصر: ١-٣]، فالتنكير في كلمة (خسر) الذي أفاد التعظيم أفاد أيضاً الذم، ذمهم لأجل عدم إيمانهم، وتركهم عمل الصالحات، وتركهم التواصي فيما بينهم بالحق وبالصبر(٣).

وقوله تعالى: [T U V W X Y Z][الأنعام:٣١] أسلوب ذم، حيث شبه منكري البعث الذي استعاضوا بالكفر عن الإيمان بالذي أخذ وأعطى، فهم أخذوا الكفر فكان سبباً في هلاكهم، وتركوا الإيمان، فأشبهوا الخاسر في صفقته، العادم الربح ورأس المال(٤).

وقوله تعالى: [s t u v w x y z { | } Z][الأعراف: ٩]، أشار إليهم باسم الإشارة المؤذن ببعد منزلتهم، والمشعر بذمهم(٥).

وقوله تعالى: [R S T U V Z][الزمر: ١٥]، فحرف التنبيه ، واسم الإشارة الذي أفاد بُعْدَ المنزلة في الشر، وتوسيط الضمير (هم)، وتعريف الخسران،

---

(١) انظر: مختار الصحاح للرازي، مادة ذمم، (٩٤).

(٢) انظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود، (١٥٠/٤).

(٣) انظر: المصدر السابق ، (١٩٧/٩).

(٤) انظر: البحر المحيط لأبي حيان، (١١٠/٤).

(٥) انظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود، (٢١٣/٣).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ووصفه بالمبين كل ذلك فيه دلالة على كمال هوله وفظاعته، أنه لا خسران وراءه[١].

وفي الإتيان بالاسم الموصول (الذين) إفادة الذم، كما في قوله تعالى:] ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَانُواْ © ٱلۡخَٰسِرِينَ Z[الأعراف: ٩٢]، فإن في هذا ذماً لهم، وتهكماً بحالهم، وتضمن أيضاً المدح لشعيب عليه السلام[٢].

(١) انظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود، (٢٤٧/٣).

(٢) انظر: البلاغة فنونها وأفنانها فضل عباس، (٣٢٣)، علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع، لأحمد مصطفى المراغي، (١٠٠-١٠١)، المكتبة العصرية – بيروت، بدون ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

تاسعا :الترغيب

الترغيب مأخوذ من رَغِبَ فيه أَرَادَه(١).

استخدم القرآن الترغيب في عرضه مسألة الفلاح في كثير من الآيات، ومن أمثلة ذلك:

أ – الترغيب في الأسباب المؤدية إلى فلاح العبد، كما هو الحال في الآيات التالية:

] وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ Z[النور: ٣١].

m l k j i h g f e [

.[الحج:٧٧]Z o n

] يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ Z[آل عمران:٢٠٠].

ب – الترغيب في الفلاح بذكر الجزاء المعد لأهله ، كما هو الحال في قوله تعالى:]

. - , + *) (' & % $ # " !

: 9 8 7 6 5 4 3 2 1 0 /

I H G F E D C B A @ ?> = < ;

V U T S R Q P O N M L K J

b a ` _ ^] \ [Z Y X W

0 / . - [المؤمنون:١-١١]، وقوله تعالى:] c d Z

Z < ; : | 8 7 6 | 4 3 2 1

[التوبة: ٨٨].

---

(١) انظر: مختار الصحاح للرازي، مادة رغب، (١٠٥).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وفي آية التوبة المتقدمة الـــذكر] - . / 0 1 2

3 4 | 6 7 8 | : ; < > Z [التوبـــة:

٨٨]كرر الباري التنبيه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله أحد على طرق شتى، منها: ذكر اسم الإشارة وتكريره، وتعريف المفلحين، ليبصرنا بمراتبهم، ويرغبنا في طلـــب مـــا طلبوا[١].

(١) انظر: الكشاف للزمخشري، (١/٨٦).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

عاشرا: الترهيب

الترهيب مأخوذ من رهب، ومعنى رهب خاف، وأرهبه واسترهبه أخافه[١].

أساليب الترهيب في القرآن كثيرة؛ وكما أن أساليب المدح والترغيب فيها حث للمؤمنين واستنهاض لهممهم وعزائمهم في التزود من الأعمال الصالحة، فكذلك أساليب الترهيب والتحذير، فيها زجر وتهديد للكفرة والعصاة لعلهم يستيقظوا من رقدتهم؛ وأمثلة ذلك في القرآن كثيرة:

ففي قضية تحذير العباد من الأسباب المؤدية إلى الخسران:

يقول تعالى:] ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ µ ´ ¶ ¸ Z[النساء: ١١٩]، فالجملة الشرطية محذرة من اتباع الشيطان[٢].

ويقول تعالى:] ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ Z[الأعراف: ١٧٨]، وزيد في جانب الخاسرين الفصل باسم الإشارة لزيادة الاهتمام بتمييزهم بعنوان الخسران تحذيراً منه[٣].

ويقول سبحانه:] l k j i h g f e d c [| { z y x w v u t s r q p o n m } ~ ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ ۝ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝١٠﴾ Z[الطلاق: ٨-١٠]، فجيء بالفعل (كان) بصيغة الماضي لتفظيع ما لحقهم، ومبالغة في التحذير مما وقعوا فيه[٤]، بالإضافة إلى أن السياق يظهر منه أسلوب التحذير والترهيب.

ويقول تعالى:] N M L K J I H G F E D [

---

(١) انظر: مختار الصحاح، مادة رهب، (١٠٩).

(٢) انظر: البحر المحيط لأبي حيان، (٣٧٠/٣).

(٣) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، (١٨١/٩).

(٤) انظر: المصدر السابق ، (٣٣٥/٢٨).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

J [Z S R Q P O[البقرة: ١٢١]، فلم يُعادل بين الجملتين J [Z L K و Z S R Q P O N[في التركيب الخبري الغير شرطي أو الشرطي، بل قصد في الأولى ذكر الحكم من غير تعليق، وفي الثانية ذكر المسبب على تقدير حصول السبب، فكان ذلك تنفيراً عن تعاطي السبب لما يترتب عليه من المسبب الذي هو الخسران(١).

وفي قضية تحذير العباد من الأسباب المانعة من الفلاح يقول تعالى:] إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ Z[يونس: ٦٩]، فهذا وعيد لمن افترى على الله الكذب بانتفاء الإفلاح(٢).

ويقول تعالى:] } | { ~ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ © إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ Z[النحل: ١١٦]، فهذا تحذير للمسلمين من أن يقولوا على الله ما لم يقله سبحانه؛ لأنهم كانوا قريبي عهد بجاهلية(٣).

ويقول تعالى:] وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ Z[يونس: ٧٧]، وهذا فيه توبيخ وتجهيل، وترهيب من درب السحر(٤).

وفي قضية الترهيب من الخسران بذكر الجزاء المعد لأهله وتشنيع حالهم يقول تعالى: [B C D E F G H I J K Z[النمل: ٥]، فهم استحقوا العذاب في الدنيا والآخرة، وهم أخسر الناس؛ لأنهم خسروا ثواب الله وصاروا إلى النار(٥).

ويقول تعالى في تفصيل عذاب أهل الخسران:] وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ

(١) انظر: البحر المحيط لأبي حيان، (٥٤٠/١).
(٢) انظر: المصدر السابق ، (١٧٥/٥).
(٣) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، (٣١٠/١٤).
(٤) انظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود، (١١٨/٤).
(٥) انظر: تفسير ابن كثير، (٣٥٧/٣).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ

Z[المؤمنون: ١٠٣-١٠٤]، وفي وصف خسارتهم، وتفصيل جزائهم بأنه الخلود في نار جهنم، واحتراق وجوههم، وتقلص شفاههم عن الأسنان من شدة اللفح أبلغ ترهيب من سلوك هذا الطريق.

ويقول تعالى في شأن إحاطة النار بالخاسرين: [I H F E D C B A Y X W V U T S R P O N M L K J ` _ ^] \ [Z f e d c b j i h g Z[الزمر: ١٥-١٦]، فالآية صريحة في الترهيب من هذا الطريق، ومن سلوك الأسباب الداعية له، والتحذير من عاقبته وأنها الخلود في عذاب السعير.

ويقول تعالى: [! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > @ A B C Z[التوبة: ٦٩]، فيفهم من الآية التهديد والنذارة لمن كان هذا حالهم(١).

وهكذا ينتهي ما قُدِّر لي أن أكتبه حول الطرائق البلاغية التي سلكها القرآن في عرض الفلاح والخسران،والذي وقفت فيه وقفة موجزة حول أهم الطرق البلاغية ، والأساليب البيانية في عرض الفلاح والخسران، كالنفي، والتوكيد، والقصر، والتعجب، والمدح، والذم، والترغيب، والترهيب؛ ومع هذا فأنا لا أنكر أن باب البلاغة واسع، يعسر في مثل هذا الموضع الإحاطة بكل أساليب القرآن، ولعلي أُكمِّل هذا المبحث بما سيأتي من الحديث عن بلاغة القرآن في استعماله بنية الكلمة، حيث يستعمل الاسم تارة، والفعل تارة أخرى،وما لكل واحد منهما من ميزة بلاغية.

---

(١) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، (٢٥٩/١٠).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المبحث الثاني
التعبير بالاسم أو الفعل

يستعمل القرآن بنية الكلمة استعمالاً في غاية الدقة، فمن ذلك : استعمال الفعل والاسم؛ ولكلٍ من الفعل والاسم أغراضه البيانية ومميزاته البلاغية، إذ من المعلوم أن الفعل يدل على الحدوث والتجدد، فإن كان مضارعاً أفاد الاستمرار التجددي[١]، والاسم يدل على الثبوت والدوام؛ وربما كان الأمر لم يحدث بعد، ومع ذلك يؤتى بالصيغة الاسمية للدلالة على أن الأمر بمنزلة الحاصل المستقر الثابت، ويختلف التعبير بالجملة الإسمية عن الفعلية من جانب آخر، حيث أن الجملة الإسمية آكد في الخطاب من الجملة الفعلية، فإنه إن أريد التأكيد يؤتى بالجملة الإسمية[٢].

ومن أبرز ما يتبين به الفرق بين الجملة الفعلية والجملة الإسمية قوله تعالى:] **ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ** Z[البقرة: ١٥]، وقوله :] **إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ** Z [البقرة: ١٤]، فدلالة الأول على الاستمرار التجددي، وهذا أبلغ[٣].

وجاء في البرهان: (ومن هنا يُعرف لَمَ قيل: (الذين ينفقون) ولم يقل (المنفقين) في غير موضع، وقيل كثيراً: المؤمنون والمتقون؛ لأن حقيقة النفقة أمر فعلي شأنه الانقطاع والتجدد، بخلاف الإيمان فإن له حقيقة تقوم بالقلب يدوم مقتضاها وإن غفل عنه، وكذلك التقوى والإسلام، والصبر والشكر، والهدى والضلال، كل هذه لها آثار تتجدد وتنقطع ، فجاء بالاستعمالين، إلا أن لكل محل ما يليق به، فحيث يراد تجدد حقائقها أو آثارها فالأفعال، وحيث يراد الاتصاف بها فالأسماء) [٤] .

وقد استعمل القرآن الفعل والاسم استعمالاً فنياً في غاية الفن والدقة، فمن ذلك قوله تعالى:] Z u t s r q p o [الزمر: ٦٣]،

---

(١) انظر: علوم البلاغة لأحمد المراغي، (٤٨).
(٢) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني، (١٠١)، البلاغة فنونها وأفنانها لفضل عباس، (٩٣-٩٤).
(٣) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة لعبدالمتعال الصعيدي، (١-٢/١١٧).
(٤) البرهان في علوم القرآن للزركشي ، (٤/٦٧).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

مع قوله تعالى:] Z V U T S [الزمر:٦١].

فاستعمل الفعل مع المتقين، واستعمل الاسم مع الخاسرين، للإشعار بأن العمدة في فوز المؤمنين فضله تعالى، لذا جعل نجاتهم مسندة له تعالى، بخلاف هلاك الكفار، فإنهم قدموه لأنفسهم، ولم يسند له تعالى، ولم يعبر عنه بالمضارع، بالإضافة إلى ما في ذلك من التصريح بالوعد في جانب المتقين، والتعريض بالوعيد في جانب الكفار، حيث قال: (الخاسرون)، ولم يقل: (الهالكون)، (المعذبون) ونحوه [١].

ومن أمثلة استعمال القرآن الكريم للفعل في عرضه الفلاح والخسران:

قوله تعالى:] ! " # Z[المؤمنون: ١]، فعبر هنا بالفعل دون الاسم، واختير الفعل الماضي للدلالة على تحقق فلاح المؤمنين لا محالة، وتنزيله منزلة الثابت؛ لأن إيمانهم وما تفرع عليه من أعمال صالحة من دواعي الفلاح بموجب الوعد الكريم، وناسب التعبير بالفعل الماضي هنا؛ لأنه إخبار بحصول ما كانوا رجوه من فلاحٍ المذكور في آخر سورة الحج في قوله تعالى:] j i h g f e [Z o n m l k[الحج: ٧٧]، فناسب التعبير بالفعل (أفلح) [٢].

وقوله تعالى:] @ A B C Z[الشمس: ٩]، ناسب التعبير بالفعل الماضي؛ لأن المعنى المراد: تحقيق فلاح المؤمنين، وخيبة المشركين[٣].

وقوله تعالى:]إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١١٧ Z[المؤمنون: ١١٧] ، فناسب إيراد الفعل هنا؛ لأنه افتتح السورة بقوله: (قد أفلح)، فناسب في ختامها: (لا يفلح)[٤] .

قوله تعالى:] وَلَن تُفۡلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا Z[الكهف: ٢٠].

أكد التحذير من الإرجاع إلى ملتهم بأنه يترتب عليه انتفاء فلاحهم في المستقبل، لما

---

(١) انظر: روح المعاني للألوسي، (٢٤/٢٢-٢٣).

(٢) انظر: البحر المحيط ، (٦/٣٦٥)،إرشاد العقل السليم ، (٦/١٢٣).

(٣) انظر: معاني القرآن للزجاج، (٥/٢٥٣)، التحرير والتنوير ، (٣٠/٣٧٠).

(٤) انظر: البحر المحيط ، (٦/٣٩١)، التحرير والتنوير ، (١٨/١٣٦).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

دلت عليه (إذا) الفجائية،والفعل المضارع المنفي بلن (يفلح)[١].

قوله تعالى:] ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / Z[المائدة: ٩٠]، فحصر أمر هذه الأربعة في أنها رجس من عمل الشيطان، ورُجي لهم الفلاح في اجتنابها، والذي يناسب الأمر (فاجتنبوه) الحض على الفلاح بالفعل (تفلحون) لا الاسم (المفلحين)[٢].

ونلحظ أن في جميع الآيات التي ورد فيها (لعلكم تفلحون) أنها مسبوقة بأفعال أمر، والأنسب مع فعل الأمر – كما مرّ في آية المائدة – هو الحض على الفعل بالفعل لا بالاسم، وهذا ما يؤكد بلاغة الأسلوب القرآني، كما في قوله تعالى:] w x y z { | Z[المائدة: ١٠٠]، فالأنسب مع الفعل (اتقوا) الفعل (تفلحون)، لا الاسم (المفلحين)، وقوله تعالى:] يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ Z[الأنفال: ٤٥]، ففي الآية أمران: أمر بالثبات، وأمر بذكر الله، ورتب عليهما الفلاح بقوله: (لعلكم تفلحون) بصيغة الفعل، وهذا مناسب[٣].

قوله تعالى:] إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ Z[يونس: ٦٩-٧٠]، فالتعبير بالمضارع مناسب، لدلالته على التجدد والاستمرار، ويؤكد هذا تتمة الآية، التي وصفت منفعة افترائهم بأنها منفعة قليلة في الدنيا، وذلك أنهم يقيمون على رياستهم في الكفر، ثم يلقون الشقاء المؤبد بعده[٤].

قوله تعالى:] @ A B Z[غافر: ٧٨]، فالإتيان بالفعل الماضي

---

(١) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، (٢٨٧/١٥).
(٢) انظر: المرجع السابق، (٢٢/٧).
(٣) انظر: المرجع السابق ، (٣٠/١٠).
(٤) انظر: الكشاف للزمخشري، (٣٤١/٢).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

(خسر) ليتناسب مع الفعل المعطوف عليه (قُضي)، أما في قوله تعالى:] يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ Z[الجاثية: ٢٧]، لم يأت بالفعل الماضي بل بالمضارع ليتبين أن خسارتهم خسارة مستمرة التجدد لا انفكاك لهم عنها(١).

وقوله تعالى:] L M N O P Q R S Z[الأعراف: ٥٣].

ناسب التعبير بالفعل (خسروا) ليتناسب مع الفعل (ضل)، مع ما في الفعل الماضي من إفادة التوكيد والتحقق.

ويعبر القرآن عما حدث من الأفعال التي في الحاضر والمستقبل بلفظ الماضي، وقد يحدث أن يعبر عما حدث من الأفعال وانتهى بالفعل المضارع، دلالة على الحال أو الاستقبال؛ وإيقاع أحد الزمنين مكان الآخر لا يخلو من نكتة بلاغية، وهذا الأسلوب يرد في كتاب الله كثيراً لأغراض ومقاصد تناسب السياق، ولفائدة أخرى يذكرها صاحب كتاب المثل السائر، فيقول: (فائدته أن الفعل الماضي إذا أخبر به عن الفعل المستقبل الذي لم يوجد بَعْدُ كان ذلك أبلغ وأوكد في تحقيق الفعل وإيجاده؛ لأن الفعل الماضي يعطي من المعنى أنه قد كان وَوُجِدَ، وإنما يفعل ذلك إذا كان الفعل المستقبل من الأشياء العظيمة التي يستعظم وجودها، والفرق بينه وبين الإخبار بالفعل المستقبل عن الماضي أن الغرض بذلك تبيين هيئة الفعل واستحضار صورته، ليكون السامع كأنه يشاهدها، والغرض بهذا هو الدلالة من إيجاد الفعل الذي لم يُوجد بَعْدُ) (٢).

ومن أمثلة استعمال القرآن الكريم للاسم بدل الفعل في عرضه الفلاح والخسران:

قوله تعالى:] G F E D C K J I Z [البقرة: ٥]، فَعُبِّر بالاسم هنا لأن المراد إرادة الثبات على الفلاح(٣).

---

(١) انظر: نظم الدرر للبقاعي، (١٠٧/٧).

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لأبي الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبدالكريم المعروف بابن الأثير، (١٥/٢)، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية – بيروت، بدون طبعة، ١٩٩٥م.

(٣) انظر: روح المعاني للألوسي ، (١٢٥/١).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

قوله تعالى:] 6 7 8 9 : ; < = > Z[لقمان: ٥]، فلاستجمامهم العقيدة الحقة، والعمل الصالح جاء الوعد لهم بالفلاح بالاسم (المفلحون)[١].

قوله تعالى:] ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 Z[العصر: ١-٣].

ووجه الإتيان هنا بالاسم في التعبير عن خسارة جنس الإنسان أن العرب تأتي بالجموع بعد أل الاستغراقية، إذا كان المفرد مغنياً غنائها، وذلك أن (ال) تأتي للعهد، وتأتي للجنس، فإن أرادوا منها الاستغراق وكانت القرينة ظاهرة من اللفظ أو السياق اقتنعوا بصيغة المفرد؛ لأنه الأصل، وإن رأوا قرينة الاستغراق خفية عدلوا إلى صيغة الجمع لدلالة الصيغة على عدة أفراد لا فرد واحد[٢].

فأفاد الاسم (خُسْر) أن الإنسان لا ينفك عن الخسر[٣].

قوله تعالى:] وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ Z[العنكبوت: ٥٢].

فالتعبير بـ(الخاسرون) للدلالة على أتم وجوه الخسران، وهذا لأن من يخسر رأس المال ولا تركبه ديون يطالب بها دون من يخسر رأس المال وتركبه ديون، فهم لما عبدوا غير الله أفنوا العمر و لم يحصل لهم في مقابلته شيء ما أصلاً من المنافع ، واجتمع عليهم ديون ترك الواجبات، فكانوا هم الخاسرين[٤].

قوله تعالى:] R S T U V Z[الزمر: ١٥].

أوثرت خسارتهم باسم (الخسران) الذي هم اسم مصدر الخسارة، وهو دال على

---

(١) انظر: أنوار التنزيل للبيضاوي، (٣٤٤/٤).

(٢) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، (٣٥٣/١).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب للرازي، (٨٣/٣٢).

(٤) انظر: المصدر السابق ، (٧١/٢٥).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

قوة المصدر، إذ الإتيان به على (فعلان) مفيد للمبالغة على كمال خسارهم وفظاعتها[١].

وقوله تعالى:] فَطَوَّعَتْ لَهُۥ ´ μ ¶ ¸ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ Z [المائدة: ٣٠] فلم يجيء (فأصبح خاسراً) ، للمبالغة [٢].

إيثار صيغة على صيغة :

لم يكن تنوع صيغ الجذر الواحد في اللغة العربية عبثاً، بل الواقع اللغوي يؤكد أن لكل صيغة دلالة مختلفة لا تؤديها غيرها، وأن كل صيغة تستعمل في سياق معين يقتضيها، ولا يستقيم المعنى على الوجه الأكمل إلا بها[٣]؛ والمتأمل في الصيغ الواردة في الخسران يقف مذهولاً إزاء التناسب العجيب بين صيغ الألفاظ وسياقاتها، إلى الحد الذي لا يمكن معه استبدال صيغة بأخرى مهما بدا التشابه بينهما قوياً، ومن ذلك إيثار مصدر على مصدر، مثلما تبين معنا في آية سورة الزمر السابقة، حيث كان التعبير عن الخسارة بـ(فعلان) وذلك لإفادة المبالغة في خسارهم، وكذا قوله تعالى:] وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ´ μ ¶ ¸ Z [النساء: ١١٩]، ولم يقل (خسر خسارة)، وذلك لما أفادته كلمة (خسران) من قوة في المعنى، ودلالة على كمال خسرانهم.

وجاء في قوله تعالى:] 4 5 6 7 Z [هود: ٦٣]، وفي قوله تعالى:] { ~ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا Z [الإسراء: ٨٢]، فاستعمل في الآية الأولى (تخسير) مصدر الفعل الرباعي (خسَّر) واستعمل في الآية الثانية (خساراً) وهو مصدر الفعل الثلاثي خَسِرَ؛ والتعبير بالخسار كان مع كفر الظالمين بالقرآن، والمعنى: أن الكفار كلما نزل في القرآن أمر من الله أو نهي كفروا به، فزادهم ذلك خسراناً إلى ما كانوا فيه قبل ذلك من الخسار[٤].

---

(١) انظر: روح المعاني ، (٢٥١/٢٣)،التحرير والتنوير ، (٣٦٠/٢٣).

(٢) انظر: روح المعاني للألوسي، (١١٥/٦).

(٣) انظر: دلالة السياق في القصص القرآني، لمحمد عبدالله علي سيف العبيدي، (٥١)، وزارة الثقافة والسياحة باليمن، بدون ، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

(٤) انظر: جامع البيان، (١٥٣/١٥)، تفسير ابن كثير، (٦٠/٣).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وعبّر بـــ(تخسير) في سياق الحديث عن المكذبين بنبي الله صالح عليه السلام، فقـــرر الله على لسان نبيه في الآية أن متابعته عليه السلام لهم في ترك الدعوة للحق، وترك عبادة الله وحده ما تفيده إلا الخسارة(١)، فكل صيغة جاءت في الموضع المناسب.

ومن بلاغة القرآن في تعبيره بالجمل الإسمية التعبير بأفعل التفـــضيل، والـــتي تفيـــد المفاضلة، كمـــا في قولـــه تعـــالى:] F G H I J K L Z [هود:٢٢]، فجاء في الحكم بخسارتهم أنهم (الأخسرون) بأفعل التفضيل، للدلالـــة علـــى عظم خسرانهم في الدنيا والآخرة، إلا أنه في الآخرة أكثر خسراناً، إذ مآله إلى عقاب دائم (٢).

وقوله تعالى:] وَأَرَادُوا بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ´ Z [الأنبيـــاء:٧٠] أي: أخسر من كل خاسر، مبالغة في الخسران، وهو اسم تفضيل للمفاضلة (٣).

فها هي بلاغة القرآن في استعمال الأبنية، إذ يستعملها استعمالاً فنياً عجيباً، ويضعها موضعاً معجزاً(٤)، وقد يستعمل في مكان ما صيغة ثم يعدل في مكان آخـــر عـــن تلـــك الصيغة، فيحولها إلى صيغة أخرى بحسب ما يقتضيه السياق والمعنى، كقوله تعالى:] لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ © Z[النحل: ١٠٩]، وقوله تعـــالى في موضع آخر:] F G H I J K L Z [هود: ٢٢]، فنرى أنه قال في سورة النحل (الخاسرون) ، وفي سورة هـــود (الأخـــسرون)، فعـــدل مـــن (الخاسرون) إلى (الأخسرون)، وذلك تدرج في الخسارة، ففي سورة النحل حكم عليهم بالخسارة المطلقة لاستحبابهم الدنيا على الآخرة، وفي سورة هود كانت خسارتهم أكـــبر، حيث جمع أصحابها بين الصد عن سبيل الله والكفر باليوم الآخر وخسران النفس، لـــذا

---

(١) انظر: روح المعاني للألوسي، (٩٠/١٢).

(٢) انظر: البحر المحيط لأبي حيان، (٥٢/٧).

(٣) انظر: البحر المحيط ، (٣٠٥/٦)، التحرير والتنوير ، (١٠٧/١٧).

(٤) انظر: التعبير القرآني، للدكتور فاضل صالح السامرائي، (٣٣)، دار عمـــار – الأردن، الطبعـــة الـــسادسة، ١٤٢٩هـــ-٢٠٠٩م.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

أكد أمر خسارتهم بأفعل التفضيل[١]، بخلاف آية النحل حيث عبر باسم الفاعل (الخاسرون)، فلننظر كيف عدل من صيغة إلى أخرى حسب ما يقتضيه المقام.

وقال تعالى: [I H T S R P O N M L K J Z V U / . - , + *) (' & % $ # " ! ~ } | { z y x w v u t s r q p o n m l k j i h g f e d c b a ` _ ^] \ [Z [الزمر: ١٥]، وقال في موضع آخر: [, - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = Z [الشورى: ٤٥].

فلما كانت المقولة من نبي الله في سورة الزمر كان الختام في الآية المبالغة في إثبات الخسران لمن خسر نفسه وأهله، وذلك بافتتاح الجملة بأداة التنبيه (ألا)، واستخدام اسم الإشارة وضمير الفصل وتعريف الخسران ووصفه بالمبين؛ أما آية الشورى فكانت المقولة من المؤمنين لذا جاء التأكيد على خسارة الظالمين بذكر وجه من وجوه الخسران، (العذاب المقيم)، بأداة التنبيه (ألا).

ومن بلاغة القرآن في استعمال الأبنية إيثار اسم على اسم ، ففي سورة غافر يقول تعالى: [: ; < = > ? @ A B Z [غافر: ٧٨]، ويقول جلّ شأنه في السورة نفسها في موضع آخر: ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ Z [غافر: ٨٥]، والمراد في الموضعين الكفار، لكن وصفهم في الموضع الأول بـ(المبطلون)، والموضع الأول متصل بقوله (قضي بالحق)، ونقيض الحق الباطل، والموضع الثاني متصل بإيمانٍ غير مُجْدٍ، ونقيض الإيمان الكفر[٢]، لذا جاء التعبير في الموضع الأول بـ(المبطلون)، وفي الموضع الثاني بـ(الكافرون).

ومن بلاغة القرآن في إيثاره اسم على اسم إيثار (الأخسرين) و(الأسفلين)، إذ جاء التعبير في سورة الأنبياء بـ(الأخسرين)، وفي سورة الصافات بـ(الأسفلين) ؛ لأن كل

---

(١) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، (١٤/٢٩٨)، (١٩/٢٢٣).

(٢) انظر: أسرار التكرار في القرآن، لمحمود بن حمزة بن نصر الكرماني، (١٨٧)، تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا، دار الاعتصام – القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٦هـ.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

موضع يقتضي اللفظ الذي ذكر فيه، إذ يدل سياق قصة إبراهيم عليه السلام في سورة الأنبياء على أن إبراهيم عليه السلام لما كادهم بقوله:] وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم Z[الأنبياء: ٥٧]، وكادوه حين قرروا الانتقام منه:] وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا Z[الأنبياء:٧٠]، فحصلت بينهم مكايدة، فكادهم إبراهيم، وكانت الغلبة له إذ حطّم أصنامهم، ونجّاه الله من النار، فخسر كيدهم.

أما في سورة الصافات قال تعالى:] قَالُواْ ٱبْنُواْ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ Z[الصافات: ٩٧]، فأجّجوا ناراً عظيمة، وبنوا له بنياناً عالياً مرتفعاً ورفعوه إليه، وألقوه منه إلى أسفل حيث النار، فنجّاه الله ورفعه، وأعلى مكانه في الدنيا والآخرة، وجعلهم الأسفلين في الدنيا، وردّهم في الآخرة إلى أسفل سافلين، فناسب هذا السياق لفظ (الأسفلين) [١].

(١) انظر: درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز، للخطيب الإسكافي، (٣٠٠)، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٧م، أسرار التكرار في القرآن، (١٢٩-١٣٠)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، (١/٣٢٠-٣٢١)، تحقيق محمد علي النجار، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، بدون ، ١٣٨٣هـ.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المبحث الثالث

وصف هذه الألفاظ

التقييد بالنعت للتخصيص ، أو للتوضيح، أو للتأكيد، أو للمدح، وقد يكون للذم، وهذا يرجع إلى طبيعة المنعوت(١).

ولم يأت وصف للفلاح في آيات القرآن الكريم، وإنما جاء الوصف للخسران في ثلاثة مواضع، كلها كان الوصف فيها بلفظ (مبين)، وذلك لتهويله وبيان فظاعته، ولذم أهله، يقول تعالى:] وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ µ ´ ¶ ¸ Z[النساء: ١١٩]، ويقول سبحانه:] L K J I H Z[الزمر: ١٥]، ويقول تعالى:] P O N M x w v u t r q p o n l k j i h g f y z { | ~ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ Z[الحج: ١١]؛ فوصف الخسران هنا في هذه المواضع بأنه خسران مبين للتأكيد على خسارتهم ، وللتحذير من ارتكاب ما يوصل إلى الخسران.

ففي قوله تعالى:] وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ µ ´ ¶ ¸ Z[النساء: ١١٩] إنما وصف الخسران بالمبين لأن طاعة الله تفيد المنافع العظيمة الدائمة الخالصة من شوائب الضرر، وطاعة الشيطان تفيد المنافع المنقطعة المشوبة بالغموم والأحزان؛ ومن رغب في ولاية الشيطان فقد فاته أشرف المطالب وأجلّها بسبب أَخَسِّ المطالب، ولا شك أن هذا هو الخسار المطلق(٢) ، ولا خسران أعظم من استبدال الجنة بالنار، ولا صفقة أخسر من فوات رضا الرحمن برضا الشيطان.

وفي قوله تعالى:] z { | ~ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ Z[الحج:

---

(١) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني، (٦١)، البلاغة فنونها وأفنانها لفضل عباس، (٣٦٧).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب للرازي، (١١/٤٠).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

١١]، كان في الآية ما يبين للناس أنه خسران عظيم بأدنى تأمل، وأنه خسران شديد لا يخفى؛ فاستعمال (ال) في (الخسران المبين) لإفادة القصر، وأن ماهية الخسران المبين انحصرت في خسرانهم(١).

وفي قوله تعالى: [S R P O N M L K J I H Z V U T]الزمر: ١٥[لما شرح سبحانه خسرانهم وصف ذلك الخسران بغاية الفظاعة فقال: [S R T U V Z]، وكان التكرير لأجل التأكيد(٢)، وزاد في تقريعهم بالغباوة حينما وصف خسرانهم بالمبين(٣)، لتهويله وللدلالة على فظاعته(٤)، فهو خسران لا خفاء فيه، لفوات رأس المال وعدم إمكان التلافي(٥).

(١) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، (٣١٤/١٧).
(٢) انظر: مفاتيح الغيب للرازي، (٢٢٣/٢٦).
(٣) انظر: نظم الدرر للبقاعي، (٤٣٢/٦).
(٤) انظر: مفاتيح الغيب ، (٢٢٣/٢٦)، إرشاد العقل السليم ، (٢٤٧/٧).
(٥) انظر: روح المعاني للألوسي ، (٣٨/٢٤).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المبحث الرابع
موقع ذكر هذه الألفاظ في الآية

لم يأت لفظ الفلاح في صدر آيات القرآن الكريم إلا في ثلاثة مواضع، كلها جاء فيها ذكر الفلاح في صدر الآية بصيغة الفعل الماضي (أفلح)، قال تعالى: [! " # Z[المؤمنون: ١]، وقال سبحانه: [قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ Z[الأعلى: ١٤]، وقال: [@ A B C Z[الشمس: ٩].

وفي أحد عشر موضعاً جاء لفظ الفلاح في وسط الآية، كقوله تعالى: [وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا Z[الكهف: ٢٠]، وقوله تعالى: [U V W X Y Z[طه:٦٩].

وفي ست وعشرين موضعاً كان لفظ الفلاح في آخر الآية، كقوله تعالى: [l m n o p q Z[الأعراف: ٨]، وقوله تعالى: [A B C D E F Z[الأعراف: ٦٩]، وقوله تعالى: [S T U V W Z[المجادلة: ٢٢].

أما لفظ الخسران فلم يأت بمختلف اشتقاقاته في صدر آيات القرآن الكريم إلا في موضعين من سورة الأنعام، حين جاء بصيغة الفعل الماضي (خسر)، قال تعالى: [T U V W X Y Z[الأنعام: ٣١]، وقال جل شأنه: [W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e Z[الأنعام: ١٤٠]؛ وإنما كان مجيئه غالباً في وسط الآيات أو آخرها ، وكثيراً في آخرها، فمن مجيئه في وسط الآية قوله تعالى: [وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ´ µ ¶ ¸ Z[النساء: ١١٩]، وقوله تعالى: [@ A B

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

Z C[غافر: ٧٨].

ومن مجيئه في آخر الآية قوله تعالى:] # $ % & Z[العصر: ٢]، وقوله تعالى:] لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ Z[النحل: ١٠٩].

وبحسبة يسيرة نجد أن كل آيات الخسران في القرآن جاء ذكر الخسران في آخرها عدا ١٨ موضعاً كان لفظ الخسران يجيء في وسط الآية.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الباب لثاني
أسس ا فلاح
وصفات أ له و زاؤهم:

وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول:أسس الفلاح وأركانه .

الفصل الثاني : صفات المفلحين.

الفصل الثالث : ثواب المفلحين وجزاؤهم .

الفصل الرابع : أسباب الحرمان من الفلاح.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

تمهيد:

الفرد ينشد الكرامة، وينشد معها القوة، القوة أمام طغيان الغير وأمام شهوات النفس، وينشد أيضاً السعادة ونعيم الجنة، والحياة الطيبة، والمجتمع المتماسك، والنصر على العدو، والرخاء الاقتصادي، وصلاح الأحوال، ومفتاح ذلك كله سلوك درب الفلاح، الذي هو واحة المسافرين، وطريق كل خير، ومنارة الهدى [١] .

ولن يتأتى لأحد الفلاح ما لم يأت بأسسه، وصفات أتباعه، ويبتعد كل البعد عن موانعه؛ ومما يعين على معرفة هذا التبحر في آيات القرآن الكريم ومعانيه، والتزود من معينه؛ لأن السعادة – والتي هي مطلوب الأولين والآخرين – لا تنال إلا بالعلم والعمل [٢] .

وقد أرشدنا القرآن إلى الفلاح، وحث على سلوكه، وأبان لنا أسسه وأركانه، وأثنى على صفات أهله حاضاً على الاتصاف بها، ووعد بالجزاء العظيم، والخير الكثير أهله، وحذر من الحرمان منه بارتكاب موانعه.

والفلاح متحقق لكل من قام بتلك الأسس والصفات، لكنه على درجات، فمن زاد من الطاعات زادت درجاته، ففي الحديث الصحيح الذي رواه مسلم عن طلحة بن عبيدالله رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم من أهل نجد ثائر الرأس، نسمع دوي صوته ولا نفقه ما يقول، حتى دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو يسأل عن الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خمس صلوات في اليوم والليلة)، فقال: هل علي غيرهن؟ قال: (لا، إلا أن تطوع، وصيام شهر رمضان)، فقال: هل علي غيره؟ قال: (لا، إلا أن تطوع)، وذكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم الزكاة

---

(١) انظر: المفلحون، لساهرة فاضل (١١٣ – ١١٤)، مكتبة خالد بن الوليد، صنعاء، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

(٢) انظر: ميزان العمل، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي (٥)، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

فقال: هل علي غيرها؟ قال: (لا إلا أن تطوع)، فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أفلح إن صدق)[١] .

فالفلاح على درجات، وفي الجنة درجات أعدت للمفلحين كل بحسب عمله [٢] .

والقيام بهذه الأسس والصفات أكبر وسيلة للقرب من الله، والقرب من رحمته ونيل ثوابه، وأكبر وسيلة لمغفرة الذنوب، وإزالة الشدائد وتخفيفها، وهو يسير على من يسره الله عليه، واصطفاه لأن يكون من ركب عباد الرحمن المفلحين الفائزين في الدنيا والآخرة.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان، باب بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام (١/٤٠)، ح(١١)، والبخاري بنحوه في كتاب الصوم، باب وجوب صوم رمضان (٢/٦٦٩)، ح(١٩٩٢).

(٢) انظر: المفلحون، لمحمد منير الجنباز (١٠-١٣)، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، بدون .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الفصل الأول

أسس الفلاح وأركانه

وفيه اثنا عشر مبحثاً:

المبحث الأول : الإيمان بالله.

المبحث الثاني : الإيمان بالملائكة .

المبحث الثالث: الإيمان بالقرآن الكريم والكتب السابقة.

المبحث الرابع: الإيمان بالرسل عليهم السلام.

المبحث الخامس :الإيمان بالنبي عليه الصلاة والسلام ونصرته.

المبحث السادس : الإيمان باليوم الآخر .

المبحث السابع: الإيمان بالقدر خيره وشره.

المبحث الثامن : الإيمان بالغيب.

المبحث التاسع: اقتران الإيمان بالعمل الصالح .

المبحث العاشر: الولاء والبراء .

المبحث الحادي عشر: الصلاة .

المبحث الثاني عشر: الزكاة وما يلحق بها من الصدقات.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

تمهيد:

مصدر الفلاح وأساسه ينبع من العقيدة الصحيحة؛ فللعقيدة التي يحملها الإنسان أثر في توجيه سلوكه وتصرفاته، فهي داعية له إلى ما فيه نجاته وفلاحه ، حيث المحافظة على جميع ما أمر الله به، واجتناب جميع ما نهى الله عنه، إذ تحلِّي المؤمن بالفضائل وتخليه عن الرذائل أمر بدهي لمن استقام على عقيدته.

والعقيدة تعمل على جعل الفرد صاحب ضمير متيقظ، دائم المراقبة لله، ودائم الحذر من كيد الشيطان ونزغاته، ووساوس النفس وشهواتها، وهذا هو درب الفلاح وطريقه [١] .

والشريعة تريد فلاح الإنسان وسعادته، فهي تنبهه إلى ضرورة الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والإيمان بالقضاء والقدر، إضافة إلى أمهات العبادات كالصلاة والزكاة.

والمراد بالركن الناحية القوية، وركن الشيء جانبه الأقوى [٢] .

والأسس جمع أساس، وهو أصل الشيء وقاعدته التي يبنى عليها [٣] .

فالركن والأساس متقاربان لغة، ويعطيان معنى القوة والأصل والقاعدة.

فإلى معرفة أسس الفلاح وأركانه – والتي بدونها لا يكون هناك فلاح – من خلال مباحث هذا الفصل، لننال ما نصبوا إليه من فلاح في الدنيا والآخرة.

---

(١) انظر: عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، لمحمد أحمد محمد عبدالقادر ملكاوي (٣٧ – ٤٠)، مكتبة الرشد، الرياض، بدون ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

(٢) انظر في مادة ركن: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤٣٠/٢)، لسان العرب لابن منظور (١٨٥/١٣).

(٣) انظر في مادة أسّ: المفردات للراغب، (١٧)، معجم مقاييس اللغة لابن فارس ،(١٤/١).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المبحث الأول

الإيمان بالله

يحتل التوحيد في حديث القرآن أهمية بارزة، يلحظ ذلك المتتبع للآيات التي تناولت هذا الموضوع[١]،وفي القرآن المكي خاصة، فلقد كان نقطة البدء التي استغرقت زمنا غير يسير من عمر الدعوة إلى الله، و لم تزل العقيدة هي مفتاح النفس البشرية، والمفتاح الوحيد لها، ومن هنا لم يخترِ القرآن طريقا آخر، و لم ينظر إلى مفاسد الجاهلية، بل نظر إلى الجانب الذي بصلاحه تصلح سائر الجوانب، وهو التوحيد. [٢]

والتوحيد أحسن الحسنات، يقول ابن تيمية[٣]: (تظاهرت الدلائل على أن أحسن الحسنات هو التوحيد، كما أن أسوأ السيئات هو الشرك). [٤]

وأصل الإيمان الإيمان بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وهو ما أقر به جمهور الخلق. [٥]

---

(١) يقول ابن القيم بعد أن أشار إلى تناول جُل بل كل سور القرآن لنوعي التوحيد، توحيد المعرفة والإثبات، وتوحيد الطلب والقصد: (بل نقول قولا كليا إن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد شاهدة به داعية إليه، فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله فهو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع كل ما يعبد من دونه فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته في نهيه وأمره فهي حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة فهو جزاء توحيده، وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في العقبى من العذاب فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم ، (٤٥٠/٣)، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.

(٢) انظر: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، لأبي الحسن الندوي، دار القلم –الكويت ١٤٠٢هـ، الطبعة الثالثة عشر، (٢٣٥).

(٣) هو شيخ الإسلام أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية الحراني الدمشقي، الإمام العلامة الحافظ الناقد الفقيه المجتهد المفسر، ناظر العلماء واستدل وأفتى وهو دون العشرين ، صنف تصانيف عديدة، منها: الاستقامة، بيان تلبيس الجهمية، درء تعارض النقل والعقل.

انظر: تذكرة الحفاظ لأبي عبدالله شمس الدين محمد الذهبي، (١٤٩٦/٤)، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون، الأعلام للزركلي ، (١٤٤/١).

(٤) مجموع الفتاوى، (٦٤٢/٧).

(٥) انظر: المصدر السابق، (٦٣٨/٧).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

والإيمان في اللغة له معنيان، كلاهما متداخلان، فالمعنى الأول:الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب وطمأنينة النفس، والآخر: التصديق [١].

لكن لشيخ الإسلام ابن تيمية رأي آخر في معنى الإيمان اللغوي، وهو من آرائه السديدة، واختياراته الموفقة، حيث اختار معنى الإقرار للإيمان.

لأنه يرى أن لفظة (الإقرار) أصدق في الدلالة والبيان على معنى الإيمان الشرعي من غيرها. [٢]

يقول: (ومعلوم أن الإيمان هو الإقرار لا مجرد التصديق، والإقرار ضمن قول القلب الذي هو التصديق، وعمل القلب الذي هو الانقياد). [٣]

وقال في جملة رده على من ادعى الترادف بين الإيمان والتصديق:(لفظ الإيمان في اللغة لم يقابل بالتكذيب كلفظ التصديق ،فإنه من المعلوم في اللغة أن كل مخبر يقال له صدقت أو كذبت ،ويقال صدقناه أو كذبناه، ولا يقال لكل مخبر آمنا له أو كذبناه، ولا يقال أنت مؤمن له أو مكذب له ،بل المعروف في مقابلة الإيمان لفظ الكفر، يقال: هو مؤمن أو كافر، والكفر لا يختص بالتكذيب). [٤]

وقال الشيخ العلّامة محمد بن صالح العُثيمين [٥]مؤيدا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية في أن

---

(١) انظر مادة (أمن) في: معجم مقاييس اللغة لابن فارس ،(١/ ١٣٣)، لسان العرب لابن منظور،(١٣ /٢١)، مختار الصحاح ، لمحمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت - ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م، تحقيق : محمود خاطر،(١١)،تهذيب اللغة للأزهري، (١٥/ ٣٦٦)، المفردات للراغب، (٢٥).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، (٧/٢٩١) .

(٣) المصدر السابق ،(٧ / ٦٣٨).

(٤) المصدر السابق ،(٧ / ٢٩٢).

(٥) هو الشيخ العلامة الفقيه أبو عبدالله محمد بن صالح بن محمد بن سليمان العثيمين الوهيبي التميمي، كان إماما عالما زاهدا سليم الصدر عالي الهمة، من مؤلفاته: الشرح الممتع في الفقه، تسهيل الفرائض، شرح رياض الصالحين، وغيرها مما يزيد على (١١٥) رسالة ومؤلف، توفي رحمه الله سنة ١٤٢١هـ.

انظر: أربعة عشر عاما مع سماحة العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، لعبدالكريم المقرن، (٩)،دار طويق، الرياض، ١٤٢٤هـ، الجامع لحياة العلامة محمد بن صالح العثيمين، لوليد أحمد الحسين، (١٥)، سلسلة إصدارات مجلة الحكمة، بريطانيا، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، اختيارات الشيخ محمد بن صالح العثيمين في كتاب العدد والرضاع والنفقات، بحث تكميلي لنيل درجة الدكتوراه، إعداد ياسر العاصم، إشراف الدكتور سعد الخراشي، (١٤)، ١٤٢٦-١٤٢٧هـ.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

معنى الإيمان هو الإقرار: (أكثر أهل العلم يقولون الإيمان في اللغة التصديق. ولكن في هذا نظر؛ لأن الكلمة إذا كانت بمعنى الكلمة فإنها تتعدى بتعديتها، ومعلوم أن التصديق يتعدى بنفسه، والإيمان لا يتعدى بنفسه، فتقول مثلا: صدقته، ولا تقول آمنته! بل تقول: آمنت به، أو آمنت له، فلا يمكن أن نفسر فعلا لازما لا يتعدى إلا بحرف الجر بفعل متعد ينصب المفعول به بنفسه، ثم إن كلمة (صدقت) لا تعطي معنى كلمة (آمنت)، فإن (آمنت) تدل على طمأنينة بخبره أكثر من (صدقت)، ولهذا لو فُسِّر الإيمان بالإقرار لكان أجود). [١]

فالمعنى المختار للإيمان لغةً، هو : الإقرار القلبي، ويكون باعتقاد القلب ، وعمله؛ واعتقاده يكون بتصديق الأخبار، وعمله بانقياده للأوامر.[٢]

الإيمان في الشرع:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (ومن أصول أهل السنة والجماعة أن الدين والإيمان قول وعمل ،قول القلب واللسان ،وعمل القلب [٣] واللسان والجوارح ،وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية). [٤]

وقال:(الإيمان ليس مجرد التصديق، بل لابد من أعمال قلبية تستلزم أعمالا ظاهرة).[٥]

فالإيمان في الشرع اعتقاد وقول وعمل، ولا يجزئ أحدها عن الآخر، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة.

وقد قدّم الله الإيمان على أفعال الجوارح في قوله تعالى :] * + , - . /

: 9 8 7 6 5 4 3 2 1 0

D C B A @ ? > = < ;

---

(١) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين ، (٢/٢٢٩-٢٣٠).

(٢) انظر:الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه، لعبد الله الأثري،مدار الوطن– الرياض-١٤٢٤هـ، الطبعة الأولى،(٢٤).

(٣) قول القلب هو اعترافه وتصديقه، و عمله هو تحركه وإرادته وإذعانه . انظر: شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين ، (٢/٢٣١).

(٤) العقيدة الواسطية ، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ،الرئاسة العامة لإدارات البحوث والإفتاء - الرياض - ١٤١٢هـ ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : محمد بن عبد العزيز بن مانع ،(٣٩).

(٥) مجموع الفتاوى ، (٧/٣٠٦).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

Z O N M L K J I H G F E

[البقرة:١٧٧]، لأن أعمال القلوب أشرف من أعمال الجوارح ، ولأن أعمال الجوارح النافعة عند الله تعالى إنما تنشأ عن الإيمان. (١)

والإيمان بالله سبحانه وتعالى: هو التصديق الجازم والإقرار بوجوده ووحدانيته وربوبيته – جل وعلا-،واتصافه بصفات الكمال، ونعوت الجلال، واطمئنان القلب بذلك اطمئنانا تظهر آثاره في السلوك؛ وهو أساس العقيدة الإسلاميةوالأصل، ولا يمكن إيمان إلا بتحقيقه؛ إذ توحيد الله وإخلاص الدين له قلب الإيمان، وأول الإسلام وآخره، قال تعالى: [g h i j k l Z [النساء:٣٦]، وقال صلى الله عليه وسلم : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله) (٢)؛ وكل معبود سوى الله باطل، ولا خالق إلا الله، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وهو – سبحانه- ربّ كل شيء ومليكه، لا شريك له، الخالق الرازق، والمحيي والمميت، [_ ` a b I d e f g h i Z [الزمر:٦٢]، قال تعالى: [هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا Z[البقرة:٢٩]، وقال تعالى: [& ' ( ) Z [الفاتحة:١].

ويتضمن الإيمان بالله أن نَصِفه سبحانه بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، قال تعالى: [1 2 3 I 5 6 7 Z [الشورى:١١]، وقال تعالى: [C D E F G Z [الأعراف:١٨٠]، وقال: [s t u v w y z { Z [طه:٨]. (٣)

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب للرازي،(٣٥/٥) ، تفسير البحر المحيط لأبي حيان،(٥/٢).

(٢)أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب الحياء من الإيمان، (١٧/١)، ح(٢٥)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، (٥٣/١)، ح(٢٢).

(٣) انظر: شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين ،(٥٥/١) ، ومجموع الفتاوى ،(٧٠/١) ،(٢٦/٥) ،(٣٣١/١٠)، ،(٣٧٣/٣)، والإيمان ،لعبد الله الأثري، (١١٤-١٢٠).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

قال الإمام أحمد[١]، وشيخ الإسلام ابن تيمية : لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم، لا يتجاوز القرآن والحديث. [٢]

ولَّما كان الإيمان بالله أساس الفلاح، جاء الحديث عنه في القرآن كثيراً، وبينت النصوص حقيقته وكيفيته، وثواب من آمن، وجزاء من أعرض؛ قال تعالى:] فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ ۝ يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ۝٦٧ Z[القصص :٦٧].

فلما ذكر تعالى سؤال الخلق عن معبودهم ، وعن رسلهم ، أتبعه بذكر الطريق الذي ينجو به العبد من عقاب الله تعالى، وأنه لا نجاة إلا لمن اتصف بالتوبة عن الشرك والمعاصي ،والإنابة والرجوع إلى الحق، وآمن بالله ، وأفرده بالعبادة ولم يشرك في عبادته شيئاً، وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وعمل بما أمره الله بعمله في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم،فجمع بين الإيمان والعمل الصالح، فهذا من المفلحين الفائزين بجنات النعيم، إذ لا سبيل إلى الفلاح بدون هذه الأمور [٣].

و (أما) تفيد التفصيل، فأفادت هنا أن غير المؤمنين خاسرون في الآخرة، فإنه اكتفى بتفصيل أحد الشيئين عن ذكر مقابله تخويفا من جزاء المصرِّين على الذنب، لأن إبهام المحذوف يؤدي إلى إثارة الخيال حول ما سيحل بهم، وقد يقودهم إلى التوبة. [٤]

وقال تعالى في سورة (المؤمنون) مرتباً الفلاح على الإيمان، و جاعلاً الإيمان أول صفات المفلحين:] ! " # $ Z [المؤمنون:١].

---

(١) هو الإمام الحافظ الفقيه الحجة، الإمام حقا، وشيخ الإسلام صدقا أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني المروزي البغدادي، برع في علم الحديث،والفقه واللغة، وأحد الأئمة الأعلام، امتحن في محنة خلق القرآن، وصنف تصانيف عديدة، منها: المسند، الزهد، مات سنة ٢٤١هـ

انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (١١م١٧٧)، طبقات الحنابلة لمحمد بن أبي يعلى، (٤/١).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى ، (٣٠٥/١٣).

(٣) انظر: جامع البيان ،(٩٩/٢٠)، تيسير الكريم الرحمن ،(٦٢٢)، تفسير المراغي ، لأحمد مصطفى المراغي، دار الكتب العلمية- بيروت-الطبعة الثانية- ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، (١٨٨/٧،١٩١).

(٤) انظر : التحرير والتنوير ، لابن عاشور ، (١٦٣/٢٠)، البلاغة القرآنية في آيات صفات المؤمنين، لهند جميل نايته، دار كنوز أشبيليا- الرياض-الطبعة الأولى-١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، (٣٤٨/١).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

فيذكر-سبحانه- عباده المؤمنين ، ويذكر فلاحهم وسعادتهم ، وبأي شيء وصلوا ذلك، وفي هذا حث على الاتصاف بصفاتهم، و ترغيب فيها، فأساس فلاحهم وسعادتهم ونجاتهم إيمانهم بالله – عز وجل-، وتصديق المرسلين ، والإيمان بسائر أركان الإيمان، والعمل بما دعاهم إليه مما سُمي في هذه الآيات وجرى ذكره ، من خشوع في الصلاة، وإعراض عن اللغو، وأداء للزكاة والإنفاق في سبيل الله، وحفظ للفروج إلا عما أباح الله ، والأمانة، والمحافظة على الصلوات.(١)

ولم يرد ذكر متعلق الفلاح وهذا مقتضٍ التعميم، أي: أفلح المؤمنون في كل ما رغبوا فيه من خير الدنيا والآخرة. (٢)

ولا شكّ أن المؤمنين كانوا مُؤَمِّلين ومتوقعين لمثل هذه البشارة، وهي إخبارهم بثبات الفلاح لهم ، فيما سبق لهم من رجاء فلاحِهم كالذي في آخر سورة الحج في قوله تعالى: [l m n o Z[الحج : ٧٧]، فخوطبوا بما دلّ على ثبات ما توقعوه ، و ذلك أن(قد) أفادت التحقيق،وإضافتها للفعل الماضي يفيد التحقق والثبوت، فهي تثبت المتوقع وتنزله منزلة الثابت. (٣)

ورأس نجاة المرء وفوزه،وصلاح دينه ودنياه، هو الإيمان بالله، إيمانا لا يخالطه شك، بأن الله هو الخالق الرازق سبحانه، المستحق بأن يُفرد ويُوحّد بالعبادة،وأن له الأسماء الحسنى والصفات العلى، ربّ الأرباب، ومنشئ الأسباب، وخالق خلقه من تراب.

ومن يمشي في طريق النور طريق الإيمان بالله تنفتح كل جوارحه لهذا الضياء، إذ هو الأساس والأصل، فيجد فيه اللذة التي لا توصف، ويتحرر قلبه من العبودية والخضوع لغير الله، وإنها لأعظم حرية ينشدها البشر على مر الأزمان، وخصوصا في هذا الزمان. (٤)

وتصلح نفسه، لأن صلاح العقيدة مُرْتَكَزٌ لصلاح النفوس، واستقامة الإنسان قولا وعملا وسلوكاً(٥) ، يقول ابن القيم (١)عن كلمة التوحيد: (فمن رسخت هذه الكلمة في قلبه

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ، (٣/٢٣٩) ،تفسير المراغي،(٦/٢٦٧)،تيسير الكريم الرحمن ،(٥٤٧).

(٢) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، (١٨/٨).

(٣) انظر: الكشاف ، (٣/١٧٧)، إرشاد العقل السليم،(٦/١٢٣)، التحرير والتنوير،(١٨/٨).

(٤) انظر: أثر الإيمان في تحرير الإنسان، لعمر الأشقر، مكتبة الفلاح- الكويت- ١٤٠٥هـ، (٥-٨).

(٥) انظر: دعوة التوحيد: أصولها الأدوار التي مرت بها، ومشاهير دعاتها، لمحمد خليل هراس، مكبة ابن تيمية-

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

بحقيقتها التي هي حقيقتها ،وَاتَّصفَ قلبه بها، وانصبغ بها بصبغة اللَّه التي لا أحسن صبغة منها، فَعَرَف حقيقة الإلهية التي يثبتها قلبه لِلَّه، وَيَشْهد بها لسانه، وَتُصَدِّقها جوارحه ،ونفى تلك الحقيقة ولوازمها عن كل ما سوى اللَّه، وواطأ قلبه لسانه في هذا النفي والإثبات، وانقادت جوارحه لمن شهد له بالوحدانية، طائعة سالكة سبل ربه ذللا، غير ناكبة عنها ولا باغية سواها بدلا، كما لا يبتغي القلب سوى معبوده الحقِّ بدلا، فلا ريْب أنَّ هذه الكلمة من هذا القلب على هذا اللِّسان لا تزال تُؤْتي ثمرتها من العمل الصالح الصاعد إلى اللَّه كل وقت) [٢].

فالإيمان بالله طريق الطمأنينة والثبات، وطريق الفلاح والفوز في الدنيا والآخرة، لا فلاح لعبد لم يؤمن برب السماوات والأرض سبحانه، و لم يحقق أركان الإيمان والفلاح، والتي منها الإيمان بالملائكة، والذي سيكون عنه الحديث في المبحث الثاني.

القاهرة-١٤٠٧هـ، (٧١).

(١) هو الفقيه المفتي الإمام الرباني أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي الشهير بـ (ابن القيم)، تتلمذ على كثير من المشايخ، أولهم والده، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وضرب بحظ وافر في علوم شتى وظهر هذا فيما خلف من نتاج علمي وفير، فمن مؤلفاته: إعلام الموقعين، الروح، شفاء العليل، توفي سنة ٧٥١هـ.

انظر: طبقات المفسرين للداوودي، (٣٦٣)، الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب، (١٧٠/٥).

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين ، لابن القيم ، دار الجيل - بيروت – ١٩٧٣هـ، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد، (١٧٢/١).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المبحث الثاني

الإيمان بالملائكة

الملائكة جمع ملأك، مأخوذ من الألوكة، وهي في اللغة الرسالة [١].

وشرعاً: هم عالم غيبي ، خلقهم الله من نور، وجعلهم طائعين له، متذللين له، لكل منهم وظائف خصه الله بها ، موكلون بالسموات والأرض؛ رسل الله في خلقه وأمره، وأعظم جنده.[٢]

ويتضمن الإيمان بهم الإيمان بوجودهم إيماناً جازماً ،يقول تعالى:] i h g [Z u t s r q p n m l k j [البقرة:٢٨٥]، والإيمان بمن علمنا اسمه، وما علمنا من صفاتهم.

وإنكار وجودهم كفر، لقوله تعالى:] \ [^ _ ` a Z h g f e d c b [النساء:١٣٦].

وأهل السنة والجماعة يؤمنون بهم إجمالا، وأما تفصيلا فبما صحّ به الدليل ، كجبريل الموكّل بالوحي،قال تعالى:] h i j k l m n o p q r Z [الشعراء:١٩٣-١٩٤]، وإسرافيل الموكّل بالنفخ في الصور، قال صلى الله عليه وسلم: (كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن وحنى جبهته، وأصغى سمعه، ينتظر أن يؤمر أن ينفخ فينفخ) [٣] ، ومَلَك الموت وأعوانه الموكّل بقبض الأرواح، قال تعالى:] قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ Z [السجدة :١١]، وقال تعالى:] 9 : ; < : > ? @ A B C D E F G H I Z

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس ،مادة ألك،(١/١٣٢-١٣٣)، المفردات للراغب ، مادة ألك،(٢١)، ومادة ملك، (٤٧٣).

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ، المكتب الإسلامي - بيروت – ١٣٩١هـ ، الطبعة : الرابعة، (٣٣٥-٣٣٧)، شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (١/٦٤،٥٩).

(٣)رواه الترمذي في كتاب التفسير، باب ومن سورة الزمر، (٥/٣٧٢)، ح(٣٢٤٣)، وحسنه، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، (٣/٦٦)، ح(١٠٧٩).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

Z K J [الأنعام:٦١]، ومنهم الموكّلون بحمل العرش ،ومنهم من يستغفرون للمؤمنين ويصلُّون عليهم ، قال تعالى:] ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ © بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ Z [غافر:٧] ، ومنهم الموكَّلون بحفظ أعمال العباد، قال تعالى:] Z Y X W V U T S R Q P O [[الإنفطار:١٠-١٢]، ومنهم ملائكة سياحون في الأرض، يلتمسون حلق الذكر،لما رواه البخاري ومسلم، عن أبي هريرة [١] رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تعالى تنادوا هلموا إلى حاجتكم، قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا) [٢]، ومنهم غير ذلك، فهم كثيرون لا يعلم عددهم إلا الله عزَّ وجلّ، قال تعالى:] وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡبَشَرِ ﴿٣١﴾ Z [المدثر:٣١].

وهم رسل الله في تنفيذ أمره الكوني الذي يدبر به السماوات والأرض ،كما قال تعالى: : Z K J I H G F E D C B A [[الأنعام:٦١]، وأمره الديني الذي تَنَزَّل به الملائكة، فإنه قال :] i h g f e d c [Z u t s r q p o n m l k j [النحل:٢]. [٣]

جُبِلوا على الطاعة، وتتأذى مما يتأذى به بنو آدم ،و لا تدخل بيتا فيه تمثال ولا صورة ولا كلب، قال صلى الله عليه وسلم: (لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة) [٤]، وهم

---

(١) اسمه على الأصح عبد الرحمن بن صخر الدوسي، يُكنّى أبا هريرة لقطة كان يحملها، أجمع أهل الحديث على أنه أكثر الصحابة حديثا وأحفظهم، دعا له النبي r بأن يحببه الله إلى المؤمنين، كان إسلامه بين الحديبية وخيبر، توفي عام ٥٧هـ، وقيل:٥٩هـ.

انظر: الإصابة لابن حجر، (٤٢٥/٧)، أسد الغابة لابن الأثير، (٣٦٠/٣).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله ،(٢٣٥٣/٥)، ح(٦٠٤٥)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل مجالس الذكر ،(٢٠٦٩/٤)، ح(٢٦٨٩).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى،(١١٩/٤).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب إذا وقع الذباب في شراب أحدكم ،(١١٧٩/٣)، ح(٣٠٥٣)،

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

متفاوتون في الخلق، يقول تعالى: [v u t s r q p o
w x y z { | { ~ ے ھ ھ ھ ھ ۓ ۓ ﷺ © ① Z
[فاطر:١]. (١)

و لم يرد في القرآن نص بأن الإيمان بالملائكة هو من أسس الفلاح، لكن من المعلوم أن الإيمان بالملائكة هو ركن من أركان الإيمان، وعلى هذا فهو من أسس الفلاح، لأنه لن يسلم دين إنسان إلا بتحقيق هذه الأركان، فيُقر إقرارا جازما بوجود الملائكة، وأنهم خلق من خلق الله، ويُؤمن بما ورد من أسمائهم وصفاتهم، ومن ثمرات ذلك:العلم بعظمة الله عز وجل، وقوته وسلطانه، إذ عظمة المخلوق من عظمة الخالق،فنُعظِّم الربّ،ونُوحِّده بالعبادة، فننجو في الدارين، ونفوز بالمطلوب.

ولذا كان الإيمان بالملائكة يسمو بالروح عن دنايا الدنيا، ليصل بها إلى الحكمة العليا التي لأجلها خُلق الإنسان، وهي عبادة الله تعالى ، ولهذا كان الإيمان بالملائكة من البر، ومن دلائل الصدق، قال تعالى: [! " # $ % & ' ( ) *
+ , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7
8 9 : ; < = > ? @ A
B C D E F G H I J K L M
N O Q R S I U V W X Z]البقرة:١٧٧[.

واستمدادنا للإيمان بالملائكة، وأسمائهم، ووظائفهم، إنما هو من نصوص الوحيين: الكتاب والسنة، وإذا كان الإيمان بالملائكة من أركان الإيمان، و حبل موصل إلى الفوز والنجاة، فكذلك الإيمان بالقرآن الكريم، المتضمن الحديث عن الملائكة، وعن شرعنا.

ومسلم في كتاب اللباس والزينة، باب تحريم صورة الحيوان ،(١٦٦٥/٣)، ح(٢١٠٦).

(١) انظر: مجموع الفتاوى ،(١١٩/٤-١٢٨)، (٢٥٩/٤)، (٣١٢/٧) ، و شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين، (٥٩/١-٦٤)، الإيمان ،لعبد الله الأثري (١٣١-١٣٤)، وأعلام السنة المنشورة لحافظ الحكمي ، (٨٦-٨٩)، وعقيدة المسلم في ضوء القرآن والسنة لخالد العك، (٦٥-٦٨)، وأصول الإيمان لمحمد بن عبد الوهاب، (٢٦-٣٦)، ورسائل في العقيدة للشيخ محمد بن صالح العثيمين،(١٩-٢١).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وكما أن هناك طائفة تكذب بالملائكة ولا تؤمن بهم ، فهناك مكذبون بالكتب السابقة، وبالقرآن الكريم، وكيف لهم أن يكذبوا بالملائكة وقد جاء بخبرهم القرآن الكريم، وكيف لهم أن يكذبوا بالكتب السابقة، وقد أنزلها الله- عز وجل- على رسله لتكون طريق هداية للناس، وكيف لهم أن يكذبوا بالقرآن معجزة الله الخالدة، وقد عجزوا عن مجاراته، وعن الإتيان بمثله، وفيه خبر الأولين والآخرين، والخير والصلاح والأمان لهم، والمتضمن لما تعبدهم الله به؛ وهو فلك نجاحهم، و عليه مدار ظفرهم وسعادتهم.

ويتبين لنا مزيد من الإيضاح فيما يتعلق بالإيمان بالقرآن الكريم والكتب السابقة في المبحث التالي.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المبحث الثالث

الإيمان بالقرآن الكريم والكتب السابقة

نؤمن بجميع كتب الله المنزلة على رسله عليهم السلام ، التوراة والإنجيل والزبور والقرآن و غيرها، مما لم نعلمه على سبيل التفصيل، فكلها من عند الله وكل ما فيها حق، لكن خُصَّ القرآن من بينها بحفظه من الزيادة والنقص ،والتحريف والتبديل، فبقي كما أنزله الله إلى يوم القيامة، فكان كله حق من عند الله.

ومن الإيمان بكتاب الله أن نؤمن بأن كل ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم هو حق من عند الله، وبيان لكتاب الله، وأن الأخذ به أخذ بالقرآن، والترك له ترك للقرآن، لقوله تعالى: [p q r s t u v w Z [الحشر:٧]، وقوله تعالى: [5 6 7 8 9 : ; < = > ? Z [النحل:٤٤] . [١]

والإيمان بكلام الله داخل في الإيمان برسالة الله إلى عباده، والكفر بذلك كفر بهذا، ولهذا كان أصل الإيمان الإيمان بما أنزله، قال تعالى: [- . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E F G Z [البقرة: ٣-٥]،وعظم تقرير هذا الأصل في القرآن. [٢]

و مذهب سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، وسائر المسلمين كالأئمة الأربعة وغيرهم، وما دل عليه الكتاب والسنة هو أن القرآن كلام الله، منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود.[٣]

ومن آمن بالقرآن كان من المفلحين الفائزين،لأن القرآن كلام ربِّ العالمين، وكتابه المبين، وحبله المتين أنزله على نبيه منهاجا للأمة، ونبراسا لها في حياتها، وقد وعد بالفلاح والهدى

---

(١) انظر: العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، لعبد الحميد بن باديس ،تحقيق : محمد الصالح رمضان، (١/٨١-٨٢)، دار الفتح، الشارقة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ،١٩٩٥م.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى،(١٢/٧-٨).

(٣) انظر: المصدر السابق ،(١٢/٧-٨)،(١٢/٣٧-٣٨).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

من آمن به وآمن بالكتب السابقة،قال تعالى:] 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z [البقرة: ٤-٥].

فمن جملة صفات المفلحين إيمانهم بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وهو القرآن والسنة ، قال تعالى:] وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ Z[النساء:١١٣]، وقال تعالى:] + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z [النجم:٣-٤]، و معرفة ذلك تفصيلا، وعدم تفريقهم بين بعض ما أنزل إليه، بل يؤمنون به كاملا، ويؤمنون بجميع الكتب السابقة إيمانا إجماليا لا تفصيليا، كالتوراة والإنجيل والزبور.(١)

وفي التعبير بالمضارع في قوله تعالى:(يؤمنون بما أُنزل إليك) إفادة، لأن إيمانهم بالقرآن حدَث جديد. (٢)

واختلف المفسرون في الموصوفين هنا، هل هم الموصوفون بما تقدم من قوله تعالى :] - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z [البقرة:٣]؟ومن هم؟ ،على ثلاثة أقوال:

- أحدها: أن الموصوفين أولا هم الموصوفون ثانيا ،وهم كل مؤمن. مؤمنوا العرب ومؤمنوا أهل الكتاب وغيرهم.

- والثاني:هما واحد وهم مؤمنوا أهل الكتاب.

- والثالث: أن الموصوفين أولا مؤمنوا العرب والموصوفين ثانيا بقوله:] 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z مؤمنوا أهل الكتاب ، وروي هذا عن ابن عباس (٣) وابن مسعود(١) وأصحاب النبي e واختاره ابن جرير(٢)، و ابن عاشور

---

(١) انظر: معالم التنزيل ، (١/٤٧ -٤٨) ، تفسير المراغي،(١/٤٥) ،تيسير الكريم الرحمن ، (١/٤١).

(٢)انظر: التحرير والتنوير ، لابن عاشور ،(١/٢٣٨-٢٣٩).

(٣) هو عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب، أبو العباس القرشي الهاشمي، ابن عم الرسول، دعا له الرسول عليه الصلاة والسلام أن يفقهه الله في الدين ويعلمه التأويل، توفي سنة ٦٨هـ.
انظر: الإصابة لابن حجر، (٤/١٤١)، الاستيعاب لابن عبدالبر، (٣/٩٣٣).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

[٣]؛ وهوالأظهر-والله أعلم- لإعادة الموصول في الآية] 6 7 8 9 : ; < = > Z ، كما قال ابن عاشور: السر في إعادة الموصول ليؤذِن بأن هؤلاء فريق آخر غير الفريق الذي أجريت عليهم الصفات الثلاث الأول. [٤]

وقرن الإيمان بالقرآن-والذي هو من أسس الفلاح- بالإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم، لأن من جملة الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم الإيمان بالقرآن ،قال تعالى:] c d e f g h i j k l m n o p q Z [الأعراف :١٥٧].

فيبين الله – عز وجل- كيفية اتباع الرسول عليه الصلاة والسلام ،وأن من جملة ذلك اتباع النور الأعظم الذي أنزل مع رسالته، وهو القرآن الذي يستضاء به في ظلمات الشك والجهالات، ويُقتدى به إذا تعارضت المقالات؛ ثم بين جزائهم بقوله: (أولئك هم المفلحون)، أي الظافرون بخير الدنيا والآخرة ، والناجون من شرهما ، والفائزون بالرحمة والرضوان، لأنهم أتوا بأكبر أسباب الفلاح. [٥]

والإشارة في قوله : (أولئك هم المفلحون) للتنويه بشأنَهم ، وللدلالة على أن المشار إليهم بتلك الأوصاف صاروا أحرياء بما يخبر به عنهم بعد اسم الإشارة [٦]،وهو حصول الهداية

---

(١) هو عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب ، أبو عبدالرحمن الهذلي، أسلم قديما وهاجر الهجرتين، وشهد بدرا والمشاهد بعدها، ولازم النبي عليه الصلاة والسلام وكان صاحب نعليه.
انظر: الإصابة لابن حجر، (٢٣٣/٤)، أسد الغابة لابن الأثير، (٣٩٤/٣).

(٢) انظر: جامع البيان لابن جرير ،(١٠٣/١)، وهو محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر المؤرخ المفسر الإمام ، من تصانيفه: تاريخ الأمم والملوك، جامع البيان في تفسير آي القرآن، تهذيب الآثار، توفي سنة ٣١٠هـ.
انظر: طبقات المفسرين للسيوطي، (٨٢)،طبقات المفسرين للداوودي، (٣٧٤).

(٣) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، (١/ ٢٢٨ – ٢٢٩).

(٤) انظر: المصدر السابق ، (٢٣٨/١).

(٥) انظر: تيسير الكريم الرحمن ،(٣٠٥/١)، تفسير المراغي ، (٤١٧/٣).

(٦) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ، (٩ /١٣٨).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

والفلاح ، وفيه إشارة إلى علية تلك الصفات للحكم، والكاف (كاف البعد) للإيذان ببعد المنزلة ،وعلو الدرجة في الفضل والشرف. (١)

فأهم أسس الفلاح في الدنيا والآخرة الإيمان بالكتب السابقة وأعظمها القرآن الكريم، فهو المهيمن والمصدق للكتب السابقة، وقد احتوى على شرعنا ، وبه صلاح ديننا ودنيانا ، وإيقاظ الأرواح، والإرشاد إلى الخير والهدى، وصلاح المجتمع والكون؛ وما ضل كثير من الناس إلا ببعدهم عن مصدر التشريع (الكتاب والسنة)لأن السنة شارحة لما أجمل فيه ومبينة له، وأخطأ من أخذ القرآن بمعزل عن السنة.

والإيمان بالكتب يتضمن الإيمان بالرسل، لأنهم الذين أرسلهم الله، وأنزل عليهم الكتب، وإذا لم يؤمن الكفار بالكتب فعدم إيمانهم بالرسل من باب أولى.

ومحور الحديث في المبحث التالي عن الإيمان بالرسل عليهم السلام.

(١) انظر: روح المعاني للألوسي، (٨٢/٩).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المبحث الرابع

الإيمان بالرسل عليهم السلام

تبدو الرسالات في حديث القرآن الكريم هي مدار التاريخ البشري ومحوره، والذي لم يزل الصراع فيه مستمرا بين المؤمنين وبين الكافرين، وعلى مقدمة أهل الإيمان الأنبياء، الذين كان لهم أوفر النصيب من معالم طريق الإيمان، ويقفون على قمته، وكانوا- عليهم السلام- أهل ذلك] ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ Z [الأنعام : ١٢٤]، اختارهم الله على علم ليقوموا بهداية البشرية إلى الحق، لأنه لابد من جهد بشري لإقرار حقيقة الإيمان في نفوس البشر، ولا ينهض بالحق إلا الصفوة من العباد وهم رسل الله. (١)

ويبين شيخ الإسلام ابن تيمية مكانة الإيمان بالرسل –عليهم السلام -، من حيث تلازم الإيمان بالرسل مع التوحيد، والإيمان باليوم الآخر، وأنها –هذه الثلاثة- أصل السعادة والفلاح والفوز فيقول: بيَّن القرآن في مواضع أن الرسل أمروا بعبادة الله وحده لا شريك له، ونهوا عن عبادة شيء من المخلوقات سواه، وأن أهل السعادة هم أهل التوحيد وأن المشركين هم أهل الشقاوة، وبيَّن أن الذين لم يؤمنوا بالرسل مشركون ،فعُلم من هذا أن التوحيد والإيمان بالرسل متلازمان، وكذلك الإيمان باليوم الآخر،ولهذا يُجمع بينهما في مثل قوله :] r s t u v w x y z { | } ~ ﴿١٥٠﴾ Z [الأنعام:١٥٠]، وهذه الأصول الثلاثة المتلازمة توحيد الله، والإيمان برسله، وباليوم الآخر هي أصل السعادة والنجاة من العذاب. (٢)

وأهل السنة والجماعة يؤمنون ويعتقدون اعتقاداً جازماً، بأن الله تعالى أرسل إلى عباده رُسُلاً مبشرين ومنذرين، ودعاةً إلى دين الحق لهداية البشر، وإخراجهم من الظلمات إلى النور؛ بلَّغوا الرسالة، وأدَّوا الأمانة، ونصحوا أممهم، وجاؤوا بمعجزات باهرات مؤدية

(١) انظر: مجموع الفتاوى ، (١٩/٩٣-٩٤)، والرسل والرسالات لعمر الأشقر، مكتبة الفلاح –الكويت- ١٤٠٥هـ، الطبعة الثالثة، (٣٠-٣١).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى،(١٨/٥٥-٥٧).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

لصدقهم، وبيَّنوا بياناً لا يسع أحدا ممن أرسلوا إليه جهله، قال تعالى:] = < ? @ A B Z [النحل:٣٥]؛ دينهم واحد وإن تنوعت الشرعة والمنهاج والوجهة، بُعثوا لإنقاذ البشرية من الشرك والوثنية،وتطهير المجتمعات من الفساد؛ ويصدقون –أي أهل السنة-بما صح عنهم من أخبار ، ويعملون بشريعة محمد عليه الصلاة والسلام، لأن الإيمان به عليه الصلاة والسلام إيمان مفصل، إذ هو خاتم الأنبياء والرسل. (١)

ومن كفر بواحد منهم فقد كفر بالله تعالى وبجميع الرسل-عليهم السلام-، قال تعالى:]

K J I H G F E D C B A

V U T S R Q P O N M L

d c b a ` _ ^] [Z Y X W

r q p n m l k j i h g f e

Z s [النساء:١٥٠-١٥٢].

ورسل الله وأنبياؤه الذين بعثهم كثر، منهم من ذكر الله خبره في القرآن، ومنهم من لم يذكر خبره في القرآن، قال تعالى:] < ? @ A B C D E

F G I J K L Z [النساء:١٦٤]، ونؤمن بهم جميعا. (٢)

وهم بشر مخلوقون ليس لهم من خصائص الألوهية والربوبية شيء، بل تلحقهم خصائص البشر من مرض، وموت،والحاجة للطعام والشراب، وأجمعت الأمة على أن الرسل أفضل من الأنبياء، وأفضل الرسل أولو العزم : محمد، ونوح، و إبراهيم، وموسى،

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى،(٣١٣/٧)، أعلام السنة المنشورة لحافظ الحكمي، (٩٧)،رسائل في العقيدة لابن عثيمين، (٢٦)، والإيمان حقيقته ، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة لعبدالله بن عبد الحميد الأثري، (١٤١-١٤٣).

(٢) انظر: عقيدة المسلم في ضوء الكتاب و السنة لخالد العك، (٥٥)

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وعيسى عليهم الصلاة والسلام؛ ومحمد عليه الصلاة والسلام أفضلهم، قال تعالى:] ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 Z [الأحزاب:٧]. (١)

ولم يرد في القرآن آية تنصُّ على أن الإيمان بالرسل من أسس الفلاح، لكن من المسلَّم به أن الإيمان بالرسل من أهم أركان الإيمان؛ إذ لاسبيل لفلاح المرء ونجاته إلا بتحقيق الأركان كاملة، حتى ينجو من العقاب، وحتى تطمئن نفسه، وتُرزق الفلاح في الدارين، وكيف يتَّبع شرع الله لولا رسل الله!

وكثيرة هي الآيات الواردة في القرآن في الحثّ على الإيمان بالرسل، جاءت مقرونة بأركان الإيمان الأخرى، إذ لم يرد في أي موضع الحث على الإيمان بالرسل مجردا عن ركن آخر من أركان الإيمان أو أكثر، يقول تعالى:] g h i j k l m n o p q r s t u v w x y z { | } ~ ﴿ وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ Z ،[البقرة:٢٨٥]، وقال تعالى:] ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J K L M N O P Q R S U V W X Z [البقرة:١٧٧]، ونصَّت آيات أخرى على الإيمان بمحمد عليه الصلاة والسلام تحديدا، قال تعالى:] | } ~ ﴿ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ ۚ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ©

(١) انظر: أعلام السنة المنشورة لحافظ الحكمي، (١٠٢-١٠٣)،عقيدة المسلم في ضوء الكتاب و السنة لخالد العك، (٦٣-٦٤).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ Z [الحجرات:١٥]، و قال تعالى:] } | { ~ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ ۝ تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٨﴾ Z[الحديد:٢٨] ، و قال تعالى:] } | { ~ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ Z [الفتح:١٣] وقال تعالى :] ! " # $ % & ' ( ) * Z [آل عمران:٥٣].

وبيَّنت كثير من آيات القرآن عاقبة المكذبين لأنبيائهم، وأنه لا محيص عن عذاب الله لمن كذّب بأنبياء الله ورسله،وفي هذا دليل كبير على مشروعية اتباع الرسل، وتصديقهم فيما جاؤوا به، لأن من يخالف يستحق العقوبة، لأنهم هم المبلغون عن الله، واتباعهم سبيل النجاة، وبه الطريق الموصل إلى رضوان الله.

وبإقامة الدين وعبادة الله، ينتظم الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر،كما تنتظم الأعمال الصالحة التي تُزكِّي النفوس، وتطهرها وتغرس فيها الخير لتبلغ الكمال في هذه الحياة، ولتستعد لكمال أبقى، ولا يمكن للبشر أن يصلوا إلى هذه التعاليم القيّمة بعقولهم، بل بما يأتيهم به أنبياؤهم.

وبالإيمان بالرسل يتحقق الإيمان، ومن ثَمَّ الفلاح والفوز في الدارين، إذ كيف يستقيم دين مرءٍ لا يتَّبع الرسل، لأنهم رسل الله لتبليغ شرعه، ما من خير إلا أرشدوا أممهم إليه، اصطفاهم الله لدلالة الناس إلى طريق الخير والفلاح، وتحذيرهم من عاقبة الكفر والمعاصي.

و سأفرد في المبحث التالي الحديث عن الإيمان بسيد البشر والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنه سبب لفلاح العبد وظفره، لورود النص الصريح في القرآن الكريم، والمتضمن الوعد بالفلاح لمن آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المبحث الخامس

الإيمان بالنبي عليه الصلاة والسلام ونصرته

الأنبياء هم الطريق الوحيد لمعرفة شرع الله-عز وجل-، وما يوصل إلى رضاه أو سخطه، ولا يمكن ذلك لأحد إلا عن طريق الوحي، وببعثتهم أكرم الله البشرية، وهداها طريق النجدين، و لم يزل للبشرية من الله منذر، حتى ختمت النبوة بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، الذي جمعت رسالته صلى الله عليه وسلم خصائص النبوات، وتكاملت في شخصيته الكمالات. (١)

و لا يتم الإيمان بالله بدون الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ، ولا تحصل النجاة ولا السعادة بدونه، إذ هو الطريق إلى الله، ولهذا كانا ركنا الإسلام (شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله). (٢)

ومن جملة معتقد أهل السنة والجماعة الإيمان برسل الله عليهم السلام، ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم هو سيد الأنبياء والمرسلين، فنعتقد أن محمداً صلى الله عليه وسلم خير الخلائق وأفضلهم، وأكرمهم على الله عز وجل، وأعلى درجة، وأقربهم إلى الله وسيلة، بعثه الله رحمة للعالمين، وخصَّه بالشفاعة في الخلق أجمعين، فعن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي ،نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا وأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة، وأعطيت الشفاعة). (٣)

---

(١) انظر: الرسل والرسالات لعمر الأشقر، (٣٠)، الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، لمحمد الراوي ، دار العربية-بيروت، (٧٨).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى ،(٦٣٨/٧).

(٣) انظر: قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر ، لمحمد صديق حسن خان القنوجي ، شركة الشرق الأوسط للطباعة - ماركا الشمالية - الأردن - ١٤٠٤ هـ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : د. عاصم عبد الله القريوتي، (٩٥/١)، والحديث أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب قول النبي عليه الصلاة والسلام: (جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا) ،(١٦٨/١)، ح(٤٢٧)، ومسلم في كتاب المساجد ، باب الصلاة في ثوب واحد ،(٣٧٠/١)، ح(٥٢١).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

و توقيره وتعظيمه ،وحمايته من الناس ونصرته على الأعداء سبب للحصول على الفلاح، يقول الله عز وجـــل: [i h g f e d c Zq p o n l k j] [الأعراف :١٥٧].

فيبين الله أن الذين آمنوا من قوم موسى ومن كل أمة بالرسول الأمي حين بعث، وعزروه بأن منعوه وحموه من كل من يعاديه، مع التعظيم والإجلال والتبجيل، لا كما يحمـــون بعض ملوكهم مع الكره والاشمئزاز ، ونصروه باللسان والسنان هم الظافرون بخير الـــدنيا والآخرة ، والناجون من شرهما لأنهم أتوا بأكبر أسباب الفلاح . (١)

ولأن بعثته عليه الصلاة والسلام كانت للثقلين كافة، قال تعـــالى : [b a ` Ze d c] [الأنبياء : ١٠٧]، وجب على كل من سمع بالنبي صلى الله عليه وسلم من الثقلين، ومن أهل الكتابين أن يؤمن به ، ويقر بما أرسل به وجاء به عن الله عز وجل ،فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت و لم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار) (٢).

به أتم الله الدين ،وكلفه الله بتبليغ رسالته، وأيده بالمعجزات الظاهرة، وكيف لنا أن نفهم شريعة الإسلام لولا أن بعث الله لنا محمداً صلى الله عليه وسلم، ففضله علينا كبير، فمـــا من خير إلا ودلنا عليه عليه الصلاة والسلام، وما من شر إلا وحذّرنا منه.

و ليت الأمة تعظمه وتطيعه حق الطاعة، ليس بالقول فقط – لأن هذا هو المشاهد عنـــد الكثير-، بل قول مع فعل، حتى نرجع إلى عزتنا وعزنا، ونسترجع أمجادنـــا، لأن طاعتـــه صلى الله عليه وسلم سير في درب الفوز والفلاح ، وتعم معاني الفلاح جميعها، حتى نرد حوضه يوم القيامة، ونفوز بالجنة.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، (٢/٢٥٥)، تيسير الكريم الرحمن ، (٣٠٥)، تفسير المراغي ،(٣/٤١٧).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام إلى جميع الناس، ونسخ الملل بملته ،(١/١٣٤)، ح(١٥٣).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المبحث السادس

الإيمان باليوم الآخر

الإيمان بالبعث والجزاء ركن من أركان الإيمان، وقضية أساسية من قضايا العقيدة يقوم عليها بناء هذا الدين(١)، ولعظيم حاجة النفوس إلى معرفته والإيمان به، اعتنى القرآن بتقريره والحديث عنه (٢).

إذ هو والإيمان بالله مدار استقامة العبد وفلاحه في أمور دينه ودنياه، وكثيرا ما يقـــرن الله بينهما في آيات كثيرة، قال تعالى:] g f e d c b a ` [h Z [الطلاق : ٢]، و قال:] ! " # $ % ' ( ) * + , - / 0 1 2 3 Z [النساء : ٨٧]، وقال:] يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ â وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا Z [النساء : ٥٩]؛ وتتجلى عناية القـــرآن بترسيخ عقيدة اليوم الآخر بمختلف الأساليب وأنواع الخطاب لبيان الرجوع إلى الله، فجاء التعبير بـــ (الرجوع إلى الله)و (الرد إلى الله)، و (لقاء)، و (الجمع)، و (البعث). (٣)

ويؤمن أهل السنة والجماعة باليوم الآخر،ويعتقدون به اعتقاداً جازماً وتصديقاً كـــاملا ، ويؤمنون بكل ماأخبر الله به في كتابه، وأخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم مما يكون بعد الموت، و ورد فيه نص صحيح، كالحساب،والميزان، والجنة، والنار، وغير ذلك مما أعد الله لخلقه يوم القيامة ،ويوقنون بأن وقت قيام الساعة لا يعلمه أحد إلا الله، قال تعالى:] إِنَّ

---

(١) انظر: المدخل إلى الثقافة الإسلامية، لمحمد رشاد سالم، دار القلم- الكويت- ١٤٠٢هـــ، الطبعة السادسة، (٢٠٣).

(٢) انظر: التبيان في أقسام القرآن، لابن القيم، (١٣).

(٣) انظر: موسوعة المسلم في التوبة والترقي في معارج الإيمان ، لمنير البيَّاتي، (١/١١٧)، دار النفائس، بـــيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـــ-٢٠٠٦م.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ Z [لقمان:٣٤]، ويؤمنون بكل ما وقع وما سيقع من أمارات على قيام الساعة الصغرى والكبرى، لدخولها في الإيمان باليوم الآخر. (١)

والإيمان باليوم الآخر من صلب عقيدة المؤمنين ، وهو من جملة أوصاف المتقين، كما قال تعالى في سورة البقرة:] 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B Z [البقرة: ٤].

فيصف الله عباده المتقين بأنهم يوقنون بالآخرة - وهو ما كان المشركون يجحدون به - ، ويعلمون علما قطعيا مزيحا لما كان أهل الكتاب عليه من الشكوك والأوهام، التي من جملتها: زعمهم أن الجنة لا يدخلها إلا من كان هودا أو نصارى ، ويُعرف اليقين بالله واليوم الآخر بآثار الأعمال وعلى الجوارح واللسان. (٢)

وتقديم المجرور(بالآخرة) على عامله للاهتمام مع رعاية الفاصلة،و يتضمن الثناء عليهم بأنهم أيقنوا بأَهم ما يوقن به المؤمن ، كما يتضمن التعريض بالمشركين ،ونداء على انحطاط عقيدتهم.

والتقديم هنا لا يفيد الحصر، لأنه لا يستقيم معنى الحصر هنا،بأن يكون المعنى أنهم يوقنون بالآخرة دون غيرها، بل هو للقصر، والمعنى: إيقانهم مقصور على حقيقة الآخرة لا يتعداها إلى خلاف حقيقتها مما يزعمه اليهود مثلا،حيث قالوا :] لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا Z [البقرة :١١١]. (٣)

وخُصَّ الإيمان باليوم الآخر بالذكر بعد العموم-حيث ورد في قوله تعالى: (يؤمنون بالغيب)- لأنه أحد أركان الإيمان ،ولأنه أعظم باعث على الرغبة والرهبة والعمل ، ولأنه مِلاَك التقوى والخشية التي جعلوا موصوفين بها؛فإن اليقين بدار الثواب والعقاب هو الذي

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى، (٣/١٤٥-١٤٨)، الإيمان لعبدالله الأثري، (١٤٩-١٥٠).

(٢) انظر: جامع البيان، (١/١٠٥-١٠٦)، إرشاد العقل السليم،(١/٣٣)، تيسير الكريم الرحمن ، (٤١).

(٣) انظر: روح المعاني، (١/١٢٣)،التحرير والتنوير ، (١/٢٤٠).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

يوجب الحذر فيما ينجي النفس من العقاب، وينعمها بالثواب، وذلك الذي ساقهم إلى الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم، ولأن هذا الإيقان بالآخرة من مزايا أهل الكتاب من العرب في عهد الجاهلية، فإن المشركين لا يوقنون بحياة ثانية. (١)

ولإيثار (يوقنون) هنا في التعبير عن إيمانهم بالآخرة خصوصية مناسبة لبلاغة القرآن ،لأن هذه المادة تشعر بأنه علم حاصل عن تأمل وغوص الفكر في طريق الاستدلال ،لأن الآخرة لَمَّا كانت حياة غائبة عن المشاهدة، غريبة بحسب المتعارف -وقد كثرت الشبه على نفيها وإحالتها -، كان الإيمان بها جديراً بمادة الإيقان، بناء على أنه أخص من الإيمان.(٢)

وجاء في موضع آخر الثناء على المحسنين المؤمنين باليوم الآخر، والحكم بفلاحهم،يقول تعالى:] ! " # $ % & ' ( ) * + ,

: 9 8 7 6 5 4 3 2 1 0 / . -

[لقمان :١-٥] Z ? > = <

فالقرآن الكريم وآياته هادية من الزيغ والضلال لمن هم أحسنوا العمل واتبعوا شرع الله، ومن صفاتهم أنهم أقاموا الصلاة على الوجه الأكمل ،وآتوا الزكاة المفروضة لمستحقيها ، وأيقنوا بالجزاء في الدار الآخرة ورغبوا إلى الله في ثواب ذلك لم يراؤوا به ولا أرادوا جزاءً من الناس ولا شكوراً ، وهم أهل الفلاح والثواب، وأهل السلامة من سخط الله وعقابه. (٣)

وما يخلو قلب من الإيمان بالآخرة إلا ويخرب خرابا لا يُرجى معه فلاح (٤)؛ والآيات تشير في غير موضع إلى أن غياب الإيمان بهذا اليوم يجعل القلوب محطا للفساد، يقول تعالى عن

(١) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ، (٢٣٩/١).
(٢) انظر: روح المعاني للألوسي ،(١٢٢/١-١٢٣).
(٣) انظر: الكشاف ، (٤٩٦/٣)، أنوار التنزيل، (٣٤٤/٤)، تفسير ابن كثير، (٢٣٩/٣).
(٤) انظر: مدارج السالكين لابن القيم ، (١٤٥/١).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وحـــي الـــشياطين: [S T U V W X Y Z

[\ ] ^ _ Z [الأنعام : ١١٣].

ويجعل –تعالى- في مواضع أخر عدم إيمان الكفار بالآخرة سببا لضلالهم، وعنـــادهم [١]،

[c d e f g h i j k l m n

Z o [النحل : ٢٢]، [وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ Z à

[المؤمنون : ٧٤].

ولا يتصور أنه يمكن للحياة أن تستقيم، و للعيش أن يهنأ إلا بالإيمان بالآخرة، لأن من لا يؤمن به لا يتأتى له التكيف مع الحياة، و لا يتقبل وجوده، إذ الفراغ العقيدي طريـــق إلى الاضطراب العقلي والنفسي، وقد يؤدي بالإنسان إلى الجنون، أو الانتحار، إذ لا بد مـــن عقيدة تفسر للإنسان وجوده على هذه الأرض، وأن حياة الدنيا لا تعدو كونها مقدمـــة لحياة أدوم وأسمى. [٢]

ومن هنا فإن المتقين الذين كان إيمانهم باليوم الآخر أقوى، كانوا أكثر اتباعا للـــشرع في الدنيا، لرغبتهم في الفوز بما عند الله في الدار الآخرة، وهذا أقوى دافع للتزود بالأعمـــال الصالحة ، وترك المعاصي ، و عدم الانبهار بزخرف الدنيا وزينها خصوصا في هذا الوقت الذي تكالبت فيه فتن الشبهات والشهوات.

وكما أن الإيمان باليوم الآخر ضرورة خلقية للمرء فهو مهم للمجتمع، لأنه لا يقوم مجتمع فاضل بغير عقيدة اليوم الآخر، فهو وقود سيره للقمة ، ودليله إلى الفلاح والنجاة، ومـــن عوامل قوته. [٣]

وباختصار فإن الإيمان باليوم الآخر أنجع الطرق لصلاح الظاهر والباطن، وتهذيب ســـلوك الفرد والمجتمع.

---

(١) انظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود ،(١٠٦/٥)، (١٤٥/٦).

(٢) انظر: مفاهيم قرآنية حول حقيقة الإنسان، لفاروق الدسوقي، المكتب الإسلامي- بـــيروت- ١٤٠٦هـــــ، الطبعة الثانية، (١٠)، مبادئ الإسلام لأبي الأعلى المودودي، (١١٤،١١٨)، طبع ونشر الرئاســـة العامـــة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤٠٤هـــ، ١٩٨٤م.

(٣) انظر: المسلمون ودورهم لأبي الحسن علي الحسيني الندوي، (١٦-١٨) ، مكتبة الأمل، بيروت، بدون .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وعلى الباحثين عن أمن الإنسانية وسلامها أن يدركوا ما لهذه العقيدة من أثر في سلوك الإنسان، وأنها السبيل الوحيد لتحقيق الأمن وبلا تكاليف، وهذا مالا تستطيعه أي وسيلة كانت؛ ولا تسل عن التكاليف الباهظة التي تدفعها البشرية لتحقيق الأمن، ودفع الفساد، ولا تسل عن ما تنفقه الدول لحماية نفسها، وشراء الأسلحة، وسعيها الحثيث للحصول على أقوى الأسلحة وأشدها فتكا، ولم تؤت هذه التكاليف باهظة ثمارها، فنرى فسادا ودمارا، وتسلطا وتشردا، ومباهاة بهذا، وتهديد بدمار شامل صباح مساء. (١)

(١) انظر: كلمة الحق في القرآن الكريم: موردها ودلالتها، لمحمد الراوي، جامعة الإمام- الرياض- ١٤٠٩هـ، (٤٦٨/١).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المبحث السابع

الإيمان بالقدر خيره وشره

القدر هو القَضَاءُ والحُكْمُ ومَبْلَغُ الشَّيءِ ونِهَايَتُه، وعلى هذا المعنى توالت أقوال أهل العلم.(١)

والإيمان بأن كل حادث في الكون خاضع لقدرة الله ، خَلْقا ومشيئة، قد سبق به العلم، وجرى به القلم ؛ ركن من أركان الإيمان، ذو تأثير ظاهر لنظرة المؤمن إلى ما يصيبه في هذه الحياة، وما فيها من مواقف، وتفيض عليه سمات خاصة ، يرتفع فيه على ضعف النفس التي تهلع لما يصيبها،] K L M N O P Q R S T [Z \ [ ] Z Y X W V U [المعارج : ١٩ - ٢٢].(٢)

وأهل السنة والجماعة يعتقدون اعتقادا جازما أن كل شيء- من خير أو شر - هو بقضاء الله وقدره، وأن الله فعال لما يريد، لا يخرج شيء عن مشيئته، عَلِمَ كلَّ ما كان وما يكون من الأشياء قبل أن تكون، وقدّر المقادير حسبما اقتضته حكمته سبحانه، وسبق به علمه، وعَلِم أحوال العباد، وأرزاقهم وآجالهم، وغير ذلك، قال تعالى:] z y { | } ~ [Z ﴿٣٨﴾ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا [الأحزاب:٣٨]، وقال تعالى:] à â ê Z ﴿٤٩﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ [القمر:٤٩].(٣)

---

(١) معجم مقاييس اللغة ،لابن فارس، مادة قدر،(٦٢/٥)، مختار الصحاح للرازي، مادة قدر(٢١٩)، القاموس المحيط للفيروزآبادي ،مادة قدر،(٥٩١).

(٢) انظر في تعريف القدر: شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، للشيخ صالح الفوزان،مكتبة المعارف- الرياض- ١٤١٣هـ، الطبعة السادسة، (١٦٢)، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، لمحمد السفاريني الحنبلي، المكتب الإسلامي- بيروت- ١٤١١هـ، الطبعة الثالثة، (٣٤٨/١)، القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه،للشيخ عبدالرحمن بن صالح المحمود،دار النشر الدولي- ١٤١٤هـ، الطبعة الأولى، (١٨)، القضاء والقدر لعمر الأشقر، دار النفائس- الكويت- ١٤١٠هـ، الطبعة الثانية، (٢٥-٢٦).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى، (٣٧٤/٣)، الإيمان حقيقته ، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة لعبدالله الأثري، (١٥٩).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: اتفق سلف الأمة وأئمتها على الإيمان بالقضاء والقدر ،وأن الله خالق كل شيء، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن،وأنه يضل من يشاء ويهدي من يشاء، وأن العباد لهم مشيئة وقدرة، يفعلون بمشيئتهم وقدرتهم ما أقدرهم الله عليه ،مع قولهم أن العباد لا يشاؤون إلا أن يشاء الله، كما قال الله تعالى: [G F E Y X W V U T R Q P O N M L K J I H Z [المدثر:٥٤-٥٦]، وقال تعالى: [F E D C B A ? > = Z T S R Q P O M L K J I H G [الإنسان:٢٩-٣٠]، وقال في سورة التكوير: [﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ Z[التكوير:٢٧-٢٩] .(١)

ويثمر الإيمان بالقدر ثمرات جليلة، وأخلاقاً حميدة، وعبوديات متنوعة، يفلح بها الفرد والجماعة في الدنيا والآخرة، فمن هذه الثمرات (٢):

تمام الإيمان، فلا إيمان تام للعبد إلا به، قال ابن القيم: (... فشهوده توحيد الرب وانفراده بالخلق، ونفوذ مشيئته وجريان قضائه وقدره، يفتح له باب الاستعاذة، ودوام الالتجاء إليه، والافتقار إليه، وذلك يدنيه من عتبة العبودية، ويطرحه بالباب فقيرا عاجزا مسكينا، لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا).(٣)

وبالإيمان بالقضاء والقدر يتحقق التوكل على الله، واللجوء إليه ، يقول ابن القيم: (قال شيخنا -رضي الله عنه-: ولذلك لا يصح التوكل ولا يتصور من فيلسوف، ولا من

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى،(٨/ ٤٥٩).

(٢) انظر: الفوائد ، لابن القيم ،دار الكتب العلمية - بيروت - ١٣٩٣ هـ- ١٩٧٣ م ، الطبعة الثانية، (١٣٧-١٣٩) ، القضاء والقدر لعمر الأشقر، (١٠٩-١١٢)، رسائل في العقيدة لمحمد بن صالح بن عثيمين، مكتبة المعارف- الرياض- ١٤٠٤ هـ -١٩٨٣م، الطبعة الثانية، (٣٩-٤٠)، القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه، للشيخ عبدالرحمن بن صالح المحمود، (٢٩٣-٢٩٤).

(٣) طريق الهجرتين وباب السعادتين ، لابن القيم ،دار ابن القيم - الدمام - ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : عمر بن محمود أبو عمر، (١/٢٦٢-٢٦٣).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

القدرية [١] النفاة القائلين : بأنه يكون في ملكه ما لا يشاء، ولا يستقيم أيضا من الجهمية [٢] النفاة لصفات الرب جل جلاله، ولا يستقيم التوكل إلا من أهل الإثبات) [٣].

وفي الإيمان بالقضاء والقدر خلاص من الشرك-فإن القدرية ضلوا في هذا الباب -، وحصول الراحة النفسية و الطمأنينة والرضا، فإنه إذا علم أنها من عند الله اطمأنت نفسه، قال تعالى [. / 0 1 2 3 4 6 7 8 9 : Z] [التغابن:١١]، قال ابن جرير: من يصدق بالله فيعلم أنه ما من أحد تصيبه مصيبة إلا بإذن الله، يوفق الله قلبه بالتسليم لأمره والرضا بقضائه.[٤]

و غير ذلك من الفوائد والثمرات التي يجنيها الإنسان بتحقيقه هذا الركن العظيم.

و لم يرد في القرآن نصٌّ صريح بأن من أسس الفلاح الإيمان بالقدر، إلا أنه من الثابت عند أهل السنة والجماعة أن الإيمان بالقدر واجب، ولا يتم إيمان العبد إلا بتحقيقه، ولا فوز

---

(١) القدرية هم نفاة القدر الذين يقولون لا قدر والأمر أنف، وهذا نفيٌ لعلم الله تعالى السابق، وأول من قال بالقدر معبد الجهني في أواخر عصر الصحابة، وأخذ عنه غيلان الدمشقي، والمعتزلة يلقبون بالقدرية لإسنادهم أفعال العباد إلى قدرهم، وإنكارهم القدر فيها؛ فالقدرية يشمل كل المعتزلة، والمعتزلة هم القدرية.
انظر: المواقف لعضد الدين عبدالرحمن بن أحمد الإيجي، (٦٥٨/٣)، تحقيق عبدالرحمن عميرة، دار الجيل-لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، لعبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي أبو منصور، (٩٣-٩٦)، دار الآفاق الجديدة ، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٧م، الملل والنحل لمحمد بن عبدالكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، (٤٣/١-٤٤)، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٤هـ.

(٢) الجهمية: إحدى الفرق الكلامية، ذات اعتقادات خاطئة في مفهوم الإيمان، وفي صفات الله تعالى وأسمائه، وترجع في نسبتها إلى الجهم بن صفوان، والذي كان عالما فقيها، ولشدة اعتنائه بالرأي كان كثير المناظرة، حتى ناظر طائفة فآل به الأمر أن نفى الصفات،وعطل الرب جل وعلا من صفاته؛ و للجهمية آراء وعقائد كثيرة، منها: إنكار جميع الأسماء والصفات لله، وجعل الأسماء من قبيل المجاز، والقول بأن الإيمان يكفي فيه المعرفة كالمرجئة، ويرون أن الإنسان في أفعاله كالريشة في مهب الريح ، وينكرون كثيرا من أمور الآخرة، كالصراط والميزان.
انظر: المواقف للإيجي، (٧١٢/٣-٧١٣)، الملل والنحل للشهرستاني، (٨٦/١-٨٨).

(٣) مدارج السالكين لابن القيم ،(١١٨/٢).

(٤) انظر: جامع البيان لابن جرير، (١٢٣/٢٨)،الإيمان بالقضاء والقدر، لمحمد إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة-الرياض-١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، الطبعة الثالثة، (٢١).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ولا فلاح ولا نجاة إلا بالإيمان بأركانه كلها، ففي صحيح مسلم من حديث جبريل:(أن تؤمن بالله ،وملائكته،وكتبه،ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره) [١] ، فكيف لنفس أن تفلح في دنياها وأخرها، وكيف لها أن تسعد في الدنيا وهي حاقدة ناقمة على شيء من الرزق فاتها، وكان بمقدورها أن تريح نفسها، وتُطَمْئِن بالها بأن تعلم أن ما أخطأها لم يكن ليصيبها ، وما أصابها لم يكن ليخطأها، وأن الله قد قدَّر آجال الخلق وأرزاقهم؛ وكيف ترجو نفس الفوز وهي لم ترضَ بما قسم الله لها، و أنَّى لها أن تظفر بخيري الدنيا والآخرة، وهي ناقمة ساخطة على أقدار الله.

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى : (إن الله عنده علم الساعة) ،(١٧٩٣/٤)، ح(٤٤٩٩)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الإسلام والإيمان والإحسان ،(٣٧/١)، ح(٨)، واللفظ لمسلم.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المبحث الثامن

الإيمان بالغيب

أصل الغيب كل ما غاب عنك من شيء[١]؛ واستعمل في كل غائب عن الحاسة وعما يغيب عن علم الإنسان، فيقال للشيء غيب باعتباره بالناس لا بالله تعالى، فإنه لا يغيب عنه شيء، كما] V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e Z [سبأ : ٣]. [٢]

وأصل الإيمان هو الإيمان بالغيب، كما قال تعالى:] - . / Z [البقرة: ٣]، والغيب الذي يؤمن به: ما أخبرت به الرسل من الأمور العامة، ويدخل في ذلك الإيمان بالله وأسمائه وصفاته، وملائكته ، والجنة والنار، والإيمان برسله وباليوم الآخر، قال تعالى :

] * + , - . / 0 1 2 3 Z

]البقرة:١٧٧]. [٣]

وفلاح المتقين مرهون بإيمانهم بكل ما جاء به الشرع من عالم الغيب ، إيمانٌ لا يطرأ عليه شك ولا ريبة، بل مستمر متجدد كما أفاد الفعل المضارع [٤] في قوله تعالى:] - . / Z [البقرة: ٣]،فالمفلحون المتقون يؤمنون بكل ما أخبر الله به أو أخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم قولا وعملا واعتقاداً ، سواء شاهدوه أو لم يشاهدوه ،وسواء فهموه وعقلوه، أو لم يهتد إليه عقلهم وفهمهم؛ وليس الشأن في الإيمان بالأشياء المشاهدة بالحس، فإنه لا يتميز بها المسلم من الكافر، إنما الشأن في الإيمان بالغيب الذي لم يُشاهده، وإنما يُؤمن به لخبر الله وخبر رسوله صلى الله عليه وسلم، وهذا هو الإيمان الذي يَمِيْزُ به المسلم من الكافر، لأنه تصديق مجرد لله . [٥]

---

(١) جامع البيان لابن جرير، (١/١٠٢)، فتح القدير للشوكاني، (١/٣٥).

(٢) انظر: المفردات للراغب، مادة غيب، (٣٦٦-٣٦٧).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى، (١٣/ ٢٣٢-٢٣٣).

(٤) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، (١/٢٢٩).

(٥) انظر: تفسير ابن كثير،(١/٤١-٤٢)، تيسير الكريم الرحمن ،(٤٠)، تفسير المراغي،(١/٤٣).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ووجه تخصيص الإيمان بالغيب بالذكر دون غيره من متعلقات الإيمان لأنه هو الأصل في اعتقاد إمكان ما تخبر به الرسل –عليهم السلام- عن وجود الله والعالم العلوي، فإذا آمن به المرء قاده إلى سماع دعوة الرسول، والنظر فيما يُبلِّغه عن الله تعالى، فيسهل عليه إدراك الأدلة، وتقبل الشرائع؛ وخُصَّ الإيمان بالغيب بالذكر مع إقامة الصلاة والإنفاق لإظهار شرف هذه العبادات وعلو منزلتها، لأنها أمهات العبادات البدنية والمالية المستتبعة لسائر القرب، الداعية إلى تجنب المعاصي غالبا [١].

ويظهر الأسلوب البلاغي في قوله تعالى: (بالغيب)، حيث استَعمل أسلوب إيجاز القصر،لأن المراد أن الإيمان شامل لكل غائب، كالملائكة، وغيرها. [٢]

فالمتَّقون المفلحون يؤمنون بكل ما أخبرت به الرسل ، ويؤمنون بأن المصدر في الشؤون الغيبية هو القرآن وحده، وما ورد في السنة الصحيحة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، و يقفون عند النص ، ولا يتكلفون تأويلها.

والإيمان بالغيب كفيل بعلاج الأمراض العقلية والاضطرابات النفسية، والمعضلات الصحية التي يرى الأطباء أنها لا تعالج إلا بصعوبة ،وربما لا يشفى صاحبها، بعكس المؤمن بالغيب، لا يتحسر على الماضي، ولا يسخط على الحاضر، ولا يخاف من المستقبل، مؤمن بأن ما اختاره الله له هو الأصلح والأنفع. [٣]

و نحن إذا كنا نريد أن نكون من ركب الفلاح والفوز ، ونريد الإصلاح الجذري لحياتنا، فلا صلاح إلا بتغيير النفوس، و جبرها على اتباع الشرع لا الهوى، وعلى رأس ذلك: الإيمان بالغيب لأنه أصل الإيمان وجماع الأمر، فهو يشمل الإيمان بالله وأسمائه وصفاته ، وبالملائكة، وبالرسل، وبالكتب، وبالقدر، وبهذا يحصل لنا الصلاح في الدنيا، و الفلاح في الآخرة والفوز بنعيم الجنة، ومغفرة الله ورضوانه.

وهذا الإيمان باعث على العمل، لأن مجرد الإيمان لا يكفي، بل لابد من اقترانه بالعمل، فيتزود العبد بخير الزاد، حتى يلقى ربه وهو مؤمن تام الإيمان؛ وسيكون الحديث في المبحث

---

(١) انظر: الكشاف ، (١/٧٩-٨٠) ، إرشاد العقل السليم ،(١/٢٩)،التحرير والتنوير، (١/٢٣٠).

(٢) انظر: البلاغة القرآنية في آيات صفات المؤمنين، لهند نايته،(١/٣٣٦).

(٣) انظر: المفلحون في القرآن الكريم،للأستاذ الدكتور بدر بن ناصر البدر،(٢٦)، دار ابن خزيمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

التالي عن اقتران الإيمان بالعمل، لأن ذاك حقيقة الإيمان، به يتحقق الإيمان، وتسعد النفس، وتنجو من الشر والعذاب، وتحصد الوفير من الحسنات.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المبحث التاسع

اقتران الإيمان بالعمل الصالح

كل عبد سائر لا يتوقف، فإما إلى أعلى وإما إلى أسفل] لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ Z [المدثر : ٣٧]، فلا وقوف ألبتة؛ و معيشة العبد وسنوات عمره هي مراحل تُطوى سريعا إما إلى جنة وإما إلى نار، فالكل سائر، لكنهم يختلفون في جهة المسير، وسرعته، ومن لم يُقدِّم لنفسه الحصاد الحسن، و لم يَتَقَدَّم إلى الجنة بالإيمان والعمل الصالح فهو متأخر إلى النار بالكفر والأعمال السيئة.

وواجب على المؤمن الاجتهاد في التقدم للجنة ، ولا يكفيه في ذلك مجرد الإيمان حتى يقترن بالعمل، وليس أي عمل بل العمل الصالح، لأن الإيمان هو الإقرار، والإقرار متضمنٌ لقول القلب وعمله، وهما تصديق الأخبار والانقياد للأوامر، فلابد للإيمان من أعمال قلبية تستلزم أعمالا ظاهرة [١].

وتواترت الأدلة في نصوص الوحيين، واتفقت أقوال العلماء على أن الإيمان في الشرع قول وعمل [٢]، يقول ابن تيمية: المأثور عن الصحابة وأئمة التابعين وجمهور السلف، وهو مذهب أهل الحديث، وهو المنسوب إلى أهل السنة، أن الإيمان قول وعمل، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. [٣]

ويقول:(كان من مضى من سلفنا لا يُفرِّقون بين الإيمان والعمل، العمل من الإيمان و الإيمان من العمل ،وإنما الإيمان اسم يجمع كما يجمع هذه الأديان اسمها ويصدقه العمل ،فمن آمن بلسانه وعرف بقلبه وصدق بعمله فتلك العروة الوثقى التي لا انفصام لها ، ومن قال بلسانه و لم يعرف بقلبه و لم يصدق بعمله كان في الآخرة من الخاسرين ،وهذا معروف عن غير واحد من السلف والخلف أنهم يجعلون العمل مصدقا للقول). [٤]

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى،(٧/٣٠٦- ٦٣٨)، الإيمان حقيقته خوارمه، نواقضه، لعبد الله الأثري،(٢٤).

(٢) انظر: العقيدة الواسطية لابن تيمية،(٣٩).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى،(٧/٥٠٥).

(٤) المصدر السابق ،(٧/٢٩٦).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

و نقل ابن عبد البر[١] إجماع الفقهاء والمحدثين على أن الإيمان قول وعمل، فقال: أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل ،ولا عمل إلا بنية ، قول باللسان وهو الإقرار والاعتقاد بالقلب ،وعمل بالجوارح مع الإخلاص بالنية الصادقة، وكل ما يطاع الله عز وجل به من فريضة ونافلة. [٢]

وفي بعض الآيات يعطف الله على الإيمان الأعمال الصالحة، لئلا يظن أحد أن الإيمان يكتفى فيه بما في القلب، بل الأعمال الصالحة من الإيمان، ومن لوازم الإيمان [٣] ؛ وفي آيات أخرى ينص على أن اقتران الإيمان بالعمل الصالح من عوامل الفلاح والفوز، يقول تعالى] فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ ۝٦٧ يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ۝٦٧ Z [القصص :٦٧].

فلابد من العمل الصالح حتى يُعتدَّ بالإيمان، إذ لا قيمة لإيمانٍ مجرد عن عمل الصالحات، ومن جمع بينهما فآمن وعمل بما أمره الله بعمله في كتابه وعلى لسان رسوله فهو من المفلحين الفائزين بمطالبهم من سعادة الدارين. [٤]

ونرى في سورة (المؤمنون) الحكم على المؤمنين بالفلاح لأنهم جمعوا مع الإيمان الأعمال الصالحة والتي هي من الإيمان، فكان وصفهم بالفلاح جديرا ، قال تعالى:] ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < =

---

(١) هو أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر بن عاصم النَمَريّ الأندلسي القرطبي المالكي، المعروف بابن عبدالبر، إمام فقيه حافظ مجتهد، محدث عصره، كان قاضيا مؤرخا، صاحب التصانيف المهمة، والتي منها: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، جامع بيان العلم وفضله، مات سنة ٤٦٣هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (١٨/١٥٧)، طبقات الحفاظ للسيوطي،(٤٣١).

(٢) انظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري ، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب – ١٣٨٧هـ ، تحقيق : مصطفى بن أحمد العلوي ،محمد عبد الكبير البكري،(٩/٢٣٨،٢٤٣).

(٣) انظر: التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، لعبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق أشرف عبدالمقصود، (٢٦-٢٧)، أضواء السلف ، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢ م.

(٤) انظر: جامع البيان،(٢٠/٩٩)، فتح القدير، (٤/١٨٢).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

K J I H G F E D C B A @ ?>

W V U T S R Q P O N M L

c b a ` _ ^] \ [Z Y X

d Z [المؤمنون :١-١١]، وما كان لهم أن يحوزوا هذه المرتبة –الفلاح ودخول الجنة- بمجرد إيمانهم حتى يقترن مع عمل الصالحات، وحتى يتصفوا بتلك الصفات العالية القدر ، العظيمة الأثر في حياتهم، لأن مجموع هذه الصفات محقق للفوز في الآخرة. (١)

وورد في القرآن نصوص كثيرة، كان العمل الصالح فيها –وليس أيّ عمل- قرين الإيمان، قال تعالى:] c b a ` _ ^] \ [Z Y [

d Z[النحل:٩٧]، وقوله :] > = < ; : 9 8 7 [

J I H G F E D C B A @ ?

X W V U S R Q P O N M L K

\ [Z Y XW [و] Z \ [Z Y [الأنفال:٢-٤]

X W V [و] Z e d c b a ` _ ^] [الكهف:٨٨]

e d c b a ` _ ^] \ [Z Y

f Z [القصص:٨٠]، وقوله تعالى:] ! " # $

*) (' & % $

+ , - . / 0 1 2 Z [التوبة:١١٢]، و قوله:

] إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ´ µ ¶ ¸ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ Z [الكهف:١٠٧].

(١) انظر: تفسير المراغي ، (٦/٢٦٧-٢٦٩)، التفسير المنير ،(٩/٣٢٤).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وقال عليه الصلاة والسلام: (الإيمان بضع وسبعون شعبة، فأفضلها قول لا إلـــه إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان) [١].

وعن ابن عباس –رضي الله عنهما-أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لوفد عبـــد قـــيس، عندما سألوه عن أمور الدين، فأمرهم وقال:(آمركم بالإيمان بالله وحده)و قال: (أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟)،قالوا :الله ورسوله أعلم، قال: (شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله،وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخُمُـــس) [٢].

وغيرها من النصوص التي لا يُفهم منها إلا وجوب اقتران الإيمان بالعمل، ونصت على هذا صراحة، وبينت أن صفة المؤمن هو الذي يفعل ما يوجبه الشرع مـــن أعمـــال القلـــب والجوارح، وهذا هو القول الحق الذي أجمع عليه سلف الأمة، ومن تـــبعهم بإحـــسان؛ فالعمل صورة الإيمان وجوهره، وهو من لوازمه ومقتضياته، لأن الحكمة من إيجاد الخلـــق وخلقهم عبادة الله عز وجل، والعبادة لا تُقبل إلا إن كانت خالصة لله، وموافقة للشرع، فيزداد إيمانه، ويكسب من أصول الفضائل الروحية والعملية التي بها تزكية النفس واستقامة السلوك، وبها النجاة والظفر بالمطلوب، والفلاح في الآخرة.

و من لم يقرن العمل بالإيمان كان كمن أقام أساس البناء و لم يَبْنِ شيئا ، والله عز وجـــل أمرنا بإقامة أساس الدين(وهو العقيدة)، وإقامة بنائه(وهو الطاعة والعبـــادة لله)[٣]، ومـــن أعظم ما أُمرنا به من أساس الدين تحقيق عقيدة الولاء والبراء، وسنبين في المبحث التـــالي الحديث عنها لأنها من أهم أسس الفلاح.

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان وأفضلها وأدناها، (٦٣/١)، ح(٣٥)، وبنحـــوه أخـــرج البخاري في كتاب الإيمان ، باب أمور الإيمان، (١٢/١)، ح(٩).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب أداء الخمس من الإيمان،(٢٩/١)، ح(٥٣)، ومـــسلم في كتـــاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ،(٤٨/١)، ح(١٨).

(٣) انظر: عقيدة المسلم في ضوء القرآن والسنة النبوية، لخالد عبدالرحمن العك، دار الإيمان- دمشق-١٤٠٨هـــ-١٩٨٨م، الطبعة الأولى، (٥٢).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المبحث العاشر

الولاء والبراء

أمّتنا تعيش مرحلةً جديدة في تاريخها ، تحتاج فيها إلى تكاتف الأيدي، لأنها تعاني الويلات، وتذوق مرارة الضغوط الرهيبة، جراء الكيد بها وبعقائدها، ومن هذه العقائد التي وُجّهت إليها سهامُ الأعداء، وانجرَّ وراءهم بعضُ البُسطاء والغُلاة: عقيدةُ الولاء والبراء.

وبالنظر في أدّلة الكتاب والسنّة وُجد أن معتقد الولاء والبراء يرجع إلى معنيين، هما : الحُبُّ والنُّصْرةُ في الولاء ، وضِدُّهما في البراء.

وعلى هذا فالولاء شرعاً ، هو : حُبُّ الله تعالى ورسوله ودين الإسلام وأتباعِه المسلمين،ونُصْرةُ الله تعالى ورسولِه ودينِه والمسلمين .

والبراء هو: بُغْضُ الطواغيت التي تُعبَدُ من دون الله تعالى ، وبُغْضُ الكفر (بجميع مللِه) وأتباعِه الكافرين، ومعاداة ذلك كُلِّه . (١)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (الولاية ضد العداوة،وأصل الولاية المحبة والقرب، وأصل العداوة البغض والبعد).(٢)

و لا بد في الإيمان من محبة القلب لله ولرسوله، ومن بغض من يحاد الله ورسوله ، ومن تمام محبة الله ورسوله بغض من حادّ الله ورسوله ، وإذا قوي ما في القلب من التصديق، والمعرفة، والمحبة لله ورسوله أوجب بغض أعداء الله. (٣)

وليس في كتاب الله –عز وجل- بعد التوحيد ونبذ الشرك- من الأدلة على حكم شيء مثلما ما لعقيدة الولاء والبراء. (٤)

ومن ذلك قوله تعالى:] ~ ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ١٣٨ ﴾ ﴿ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا

(١) انظر: حقيقة الولاء والبراء في معتقد أهل السنة والجماعة،لسيد سعيد عبد الغني، الطبعة الثانية-١٤٢٢هـ، (٢٧_٣١).

(٢) مجموع الفتاوى،(١١/١٦٠-١٦١).

(٣) المصدر السابق، (٧/١٤٧و ٥٢٢)،(٨/٣٦١).

(٤) انظر: مواقف إيمانية، لأحمد فريد، دار طيبة-الرياض- ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م، الطبعة الثالثة، (٤٣٥-٤٣٧).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ٱلۡكَٰفِرِينَ © مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ ´ µ ¶
Z[النساء : ١٣٨-١٣٩].

و قال تعالى :] ! " # $ % & ' ( ) + , -
. / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; Z [المائدة : ٥١].

و قال تعالى:] لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ´ ¶ ¸
ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ
ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ Z [آل عمران : ٢٨]

وكذلك السنة، فعن جرير بن عبدالله البجلي [١] –رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بايعه على أن (تنصح للمسلم، وتبرأ من الكافر). [٢]

وقال صلى الله عليه وسلم :(مَثَلُ المؤمنين في توادِّهم وتراحُمِهم وتعاطُفهم مَثَلُ الجسد ، إذا اشتكى منه عضو ، تَدَاعى له سائر الجسد بالسهر والحُمّى) [٣]، وفي حديث آخر:قال صلى الله عليه وسلم : (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بَعْضُه بعضاً) [٤] .

ونصوص أخرى كثيرة، نظرا لارتباط معتقد الولاء والبراء بوجود الإسلام؛ ولهذا التلازم بين أصل الإيمان والولاء والبراء، جاء في كتاب الله خبرٌ بنفي وجود مؤمن يحب الكافرين لكفرهم، لأنه لا يجتمع حب النقيضين في قلب واحد أبداً،قال تعالى:] ! "
$ % & ' ( ) * + , - .
/ 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ;
< = > @ A B C D E F G H I

---

(١) أبو عمرو جرير بن عبدالله بن جابر بن مالك البجلي ، بسط له النبي عليه الصلاة والسلام رداءه وأكرمه، وكان سيدا مطاعا، أسلم في السنة العاشرة، وجهه النبي عليه الصلاة والسلام إلى ذي الخلصة فهدمه، ونزل الكوفة ومات سنة ٥١هـ.
الإصابة لابن حجر، (٤٧٥/١)، أسد الغابة لابن الأثير، (٤٠٩/١).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، (٣٥٧/٤)، ح(١٩١٧٦)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، (٢٣٠/٢)، ح(٦٣٦).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم،(٢٢٣٨/٥)، ح(٥٦٦٥)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ،(١٩٩٩/٤)، ح(٢٥٨٦).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب المظالم والغصب، باب نصر المظلوم،(٨٦٣/٢)، ح(٢٣١٤)، ومسلم في كتاب البر والصلة الآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ،(١٩٩٩/٤)، ح(٢٥٨٥) .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

[المجادلة: Z Y X W V U T S R Q P O N M L K J ٢٢].

فلا يجتمع إيمان مع موالاة أعداء الله ، ولا يكون العبد مؤمناً بالله واليوم الآخر حقيقةً إلا إذا كان عاملاً بمقتضى الإيمان ولوازمه ، من محبة من قام بالإيمان وموالاته ، وبغض من لم يقم به ومعاداته؛ ولا أَدْخَلَ في الإخلاص من موالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه [١]، ولو كان أقرب الناس إليه آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ؛ وليس المراد التخصيص بل المراد الأقارب مطلقاً ،و إنما رتبت أصناف القرابة في هذه الآية على طريقة التدلّي من الأقوى إلى من دونه، لئلا يتوهم أن النهي خاص بمن تقوى فيه مظنة النصيحة له والائتمار بأمره، فبدأ بالآباء لكونهم أكبادهم ، وختم بالعشيرة لأن الاعتماد عليهم والتناصر بهم بعد الأخوان غالبا [٢].

فإذا حصل في القلب مودّة أعداء الله لم يحصل فيه الإيمان الصحيح بل يفسد، ولا يكون مخلصاً في إيمانه ، بل يكون صاحبه منافقاً. [٣]

ومن التزم بمحبة أولياء الله و ترك مودة أعداء الله فهو موعود بالحياة الطيبة في هذه الدار ، وجنات النعيم في دار القرار ، ورضوان من الله، وهو من جند الله وأنصاره وأهل كرامته، أهل الفلاح والسعادة والنصرة في الدنيا والآخرة [٤].

يقول الشنقيطي: وردت هذه الآية الكريمة بلفظ الخبر ، والمراد بها الإنشاء، وإيراد الإنشاء بلفظ الخبر أقوى وأوكد من إيراده الإنشاء. [٥]

فأهل الإيمان الكامل لا يوادُّون من فيه معنى من محادّة الله ورسوله بترك الشريعة عمداً والاستخفاف بحرمات الإِسلام ، وقلة احترام شعائر الدين، ومخالفة نهج الإسلام في الاعتقاد.

---

(١) انظر: نظم الدرر للبقاعي ، (٥٠٨/٧).

(٢) انظر: روح المعاني ، (٣٦/٢٨)، التحرير والتنوير ، (٥٩/٢٨)، تيسير الكريم الرحمن، (٨٤٨).

(٣) انظر: نظم الدرر للبقاعي ، (٥٠٧/٧-٥٠٨).

(٤) انظر: جامع البيان ،(٢٦/٢٨-٢٧)، تفسير ابن كثير،(٣٣٠/٤-٣٣١)،تيسير الكريم الرحمن،(٨٤٨).

(٥) انظر: أضواء البيان للشنقيطي، (٥٥٦/٧).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

و كيف لأمة ترجو النصر والتأييد من الله والفلاح، وبعض أفرادها يوادون أعداء الملة والدين، وقد نص الله – عز وجل- على أن الفلاح لحزب الله، ومن صفاتهم أنهم لا يوادون من حادّ الله ورسوله، وأي ظلم بعد موالاة الفرد لأعداء أمته وأعداء الله ورسوله؛ و ما نشاهده اليوم من الانبهار بالكفار، وموالاتهم ، وإظهار محبتهم هو خلل كبير في عقيدة فاعله، ومفاهيمه، ودليل على انهزامه هزيمة نفسية نكراء، إذ كيف يقدم محبة أعداء الله والملة على محبة الدين وأتباعه.

وقد فرّق الشرع في المعاملة بين الكافر الذي يبدأ المسلمين بالقتال- فهذا منهي عن موالاته- ،وبين من لم يقاتل المسلمين، و لم يخرجهم من ديارهم ، فهؤلاء ليسوا محلاً للموالاة لكفرهم، لكن لم ينه المسلمين عن برهم والإقساط إليهم ،وفَرْقٌ بين الإذن بالبر والقسط ، وبين النهي عن الموالاة والمودة .

ولا بد من إحياء هذه العقيدة ، وتجسيدها في سلوكنا ومعاملاتنا، وفي تربيتنا لأجيالنا، حتى تتباين الرايات، وتتميز راية التوحيد عن غيرها من الرايات،وحاجة الأمة إلى تبيين هذه المسألة في كل وقت شديدة، وأشد ما تكون في هذا العصر لقوة تشابك مصالح العالم وعمق تداخلها ، وترابط بعضه ببعض في ميادين متعددة ومجالات شتى، خصوصا المجال الاقتصادي، حيث نرى ما يدمي القلب، وبصورة مقلقة، لا على مستوى الأفراد بل على مستوى الجماعات، فظهرت الحاجة –وبشدة- إلى تربية الأبناء وتنشئة الأجيال على أن يكونوا من حزب الرحمن، معادين لحزب الشيطان، وأن يكونوا تحت راية الإسلام، متبرئين من راية الكفر وأهله، مخلصين ولائهم لله، مجتنبين موالاة الكفار؛ ولأن هذا أساس فلاح المرء وسلامة دينه.(١)

(١) انظر: حقيقة الولاء والبراء في معتقد أهل السنة والجماعة،لسيد سعيد عبد الغني،(٦٤٤-٦٤٥).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المبحث الحادي عشر

الصلاة

متى ما آمن العبد بما سبق من أركان الإيمان فقد آمن، ولن يستكمل إيمانه إلا بالطاعة؛ والإسلام عقيدة وشريعة، إيمان وعمل صالح، لا استقامة لإيمان بلا عمل، ورأس العمل الصالح الصلاة، وقد جعل الله إقامتها أول عمل بعد الإيمان، وأنه دليل على صدق الإنسان، وبه يستحق الأخوة الإيمانية، قال تعالى: [l k j i h Z p o n m [التوبة:١١].(١)

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: أصول العبادات البدنية الصلاة والصيام والقراءة ،وعماد الدين الذي لا يقوم إلا به هو الصلوات الخمس المكتوبات، ومن أحب الأعمال إلى الله وأعظم الفرائض ،وواجب على المسلمين من الاعتناء بها مالا يجب من الاعتناء بغيرها، إذ هي أول ما أوجبه الله من العبادات، وتولّى –سبحانه – إيجابها بمخاطبة الرسول صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج، وهي قرينة الشهادتين ،وهي المخصوصة بالذكر في كتاب الله تخصيصاً بعد تعميم، كقوله تعالى:] وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ Z [الأعراف:١٧٠]، وقوله:] ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ´ µ ¶ ¸ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ Z [العنكبوت:٤٥]، وهى المقرونة بالصبر وبالزكاة وبالنسك وبالجهاد في مواضع من كتاب الله، كقوله تعالى:] وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى © ﴿٤٥﴾ Z [البقرة:٤٥]، وقوله: [f e Z m l k j i h g [النور:٥٦]، وقوله:] قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى © رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ Z [الأنعام:١٦٢]، وهي أول ما

(١) انظر: المفلحون،ساهرة فاضل،مكتبة خالد بن الوليد – صنعاء-١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، الطبعة الأولى، (٢٢-٢٣)، مبادئ الإسلام لأبي علي المودودي، (١٢٧).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

يحاسب عليه المرء يوم القيامة، وهي عمود الدين، قال صلى الله عليه وسلم: (رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد) [١].

وتوعد الله من أضاعها، قال تعالى: [} | { z y x w ~ ے فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ Z [مريم:٥٩]، قال عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه- وغيره: إضاعتها تأخيرها عن وقتها، ولو تركوها لكانوا كفاراً. [٢]

والصلاة لغة: الدعاء.[٣]

وفي الشرع: (أقوال وأفعال مخصوصة، مفتتحة بالتكبير، مختتمة بالتسليم). [٤]

والمتتبع لحديث القرآن الكريم عن الصلاة يلمس اهتماما كبيرا بشأنها، وبتقوية صلة المؤمن بها،ذلك لأنها ركن لا يقوم إيمان بدونه، ولا تحصل العصمة بدونها [٥]، قال تعالى: [**فَإِن** © **وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ** Z [التوبة : ٥].

و بين الصلاة والقرآن صلة قوية رباطها وثيق، بل يُطلق لفظ القرآن ويراد به الصلاة[١]، كما في قوله تعالى : [D E G H I J K L Z [الإسراء : ٧٨].

---

(١) أخرجه النسائي في كتاب التفسير، باب قوله تعالى: (تتجافى جنوبهم عن المضاجع)، (٤٢٨/٦)، ح(١١٣٩٤)، وابن ماجه في كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، (١٣١٤/٢)،ح(٣٩٧٣)، والترمذي في كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، (١١/٥)، ح(٢٦١٦)، وقال: حسن صحيح، وصححه الحاكم، (٨٦/٢) ، ح(٢٤٠٨)، ووافقه الذهبي،(٨٦/٢) ، وصححه الألباني في السلسة الصحيحة، (١١٥/٣)، ح(١١٢٢).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى،(٤٢٧/٣-٤٢٨)، (٤٣٣/١٠-٣٩١)، (٧٠/٢٨-٢٦١)، و الأثر عن ابن مسعود رضي الله عنه أخرجه ابن جرير في جامع البيان، (٩٩/١٦).

(٣) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس ، مادة صلى(٣٠٠/٣)، تهذيب اللغة للأزهري، مادة صلى،(١٦٦/١٢).

(٤) الروض المربع شرح زاد المستقنع ، لمنصور بن يونس بن إدريس البهوتي ، مكتبة الرياض الحديثة - الرياض - ١٣٩٠هـ، (١١٨/١) ، المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ، لعبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد،دار الفكر - بيروت – ١٤٠٥هـ ، الطبعة : الأولى، (٢٢٢/١).

(٥) انظر: أحكام القرآن ، لأبي بكر محمد بن عبد الله ابن العربي ،دار الفكر للطباعة والنشر - لبنان ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا، (٢/ ٤٥٧).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ووصف الله في كتابه المتقين بفعل المأمور به من الإيمان والعمل الصالح من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة [٢]،فقال سبحانه :] - . / 0 1 2 3 4 5 Z [البقرة: ٣].

فمن أوصاف المتقين إقامة الصلاة فرائضها ونوافلها ظاهراً بإتمام أركانها وواجباتها وشروطها، والمحافظة على مواقيتها ووضوئها وركوعها وسجودها ، وإسباغ الطهور فيها وتلاوة القرآن فيها ، وإقامتها باطناً بإقامة روحها وهو حضور القلب في جميع أجزائها، واستشعار الخشية ومراقبة الخالق وتدبر ما يقوله ويفعله منها، ودوام أدائها -كما دل على ذلك التعبير بالفعل المضارع- [٣]، وروح الصلاة ولبها الخشوع، فكما أن الإنسان يقوم فإن الصلاة تقوم بقوة المصلي وخشوعه ، لذا جاء في القرآن (ويقيمون الصلاة) ولم يأتِ : يفعلون الصلاة أو يأتون بالصلاة ،لأنه لا يكفي فيها مجرد الإتيان بصورتها الظاهرة؛ ولا ثواب للإنسان من صلاته إلا ما عقل منها، وحضر قلبه فيها، وفي الحديث: (إن الرجل لينصرف وما كتب له إلا عشر صلاته، تسعها، ثمنها، سبعها،سدسها، خمسها، ربعها، ثلثها، نصفها) [٤]؛ والصلاة التي يثني عليها القرآن ويأمر بها هي تلك الصلاة المكتملة الشروط والأركان، واشترك في أدائها ظاهر الإنسان وباطنه [٥].

فإقامة الصلاة سبب للفلاح، و طريق موصل للفوز والسعادة في الدارين، كما نصَّت عليه هذه الآية، وآية سورة لقمان، التي جاء في مطلعها مدح عباد الله المحسنين، المحسنين في

---

(١) انظر: الصلاة في القرآن مفهومها وفقهها، لفهد الرومي،الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد- الرياض- ١٤٠٩هـ، الطبعة الثانية، (٥).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى،(١٣٢/٢٠).

(٣) التحرير والتنوير ، لابن عاشور ،(٢٣١/١).

(٤) رواه أبو داود في كتاب الصلاة، باب ما جاء في نقصان الصلاة، (٢١١/١)،ح(٧٩٦)، والنسائي في كتاب السهو، باب في نقصان الصلاة، (٢١١/١)، ح(٦١٢)، وأحمد في مسنده ، (٣٢١/٤)، (١٨٩١٤)، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير، (٤٥٣/٦)، ح(٢٥٠٦).

(٥) انظر: جامع البيان لابن جرير، (١٠٤/١) ، تفسير ابن كثير، (/٤٣)، مجموع الفتاوى،(٦١٢/٢٢) ، الصلاة في القرآن مفهومها وفقهها، لفهد الرومي، (٥٣).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

عبادة ربهم، والمحسنين إلى الخلق،المقيمين الصلاة،قال تعالى:] , - .

/ 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < =

> ? Z [لقمان :٤-٥].

فهم يقيمون الصلاة-المشتملة على الإخلاص ومناجاة الله تعالى ، والتعبد العام للقلب واللسان والجوارح - على الوجه الأكمل الذي رسمه الدين، بحدودها وأوقاتها، وما يتبعها من نوافل راتبة وغير راتبة ، لذا كانوا من المفلحين الفائزين بخير الدنيا والآخرة. (١)

وابتدأ الله ذكر أوصاف المؤمنين المفلحين بذكر أدائهم الصلاة، وبها ختم صفاتهم، يقول سبحانه:] ! " # $ % & ' ( ) * Z [المؤمنون :١-٢].

ففي الآية تنويه من الله، يذكر فيه عباده المؤمنين ، وفلاحهم وسعادتهم وصفاتهم ،وعلى رأس تلك الصفات الخشوع في الصلاة- والذي كان سببا في فلاحهم- ،وهو التواضع والسكون، وحضور القلب بين يدي الله تعالى (٢)،فيسكن لذلك قلب العبد وتطمئن نفسه، وتسكن حركاته، ويَقلّ التفاته ، متأدبا بين يدي ربه ، وإنما يحصل هذا لمن فرغ قلبه لها، واشتغل بها عما عداها، وآثرها على غيرها ،واستحضر جميع ما يقوله ويفعله في صلاته ، وبهذا تنتفي الوساوس والأفكار الرديئة ،وهذا هو روح الصلاة والمقصود منها، وهو الذي يُكتب للعبد ،وهو رأس الآداب الشرعية، وأدبٌ مع الخالق جلَّ شأنه، ولذا قدم بالذكر على سائر أوصاف المؤمنين. (٣)

ومثلما افتتحت صفات المؤمنين بذكر الصلاة كذلك ختمت به، فتذكر حفاظهم على الصلوات، يقول تعالى:] T U V W X Y Z [المؤمنون : ٩]، وفي هذا دليل على أفضليتها ، وكبير مناقبها، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

---

(١) انظر: جامع البيان ،(٦٠/٢١) ، تفسير المراغي ،(٢٨٩/٧) ، تيسير الكريم الرحمن ،(٦٤٦).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، (٢٨/٧).

(٣) انظر: فتح القدير، (٤٧٣/٣ – ٤٧٤)، التحرير والتنوير، (٥٤١/٢) ، تفسير المراغي ،(٢٦٨/٦).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

(استقيموا ولن تحصوا، اعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ،ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن)[١] .

فهؤلاء المؤمنون يحافظون على صلاتهم،ولا يسهون عنها، ويؤدّونها في أوقاتها، ويقيمون أركانها وحدودها وشروطها، ويواظبون عليها على أكمل وجه، عن ابن مسعود—رضي الله عنه- قال : (سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: الصلاة على وقتها، قلت: ثم أي: قال:بر الوالدين، قلت ثم أي: قال: الجهاد في سبيل الله) [٢]. [٣]

ويأمر الله بالصلاة ويخص منها الركوع والسجود —لفضلهما وركنيتهما-، ويعلق عليها الفلاح يقول سبحانه [e f g h i j k

l m n o p q Z] [الحج :٧٧].

فأمر بها قبل الأمر ببقية العبادات المشمولة بقوله:(واعبدوا ربكم) لأنها أشرف العبادات، وأمر بها الخُلَّص من الناس، وهم المؤمنون المقبلون على دينه، ووعد من وُفِّق لذلك الفوز بالمطلوب والنجاة من كل مكروه، و القدح المعلى في السعادة والفوز، لأنه قد جمع أسمى درجات التهذيب النفسي والاجتماعي [٤].

قال ابن تيمية: هذه الآية لم تترك خيرا إلا جمعته. [٥]

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، (٥/٢٧٦)،ح(٢٢٤٣٢)، وابن ماجه في كتاب الطهارة وسننها، باب المحافظة على الوضوء، (١/١١٠)، ح(٢٧٧)، والدارمي في كتاب الطهارة، باب ماجاء في الطهور ، (١/١٧٤)،ح(٦٥٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، (١/٥١)، ح(٢٢٤).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب البر والصلة وقوله تعالى: (ووصينا الإنسان بوالديه)،(٥/٢٢٢٧)، ح(٥٦٢٥)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال ،(١/٩٠)، ح(٨٥)، واللفظ للبخاري.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ،(٣/٢٤٠)،تفسير المراغي، (٦/٢٦٩)، تيسير الكريم الرحمن ،(٥٤٨) .

(٤) انظر: جامع البيان ،(١٧/٢٠٤)، تفسير المراغي، (٦/٢٦٣)، تيسير الكريم الرحمن ، (٥٤٦-٥٤٧).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى، (١٥/٢٦٦).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ولَّما كان أعظم الأعمال المزكية الذكر والصلاة، جمع الله بينهما في قوله تعالى:] قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ Z [الأعلى: ١٤-١٥].

وعبّر بالفعل الماضي(أفلح) للتنبيه على المُحقق وقوعه من الآخرة ، واقترن بحرف (قد) لتحقيقه،وقدَّم التزكّي على ذكر الله والصلاةِ، لأنه أصل العمل في ذلك كله، فإنه إذا تطهَّرت النفس أشرقت فيها أنوار الهداية، فعَلمت منافعها، وأكثرت من الإقبال عليها ، وقدّم ذكر الله على الصلاة لأن الذكر بمعنييه يبعث الذاكر على تعظيم الله عز وجل ، والتقرب إليه بالصلاة التي هي خضوع وثناء. (١)

فمن ذكر الله ، وانصبغ به قلبه ، خشعت نفسه وخضعت لأوامر بارئه ، وأوجب له ذلك العمل بما يرضي الله ، فأقام الصلوات الخمس في أوقاتها، ابتغاء رضوان الله وطاعة لله،إذ الصلاة رأس الأعمال ، وميزان الإيمان. (٢)

فصلة المؤمن المصلي بربه، وامتلاء قلبه بتعظيمه، ورجاء ماعنده، يخفف من حرصه على الدنيا، ويجعلها هينة في نظره، فبقدر تعظيم الإنسان لربه، وعمق المعاني التي تؤثر بها الصلاة في نفسه يكون استخفافه بالعوامل الأخرى في حياته (٣)، فلا يعظم استمساكه بمتاع الدنيا وحرصه عليها .

وهذا شأن الصلاة في تربية النفوس، تمدها بقوة معنوية، وغذاء روحي، وعلاج لأدوائها، وهي أمور لا يستقيم صلاح نفس بدونها، يقول ابن القيم: منزلة الصلاة من القلب منزلة الغذاء والدواء ؛فما حصل الغذاء أو الشفاء للقلب بمثل الصلاة، وهي لصحته ودوائه بمنزلة غذاء البدن ودوائه. (٤)

---

(١) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ، (٣٠/ ٢٨٧-٢٨٨).

(٢) انظر: جامع البيان ،(١٥٧/٣٠)، المحرر الوجيز ، (٤٧٠/٥)، تفسير ابن كثير ،(٥٠٢/٤)، تيسير الكريم الرحمن،(٩٢١).

(٣) انظر: الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الثقافة الإسلامية، إعداد: ناصر عبدالله التركي، قسم الثقافة الإسلامية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٦هـ-١٤٠٧هـ، (٢٠١-٢٠٢).

(٤) انظر: شفاء العليل لابن القيم، (٢٢٩).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وبيّن القرآن أثرها في وقاية النفوس من الفحشاء والمنكر، وتطهيرها من غرائز الشر، التي تفسد على المرء معيشته، قال تعالى] ¶ µ ´ ¸ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ Z [العنكبوت/٤٥]، وقال أيضاً:] S R Q P O N M L K J Z \ [Z Y X W V U T [المعارج:١٩-٢٢].

وتَرْك روح الصلاة ولُبِّها،وهو الخشوع لله ومراقبته،سبب قوي للتكذيب بيوم الدين، وإهانة اليتيم، وإهمال المسكين، قال تعالى:] 9 8 7 6 F E D C B A @ ? > = < ; : R Q P O N M L K J I H G Z U T S.[سورة الماعون:١-٧].

ومن هنا كان المؤمن أحوج شيء إلى تكرارها والمداومة عليها، وقد شرعها الله خمس مرات في اليوم والليلة، في أوقات متلاحقة، تتكرر فيها وقفة العبد بين يدي ربه، ويتجرد من دنياه، فتحيا نفسه وقلبه، طالبا فيها الهداية للطريق الحق، ليسعد ويفلح في الدارين، فيُفرَّج همه، إذ هي عتاده في التغلب على المشاق، لأن أمامه الكثير من الأعباء ، وفي الصلاة عون له ومدد.

وكثيراً ما يقترن ذكرها في القرآن والسنة بالزكاة، لأنهما من أهم أسس فلاح المرء في دينه ودنياه، إذ الصلاة صلة بين العبد وربه، والزكاة علاقة العبد بالخلق، فإليك المبحث التالي، والمتضمن الحديث عن الزكاة، ووجه كونها من أسس الفلاح، لما فيها من أداء حق الله، والإحسان إلى الخلق، حيث يُنْعِم المرء على خلق الله من مال الله.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المبحث الثاني عشر
الزكاة وما يلحق بها من الصدقات

رعى الإسلام حقوق أفراده، وكفل لهم ما يكون سببا في طيب معيشتهم، وشرع أحكاما تعينهم على الاستقامة على شرع الله، والتكاتف فيما بينهم، فشرع الزكاة الواجبة، والنفقات المستحبة، ولا تكون المواساة -الزكاة الواجبة - إلا في ما له مال من الأموال، فحدّ له أنصبةً، ووضعها في الأموال النامية، وهي (أحد أركان الإسلام الخمسة، واجبة بكتاب الله تعالى،وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وإجماع أمته).(١)

وقد نظر القرآن إلى هذه الأموال نظرة واقعية، فوصفها بأنها زينة الحياة ،وقرنها بالأولاد، بل سوّى بينهما، وفرض الزكاة لأنها تُصلح المجتمع، وتنقله من الفقر، وتتوثق عرى المحبة والإخاء بين أتباعه، غنيهم وفقيرهم، ونص الله على مستحقيها في آية التوبة، قال تعالى:

y x w v u t s r q p [

z { | } ~ ﴿ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ

© ﴿٦٠﴾ Z [التوبة:٦٠]، وفي الوقت نفسه حث القلوب المؤمنة ، وبين لها طريق مرضاة الله عز وجل، والحياة الطيبة للفرد والمجتمع بالإنفاق في وجوه البر، ورتب عليه الأجور الكبيرة.

فهي تمثل أحد دعائم التكافل في المجتمع المسلم، شرعها الله –تعالى- طهرة للمال، وعبودية للرب، وقربة إليه بإخراج أحب شهوات النفوس.(٢)

والزكاة أصلها الطهارة والنماء والزيادة والبركة. (٣)

---

(١) المغني في فقه الإمام أحمد لابن قدامة، (٢/٢٢٩).

(٢) انظر: حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع، لعبدالرحمن بن محمد بن قاسم، الطبعة التاسعة، ١٤٢٣هـ، (٢/١٦٢).

(٣) انظر في مادة زكى: المفردات للراغب، (٢١٣)، معجم مقاييس اللغة،لابن فارس، (٣/١٧)، مختار الصحاح للرازي، (١١٥)، لسان العرب لابن منظور، (١٤/٣٥٨).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وفي الشرع: (حق واجب في مال خاص، لطائفة مخصوصة، في وقت مخصوص).[١]

ولا شك أن البذل والإنفاق شاق على النفس ، ذلك لأن الأنفس مجبولة على الشح ، [4 5 6 Z] [النساء : ١٢٨]،و تحتاج دعوة النفوس إلى الإنفاق إلى سياسة خاصة [٢]، فحب المال متأصل عند البشر، لذلك سعى القرآن عبر آيات عديدة ليحرر الإنسان من عبودية المادة، وليهذب النفس البشرية، فحث على الإنفاق تارة، وأوجب الزكاة، وأثنى على القائمين بها، والمؤدين لها تارة أخرى، ففي أول سورة (المؤمنون) تنويه من الله يَذْكُر عباده المؤمنين ويذكر فلاحهم وسعادتهم ، وبأي شيء وصلوا إلى ذلك ، حاثا على الاتصاف بصفاتهم ، يقول تعالى: [1 2 3 4 5 Z] [المؤمنون:٤]، فمن صفاتهم: أنهم -لأجل طهارة أنفسهم، وتزكيتها من أدناس الأخلاق ومساوئ الأعمال التي تزكو النفوس بتركها وتجنبها-مؤدون لزكاة أموالهم التي افترضها الله عليهم على اختلاف أجناس الأموال ؛فأحسنوا في عبادة الخالق في الخشوع في الصلاة ، وأحسنوا إلى خلقه بأداء الزكاة. [٣]

وعقّب ذكر الخشوع في الصلاة بذكر الزكاة، لكثرة التآخي بينهما في آيات القرآن بلا فاصل، وللدلالة على أنهم لم يألوا جهدا بالعبادة البدنية والمالية ،وإنما فصل بينهما هنا بالإعراض عن اللغو، لكمال ملابسته بالخشوع في الصلاة [٤].

وقد جعل الله إنفاق النفقات الواجبة والمستحبة من أوصاف المتقين، وقرنه بالصلاة والإيمان بالغيب، قال تعالى: [- . / 0 1 2 3 4 5 Z] [البقرة: ٣].

---

(١) الروض المربع شرح زاد المستقنع ، لمنصور بن يونس بن إدريس البهوتي ، مكتبة الرياض الحديثة - الرياض - ١٣٩٠هـ، (٣٥٨/١).

(٢) انظر: الكشاف، (٦٠٥/١)،المحرر الوجيز ،(١٢٠/٢).

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ،(٥٤٨)، تفسير المراغي،(٢٦٨/٦).

(٤) انظر: روح المعاني للألوسي،(٥/١٨).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

فهم ينفقون النفقات الواجبة ،كالزكاة، والنفقة على الزوجات والأقارب والمماليك، ونحو ذلك؛وينفقون النفقات المستحبة بجميع طرق الخير ، لأن الله عمّ وصفهم إذ وصفهم بالإنفاق مما رزقهم، و مَدَحَهُم بذلك ،فكان معلوما أنه إذ لم يخصص مدحهم ووصفهم بنوع من النفقات المحمود عليها صاحبها دون نوع بخبر ولا غيره،أنهم موصوفون بجميع معاني النفقات المحمود عليها صاحبها، من طيب ما رزقهم ربهم . (١)

و لم يذكر المنفق عليه لكثرة أسبابه، وتنوع أهله،وأتى بمن الدالة على التبعيض ،لينبههم أنه لم يرد منهم إلا جزءً يسيرا من أموالهم، غير ضار لهم ولا مثقل، بل ينتفعون هم بإنفاقه، وينتفع به إخوانهم، وتتطهر أموالهم وأنفسهم، وفي هذا تعليم للإنسان مبادئ الاقتصاد، وحبّ ادخار المال، وكفٌ عن الإسراف والتبذير المنهى عنه (٢).

وكما أن إنفاق النفقات الواجبة والمستحبة من صفات المتقين، فهو أيضاً من صفات المحسنين، يقول الرب تبارك وتعالى في سورة لقمان:] , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? Z [لقمان :٤-٥]، فهم يؤدون الزكاة لأصحابها، زكاةً تزكي صاحبها من الصفات الرذيلة ، وتنفع إخوانهم المسلمين ، وتسد حاجتهم ، و بها يتبين إيثارهم محبة الله على محبة المال ؛ وقد رجوا ما أمَّلوا من ثواب ونعيم. (٣)

فالإنفاق في سبيل الله من مقومات الإيمان، ومن ثَمَّ الفلاح، وسورة النساء والحجرات تذكران الإيمان ، ولا تذكران معه سوى الإنفاق في سبيل الله، قال تعالى:] 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E F Z [النساء:٣٩]، وقوله تعالى :] | { ~ ﴿ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ Z [الحجرات:١٥]، ولّما كان المال مُهِمَّاً، تناوله الإسلام بالتنظيم والتوجيه، فنهى عن البخل،

(١) انظر: جامع البيان ، (١٠٥/١)، تفسير ابن كثير ،(٤٣/١).
(٢) انظر: الكشاف ، (٨٢/١)، التحرير والتنوير ، (٢٣٦/١).
(٣) انظر: تفسير ابن كثير ،(٢٣٩/٣)،تيسير الكريم الرحمن ،(٦٤٦)، تفسير المراغي ،(٢٩٨/٧).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وحذّر في الوقت ذاته من الإسراف والتبذير في الإنفاق، وشرع المنهج الوسط] .

/ 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : Z[الإسراء: ٢٩]، وشرع الزكاة الواجبة، والصدقات المستحبة، لأجل أن يهنأ عيشهم، و يكسبوا الأجور العظيمة، ويظهر صدق إيمانهم، وحبهم لدين الله وشرعه، ومحبتهم لإخوانهم؛ وما كان للنفوس أن يزول خبثها لولا اتباع الشرع، فبالإنفاق تزول الأنانية عند المرء،وتكون سمته البذل والعطاء ولو كان بأغلى مايملك، ويبارك الله في ماله، ويتطهر المجتمع من المحرمات، كالسرقة، والاعتداء على أموال الغير، وبذل الأعراض لأجل المال.

ففي الإنفاق صلاح النفس والمجتمع وفلاحه.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الفصل الثاني

صفات المفلحين

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول : الاهتمام بتزكية القلوب.

المبحث الثاني : طاعة الله تعالى والدعوة إلى دينه .

المبحث الثالث: الإتيان بالواجبات.

المبحث الرابع : اجتناب المحرمات .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

تمهيد:

مثلما بينت آيات القرآن الكريم أسس الفلاح وأصوله التي يعتمد عليها، لم تغفل تبيين ما يكون جديراً لأهل الفلاح الاتصاف به، لنأخذ مثالاً على ذلك سورة الفلاح [١] (سورة المؤمنون) والتي أثبتت للمؤمنين الفلاح لإيمانهم، ولتمسكهم بصفات المؤمنين المفلحين الصادقين، كالبعد عن اللغو، وحفظ الفروج، وأداء الأمانة، والوفاء بالعهد وغير ذلك؛ وما ذاك إلا لعظم أثر هذه الصفات على صاحبها، وأخذها بيده إلى أعلى مراتب الرقي والنجاح؛ وغيرها من الآيات التي تحث المؤمنين على مكارم الأخلاق وأصول الدين، وتنهاهم عن المنكرات، وتشد على أيديهم، وتقوي عزائمهم بما تضمنته الآيات من عظيم الأجر على تلك الصفات، وشمول سعادة الدارين.

وقد تحدث القرآن في آيات كثيرة عن صفات المفلحين حاثاً عليها، وحاضاً على الاتصاف بها، والعمل بموجبها؛ وقد اجتهدت في تقسيم هذه الصفات إلى أربعة أقسام: فالأول: الاهتمام بالقلوب، والثاني: طاعة الله والدعوة إلى دينه، والثالث: أداء الواجبات، وأخيراً: اجتناب المحرمات.

وهذه الصفات ليست بالعسيرة على من أعانه الله، بل متى ما طلب الإنسان العون من ربه، وصدق في الالتزام بها، وأيقن بعظيم الجزاء عليها كان دربه في سلوك تلك الصفات ميسراً ، وأورثه ذلك سعادة في الدنيا، وفوزاً في الآخرة.

---

(١) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ،(١٨/٥).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المبحث الأول

الاهتمام بتزكية القلوب

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول : تزكية النفوس.

المطلب الثاني : التقوى.

المطلب الثالث: الصبر.

المطلب الرابع :تذكر آلاء الله.

المطلب الخامس :التوبة.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

تمهيد

في خِضَم شؤون الحياة المعاصرة ،وكثرة مشاغلها، وتعدد متطلباتها، وتنوع ملذاتها – الفانية- قد نلهوا وننسى تعاهد أنفسنا بالتربية والتزكية، وحملها على مطالب الشرع ، ومبادئه، فتقسو القلوب ، وتتثاقل النفوس عن عمل الصالحات، وتفتر العزائم ، ولو صدق الإنسان ربه وسار على النهج القويم، مستعينا بربه وخالقه، متيقظا لتزكية نفسه وتطهيرها من دنس الشرك والمعاصي، وحملها على الصبر على أوامر الله، وعن نواهيه، وعلى أقداره- وإن كان في ذلك نصب ومشقة-، ومراقبة الله في السر والعلن ، والإخبات له-عز وجل- ، جاعلا مطيته تقوى الله، والتوبة في كل حين لحصل له الخير في كل حين، ولأفلح في دنياه وآخرته، لأنه بصلاح القلب يصلح الجسد، وتزكية القلوب من أعظم القربات، لأن الجوارح تبع لها.

فـ(مبدأ التكاليف كلها ومصدرها القلب، وصلاح الأجساد موقوف على صلاح القلوب، وفساد الأجساد موقوف على فساد القلوب، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب)[١]). [٢]

ويقول ابن تيمية :(إن أصل الدين هو الأمور الباطنة من العلوم والأعمال، وأن الأعمال الظاهرة لا تنفع بدونها). [٣]

ويقول ابن القيم: (من تأمل الشريعة في مصادرها ومواردها، علم ارتباط أعمال الجوارح بأعمال القلوب، وأنها لا تنفع بدونها، وأن أعمال القلوب أفرض على العبد من أعمال الجوارح، فعبودية القلب أعظم من عبودية الجوارح ، وأكثر وأدوم فهي واجبة في كل وقت). [٤]

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، (٢٨/١)، ح(٥٢)، ومسلم في كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات ،(١٢١٩/٣)، ح(١٥٩٩).

(٢) قواعد الأحكام في مصالح الأنام،لأبي محمد عزالدين السلمي، (١٦٧/١) ، دار الكتب العلمية – بيروت .

(٣) مجموع الفتاوى،(١٥/١٠).

(٤) بدائع الفوائد،(٣/ ٧١٠)، مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة - ١٤١٦ هـ- ١٩٩٦م، الطبعة :

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

فصلاح القلوب رأس كل خير، وفسادها رأس كل شر [١]؛ ومن أعظم البلاء إعراض القلب عن الله، وعن طاعته ،لذا كان حريا بكل مؤمن أن يتعاهد قلبه بتزكيته، بعمل الطاعات والمستحبات، وترك المحرمات والمكروهات، حتى ينجو، ويحقق الفوز والفلاح، وتسعد نفسه في الدارين، وفي هذا المبحث سأتناول بعضاً من أعمال القلوب، التي إن التزم بها المرء أفلح ونجا، كالصبر والتقوى.

ويجدر بنا أن نُعرِّف التزكي قبل الشروع في مطالب هذا المبحث، فالتزكي مأخوذ من الزكاة، والتي هي الطهارة والنماء والزيادة والبركة والمدح [٢] ،

والمراد بالتزكية تطهير النفس وتربيتها وتزكيتها من الشرك وما يتفرع منه، وتحقيقها بالتوحيد وما يتفرع منه، وتخلقها بأسماء الله الحسنى مع العبودية الكاملة، كل ذلك من خلال متابعة النبي صلى الله عليه وسلم. [٣]

يقول ابن القيم :(هو-أي: علم التزكية- سبك العبودية في كير الامتحان، طلبا لإخراج ما فيها من الخبث والغش). [٤]

وأصل التزكية : التوحيد ، قال تعالى:] Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d Z [فصلت:٦-٧].

فالمراد بالزكاة هنا شهادة التوحيد،لأنها طهارة للنفس من الأخلاق الرذيلة، ومن أهم ذلك طهارة النفس من الشرك، فالتوحيد زكاة، حيث ينمي ثواب الأعمال الصالحة ويبارك فيها، وأما الشرك فمحبط لجميع القربات، موجب للخلود في نار جهنم. [٥]

الأولى ، تحقيق : هشام عبد العزيز عطا - عادل عبد الحميد العدوي.

(١) انظر: الآداب الشرعية والمنح المرعية ، لأبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط وعمر القيام، (١١١/٣)، مؤسسة الرسالة ،بيروت ،الطبعة الثانية ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .

(٢) انظر في مادة زكى: معجم مقاييس اللغة لابن فارس،(١٧/٣) ،مختار الصحاح للرازي، (١١٥/١).

(٣) انظر: رياض الأنس في بيان أصول تزكية النفس ، لإبراهيم محمد العلي، (٢١)، مركز حراء، الأردن، الطبعة الثالثة، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

(٤) مدارج السالكين، (٩٧/٢).

(٥) انظر: تفسير ابن كثير، (٩٣/٤)، مجموع الفتاوى ، (٦٣٣/١٠)، منهاج السنة النبوية ، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية ،(٢١٨/٦)، مؤسسة قرطبة – ١٤٠٦هـ، الطبعة= = الأولى، تحقيق: د. محمد رشاد سالم .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المطلب الأول

تزكية النفوس [١]

أقسم الله أقساما كثيرة ومتوالية على أن صلاح العبد وفلاحه منوط بتزكية نفسه، فقال سبحانه: [8 9 : ; < = > ? @ A B C Z [الشمس:٧-١٠]، وقال سبحانه: [قَدۡ أَفۡلَحَ مَن D E F G H I Z تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ Z [الأعلى:١٤-١٥]، وكان الأنبياء عليهم السلام يدعون إلى تزكية النفوس، فهذا موسى u يدعو فرعون: [/ 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 Z [النازعات:١٨-١٩]، و دعى إبراهيم u ربه بقوله: [D E F G H I J K L M N O Q R S T U Z [البقرة:١٢٩]، وقال الله عن نبينا محمد r: [. / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C Z [الجمعة:٢].

وما ذاك إلا لأن تطهير النفوس من المعاصي ، وحملها على الطاعات -عن طريق الشرع، إذ لا سبيل لتزكية النفوس إلا من طريق الرسل عليهم السلام- مدار صلاح العبد وعمله، وسبب للفوز بالدرجات العلى، كما قال تعالى: [وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ

---

(١) فرَّق ابن القيم بين تزكية القلب وتزكية النفس بقوله: زكاة القلب موقوفة على طهارته، وزكاة النفس وطهارتها موقوف على محاسبتها، فبمحاسبة النفس يطَّلع على عيوبها ونقائصها، ويتمكن من إصلاحها. انظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، لابن القيم ،(١/ ٤٩)، دار المعرفة – بيروت، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م، الطبعة الثانية، تحقيق : محمد حامد الفقي، مدارج السالكين ،(٢/ ٥١٠)، وهو كما قال؛ و تزكية القلوب قاعدة إجمالية، تتناول أعمال القلوب، ومن ثَمَّ أعمال الجوارح، وأما تزكية النفس فكثيرا ما تكون في أعمال الجوارح، فتزكية القلوب أعم من تزكية النفوس، إذ أنها تشمل تزكية النفوس ولا عكس.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ à ٱلْعُلَىٰ â جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن ç è é ê وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ Z ﴿٧٦﴾ ï î [طه:٧٥-٧٦]، وهو من أعظم أسباب الفلاح. (١)

وأركان التزكي أربعة: التطهر من متابعة الهوى، وتحقيق مقتضيات الفطرة وأولها العبودية لله، وتحلية النفس وتعويدها على الخير حتى تألفه ويكون سجية لها، ووجود الهمة التي تطلب المعالي، وتهوى الارتقاء والسمو. (٢)

وقد بيَّن الرسول صلى الله عليه وسلم معنى تزكية النفوس، قال عَبد الله بن معاوية الغاضري (٣)- رضي الله عنه -: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ثلاث من فعلهن فقد ذاق طعم الإيمان ، من عبد الله عز وجل وحده بأنه لا إله إلا هو ، وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه في كل عام، ولم يعط الهرمة (٤)، ولا الدرنة (٥)، ولا المريضة، ولكن من أوسط أموالكم ،فإن الله عز وجل لم يسألكم خيرها، ولم يأمركم بشرها ، وزكّى نفسه، فقال رجل: وما تزكية النفس؟ فقال: أن يعلم أن الله عز وجل معه حيث كان)(٦)، فجعل الرسول صلى الله عليه وسلم تزكية النفس إحدى خصال حلاوة الإيمان، و فسر التزكية بإحدى مراتب الإحسان. (٧)

وتكون التزكية بفعل الطاعات، كالصلاة ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمسا، ما

---

(١) انظر: معالم في السلوك وتزكية النفوس لعبد العزيز العبد اللطيف، (٥٦-٥٨) ،دار الوطن، الرياض،الطبعة الأولى،١٤١٤هـ.

(٢) انظر: رياض الأنس لإبراهيم العلي، (٢٣-٢٦).

(٣) عبدالله بن معاوية الغاضري، من غاضرة قيس، صحابي نزل حمص فعداده في الشاميين.
انظر: الإصابة لابن حجر، (٢٤٠/٤)، الاستيعاب لابن عبدالبر، (٩٩٥/٣).

(٤) الهرم كبر السن، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، مادة هرم، (٢٦٠/٥).

(٥) أي: الجرباء. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، مادة درن، (١١٥/٢).

(٦) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير، (٣٣٤/١)، ح(٥٥٥)، والبيهقي في السنن، في كتاب الزكاة، باب لا يأخذ الساعي فيما يأخذ مريضا ولا معيبا، (٩٥/٤)، ح(٧٠٦٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، (٣٨/٣)، ح(١٠٤٦).

(٧) انظر: معالم في السلوك وتزكية النفوس لعبد العزيز العبد اللطيف، (٥٧-٥٨).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

تقول ذلك يُبقي من دَرَنِه [١]؟ قالوا: لا يُبقي من درنه شيئا ، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا).[٢]

والصدقة: قال تعالى:] j k l m n o p q r t | Z | w v u [التوبة:١٠٣]،قال ابن جرير: تطهرهم من دنس ذنوبهم، وتزكيهم، وتنميهم وترفعهم عن خسيس منازل أهل النفاق بها إلى منازل أهل الإخلاص [٣].

وتزكو النفوس بأداء النوافل، ففي الحديث القدسي :(إن الله تعالى قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما زال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس المؤمن، يكره الموت، وأنا أكره مساءته) [٤]

ولا تزكو النفس حتى تترك المحرمات، لأن النفس والأعمال لا تزكو حتى يزال عنها ما يناقضها، ولا يكون الرجل متزكيا إلا مع ترك الشر[٥] ،(والدين بُني على التحلية والتخلية و (زكى) صالح للمعنيين) [٦].

يقول ابن القيم: (زكاة القلب موقوفة على طهارته، كما أن زكاة البدن موقوفة على استفراغه من أخلاطه الرديئة الفاسدة، قال تعالى :] 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B | D E F G Z [النور : ٢١]، ذكر

---

(١) الدرن الوسخ، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، مادة درن، (٢/١١٥).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلوات الخمس كفارة،(١/١٩٧)، ح(٥٠٥)، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب المشي تمحى به الخطايا،(١/٤٦٢)، ح(٦٦٧).

(٣) انظر: جامع البيان لابن جرير، (١١/١٦).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب التواضع،(٥/٢٣٨٤)، ح(٦١٣٧).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى ،(١٠/١٨٨)، (١٠/٦٢٩).

(٦) نظم الدرر للبقاعي،(٨/٤٤١).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ذلك سبحانه عُقيب تحريم الزنا والقذف ونكاح الزانية ،فدل على أن التزكي هو باجتناب ذلك) .[١]

و قال ابن تيمية: القلب يحتاج أن يتربى فينمو حتى يكمل ويصلح، كما يحتاج البدن أن يربى بالأغذية المصلحة له، ولا بد مع ذلك من منع ما يضره، كذلك القلب لا يزكو فينمو ويتم صلاحه إلا بحصول ما ينفعه ودفع ما يضره ، وكذلك ترك الفواحش والمعاصي يزكو بها القلب فإذا تاب القلب تخلصت قوة القلب وإراداته للأعمال الصالحة ،والتزكية وإن كان أصلها النماء والبركة وزيادة الخير،فإنما تحصل بإزالة الشر[٢] .

ومن ثمرات تزكية النفس السعادة والحياة الطيبة في الدنيا، ونيل رضى الله والسعادة في الآخرة،؛ ولّما كانت التزكية من مقاصد القرآن الأساسية رتب الله الفلاح عليها في أكثر من موضع [٣]، قال تعالى: [@ A B C D Z [الشمس: ٩].

ففي هذه الآية يبين عزّ وجلَّ أنه قد ربح وفاز من طهر نفسه من الذنوب ، ونقَّاها من العيوب ، ورقَّاها بطاعة الله ، وعلَّاها بالعلم النافع ، والعمل الصالح، ونمَّا نفسه حتى بلغت غاية ما هي مستعدة له من الكمال العقلي والعملي ، حتى تثمر بذلك الثمر الطيب لها ولمن حولها [٤].

(وأول ما يطهرها منه دنس الشرك ورجسه ، كما قال تعالى : [2 3 4 Z [التوبة:٢٨]، وتطهيرها منه بالإيمان ثم من المعاصي بالتقوى، كما في قوله تعالى : [© ﴿تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾ Z [النجم:٣٢]، ثم بعمل الطاعات، قال تعالى: [﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ Z [الأعلى:١٤-١٥]). [٥]

---

(١) إغاثة اللهفان ،(١/ ٤٩).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى ،(١٠/٩٦- ٩٧).

(٣) انظر: رياض الأنس لإبراهيم العلي، (٢٣).

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن ،(٩٢٦)،تفسير المراغي ،(١٠/٤٣٣).

(٥) أضواء البيان للشنقيطي،(٨/٥٤١) .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ولا شك أن إصلاح النفس مدخل إلى كل خير وفلاح، وهذا محتاج إلى همة عالية، وإرادة قوية، وعزم صادق، يقول تعالى مثنيا على من داوم على تزكية نفسه بفعل الطاعات وترك المحرمات:] قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىZ [الأعلى : ١٤]. (١)

وقد يرد إشكال أن التمتع بالشهوات والمباحات ينافي تزكية النفس التي لأجلها شرع الدين، قال تعالى:] . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8

9 : ; < = > ? @ A B C Z [الجمعة : ٢]،

وجواب ذلك الإشكال ببيان المراد بتزكية النفس، وأنها إنما تكون بإيقافها عند حد الاعتدال بلا إفراط ولا تفريط، والتمتع بالطيبات بما يؤدي حق الجسد والروح، ويستعان به على أداء حقوق الله وحقوق خلقه. (٢)

والإنسان مزود باستعدادات متساوية للخير والشر، والهدى والضلال ، وقادر على التمييز بين ما هو خير وما هو شر، أنعم الله عليه بالقوة فإن استخدمها في تزكية نفسه وتطهيرها فقد أفلح ، وإن خبأها وأضعفها فقد خاب، و لم يَكِلِ الله الإنسان لا إلى فطرته، ولا إلى تلك القوة، بل أرسل الرسل، وأنزل الكتب التي تبين الهدى من الضلال، والخير من الشر، وتجلو الأمر وتوضحه، حتى يسلك درب السعادة والفلاح، يُفلح في دنياه ، فيعيش حي القلب ، مستشعرا حلاوة الطاعة، و في أخراه ، بنجاته من النار، وفوزه بالنعيم والرضا.

والكل يبحث عن الرضا والسعادة والفوز، و قد سلكوا في ذلك ميادين شتى رغبة في تحصيلها، فتعبوا وكَلُّوا وما حصّلوها بعد، لأن الفوز كله بطاعة الرحمن، وطلب مرضاته، بعمل الطاعات ، وترك المعاصي،-تخلية وتحلية- وتعاهد النفس بمحاسبتها، وهذا هو ما يُسمّى (تزكية النفس) و هو ليس بالأمر الهيِّن كما قال ابن القيم: (وتزكية النفوس : أصعب من علاج الأبدان وأشد، فمن زكى نفسه بالرياضة والمجاهدة والخلوة التي لم يجيء

(١) انظر: رياض الأنس لإبراهيم العلي، (٢٧).

(٢) انظر: تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، لمحمد رشيد رضا، (٢٩/٧)، دار المعرفة، بيروت،الطبعة الثانية، بدون.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

بها الرسل، فهو كالمريض الذي يعالج نفسه برأيه، وأين يقع رأيه من معرفة الطبيب، فالرسل أطباء القلوب فلا سبيل إلى تزكيتها وصلاحها إلا من طريقهم وعلى أيديهم، وبمحض الانقياد والتسليم لهم، والله المستعان) [١]، لكنه يسير لمن وفقه الله لأن الثمن الجنة ، وفلاحٌ في الدارين، وهي من وظيفة الأنبياء والرسل عليهم السلام، كما قال تعالى: [O N M L K J I H G F E D Z U T S R Q][البقرة :١٢٩].

وهنا تجدر الإشارة إلى أن مصطلح (التزكية) يُعد أكثر المصطلحات قرباً في معناه لمصطلح " التربية الإسلامية " لاسيما وأنه قد ورد في بعض آيات القرآن الكريم دالاً على معنى التربية ؛ ولكونه يدل على محاسبة النفس و العناية بها ، والعمل على الارتقاء بجميع جوانبها (الروحية ، والجسمية ، والعقلية) إلى أعلى المراتب وأرفع الدرجات .

وهو ما يؤكده محمد الغزالي بقوله :

(والتزكية ، وهي أقرب الكلمات وأدلها على معنى التربية ؛ بل تكاد التزكية والتربية تترادفان في إصلاح النفس ، وتهذيب الطباع ، وشد الإنسان إلى أعلى كلما حاولت المُثبطات والهواجس أن تُسِفَّ به وتعوجّ). [٢]

فتزكية النفس وتخليصها من دنس المعاصي، والعمل على تطهيرها بالإكثار من الطاعات، هو حبل متين ، موصل إلى سعادة الدارين، وهو قريب من التقوى، إذ التقوى تشمل المعنيين، اجتناب المعاصي، وفعل الطاعات، فإذا ما قرن الإنسان بينهما قَوِيَ حبله، وحاز النعيم المقيم.

فكن على استعداد للمبحث التالي، لتضمنه الحديث عن التقوى، جعلنا الله من المتقين.

---

(١) مدارج السالكين، لابن القيم، (٢/٣١٥).

(٢) نظرية التربية الإسلامية للفرد والمجتمع ،لمحمد الغزالي، (١) ،ضمن بحوث ندوة خبراء أُسس التربية الإسلامية المنعقدة بجامعة أم القرى في مكة المكرمة خلال الفترة من ١١ – ١٦ جمادى الثاني ١٤٠٠هـ ،مكة المكرمة : جامعة أم القرى ، مركز البحوث التربوية والنفسية.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المطلب الثاني

التَّقوى

التقوى هي الوِقاية وحِفْظ الشَيء مما يُؤذِيه ويضُرُه ،و في الشَرْع :حِفْظُ النَّفْس عمَّا يُؤْثِم ، وذلك بِترْك المَحْظُور ، ويتِمُّ ذلك بِترْك بعض المُبَاحَات، لما رُوِيَ عن النعمان بن بشير(١) عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال:(الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ من الناس ،فَمَنْ اتقي الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، ألا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، ألا إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، ألا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، ألا وَهِيَ الْقَلْبُ) (٢)، وقال الله تعالى :]ﭐ فَمَنِ ٱتَّقَىٰ © فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٥﴾Z[الأعراف:٣٥]. (٣)

وحقيقتها –كما قال ابن القيم -: عند إفرادها تقتضي فعل ما أمر الله به وترك ما نهى الله عنه، أما عند اقترانها بفعل المأمور فإنها تقتضي الانتهاء عن المحظور. (٤)

فهي أن يجعل بينه وبين مخالفة الله ومعصيته وقاية وحجابا ؛ولا خلاف بين المسلمين أنها فَرْض(٥)؛ وبها ميزان التفاضل ، كما قال تعالى:] Q R S T

U Z[الحجرات:١٣].

والتقوى من أهم أسباب الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة، وقد أوصى الله عز وجل الأوّلين والآخرين بها فقال سبحانه:] p q r s t u v w x

---

(١) النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة بن جلاس بن زيد الأنصاري الخزرجي، أبو عبدالله، كان من الخطباء، تولى إمرة الكوفة ثم حمص زمن معاوية، توفي سنة ٦٥هـ.

انظر: الإصابة لابن حجر، (٦/٤٤٠)، أسد الغابة لابن الأثير، (٥/٣٤١).

(٢) تقدم تخريجه ص(١٢٩).

(٣) انظر: المفردات للراغب، مادة وقى، (٥٣٠-٥٣١).

(٤) انظر: مدارج السالكين لابن القيم ،(١/٣٠٥)، و انظر: تفسير ابن كثير، (٢/٥٣).

(٥) انظر: أحكام القرآن ، لأبي بكر محمد بن عبد الله ابن العربي ،تحقيق محمد عبد القادر عطا، (١/ ٢٠٣) ،(٢/ ٣٩٣)، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان ، بدون.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

y z Z [النساء: ١٣١]، وأمَرَ بها رسوله صلى الله عليه وسلم، فقال: (اتقِ الله حيثما كنت، وأتبع السيّئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن)(١)؛ وهي أكثر ما يُدخل الجنةَ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يُدخل الناسَ الجنةَ، فقال: (تقوى الله،وحسن الخلق)،وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار؟ فقال: (الفم، والفرج)(٢).

والتقوى لباس لا غنى للإنسان عنه، قال تعالى: [J I H G F E D

K L N O P Q Z [الأعراف: ٢٦]، وهو أهم من اللباس الحسّي ، لأن لباس التقوى لا يبلى، وبه جمال القلب والروح، لا يستغني عنه الإنسان طرفة عين، وبدونه لا قيمة له ،ولا كرامة ،ولا فلاح، ولقد أحسن القائل حين قال:

إذا المرء لم يلبس ثياباً من التقى تقلّب عرياناً ولو كان كاسيا

وخير لباس المرء طاعة ربه ولا خير فيمن كان لله عاصياً

وكثيراً ما يرد ذكر التقوى في القرآن، ويراد بها الوقاية من سخط الله، ولا يكون هذا إلا بعد معرفته، ومعرفة ما يرضيه وما يُسْخِطه، وذلك من خلال فهم كتاب الله، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم. (٣)

و في سورة البقرة يأمر بها الله عز وجل، ويعلق عليها الفلاح، ويجعلها الوجه الحقيقي للبر، فيقول سبحانه: [{ ~ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ © ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ´ ¶ ، مِنْ أَبْوَٰبِهَا وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ Z [البقرة: ١٨٩].

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب البر والصلة،باب ما جاء في معاشرة الناس،(٤/٣٥٥)،(١٩٨٧)،وقال: ((هذا حديث حسن صحيح))،وأحمد في المسند، (٥/١٥٣) ، ح(٢١٣٩٢)،والحاكم وصححه،(١/١٢١)،ح(١٧٨)،ووافقه الذهبي،(١/١٢١)، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي، (٢/٣٧٣)، ح(١٩٨٧).

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق، (٤/٣٦٣)، (٢٠٠٤)، وقال: ((هذا حديث صحيح غريب))، وحسن الألباني إسناده، في السلسلة الصحيحة، (٢/٦٦٩)، ح(٩٧٧).

(٣) انظر: تفسير المراغي، (٢/١٤٢).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

فيبيّن للمؤمنين البرّ الحقيقي، وهو الذي أمر الله به، وهو لزوم تقواه على الدوام بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، واتباع الشرع، وعمل الخير، والتحلي بالفضائل، والتخلّي عن المعاصي والرذائل، لأنه سبب الفلاح والفوز بالمطلوب والنجاة من المرهوب؛ ومن لم يتقِ الله لم يكن له إلى الفلاح سبيل، أما من اتقاه فقد فاز بالفلاح والنجاح والنعيم.(١)

و ينبغي للعبد مراعاة الأوامر والنواهي في نفسه وفي غيره، فيلتزم بفعل الأوامر وترك النواهي لينجو في دنياه وأخراه.

وقد نهى المؤمنين عن الربا وتعاطيه، وذلك مبالغة في التحذير منه، وأن تركه من صميم التقوى،فقال سبحانه [يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٣٠ Z[آل عمران: ١٣٠].

فالفلاح متوقف على التقوى، ولهذا قال تعالى: [وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٣٠ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ١٣١ Z [آل عمران:١٣٠-١٣١]، ومن موجبات التقوى وأهم خصالها ترك الربا؛ إذ الآية مشتملة على أمر ونهي،أمرٌ بالتقوى، و نهيٌ عن أكل الربا، ومتى ما قام العبد بهما فقيامه بغيرهما من باب أولى وأحرى.(٢)

فالفلاح هو الثمرة الطبيعية للتقوى ، ولتحقيق منهج الله في حياة الناس ، فلا يأكل الربا إنسان يتقي الله ويخاف النار التي أعدت للكافرين ، ولا يأكل الربا إنسان يؤمن بالله ، ويعزل نفسه عن صفوف الكافرين.

وقد جعل الله –عز وجل- التقوى جماع الخيرات، حينما قرنها بالصبر والمصابرة،فقال: [يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠ Z [آل عمران: ٢٠٠].

ففي الآية حضٌ للمؤمنين على ما يوصلهم إلى الفلاح والفوز بالنعيم الدائم، ولا سبيل إلى ذلك الفلاح والفوز إلا بالصبر والمصابرة والمرابطة والتقوى.(٣)

---

(١)انظر: تفسير ابن كثير، (١/٢٢٧)، التحرير والتنوير، (٢/ ١٩٩)، تيسير الكريم الرحمن ، (١/٨٩).

(٢)انظر: جامع البيان ،(٤/٩٠)، روح المعاني، (٤/٥٤-٥٥)، تيسير الكريم الرحمن، (١/١٤٧-١٤٨).

(٣) انظر: جامع البيان ،(٤/٢٢٣)، تفسير ابن كثير، (١/٤٤٨)، عدة الصابرين لابن القيم، (١٢).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ويأمر الله أهل العقول والألباب بالالتزام بالتقوى، ويُحذِّرهم من الاغترار بكثرة الرديء، لأن الكثرة- على إطلاقها- لا تُحمد ،فيقول سبحانه : [q p o n m Z } | { z y x w u t s r] [المائدة: ١٠٠].

فيأمر سبحانه أولي الألباب أهل العقول الوافية ، والآراء الكاملة بالتقوى، لأن تقوى الله داعية لهم بأن يكونوا من الطيبين ، وبها يكونوا من المفلحين الفائزين بخيري الدنيا والآخرة، إذ الفلاح متوقف على التقوى ، فمن اتقاه أفلح كل الفلاح، وأدرك طلبته، وإلا فقد خسر ، وفاتته الأرباح.

وخصَّ أولي الألباب بالخطاب لأنهم هم الذين يُؤْبَهُ لهم ، ويُرجى أن يكون فيهم خير، ولأنهم هم أهل الرؤية والبصر بعواقب الأمور، وما تؤول إليه،أما الغافلون فلا يُفيدهم وعظ ولا تذكير، إذ لا يعتبرون من حال كثير من الأغنياء الذين ذهبت أموالهم التي جمعوها من حرام، وحال الدول التي ذهب ريحها بخلوها من العلم والخلق، وورثها من هم أفضل خلقا وعملا، فكانوا خير وارثين. (١)

وفي سورة المائدة -أيضاً -ورد الأمر بالتقوى، والحثُّ عليها ، لتحصيل الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة، فبعد ذِكر الله تعالى حكم المحاربين عند التوبة ، أتبعه بالأمر للمؤمنين بالتقوى ، وجهاد كل من أفسد بقطع الطريق أو الكفر أو غيره ،فقال تعالى على وجه الاستنتاج مما قبله (٢) : [يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ ۝٣٥ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٣٥ Z [المائدة : ٣٥].

فيخاطب الله عباده المؤمنين بالتّرغيب بعد أن حذّرهم من المفاسد ، على عادة القرآن في تخلّل الأغراض بالتّرغيب والتّرهيب (٣)، ويأمرهم بتقواه، والحذر من سخطه وغضبه، بترك ما يُسْخِطه من المعاصي الظاهرة و الباطنة ، وتَرْك مخالفة دينه وشرعه ،وإجابة أمره،وتحقيق

(١) انظر: جامع البيان ، (٧/٧٩)، الجامع لأحكام القرآن ،(٦/٣٢٧-٣٣٠).

(٢) انظر: نظم الدرر للبقاعي،(٢/٤٥).

(٣) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ، (٦/١٨٧).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الإيمان بالصالح من العمل، لينجوا من سخطِ الله وعذابه، ويفوزوا ويظفروا بكل مرغوب، ويُحققوا السعادة الأبدية، ويحظوا بالنعيم المقيم في جناته. (١)

فتقوى الله خشيةٌ مستمرةٌ ، وحذرٌ دائمٌ ، وتوقٍ لأشواك طريق الحياة ، الذي تتجاذبه أشواك الرغبات والشهوات ، وأشواك المطامع؛ إذا استقرت في القلوب، وارتسمت بها الأقوال والأعمال، أثمرت أحسن الثمار، و تركت أطيب الآثار في الدنيا وفي الآخرة دار القرار، من تيسير للأمور، وتفريج للكروب ،والمكانة العالية، و الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة؛ وبالتقوى تعلو النفوس عن سفاسف الأمور ورديئها، وتُخلِص لربها وبارئها، لأنها تزكية للنفوس وقائمةٌ على عماد الصبر. والذي سيكون محور الحديث في المبحث التالي.

(١) انظر: جامع البيان ، (٦/٢٢٧)، تيسير الكريم الرحمن ، (٢٣٠)، تفسير المراغي، (٢/٤٣٠).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المطلب الثالث

الصبر

الصبر هو حَبْس النَّفس على ما يَقْتَضِيه العَقْل والشَرع، أو عمَّا يَقْتَضِيان حَبْسُها عنه. (١)

وهو خلق فاضل من أخلاق النفس ، يمتنع به من فعل مالا يحسن ولا يجمل، وهو من قِوى النفس التي بها صلاح شأنها ، وقوام أمرها. (٢)

وهو ضرورة حياتية قبل أن يكون فريضة دينية شرعية، وطريق المجد، وسبيل الرفعة، لأنه لا نجاح في الدنيا ولا فلاح في الآخرة إلا بالصبر، حيث أنه من لوازم النجاح في الدنيا قبل الآخرة ، فلا تُحَقَّق الآمال، ولا تَنْجَح المقاصد إلا بالصبر، وما من ناجح حقَّق في الدنيا آماله إلا و السببُ صبره، تَحَمَّل الصعاب والمشاق ، واسْتَعْذَبَ العذاب ، وعَوَّد نفسه على احتمال المكاره بنفس راضية،ومواجهة العقبات دون كلل.

وهو نوعان: صبر على المقدور كالمصائب؛ وصبر على المشروع، والذي هو أيضا على نوعين: صبر على الأوامر، وصبر عن النواهي؛ و الأول (الصبر على المقدور) مشترك بين المؤمن والكافر، والبر والفاجر، لا يثاب عليه لمجرده إن لم يقترن به إيمان ، قال تعالى:] © ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ´ Z [هود : ١١]. (٣)

وقد ذكر الله تعالى الصبر الجميل ، وهو صبرٌ بغير شكوى إلى المخلوق ، قال تعالى: [M N O P Q S T U V W X Z [ ] | |] [يوسف:١٨]. (٤)

وعلَّق الإمامة في الدين بالصبر، قال تعالى: [J K L M]

---

(١) انظر: المفردات للراغب، مادة صبر،(٢٧٣).

(٢) انظر: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين،لابن القيم ،تحقيق زكريا يوسف،(٨)، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣) انظر: التبيان في أقسام القرآن ،لابن القيم، دار الفكر،(٥٥).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى،(١٠/١٨٣).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

N P O | R S T Z[السجدة:٢٤]، وعلَّق الفلاح به [١] : قال تعالى:] يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ Z [آل عمران: ٢٠٠]

فطريق الفلاح لزوم الصبر الذي هو جماع الفضائل وخصال الكمال ، ولزوم مصابرة العدو؛ وبهذا يفوز المرء بمحبوبه الديني والدنيوي، وينال مراده، ويدرك بغيته، ويصل إلى النجاح، وذلك حقيقة الفلاح. [٢]

وهناك فرق بين الصبر والمصابرة بحسب حال العبد في نفسه ،وحاله مع غيره؛ فالصبر حبس نفسه ومنعها عن إجابة ما لا يحسن، أما المصابرة فهي مقاومة الخصم في ميدان الصبر، مفاعلة تستدعي وقوعها بين اثنين ،وقد يصبر العبد ولا يصابر. [٣]

وما أحوجنا إلى الصبر الجميل –خصوصاً في هذا الزمان- ، الذي نستعين به –بعد الله- على عمل الطاعات، وعلى تلقي ما يلحقنا من الأذى، فالدنيا داعيةٌ بزخرفها إلى ملذاتها، موجهةٌ نداءاتٍ مغرية للانصراف عن شرع الله وطاعته، إلى نعيمها الزائل، ولذَّاتها المنقطعة، والشيطان لا يَألُوا جَهداً في تزيين دروب الشر والفساد، وشياطين الإنس -أعداء الله- يُعِينُونه ، ولا يتورعون عن إيقاع الأذى على أولياء الله، بل على كل من قال لا إله إلا الله؛ وما قصة أصحاب الأخدود عنا ببعيد، ولا ما يجري على كثير من أهل الإسلام وأبنائه من الأذى والقتل والإبادة عنا أيضا ببعيد ، وشمس النصر لن تشرق إلا بعد ليلٍ حالكٍ، مليء بالشدائد، ولن ينتشر نورها إلا بالتزام الصبر، وتوطين النفس عليه، لأنه بالصبر يسلك المرء درب النجاح والفلاح في الدنيا والآخرة، ويسعد بالنصر والرفعة.

---

(١) انظر: عدة الصابرين لابن القيم، (٥٧-٥٨).

(٢) انظر: جامع البيان ، (٤/٢٢١-٢٢٢)، الجامع لأحكام القرآن ، (٤/٣٢٣)، تفسير ابن كثير، (١/٤٤٥).

(٣) انظر: عدة الصابرين لابن القيم ، (١٢-١٣).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المطلب الرابع

تذكر آلاء الله –عز وجل-

لنا ربٌّ خلقنا ورزقنا، وأنعم علينا بنعم كثيرة، فأيّنا يبذل أكثر ؟ وأيّنا يشكر أكثر؟ وأول النِّعم نِعمة الخلق، فأَعْظِم بها من نعمة لا تُحصى حمداً، ولا تُحاط شكراً ، ولو عاش الإنسان أعمار الخلائق شاكراً لله على هذه النعمة ما أحاط بها شكراً؛ ثم إن القلب يمتلأ حَيرة وعجباً، أن يكون بين الناس-في ظل هذه النعمة الظاهرة- مُنكرون ، وعاصون لأوامر الخالق **U**.

فهو –سبحانه- خالقٌ رازقٌ ، مبدعٌ في صنعه، ظاهرةٌ آلاؤه وإحساناته، أَكْرَم أمة محمد **r** بأكرم نعمة، وأجزل لهم العطاء، فاختصهم بالدين الذي ارتضاه **U**، وجعلهم خير أمة أخرجت للناس، فله الشكر والحمد بنعمه التي لا تُحصى، والشكر يكون بالقلب، وباللسان، وبالجوارح، ومن أعظم الشكر له سبحانه صرف العبادة له وحده.

وتذكر النعم يحمل على تكرار شكر المنعم سبحانه،وبتذكرها(نستدل بها على ما لله من صفات الكمال والعظمة، والحكم البالغة؛ وما له من النعم الواسعة والأيادي المتكاثرة، وعلى صدق ما أخبر به) [١]من أمور غيبية ،فيزداد بها الإيمان، وتُعْمَر بها الآخرة؛ لأنها مما يَصْلُح به القلب.

ومن أعظم أنواع الكسل: أن يَكْسَل عقل الإنسان، وذلك إذا أهمله ونحَّاه عن التفكر والتدبر في آلاء الله **U**، وتذكرها، والامتنان لله على تفضله بها علينا.

وكثرة النعم هي ابتلاء من الله تعالى، ليرى من يكون شاكراً، ومن يكون منكراً،بل إنها قد تكون أشد من الحرمان من بعض النعم، إن كان في وفرتها إلهاء

(١) القواعد الحسان لتفسير القرآن ، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، دار البصيرة-الإسكندرية- مصر-، (٧٥).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

لصاحبها عن شكر الله ، و اغتراره بملذات الدنيا،كما في قصة قوم هود – u -حينما أنعم الله عليهم بالنعم، فلم يشكروه عليها، بل كفروا بالله، وبرسوله، واغتروا بملذات الدنيا، قال تعالى : [ ) * + , - . / 0 1 2 | 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? | A B C D E F Z [الأعراف :٦٩] .

فبعدما عدَّدَ ما يعم نعمه التي امتن بها عليهم أمرهم بلزوم ذكر نعمه وآلائه ، وشكره عليها رجاء تحقيق الفلاح، ولكي يدركوا الخلود والبقاء في النعيم في الآخرة ، ويفوزوا بالمطلوب، وينجوا من المرهوب . (١)

و (رُتِّب على ذكر نعم الله الفلاح، لأنّ ذكر النّعم يؤدّي إلى تكرير شكر المنعم، و يحمِل المنعم عليه على مقابلة النّعم بالطّاعة). (٢)

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: مما يحرك القلوب، ويوجد المحبة الباعثة على طلب المحبوب، أمران: كثرة الذكر للمحبوب، و مطالعة آلائه ونعمه، قال الله تعالى: [A B C D E F Z[الأعراف :٦٩]، وقال تعالى: [وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ Z [النحل:٥٣]، فإذا ذكر العبد ما أنعم الله به عليه من تسخير السماء والأرض، وما فيها من الأشجار والحيوان، وما أسبغ عليه من النعم الباطنة من الإيمان وغيره فلابد أن يثير ذلك عنده باعثاً(٣).

والله عز وجل يرشد عباده في كتابه أن ينظروا إلى ضد ما هم فيه من النعم والخير ، ليعرفوا قدر ما هم فيه منها،وليزداد شكرهم لله تعالى عليها، ودعا إلى هذا في آيات عديدة، منها قوله تعالى: [´ µ ¶ ¸ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن ، (٢٣٧/٧)، تفسير ابن كثير، (٢٢٥/٢).
(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور ، (٢٠٧/٨).
(٣) انظر: مجموع الفتاوى ،(٩٥/١-٩٦).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ Z [آل عمران:١٦٤]، وقوله تعالى: [K J I H Z Y X W V U T S R Q P O N M L [ ] \ | ^ _ ` a b c d Z [آل عمـــران : ١٠٣] ، أي: إلى الزيادة لشكر نعم الله. (١)

فالخالق سبحانه أكرم عبيده بنعم عديدة، وأهم نعمة أنعم بها على المسلمين هـــي نعمـــة الإسلام؛ فواجب المرء شكر المنعم سبحانه، ولا يكفي الشكر والثناء بالقلب، بل لا بد أن يقترن معه شكر الجوارح، باستغلال هذه النعم في طاعة الله سبحانه، وتذكر النعم موجب للفلاح، لأنه إذا تذكر النعم استشعر عظمة المنعم، فبادر إلى عمل الـــصالحات، وتـــرك المحرمات والمعاصي، وتذكر استغلالها في طاعة الله، وبهذا يسعد الإنسان في الدارين، ويفوز ويفلح، وإن قصّر إنسان في تذكر نعم الله، وشكره عليها، أو لم يستغلها في طاعة الله، أو قصّر في عمل الطاعات، فعليه المبادرة إلى التوبة، بشروطها المعروفة، كما سيأتي بيانـــه في المطلب التالي .

(١) انظر: القواعد الحسان لابن سعدي، (١٢١-١٢٢).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المطلب الخامس

التوبة

التَّوبة تَرْك الذَّنْب لقُبْحِه، والنَّدَم عَلى ما فَرَّط منه، والعَزِيمة على تَرْك المُعَاوَدةِ، وتَدَارُك ما أَمكَنَه أن يُتَدَارَك من الأَعْمَال بالإِعَادَة؛ ومَتى اجْتَمَعت هذه الأَرْبَع فَقد كَمُلَت شُرُوطُ التَّوبةِ.(١)

فحقيقة التوبة الرجوع إلى الله بالتزام فعل ما يحب وترك ما يكره ،وكما أنها تتضمن الإقلاع عن الذنب، والعزم على عدم العودة إليه، فإنها تتضمن العزم على فعل المأمور، والإتيان به،فهي اسم لمجموع الأمرين؛ لكنها إذا قُرنت بفعل المأمور كانت عبارة عن الإقلاع عن الذنب، والعزم على عدم العودة إليه، أما إن أُفردت تَضَمَّنت الأمرين .(٢)

وليست التوبة من فعل السيئات فقط-كما يظن كثير من الجهال-، بل التوبة من ترك الحسنات المأمور بها، أَهمُّ من التوبة من فعل السيئات المنهي عنها.(٣)

والكل يقرأ في صلاته سورة الفاتحة، ويسأل الله الهداية إلى الصراط المستقيم، ومن أَعطى سورة الفاتحة حقها عَلِم أنه لا تَصِحُّ له قراءتها على العبودية إلا بالتوبة النَّصوح، فإن الهداية التامة إلى الصراط المستقيم لا تكون إلا بترك الذنوب والمعاصي، وترك الإصرار عليها، حينئذٍ يرجع إلى العبودية التي خُلق لها، وهذا هو حقيقة التوبة.

والعبد حاله بين نعمة من الله يحتاج فيها إلى شكر، وذنب منه يحتاج فيه إلى استغفار، وكلا الأمرين من الأمور اللازمة للعبد دائماً، فإنه لا يزال يتقلب في نعم الله وآلائه، ولا يزال محتاجاً إلى التوبة والاستغفار.(٤)

فإن تاب العبد من الشرك والمعاصي، رجع إلى العبودية، وفاز وأفلح في دنياه وأخراه، فاز برضا الرحمن ومحبته،] إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ Z[البقرة:٢٢٢]،

---

(١) انظر: المفردات للراغب، مادة توب،(٧٦)، مدارج السالكين لابن القيم، (١/١٧٩،١٨٢،٢٨٩).

(٢) انظر: مدارج السالكين لابن القيم ، (١/٣٠٥)

(٣) انظر: جامع الرسائل ، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، تحقيق : محمد رشاد رفيق سالم، (٢٢٨).

(٤) انظر: أمراض القلوب وشفاؤها ، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ،المطبعة السلفية - القاهرة - ١٣٩٩هـ ، الطبعة الثانية، (٧٩).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ووُقي من عذاب الله وسخطه، واطمأنت نفسه، وانفرجت همومه، وفاز براحة البال في الدنيا ، والنجاة يوم الحساب، لأن التوبة حياة النفوس والقلوب.

فالتوبة تَصْقُل القلب وتُجَلِّيه مما عَرَض له من رَيْن الذنوب، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم :(إِنَّ الْعَبْدَ إذا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ في قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فإذا هو نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ صُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فيها حتى تَعْلُوَ قَلْبَهُ، وهو الرَّانُ الذي ذَكَرَ الله [I H G F E D C B A @ ? > = < ; : 9 8 7 6 5 4 3 2 1 0 / . - , + *) (' & % $ # " ! Z S R Q P O N M][المطففين: ١٤]) [١] .[٢]

بها تُغْفر الذنوب، وتُرْفع لصاحبها الدرجات، وسبب كل خيرٍ وفلاحٍ،ومن أَجلِّ القربات، وأحبها إلى الله، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حين يَتُوبُ إليه، من أَحَدِكُمْ كان على رَاحِلَتِهِ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ ،فَانْفَلَتَتْ منه وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ ،فَأَيِسَ منها، فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ في ظِلِّهَا قد أَيِسَ من رَاحِلَتِهِ ،فَبَيْنَا هو كَذَلِكَ إذا هو بها قَائِمَةً عِنْدَهُ فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قال من شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللهم أنت عَبْدِي وأنا رَبُّكَ، أَخْطَأَ من شِدَّةِ الْفَرَحِ) [٣]

قال ابن القيم: منزل التوبة أول المنازل وأوسطها وآخرها، لا يفارقه العبد، ولا يزال فيه إلى الممات، وهي بداية العبد ونهايته.[٤]

وقد قسَّم ابن تيمية التوبة إلى واجبة ومستحبة، فالواجبة التوبة من ترك مأمورٍ أو فعل محظورٍ وهذه واجبة على الجميع ؛ والمستحبة التوبة من ترك المستحبات وفعل المكروهات، و من اقتصر على التوبة الواجبة كان من الأبرار المقتصدين، ومن تاب التوبتين كان من السابقين المقربين، ومن لم يأت بالأولى كان من الظالمين، إما الكافرين وإما الفاسقين. [٥]

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير ، باب ومن سورة (ويل للمطففين)، (٥/٤٣٤)، ح(٣٣٣٤)، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب ذكر الذنوب، (٢/١٤١٨) ، ح(٤٢٤٤)، والنسائي في كتاب عمل اليوم والليلة، باب ما يفعل من بلي بذنب وما يقول، (٦/١١٠) ، ح(١٠٢٥١)، وأحمد في مسنده، (٢/٢٩٧)،ح(٧٩٣٩)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، (٣/٢١٧) ، ح(٣١٤١).

(٢) جامع الرسائل لابن تيمية، (٢٣٧).

(٣) رواه مسلم في كتاب التوبة، باب الحض على التوبة والفرح بها، (٤/٢١٠٤) ، ح(٢٧٤٧).

(٤) انظر: مدارج السالكين لابن القيم ، (١/١٧٨)، (١/٣٠٦).

(٥) انظر: جامع الرسائل لابن تيمية،(٢٢٧).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وأمر بها الله أهل الإيمان وخيار خلقه في أكثر من موضع، حاثا لهم عليها لينجو ويفوزوا بالخير كله،يقول تعالى :] وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ Z [النور : ٣١].

فيأَمَرَهم بالتوبة،وهي الرجوع عن الذنب، والإنابة إلى اللَّه بالاستغفار منه ، و الرجوع مما يكرهه الله ظاهراً وباطناً ، إلى ما يحبه ظاهراً وباطناً، مع تحقق أركانها،

ثم يعلَّق الله عليها الفلاح والفوز بسعادة الدنيا والآخرة، فمن تاب فقد فاز بالمطلوب الأعظم وهو الجنّة ، و رضا اللَّه عز وجل، ونال البقاء الأبدي في النعيم والسرور؛ لأنها سبب الفلاح والفوز بالسعادة ، إذ الفلاح كل الفلاح في فعل ما أمر الله به ورسوله، وترك ما نهيا عنه. (١)

وفي قوله تعالى : (وتوبوا إلى الله) حث على الإخلاص بالتوبة ، أي : لا لمقصد غير وجهه ، من سلامة من آفات الدنيا ، أو رياء ، وسمعة ، وغيره من المقاصد الفاسدة، وإبراز لكمال العناية بأمر التوبة، وأنها من أعظم المهمات الحقيقة بأن يكون الله عز وجل الآمر بها. (٢)

ويفتح الله باب الأمل بالفوز والفلاح والسعادة أمام المشركين، وهو باب التوبة، وطريق أهل الحق والإيمان (٣)،فيقول سبحانه:] فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ Z [القصص :٦٧].

فالسالكون طريق النجاة من عقاب الله تعالى هم التائبون من الشرك والمعاصي، وأهل الرجوع إلى الحق، والإيمان بالله، وإخلاص العبادة له وحده ، و الإيمان برسله-عليهم

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن ،(٥٦٧)،أضواء البيان ،(٥/٥٢٠-٥٢١)، تفسير المراغي، (٦/٣٤٧-٣٤٨).
(٢) انظر: مجموع الفتاوى، (١٥/٤٠٣)، روح المعاني ،(١٨ /١٤٦-١٤٧) ، تيسير الكريم الرحمن ،(٥٦٧).
(٣) انظر: التفسير المنير لوهبة الزحيلي،(١٠/٥١٣).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

السلام - ،العاملون الصالحات وفق ما أمر الله به، ورسوله صلى الله عليه وسلم ، هؤلاء سلكوا طريق النجاة، فهم المفلحون الناجحون بالمطلوب، الناجون من المرهوب، الفائزون بالخلود في جنات النعيم ،إذ لا سبيل إلى الفلاح والفوز إلا بهذه الأمور.(١)

فالتوبة من أجل العبادات، وأحبها إلى الله، بل من أوسع الطرق إلى رحمة الله وجنته، لأنها توجب الذل والخضوع لله، والاعتراف بالتقصير في جنب الله، والإقرار بالكمال لله وحده-سبحانه- .

ولم يستغن عنها الأنبياء المرسلون، ولا العباد المؤمنون، وتظهر فيها ملامح العبودية في أسمى رُتبها، لذا جعل الله الفلاح مُعلقاً بتحقيقها بعد الإيمان، وفي هذا دلالة على أنها من أهم منازل سير العبد إلى الله.

فَبَادِرْ عَبْدَ الله إلى رضوان الله، وجَدِّدْ النية والعزم، وتُبْ وارجع إلى الله قبل فوات الأوان، لتفوز بالرضوان والنعيم، وراحة البال واطمئنانه،وتذكَّر أن جِبلَّة البشر الخطأ والغفلة، فلَازِم التوبة، وأطع الله ورسوله، وافعل الخير من عبادة الله، وأمرٍ بالمعروف ونهي عن المنكر، وذكر لله ، فـ] إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ Z [هود:١١٤].

(١) انظر: جامع البيان ، (١/١٠٥)، المحرر الوجيز ،(٤/٢٩٥)،تيسير الكريم الرحمن،(٦٢٢)، تفسير المراغي ،(٧/١٩١،١٨٨).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المبحث الثاني

طاعة الله تعالى والدعوة إلى دينه

وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: الجهاد في سبيل الله.

المطلب الثاني:عبادة الله.

المطلب الثالث:فعل الخير.

المطلب الرابع:الدعوة إلى الخير .

المطلب الخامس:الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المطلب السادس:اتباع القرآن.

المطلب السابع:السمع والطاعة لله ورسوله.

المطلب الثامن: ذكر الله .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

تمهيد

الإسلام هو الدين الكامل الذي أكرم الله به البشرية، وبه تتحقق سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، وقد جعل الله عز وجل لكل مخلوق سنةً يسير عليها، والإنسان مخلوق محتاج إلى سنة يسير عليها ليسعد في الدنيا والآخرة، وهذه السنة هي الدين الذي أكرمه الله به، ورضيه له، وسعادته وشقاؤه مرتبط بمدى تمسكه بدينه.

و هو من أعظم النعم التي امتن الله بها على المسلمين أن شرع ما يُنظم علاقة الإنسان مع ربه، بعبادته وتوحيده وشكره، و مع رسوله صلى الله عليه وسلم بطاعته، ومحبته، والاقتداء به، ويُنظم علاقة الإنسان مع غيره، كالوالدين، والزوجة، والأولاد، والأقارب، والمسلم والكافر، وغيرهم.(١)

وقد أكمل الله لنا الدين، فمن قبله سعد في الدنيا، ودخل الجنة يوم القيامة، ومن أعرض عنه شقي في الدنيا والآخرة.

وواجب على كل مسلم ومسلمة أمران: العمل بالدين بعبادة الله وطاعته، والدعوة إلى الله، وإلى الإسلام وإلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بحيث يملأ وقته بأداء الأوامر، وترك النواهي، والدعوة إلى الخير، والتعاون على البر والتقوى، ليفوز برضا الله، وجناته، وسعادة الدارين، قال تعالى: [P Q R S T U W X Y Z [ ] Z [يوسف: ١٠٨]

وهذا ما سنحاول الوقوف عليه في المطالب التالية.

---

(١) انظر: مختصر الفقه الإسلامي، لمحمد إبراهيم التويجري، (٩٩٣-٩٩٦)، بيت الأفكار الدولية- بيروت، الطبعة الثالثة- ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المطلب الأول
الجهاد في سبيل الله

بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بلغت شقاوة الإنسانية غايتها ، فضحّى عليه الصلاة والسلام بكل ما يملك لنشر الدين، ضحّى بماله وجهده وجسده، وبدأ بالحسنى، ثم قاتل المعاندين لتكون كلمة الله هي العليا؛ فكان أسوة للناس في عصره وبعد عصره بقيامه بأكبر قدر من الجهاد والزهد والبذل؛، وهذا هو ديدن الصالحين ، يضحُّون بإمكانياتهم ومستقبلهم وبكل ما يملكون في سبل خدمة الدين وأداء رسالتهم، ويُعرِّضون أنفسهم وأموالهم للخطر؛ لأن النصر والفلاح ليس بمحتاج لأفراد منعمين، لا يتعرَّضون لخطر ولا محنة.

ومن وسائل الفلاح في القرآن الكريم، والسنة ، والتي سار في طريقها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والسلف الصالح: الجهاد في سبيل الله، الذي هو أفضل القربات ، ومن أعظم الطاعات ، بل هو أفضل ما تقرب به المتقربون، وتنافس فيه المتنافسون بعد الفرائض ، وما ذاك إلا لما يترتب عليه من نصر للمؤمنين ،و إعلاء لكلمة الدين ، وقمع للكافرين والمنافقين ، وتسهيل انتشار الدعوة الإسلامية بين العالمين ،ونشر محاسن الإسلام، وغير ذلك من المصالح الكثيرة [١].

وأصل الجهاد الجُهد، وهو الطَّاقَةُ والمَشَقَّةُ؛ والمراد به: استفراغ الوسع في مدافعة العدو ، وله أضرب ثلاثة: مجاهدة العدو الظاهر ، ومجاهدة الشيطان ، ومجاهدة النفس ، وثلاثتها تدخل في قوله تعالى:] r s t u v Z [الحج:٧٨]. [٢]

وجهاد الأعداء جهادان: جهاد طلب ، وجهاد دفاع ، والمقصود منهما جميعاً، هو: تبليغ دين الله، ودعوة الناس إليه، وإخراجهم من الظلمات إلى النور ، ورد العدوان عن

---

(١) انظر: فضل الجهاد والمجاهدين، للشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض،(٢).

(٢) انظر في مادة جهد: معجم مقاييس اللغة لابن فارس، (١/ ٤٨٦)، المفردات للراغب، (١٠١).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المسلمين، وأن يكون الدين كله لله وحده ، وهذا هو الهدف الأعظم والأسمى للجهاد في سبيل الله، كما قال عز وجل:] Q P O M L K J I H G F E Z U T S R [البقرة: ١٩٣].[١]

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (أصل القتال المشروع هو الجهاد، ومقصوده هو أن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا)[٢].

وآيات الكتاب العزيز، وأحاديث السنة النبوية مليئة بالنصوص الدالة على أهمية هذا الأصل في الإسلام، منها قوله تعالى:] V U T S R Q P O n m l k j i h g f e y x w v u t s r q p o [Z W [التحريم:٩]، و قوله:] z { | } ~ ¡ ¢ £ ¤ ¥ ¦ § ¨ © ª « ¬ ® ¯ ° ± ² ³ ´ µ ¶ ¸ ¹ º » ¼ ½ ¾ ¿ À Á Â Ã Ä Å Æ Ç È É Ê Ë Ì Í Î Ï Ð Ñ Ò Ó Ô Õ Ö × Ø Ù Ú Û Ü Ý Þ ß à á â ã ä å æ ç è é ê ë ì í Z [الصف:١٠-١١]، وفي الآية هذه خُص الجهاد بالذكر مع أنه داخل في الإيمان بالله لعظم شأنه، وللترغيب فيه، لما يترتب عليه من المصالح العظيمة.

وتظهر أهمية ومكانة الجهاد في ارتباطه بالإيمان بالله، وباليوم الآخر، قال تعالى:] Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m n o p q r s t u v w x y z { | } ~ ¡ ¢ £ ¤ ¥ ¦ § ¨ © ª « ¬ ® ¯ ° ± ² ³ ´ µ ¶ ¸ ¹ º » ¼ ½ ¾ ¿ À Á Â Ã Ä Å Æ Ç È É Ê Ë Ì Í Î Ï Ð Ñ Ò Ó Ô Õ Ö × Ø Ù Ú Û Ü Ý Þ ß à á â ã ä å æ ç è é ê ë ì í Z [التوبة:٤٤-٤٥]، إذ الإيمان الصادق بالله واليوم الآخر يمنع المؤمن من التخلف عن القتال، ويحفزه إلى المبادرة إلى الجهاد ،لأن الجهاد في سبيل الله من الإيمان بالله.

---

(١) انظر: فضل الجهاد والمجاهدين، للشيخ عبدالعزيز بن باز، (٩)، الجهاد في الإسلام بين الطلب والدفاع ، للشيخ صالح اللحيدان، (١٠١-١٠٢)، دار الصميعي –الرياض، الطبعة الخامسة، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية والرد على الطوائف الضالة فيه، للدكتور علي نفيع العلياني، (١٥٨-١٦٩)،(٣١٨)، دار طيبة، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٢٢هـ،٢٠٠١م.

(٢) مجموع الفتاوى ،(٣٥٤/٢٨).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وفي الصحيحين عن عبدالله بن مسعود – t -قال : سألت r أي الأعمال أحب على الله؟ قال : (الصلاة على وقتها، قلت: ثم أي؟ قال: بر الوالدين، قلت: ثم أي؟ قال : الجهاد في سبيل الله) (١).

و الجهاد في سبيل الله فيه نصر للحق وتأييد لأهله ، و نصر على الكفار والمنافقين، وإفساح الطريق لانتشار الدعوة الإسلامية، وفيه الفوز العظيم ، والعاقبة الحميدة ، والفلاح كما قال تعالى:] يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ ۝فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٣٥ Z [المائدة : ٣٥].

و هذا أمر من الله لعباده المؤمنين -الذين صدَّقوا الله ورسوله فيما أخبرهم ووعدهم من الثواب - بما يقتضيه الإيمان من تقوى الله الموصلة إلى مرضاته، وعمل ما يرضيه من الفرائض القلبية والبدنية ، وأمر بالجهاد في سبيله، وبذل الجهد وإتعاب النفس في قتال الكفار بالمال والنفس والرأي واللسان ، والسعي في نصر دين الله بكل ما يقدرون عليه، لأن هذا من أجَلِّ وأفضل الطاعات والقربات، ومن قام به فهو على القيام بغيره أحرى وأولى ، ويدخل في هذا جهاد النفس، وذلك بكفها عن الهوى، وحملها على العدل في كل الأحوال؛ ووعدهم على ذلك الفوز والفلاح ، والسعادة العظيمة الأبدية، والنعيم المقيم والخلود في جناته ،في الغرف العالية، الرفيعة الآمنة، الحسنة مناظرها، الطيبة مساكنها.(٢)

ومثلما أمر القرآن بالجهاد في سبيل الله، توالت آياته في تفصيل الأمر بالجهاد، فنجد بعض الآيات تحث على الآداب حال ملاقاة العدو؛ فتارة تأمر بالثبات عند اللقاء، وتارة تأمرهم بالمرابطة؛ فمن الأمر بالثبات حال ملاقاة العدو قوله تعالى:] يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةً فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٤٥ Z [الأنفال :٤٥].

ففي الآية تعليم من الله لعباده آداب اللقاء ، وطرق الشجاعة أثناء مواجهة العدو، والتي يُرجى باستعمالهم لها عند لقائهم النصرة على عدوهم والظفر، وهي: الثبات لقتال هذه

---

(١) تقدم تخريجه ص(١١٩) .

(٢) انظر: جامع البيان ، (٦/٢٢٦-٢٢٧)،تيسير الكريم الرحمن ،(٢٣٠).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الفئة ، واستعمال الصبر وحبس النفس على هذه الطاعة الكبيرة التي عاقبتها العِزُّ والنصر، وعدم التحدث بالفرار أو التَّوَلِّي- إلا إن كان مُتَحَرِّفاً لقتالٍ، أومُتَحَيِّزاً إلى فئةٍ من المؤمنين-، مع الاستعانة على ذلك بالإكثار من ذكر الله كيما يفوزوا بالأجر والثواب، ويدركوا النصر على الأعداء، لأن ذكر الله وعدم نسيانه بعد الصبر والثبات وعدم اليأس،من أكبر الأسباب للنصر والفوز والغلبة، وهذي قواعدٌ ضروريةٌ في الحروب(١).

يقول ابن القيم: (أمرهم بالذكر الكثير والجهاد معاً، ليكونوا على رجاء من الفلاح) (٢).

ومن الأمربالمرابطة –ضمن سياق آيات القرآن في تبيين آداب الجهاد- قوله تعالى: [يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ Z [آل عمران: ٢٠٠].

والمرابطة الحراسة في ثغور المسلمين، ولزوم المحل الذي يخاف من وصول العدو إليه. (٣)

وورد في فضلها أحاديث كثيرة، منها ما رواه البخاري في صحيحه ،عن سهل بن سعد الساعدي(٤) رضي الله عنه -أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :(رِبَاطُ يَوْمٍ في سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ من الدُّنْيَا وما عليها) (٥)، وروى مسلم عن سلمان الفارسي(٦) -رضي الله عنه-

---

(١) انظر: جامع البيان، (١٤/١٠)، تفسير ابن كثير، (٣١٧/٢)، تفسير المراغي ،(٤/ ٧-٨)،

(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب ، لابن القيم، دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٥ هـ- ١٩٨٥ م، الطبعة : الأولى ، تحقيق : محمد عبد الرحمن عوض،(٥٩).

(٣) انظر: المفردات للراغب، مادة ربط، (١٨٦)، التحرير والتنوير لابن عاشور، (٢٠٨/٤)، جامع البيان لابن جرير،(٢٢٢/٤).

(٤) سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن الخزرج بن ساعدة الأنصاري، من مشاهير الصحابة، يقال كان اسمه حزنا، فغيره النبي عليه الصلاة والسلام، مات النبي عليه الصلاة والسلام وهو ابن ١٥ سنة، وهو آخر من مات من الصحابة بالمدينة سنة٩١هـ.

انظر: الإصابة لابن حجر، (٢٠٠/٣)، أسد الغابة لابن الأثير، (٥٤٧/٢).

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، بابُ فضل رباط يوم في سبيل الله، (١٠٥٩/٣)، ح(٢٧٣٥).

(٦) هو سلمان أبو عبدالله الفارسي،ويقال له: سلمان الإسلام، وسلمان الخير، أول مشاهده الخندق، وشهد بقية المشاهد وفتوح العراق، وولي المدائن، وكان عالما زاهدا، مات سنة ٣٥هـ.

انظر: الإصابة لابن حجر، (١٤١/٣)، أسد الغابة لابن الأثير، (٤٨٧/٢).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

عن رسول الله e أنه قال:(رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله، وأجري عليه رزقه، وأَمِنَ الفُتان) [١].

والله يرشد المؤمنين إلى ما فيه مصلحة الدين والدنيا، ويرقى بهم إلى الذروة العليا، ويحضهم على ما يوصلهم إلى الفوز والنجاة والسعادة في الدنيا والآخرة ، وذلك عن طريق المرابطة ومنع العدو من الوصول إلى المسلمين، وهذا معنى من معاني الجهاد، عاقبته الظفر على الأعداء في الدنيا، وتحقيق أسباب السعادة في الآخرة. [٢]

ويبين الله كيفية جهاد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن كان معه، وأنهم جمعوا بين الجهاد بالنفس والجهاد بالمال، فيقول سبحانه:] - . / 0 1

2 3 4 | 6 7 8 | : ; < = Z

[التوبة: ٨٨].

فهم جاهدوا المشركين بأموالهم وأنفسهم ، فأتعبوا أنفسهم، وأنفقوا أموالهم لإعلاء كلمة الله،وقاموا بالواجب خير قيام، ونهضوا على أتم وجه، غير متثاقلين ولا متكاسلين ، بل فرحين، مستبشرين بنصر الله، وتحقيقه وعده، فأكرمهم الكريم سبحانه بالجزاء العظيم، وبالخيرات الكثيرة في الدنيا والآخرة ، وبالفوز بسعادة الدارين. [٣]

ولما قام سلفنا الصالح بما أمرهم الله به ورسوله، وصبروا وصدقوا في جهاد عدوهم، نصرهم الله وأيدهم، وجعل لهم العاقبة مع قلة عددهم وعدتهم،ولما تغير المسلمون وتفرقوا، ولم يستقيموا على تعاليم ربهم، وآثر أكثرهم أهواءهم، أصابهم الذل والهوان وتسلط الأعداء،ولا سبيل إلى استعادة المسلمين لمجدهم السالف، وتحقيق النصر على عدوهم إلا بالرجوع إلى دينهم والاستقامة عليه ،وتحكيم شرع الله في أمورهم كلها، واتحاد كلمتهم

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإمارة، باب فضل الرباط في سبيل الله، (٣/١٥٢٠) ، ح(١٩١٣).

(٢) انظر: روح المعاني للألوسي ، (١٠/١٥٧) ، تفسير المراغي ،(٢/١٤٢)، تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي، (١٦٢-١٦٣).

(٣) انظر: جامع البيان لابن جرير، (١٠/٢٠٨-٢٠٩)، والمحرر الوجيز لابن عطية،(٣/٩٦)، تفسير ابن كثير ،(٢/٣٨١).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

على الحق، وتعاونهم على البر والتقوى ، كما قال الإمام مالك بن أنس[١]:(لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها) [٢] ، وهذا هو قول جميع أهل العلم، وإنما أصلح الله أول هذه الأمة باتباع شرعه والصدق في ذلك، ولا صلاح لآخرها إلا بهذا الأمر العظيم . [٣]

والدين الإسلامي ليس دين عنف، و لم يكن مبدؤه القتل والظلم، بل كان هناك هدف سامٍ من تشريع الجهاد، وهو إعلاء كلمة الله، ورد العدوان، وإسعاد البشرية برفع الظلم، وهذا لن يتحقق ما لم يكن للمسلمين دولة لها سيادة وقوة وعدة، لذا نرى أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه لم يؤمروا بالجهاد بالنفس في مكة لقلة عددهم وعدتهم، فلما تأسست الدولة بالمدينة وكثر العدد،كان هذا الحال ملائما أن يؤمروا بالجهاد في سبيل الله.

والمسلمون اليوم هم بين خيارين لا ثالث لهما، إما أن يضحوا بنفوسهم وأموالهم وأولادهم وكل ما يعزُّ عليهم في سبيل الدعوة، ويزهدوا في مطامع الدنيا، لتسعد البشرية، ويظهر الإيمان، والرغبة في الجنان، ، وإما أن يؤثروا شهواتهم ومطامعهم وحظوظهم الفردية على سعادة البشرية وصلاح العالم، فيبقى العالم في غي الضلالة والشقاء إلى ما شاء الله.

---

(١) إمام دار الهجرة أبو عبدالله مالك بن أنس بن أبي عامربن عمرو الحميري الأصبحي المدني ، تأهل للفتيا وجلس للإفادة وله إحدى وعشرون سنة، فقيه عصره وعالم دهره، توفي سنة ١٧٩هـ.
انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي، (٢٠٧/١)، طبقات المفسرين للداوودي، (٢٣).

(٢) مجموع الفتاوى ،(٣٧٥/٢٠) .

(٣) انظر: فضل الجهاد والمجاهدين، للشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، (١٥-١٧).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المطلب الثاني

عبادة الله تعالى

العبودية إظهار التذلل ؛ والعبادة أبلغ منها، لأنها غاية التذلل، ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال، وهو الله جل شأنه. (١)

وتوحيد الله بالعبادة هو أجل أَمْرٍ أَمَرَ الله به ، كما أن الشرك أعظم نَهْيٍ نَهَى الله عنه، قال تعالى:] T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d [النساء:١١٦] ؛ والجامع لعبادة الله وحده طاعته بامتثال أوامره واجتناب نواهيه (٢).

فالله -عز وجل- لم يخلق الخلق عبثا ولا سدى، أو ليأكلوا ويشربوا ويتمتعوا، إنما خلقهم لهذا الأمر العظيم، لطاعته،وتعظيمه، وعبادته المبنية على أصلين عظيمين، وهما:الحب والذل التام له سبحانه ، فالغاية من الخلق العبادة، ولأجل هذا قدمت العبادة على الاستعانة في قوله تعالى:] 2 3 4 5 Z [الفاتحة : ٥]، من باب تقديم الغايات على الوسائل. (٣)

ولابد في العبادة من الإخلاص لله تعالى، ومتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم، حتى تتحقق.

فمن عبد الله بإخلاص ومتابعة لرسوله صلى الله عليه وسلم فقد قام بحق العبادة، وأفلح في دنياه وأخراه، ونَعِمَ بالسعادة و راحة البال، يقول **U**:] e f g h i j k l m n o q Z [الحج :٧٧].

---

(١) انظر: المفردات للراغب، مادة عبد، (٣١٩).

(٢) انظر: مجموعة رسائل في التوحيد والإيمان ،للشيخ محمد بن عبد الوهاب ، (٣٧٩،٣٨١) ، تحقيق الشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري، مطابع الرياض - الرياض، الطبعة الأولى.

(٣) انظر: مدارج السالكين لابن القيم ، (١/٧٤)، مختصر الفقه الإسلامي، لمحمد إبراهيم التويجري، (١٨).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

فمن أخلص لله العبادة ، وخضع له بالطاعة، وقام بحق العبادة، و لم يتوانَ في فعل الخير وبذله للناس ، فقد فاز بالمطلوب، ونجا مما يخافه، لأنه لا طريق للفلاح سوى الإخلاص في عبادة الخالق ، والسعي في نفع عبيده، ومن وُفق لذلك فقد ضمن له الله السعادة، والنجاح، والفلاح.(١)

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : هذه الآية لم تترك خيرا إلا جمعته ولا شرا إلا نفته،وفيها ذكر الواجبات والمستحبات كلها. (٢)

ومعلوم أن مجموع التكاليف التي تعبدنا الله بها محصورة في نوعين لا ثالث لهما، أحدهما : ترك المنهيات، وثانيهما : فعل المأمورات، وقد جاءت الإشارة إليهما (٣) في قوله تعالى :] يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ © سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٣٥﴾ Z [المائدة : ٣٥].

فيأمر الله عباده المؤمنين بتقواه واجتناب ما يسخطه سبحانه، والقرب منه والحب له، وابتغاء الوسيلة والقربة إليه، وذلك بأداء فرائضه القلبية، والبدنية، كالتوكل، والإنابة، والزكاة، والصلاة، والقراءة والذكر، والإحسان إلى الخلق ونحوها ،واجتناب نواهيه؛ وهذا وحده هو الطريق الموصل إلى رضا الله ، ونيل ما عنده من خير في الدنيا والآخرة. (٤)

فعلى كل راغبٍ في النجاة والفوز بالنعيم المقيم، والفضل العميم، والراحة والطمأنينة، إخلاص العبادة لله وحده، على نحو ما أمر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وتحري فعل الخير، بأداء الواجبات والمستحبات، والابتعاد عن المحرمات والمكروهات، والعمل بكل عمل فيه صلاح علاقته بربه، أو بالناس.

---

(١) انظر: جامع البيان، (٢٠٤/١٧)، التحرير والتنوير، (٣٤٥/١٧-٣٤٦)،تيسير الكريم الرحمن ،(٥٤٦-٥٤٧).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى ،(٢٦٦/١٥).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب للرازي ،(١٧٣/١١)، نظم الدرر للبقاعي،(٤٥٢/٢).

(٤) انظر: تفسير ابن كثير ، (٥٣/٢)، أضواء البيان، (٤٠٢/١)، تيسير الكريم الرحمن ،(٢٣٠).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المطلب الثالث

فعل الخير

طبيعة الإنسان وفطرته السليمة حب الخير وفعله، وحب بذله للغير، إلا أن النفس تتقاذفها الأهواء، وتحيط بها نزغات الشيطان، وتُؤثر فيها أقوال وأحوال القرناء، وتُهَيِّجُها النفس الأمارة بالسوء على ترك فعل الخير وترك بذله، وتُحرِّضها على نهج سبيل الشر، إلا من عصمه الله فكانت نفسه حاثةٌ له على فعل الخير.

وفعل الخير ينشأ إما لرغبة أو رهبة، أو لطلب محمدة، أو للفضيلة - أي: أن يكون ذلك الشيء في نفسه فاضلاً[١]- وكلما أكثر الإنسان من فعل الخير كان ذلك سبباً في زيادة فعل الخير ؛ لأن الطاعة تعين على الطاعة، والخير لا يأتي إلا بالخير[٢].

فطوبى لعبد وُفِّق لموجبات الرحمة، ورزق عزائم الغفران، واستمر على فعل الخير ابتغاء وجه الله إلى حين الخاتمة، إذ الله عز وجل يُثيب على فعل الخير ثواباً جزيلاً، ويثني على فاعله ثناءً جميلاً، (ومن سبق إلى فعل الخير كان من السابقين إلى الكرامة، لأن الجزاء من جنس العمل)[٣].

والمراد بالخير: هو ما كل ما يرغب فيه الكل، وضده الشر[٤]، ويسمى فعل الخير بِرّاً[٥].

وورد عن مجاهد [٦] ، وقتادة [١] أن كل ما ورد من القرآن من ذكر (الخير) فالمراد

---

(١) انظر: المفردات للراغب، (٣٣).

(٢) انظر: أضواء البيان للشنقيطي، (٢٨٩/٦)، الموافقات في أصول الفقه ، للشاطبي، (٤٠٦/٢-٤٠٧)، تحقيق عبدالله دراز - دار المعرفة - بيروت - بدون.

(٣) تفسير ابن كثير، (٢٨٤/٤).

(٤) انظر: المفردات للراغب، مادة خير، (١٦٠)، معجم مقاييس اللغة لابن فارس، مادة خير، (٢٣٢/٢)، نزهة الأعين النواظر لابن الجوزي، (٢٨٧-٢٨٨).

(٥) انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، لمحمد عبدالرحمن عبدالرحيم المباركفوري، (٩١/٦)، دار الكتب العلمية - بيروت، بدون.

(٦) هو مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي، المقرئ، المفسر، الإمام، من كبار التابعين ،توفي سنة ١٠٤هـ.
انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي، (٩٢/١)، طبقات المفسرين للداوودي، (٥٠٤).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

به المال[٢]، إلا أن إطلاق هذه الكلية غير صحيح ولا منضبط؛ لأنه وجدت آيات يقطع الناظر بداية بأن الخير فيها يُفسّر بغير المال[٣]، منها قوله تعالى:] g f e Z q o n m l k j i h [الحج :٧٧].

فالله عز وجل يرشد عباده المؤمنين إلى طريق الخير والفلاح، وذلك إن هم أقاموا الصلاة، وأخلصوا العبادة كلها لله على نحو ما شرع، وقاموا بنفع العباد، وتحرُّوا فعل الخير الذي يرضي ربهم ويقربهم منه، من صلة الأرحام، ومكارم الأخلاق، والزكاة، وحسن المعاملة، وأداء النوافل، وكل فضيلة في الإسلام، وكل تكليف أمروا به ، سواء ما كان في صلاح علاقة العبد بربه، أو بالناس.

فإن هم فعلوا ذلك فقد أفلحوا، وفازوا بما كانوا يُؤمِّلون من الثواب والرضوان، لأن هذه الآية جمعت أسمى ما يمكن به الوصول إلى أعلى درجات التهذيب النفسي والاجتماعي، فالعبادة صلة بالله مؤدية إلى الثبات والنجاة، وفعل الخير مؤدٍ إلى استقامة الحياة على بنيان من الإيمان والتقوى[٤].

وعُطف قوله تعالى:] Z m l على قوله تعالى:] Z k j من باب التعميم بعد التخصيص[٥]، أو لأنه مخصوص بالنوافل، وأما الفرائض فقد ورد ذكرها في قوله تعالى:] Z k j [٦].

وذهب الجمهور إلى أن المعنى أشمل، وأن فعل الخير في الآية يشمل الواجبات

---

(١) هو قتادة بن دِعامة بن قتادة بن عزيز السدوسي أبو الخطاب، العلامة المفسر، مات سنة ١١٨هـ.
انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي، (١٢٢/١)، طبقات المفسرين للداوودي، (٣٣٢).

(٢) انظر: جامع البيان لابن جرير، (١٢٠/٢)، البحر المحيط لأبي حيان ، (٥٠٢/٨).

(٣) انظر: كليات الألفاظ في التفسير دراسة نظرية تطبيقية، لبريك سعيد القرني، (٢٩٧/١، ٣١٢)، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ .

(٤) انظر: جامع البيان ، (٢٠٤/١٧)، تفسير المراغي، (٢٦٣/٦)، تيسير الكريم الرحمن، (٥٤٧).

(٥) كما أيّد ذلك الرازي في مفاتيح الغيب، (٦٣/٢٣)، وأبو حيان في البحر المحيط، (٣٦٠/٦)، وابن القيم في بدائع الفوائد، (٨٨/١)، والبقاعي في نظم الدرر، (١٧٩/٥).

(٦) انظر: المحرر الوجيز، (١٣٤/٤)، روح المعاني ، (٢٠٨/١٧).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

والمستحبات، قال ابن تيمية: (يدخل في قوله تعالى:] l m Z كل واجب ومستحب)[١].

وقال الشيخ محمد بن عبدالوهاب [٢]: والله الذي لا إله إلا هو إن فعل الخير اتباع الشرع، وإبطال ما سواه، والإنكار على من ابتدع في دين الله[٣].

وكثيرة هي آيات القرآن الكريم الخاصَّة في فعل الخير، منها قوله تعالى:] s t u v w x y z { | } ~ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ¶ μ ´ وَتَوَاصَوْا بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ Z [البلد:١١-١٧]، فحض الله على فعل الخير ثم علّق على ذلك الإيمان؛ ففعل الخير هو منهاج الأمة المؤمنة، ومن أبرز سماتها، وبه كانت الحضارة الإسلامية زاهية قوية في عصور الظلم والانحطاط، وبه ترجوا الفلاح في دنياها وأخراها[٤].

قال ابن عاشور: إذا كانت المصيبة في الدنيا تكون جزاءً على فعل الشر، فكذلك خيرات الدنيا قد تكون جزاءً على فعل الخير[٥].

وفعل الخير مرتبط بالفرد والأسرة والمجتمع، وله آثاره الإيجابية في حياة الأمة؛ ولا شك أن مما يعين على فعل الخير تذكر الآخرة، والخوف من عذاب الله، قال تعالى:

---

(١) مجموع الفتاوى ، (٢٦٦/١٥)، وانظر: فتح الباري لابن حجر، (٥٠٢/١٣)، لباب التأويل للخازن، (٢٨/٥)، أضواء البيان للشنقيطي، (٣٥٧/٦).

(٢) هو محمد بن عبدالوهاب بن سليمان التميمي النجدي، كان على منهج السلف الصالح، داعيا إلى توحيد الله ونبذ البدع، قائدا للنهضة الدينية في جزيرة العرب،له مصنفات عديدة، منها: كتاب التوحيد، كشف الشبهات، فضل الإسلام، توفي رحمه الله سنة ١٢٠٦هـ.
انظر: الأعلام للزركلي، (٢٥٧/٦).

(٣) انظر: الرسائل الشخصية ، لمحمد بن عبدالوهاب، تحقيق: عبدالعزيز زيد الرومي ومحمد بلتاجي وسيد حجاب، (٨٥)، الطبعة الأولى، مطابع الرياض - الرياض.

(٤) انظر: الناس في سورة الحج، لمحمد عطا أحمد يوسف، (١٢٣-١٢٤)، الطبعة التاسعة ، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، دار الوفاء - المنصورة.

(٥) انظر: التحرير والتنوير، (١٠٢/٢٥).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

] 5 6 7 8 9 : ; < = > Z [هود:١١٩] ،

إذ لا يعلم الإنسان من أي الفريقين هو؟ فيكون أشد حرصاً على فعل الخير، وأشد خوفاً من الشر.

والإسلام دين الخير والبركة، دين الرحمة والشفقة، لم يكتفِ بالتزام أتباعه بتعاليمه، بل أرشدهم ليشاركهم الغير هذا الدين العظيم، ويدعوهم إليه وما فيه من الخير؛ وجعل خيريتهم معلقة بدعوة الغير للخير، وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن رسالة الإسلام هي خاتم الرسالات، وبالدعوة إلى الدين والخير ينتشر دين الله، وتُنْقَذُ البشرية من ويلات الجهل، وظلمة الضلال، وتسعد الخلائق بهذا الدين.

وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يقام شرع الله، وتُوطّد أركانه، ويُحمى من الفساد.

وسعادة الأمة ونجاتها ووحدتها في عمل الخير والدعوة إليه، والأمر بكل ما هو معروف، والنهي عن كل منكر، ولو تركت هذا لعانت من الويلات، وحل التفرق فيها والاختلاف محل الألفة والاتفاق.

والدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مما قرن الله بينهما عندما أمر بهما، كما في قوله تعالى: [f g h i j k l m n

o p q r s t u Z [آل عمران:١٠٤]، وهذا محور الحديث في المبحثين التاليين.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المطلب الرابع
الدعوة إلى الخير

الداعي الأول إلى الله تعالى وإلى كل خير - بعد أن أنعم الله علينا بالإسلام - هو رسولنا محمد r، قال تعالى:] + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 Z [الأحزاب: ٤٥-٤٦].

وكرر القرآن الخطاب إلى الرسول الكريم آمراً إياه بالدعوة إلى الله والاستمرار عليها، قال تعالى:] Q R S U V W X Y Z [القصص:٨٧]، وغيرها من الآيات التي يدخل فيها المسلمون جميعاً، فقد أكرم الله هذه الأمة وشرّفها بأن أشركها مع رسوله r في وظيفة الدعوة إليه، هذا التشريف لم يفهم فقط من دخول المسلمين في خطاب الله لرسوله بالدعوة إليه، بل صرحت آيات كثيرة في القرآن بذلك، فها هو قوله تعالى في سورة آل عمران صريح في حث المسلمين بأن يكون منهم من يدعو إلى الخير، قال تعالى:] f g h i j k l m n o p q r s t u Z [آل عمران:١٠٤].

فبعد أن أمر الله المؤمنين بتكميل أنفسهم وتزكيتها من الأدناس بالعمل بتقوى الله، والمحافظة على ذلك حتى الممات، والاعتصام بحبله المتين، أمرهم بتكميل غيرهم من أفراد الأمة، وذلك باختيار جماعة يجمعون بين العلم والعمل الصالح يكونون أسوة لغيرهم، مهمة هذه الجماعة الدعوة إلى الخير، وإلى سبيل الله، وإلى كل ما يقرب إلى الله ويبعد عن سخطه، وإرشاد الخلق إلى الإسلام، وحثهم على اتباع أوامر الشريعة وترك نواهيها، وحثهم على كل ما فيه صلاح ديني ودنيوي والذي كان كتاب الله وسنة رسوله r متضمناً إياه[١]. قال ابن القيم : (الداعون إلى الخير هم الداعون إلى كتاب الله وسنة رسوله r)[٢]، إذ مقياس الشر والخير هو دين الله وحده، وكل ما في دين الله هو الخير، وكل ما

(١) انظر: جامع البيان ، (٢٤/٤)، أنوار التنزيل ، (٧٥/٢) ، المفردات، (٢٣)، روح المعاني، (٢٠/٤-٢١).
(٢) إعلام الموقعين، (٢٢٩/٢).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

دون ذلك هو الشر[١].

وأمة كهذه يكون في نفوس أفرادها من حب الخير لأمتهم ما يكون في حب الفرد لمصلحته، وبهذا تتوثق عراهم، حتى تكون أمتهم كالجسد الواحد، ففي الحديث: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر)[٢].

والحفاظ على وحدة الأمة مناط بكون بعض أفرادها يأمرون بالاستمساك بالخير، ويدعون إلى ذلك ، كل بحسبه، لأن (الدعوة إلى الخير تتفاوت، منها ما هو بيّن يقوم به كل مسلم، ومنها ما يحتاج إلى علم فيقوم به أهله)[٣].

وقد جاء الأمر للمؤمنين بأن يكون منهم من يسعى في إلقاء الغير في الإيمان والطاعة بعد أن عاب الله على أهل الكتاب كفرهم، وسعيهم في إضلال غيرهم، تحذيراً للمؤمنين من الكفر وخصال أتباعه[٤].

وهؤلاء الداعون إلى الخير هم الأخصاء بالفلاح دون غيرهم، بل الكاملون في الفلاح كما أفاد الحصر[٥] - ، ولهذا أخبر الله عنهم بأنهم هم الفائزون بالمطلوب، الناجون من كل مرهوب؛ وهذا حال الأمة الداعية الآمرة الناهية، مفلحة كثيرة الخير والبركة، مؤتلفة قلوبها، متحدة مقاصدها، سعيدة في دنياها وأخراها[٦].

وجيء بـ(من) التبعيضية لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات، ولا يصلح له إلا من عَلِم المعروف والمنكر، وعَلِم كيف يرتب الأمر في إقامته[٧].

---

(١) انظر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لجلال الدين العمري، (٦)، ترجمة محمد أجمل أيوب، شركة الشعاع، الكويت - بدون.

(٢) تقدم تخريجه ص(١١٢).

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور، (٣٩/٤).

(٤) انظر: الأساس الأخلاقي للأمة من سورة آل عمران ، ليوسف كمال، (٧٧)، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

(٥) انظر: روح المعاني للألوسي، (٢٢/٤).

(٦) انظر: تفسير ابن كثير، (٣٩١/١)، تفسير المراغي، (١٧/٢-٢٠)، تيسير الكريم الرحمن، (١٤١-١٤١)،

(٧) انظر: الكشاف ، (٤٢١/١)،الجامع لأحكام القرآن ، (١٦٥/٤)، التحرير والتنوير ، (٣٨/٤-٣٩).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ومن المعلوم المتقرر أن الأمر بالشيء أمر به وبما لا يتم إلا به، فكل ما يتوقف على هذه الأشياء فهو مأمور به، كتعلم العلم الذي يحصل به الدعوة إلى الخير ووسائلها ومقاصدها، وبناء المدارس للإرشاد والتعليم وغير ذلك.

والأمة الإسلامية لم تُكلف بالدعوة إلى الخير الجزئي، وإنما هي مأمورة بالدعوة إلى الخير بأجمعه(١)، كما يبين ذلك آيات عديدة، قال تعالى بعد ذِكْرِ إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام:] ! " # $ % & ' ( ) * + , . / 0 1 2 Z[الأنبياء:٧٣].

فالمراد بالخيرات هنا الشريعة الكاملة التي أنزلها الله على رسله(٢).

وهي - أي الأمة الإسلامية - مكلفة بالدعوة إلى الله بصورة فردية وجماعية، فالفرد يقوم بواجب الدعوة إلى الله بصفته فرد مسلم، وبصفته فرد في جماعة تدعو إلى الله، كما قال تعالى:] f g h i j k l m n o p Z r s t u [آل عمران:١٠٤].

قال ابن كثير: المقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجباً على كل فرد من الأمة بحسبه(٣).

وكلما كانت مهمة الدعوة جسيمة كان ضرورياً القيام بواجب الدعوة بصورة جماعية، كما لو أريد نشر الدعوة والتوحيد في مجتمعات الشرك والوثنية، فإن هذا يحتاج إلى جهود كبيرة منظمة، لا جهود فردية مبعثرة(٤).

والدعوة إلى الخير مشروط لها العلم، فكلٌ يدعو إلى الله بالقدر الذي يعلمه، وهي واجبة على كل مسلم بقدر استطاعته، ومتوجب على المسلمين أن يعملوا لتحقيق هذا

---

(١) انظر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لجلال الدين العمري، (٦-٨).

(٢) انظر: معالم التنزيل للبغوي، (٤/٢٤٥).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير، (١/٣٩١).

(٤) انظر: أصول الدعوة، لعبدالكريم زيدان، (٣١١)، مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة التاسعة، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، فقه الدعوة وأساليبها، لمحمود محمد حمودة ومحمد مطلق عساف، (١٥)، مؤسسة الوراق - عمّان، بدون ، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الغرض، بإعداد جماعة متصدية للدعوة إلى الله علمياً وثقافياً، والاهتمام بالجانب الخُلُقي للدعاة، وتقديم الإعانة لهم بكل الوسائل ليتحقق المقصود، فإن لم يفعل ذلك المسلمون أثم جميع المكلفين(١).

وقد أخبر الباري سبحانه أن البشرية كلها في دائرة الخسران، ولا يخرج منها إلا من أتي بأمور أربعة، منها: التواصي بالحق، وهذا يشمل كل الخيرات، وما يحق فعله، قال تعالى: [! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 Z [العصر: ١-٣].

وواجب الدعوة ليس له وقت محدد، بل هو في كل الأحوال والظروف، يقول تعالى عن نوح عليه السلام] قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ ´ µ ¶ ¸ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ۝٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩ Z [نوح: ٥-٩].

فإن صدق العبد مع ربه، وسعى في الدعوة إلى الله فقد تبوأ مكانة عظيمة جداً، إذ قوله في الدعوة من أحسن الأقوال، قال تعالى: [L M N O P Q R S T U V W X Y Z [فصلت:٣٣]، وأجره عظيم، قال r: (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً)(٢).

وقال r لعلي بن أبي طالب: (فوالله لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم)(٣).

---

(١) انظر: الموافقات للشاطبي ، (١/١٧٦)، أصول الدعوة لعبدالكريم زيدان، (٣١٣-٣١٤)، فقه الدعوة وأساليبها لمحمود محمد ومحمد مطلق، (٣٨).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ، ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، (٤/٢٠٦٠)، ح(٢٦٧٤).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي إلى الإسلام والنبوة، (٣/١٠٧٧)،ح(٢٧٨٣)،

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ولما كانت الدعوة إلى الخير عامة في التكاليف من الأفعال والتروك، عُطف عليها ما هو أخص منها، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، اهتماماً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإيذاناً بمزيد فضله على سائر الخيرات(١).

قال الرازي: الدعوة إلى الخير نوعان، أحدهما: الترغيب في فعل ما ينبغي، والثاني: الترغيب في ترك ما لا ينبغي، فذكر الجنس أولاً، ثم أتبعه بنوعيه لمزيد من البيان(٢).

فلابد للجماعة المسلمة من وجود هاتين الركيزتين حتى تسعد وتفلح، إذ لا فلاح للبشرية حتى يسود الخير، ويجد فاعل الخير على الخير أعواناً، وحتى يكون المعروف معروفاً، والمنكر منكراً، وهذا التكليف ليس بالأمر الهيّن، إذ تعتريه الصعاب، وتصطدم به شهوات الناس، لذا كان حرياً بأفراد الأمة المخلصين أن يضاعفوا الجهود في سبيل الدعوة إلى الله، وأن يتحملوا المشاق والصعاب، خصوصاً وأن الدعوة الإسلامية اليوم تواجه ضغوطاً وتحديات عديدة، فكان لزاماً على دعاة الإسلام وأتباعه الدعوة إل الدين، وإعادة بناء الحضارة على أسس مستمدة من الكتاب والسنة.

ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب، (١٨٧٢/٤)، ح(٢٤٠٦).

(١) انظر: الكشاف، (٤٢٦/١)، روح المعاني، (٢١/٤).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، (١٤٦/٨).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المطلب الخامس

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

تتفاوت النفوس في وازعها الداخلي تبعا لكثير من المؤثرات، وما يطغى عليها من رغبات، فكانت النفوس أحوج شيء إلى وازع خارجي، يُحيي داعي الخير في النفوس، ويزجرها عن القبائح، ويجعل للحق حرمته، وللفضيلة احترامها، حتى لا يسهل التهاون بها في المجتمع، فتنتشر فيه المفاسد؛ هذه الدعامة الخارجية يمثلها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر [١]، ذلك الواجب الذي يَفْرِض القرآن الكريم وجوده في الأمة [٢]، وأناط به خيريتها، قال تعالى:] . / 0 1 2 3 4

5 6 7 Z [آل عمران:١١٠].

فهو من أعظم واجبات الشريعة، وأصل عظيم من أصولها وأفضلها؛ به يكمل نظامها ، ويتوحد أتباعها،و هو من طريقة أهل السنة والجماعة، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، على ما توجبه الشريعة [٣].

وهو القطب الأعظم في الدين،ولو طُوي بساطه، وأهمل علمه وعمله، لتعطلت النبوة، وعمت الضلالة، وشاعت الجهالة، واستشرى الفساد، وخربت البلاد، وهلك العباد، وهو مدار رسالة الرسل –عليهم السلام-، وصف الله به نبيه صلى الله عليه وسلم ، فقال:]

---

(١) انظر: معالم في الشخصية الإسلامية، للدكتور زيد الزيد، ضمن الكتاب السنوي لكلية الدعوة والإعلام: بحوث ودراسات في الدعوة والإعلام ، العدد الأول- ١٤٠٣هـ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، (١٢٨-١٢٩).

(٢) وهو فرض كفاية، واتفقت الأمة كلها على وجوبه بلا خلاف ، لقوله تعالى: (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر)[آل عمران : ١٠٤] ، انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل ، لعلي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، (١٣٢/٤)، مكتبة الخانجي – القاهرة،ويكون فرض عين في بعض الأحوال، انظر في حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأحوال ذلك: مجموع الفتاوى، (١٢٥/٢٨-١٢٦)، أحكام القرآن ، لابن العربي ،(٣٨٣/١)، وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للشيخ عبدالعزيز بن باز،(٢٦)، دار العاصمة –الرياض-١٤١٢هـ.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى ،(١٥٨/٣)، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، (٢٦)،مكتبة المدني - جدة ، تحقيق : محمد جميل غازي.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

P Q R S T Z[الأعراف : ١٥٧]، ووصف به الأمـــة فقـــال: [. / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 Z [آل عمران : ١١٠]، فأمة محمد صلى الله عليه وسلم خير أمة، تريد للخلق خير الدنيا والآخرة [١].

ومن هنا تبرز لنا أهمية اهتمام القرآن بشأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والـــدعوة إليه، ولابد لمن سلك هذا المنهج من الإخلاص، وصلاح النفس، والعلم بأحكام الإسلام، واستصحاب الورع والحلم والصبر ، والتدرج في الإنكار لورود النص الـــصريح مـــن المصطفى صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)[٢]، فينكر بقلبه إن أعيتـــه الوســـائل، وهذا متضمن كراهة ذلك المنكر وبغضه، ولابد أن يكون للتغيير بالقلب رصيد من الواقع يصدق ما في القلب، ويتمثل ذلك في هجر المنكرات ومن يُظهرها حتى يتوب [٣].

والمعروف هو اسم جامع لكل ما عُرف من طاعة الله، والتقرب إليـــه، والإحـــسان إلى الناس، وكل ما ندب إليه الشرع. [٤]

والمنكر هو (كل ماقبحه الشرع، وحرَّمه، وكرَّهه). [٥]

و الله تعالى كما أخبر بأن أمة محمد صلى الله عليه وسلم تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، فقد أوجب ذلك على الكفاية منها[١]، بقولـــه: [f g h i j k

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى ،(٦٢٨/٢٨). إحياء علوم الدين ، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي ،(٣٠٦/٢).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، (٦٩/١) ، ح(٤٩).

(٣) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، لأبي زكريا يحي بن شرف النووي،(٢٥/٢)،مجمـــوع الفتـــاوى، (٢٠٦/٢٨)، درجات تغيير المنكر ، لعبدالعزيز المسعود، (٣٦،٣٤)، دار الوطن- الرياض- ١٤١٤هـــــ، الطبعة الأولى.

(٤) انظر: لسان العرب لابن منظور، مادة عرف، (٢٤٠/٩)، النهاية في غريب الحديث والأثر ، لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، المكتبة العلمية - بيروت - ١٣٩٩هـــ - ١٩٧٩م ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي- محمود محمد الطناحي، (٢١٦/٣).

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير،(١١٤/٥).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

[آل Z u t s r q p o n m l

عمران : ١٠٤].

فأمر الله عباده المؤمنين بالسعي في إلقاء الغير في الإيمان والطاعة ،وأن ينتخبوا منهم أمة تقوم بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، يأمرون الناس باتباع محمد صلى الله عليه وسلم ودينه الذي جاء به من عند الله، وينهون عن الكفر بالله، والتكذيب بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به من عند الله؛ فإن هم فعلوا ذلك كثر الخير في الأمة، وندر وقوع الشر فيها، وائتلفت القلوب، واجتمعت الكلمة ، وتوحدت الأمة، وتلاشت الفرقة والنزاعات، وسعدوا في دنياهم وأخراهم، وبقوا في جناته، لأن الله خصهم بالفلاح الكامل دون من عداهم. (٢)

وأمة هذه حالها تسود على غيرها من الأمم، خصوصا إذا جمعت مع هذا تحصيل العلوم والمعارف، وفاضل الأخلاق؛ وقد كان المسلمون في الصدر الأول على هذا النهج، ثم ما إن تخلّى المسلمون عن شرع الله إلا وابتعدوا عن سعادة الدارين،نسأل الله جلت قدرته أن يهدي المسلمين لا تباع أمره،وتطبيق شرعه، وأن يرزقهم صلاح الدين والدنيا.

وقدّم الأمر بالمعروف على النهي عن المنكر بدءاً بالأرفق ، وترقٍ إلى الأغلظ فالأغلظ، كما في قوله تعالى: [i j k l m n o q

[الحجرات Z ~ } | { z y x w v u t s r

: ٩] قدم الإصلاح على القتال. (٣)

ومن أبرز ما قصر به بعض المسلمون في هذا الزمان واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا زُهد في الخيرية، وتنصل من أخص أوصاف الأمة، وتشبه بالذين كفروا من بني إسرائيل [9 : ; < = > ? @ A B

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى ،(٢٨/١٢٥).

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين ، لابن القيم ، دار الجيل - بيروت – ١٩٧٣م ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، (٢/٢٢٩)، جامع البيان، (٤/٣٨)، روح المعاني ، (٤/٢٢)، تفسير المراغي، (٢/١٧-٢٠).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب للرازي، (١/١٤٧).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

O N M L K J I H G F E D C

Z W V U T S R Q P [المائدة : ٧٨-٧٩]، ومدعاة للتفرق والخلاف والنزاعات، وانتشار الباطل شيئا فشيئا، والتهاون في الحرمات[١] ؛ فالتهاون في نشر الحق فرصة سانحة لانتشار الباطل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (كل بشر على وجه الأرض فلا بد له من أمر ونهي، ولا بد أن يأمر وينهى، حتى لو أنه وحده لكان يأمر نفسه وينهاها، إما بمعروف وإما بمنكر). [٢]

وأمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر هي أنفع أمة للناس.

(١) انظر: منهاج المسلم ، لأبي بكر الجزائري، (٨٨)،دار الشروق – جدة- ١٤١٠هـ، الطبعة العاشرة.

(٢) مجموع الفتاوى ،(٢٨/١٦٨).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المطلب السادس
اتباع القرآن الكريم

القرآن كتاب الله، والنور الإلهي، والهدي الربّاني، والمعجزة الكبرى، لا يتم إيمان مسلم إلا بالتصديق بكل ما جاء فيه جملة وتفصيلاً، واتباعه ظاهراً وباطناً، قال تعالى:

R Q P O N M L K J I H [
c b a ` _ ^] \ [Z Y X W V U T S
t s r q p [:] Z f e d [البقرة:٨٥]، وقال تعالى:
Z x w v u [الأنعام:١٥٥].

وواجب مع الإيمان بالقرآن الإيمان بما جاء به نبينا محمد r ، قال تعالى:] p
Z ۧ ٧ ۦ ~ } | { z y x w v u t s r q [الحشر: ٧]، وقال r : (إياكم ومحدثات الأمور، فإنها ضلالة، فمن أدرك ذلك منكم فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ)(١).

وقال r موصياً بكتاب الله والتمسك به: (فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به)(٢).

والمراد بالتمسك به حفظه، وتلاوته، والقيام به آناء الليل والنهار، وتدبر آياته، وإحلال حلاله، وتحريم حرامه، والانقياد لأوامره، والانزجار بزواجره، والعمل بمحكمه، والتسليم بمتشابهه(٣).

وقد اقتضت حكمة الله أن تكون الكتب السابقة لأجيال معينة، أما القرآن فقد أنزله

---

(١) رواه الترمذي في كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، (٥/٤٤)، ح(٢٦٧٦)، وقال: حسن صحيح، وابن ماجة في باب اتباع سنة الخلفاء الراشين المهديين، (١/١٥)، ح(٤٢)، وصححه الحاكم ، (١/١٧٤)، ح(٣٢٩)، ووافقه الذهبي، (١/١٧٤)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، (٦/٥٢٦)، ح(٢٧٣٥).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب، (٤/١٨٧٣)، ح(٢٤٠٨).

(٣) انظر: معارج القبول لحافظ الحكمي، (٢/٦٧٥).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الله لكل الأجيال من الأمم إلى يوم القيامة، وتولى حفظه بنفسه[١]، وكتب السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة لمن اتبعه وآمن به قال تعالى:] f e d c [Zq p o n l k j i h g [الأعراف: ١٥٧] . فالذين اتبعوا القرآن والوحي الذي جاء به الرسول r والجامع لأسمى المبادئ، وأقوم المناهج، والحافل بكل ما تحتاجه البشرية هم الظافرون بخير الدنيا والآخرة، الناجون من شرهما لأنهم أتوا بأكبر أسباب الفلاح[٢].

وكان الصحابة - وهم خير قرن - قد تلقوا القرآن بكل اهتمام، فجعلوه غذاء أرواحهم وقوت قلوبهم، ونفذوا أحكامه، وطبقوا شرائعه، فطهرت به نفوسهم، وصلحت سرائرهم، فكانوا قادة للأمة، نشروا الدين، وألبسوا البشرية ثوب الأمن والحضارة.

ثم ما إن تطاولت العهود حتى خلف من بعدهم خلف هجروا كتاب الله، وأعرضوا عن هدايته ؛ فكان لزاماً على أهل القرآن وعلى أمة القرآن تزكية القلوب، وتطهير النفوس، وتهذيب الأرواح بالعودة إلى القرآن الكريم تلاوة وتطبيقاً ومنهجاً وتشريعاً، لأنه لا نجاة ولا فلاح إلا باتباعه.

---

(١) انظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، لصالح الفوزان، (١٣١).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، (٢/٢٥٥)، تيسير الكريم الرحمن ، (٣٠٥)، محاسن التأويل ، (٧/٢٦٥).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المطلب السابع
السمع والطاعة لله ورسوله عليه الصلاة والسلام

السمع قوة في الأذن به يُدرك الأصوات، ويُعبر به عن الفهم، كما في قوله تعالى:] ~ وَأَطَعْنَا Z أي: فهمنا وامتثلنا(١).

والطاعة والطوع الانقياد والموافقة والمتابعة في إتيان الأفعال(٢).

وطاعة الله كما قال أهل التأويل: إتيان المأمورات، والوقوف عند المنهيات، واتباع كتابه، وطاعة شريعته(٣).

وأما طاعة الرسول r فتتمثل في طاعته في حياته فيما أمر ونهى، وبعد وفاته في اتباع سنته(٤).

فطاعة الله ورسوله هي متابعة الكتاب والسنة، وطاعة الله تقتضي طاعة الرسول r، وطاعة الرسول r هي عين طاعة الله، قال تعالى:] ! " # $ % & 'Z [النساء: ٨٠]، قال الشافعي(٥): أعلمهم أن بيعتهم رسوله بيعته، وأن طاعتهم له طاعته(٦).

والسمع والطاعة هما محور الميثاق الأول مع المسلمين في صدر الإسلام، حيث جرت مراسم بيعة العقبة الأولى، والتي بايع فيها رسول الله r اثني عشر رجلاً من الأنصار على السمع والطاعة في المعروف، كما روى عبادة بن الصامت(٧) t قال: (بايعنا رسول الله

---

(١) انظر في مادة سمع: المفردات للراغب، (٢٤٢)، عمدة الحفاظ للسمين الحلبي، (٢٥٣/٢).

(٢) انظر في مادة طوع: المفردات للراغب، (٣١٠)، بصائر ذوي التمييز، (٥١٩/٣).

(٣) انظر: جامع البيان ، (١٤٧/٥)، تفسير ابن كثير، (٥١٨/١)، تفسير المنار ، (١٨٠/٥).

(٤) انظر: جامع البيان لابن جرير، (١٤٧/٥).

(٥) الإمام العلم حبر الأمة محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع، عالم العصر، ناصر الحديث، فقيه الملة ، أبو عبد الله القرشي الشافعي المكي، صنف التصانيف، ودون العلم، من مؤلفاته: الرسالة، الأم.
انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (٥/١٠)، تذكرة الحفاظ للذهبي، (٣٦١/١).

(٦) انظر: الرسالة، (٨٢)، تحقيق أحمد محمد شاكر، القاهرة ، ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م.

(٧) هو عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن قيس الخزرجي الأنصاري أبو الوليد، شهد بدرا ،وكان أحد النقباء بالعقبة، وشهد المشاهد كلها بعد بدر، وشهد فتح مصر، مات سنة ٣٤هـ.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

r على السمع والطاعة في المنشط والمكره، وأن لا ننازع الأمر أهله)[١].

وهما من أجمع الوصايا التي أوصى بها رسول الله صحابته رضوان الله عنهم، فقد روى العرباض بن سارية[٢] أن رسول الله r وعظ الصحابة فقال : (أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وإن أمر عليكم عبد حبشي، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة)[٣].

وهما من معالم العقيدة الصادقة، والتسليم، وثمرة التوحيد، ومعلم من معالم الائتلاف ونبذ الفرقة، قال تعالى:] ! " # $ % & ' ( ) Z [الأنفال: ٤٦]، فبغياب الطاعة يقع التمرد على الشريعة المؤدي إلى الفرقة والهوان، وحلول الضعف في الأمة؛ وينتفي النزاع، ويحل محله الاتفاق والائتلاف حينما يستسلم أبناء الأمة لله ورسوله r [٤].

والسمع والطاعة لله ورسوله صفة المؤمنين المستجيبين لله ورسوله، الممتثلين للكتاب والسنة، فقد بيّن القرآن حقيقة المؤمنين الصادقين، وأثنى عليهم بصفات عديدة، من أبرزها: ثبات طاعتهم في المنشط والمكره بخلاف المنافقين الذين ينقضون كلمة الطاعة بالإعراض[٥]، يقول سبحانه:] ¶ ¸ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ Z [النور: ٥١].

انظر: الإصابة لابن حجر، (٦٢٤/٣)، أسد الغابة لابن الأثير، (١٥٨/٣).

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام، باب كيف يبايع الإمام الناس، (٢٦٣٣/٦) ، ح(٦٧٧٤)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، (١٤٧٠/٣)، ح(١٧٠٩)، واللفظ للبخاري.

(٢) هو العرباض بن سارية السلمي، أبو نجيح، صحابي مشهور،أسلم قديما، من أهل الصفة، نزل حمص،مات في فتنة ابن الزبير سنة ٧٥هـ.

انظر: الإصابة لابن حجر، (٤٨٢/٤)، الاستيعاب لابن عبد البر، (١٢٣٨/٣).

(٣) تقدم تخريجه ص(١٧٤).

(٤) انظر: الكليات الشرعية في القرآن الكريم، للحسن حريفي، (٤٧٩/٢)، دار ابن القيم - الدمام ، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، الطاعة وأنواعها في القرآن الكريم دراسة موضوعية،لعبدالعزيز محمد السحيباني، (٣)، إشراف الدكتور محمد الراوي، كلية أصول الدين بجامعة الإمام، قسم القرآن وعلومه.

(٥) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، (٢٧٥/١٨).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

فالمؤمنون حق الإيمان يتّبعون أمر الله ورسوله، ويتلقون الأمر والنهي بالسمع لما يقال لهم، والطاعة التامة، والخضوع والإذعان سواء وافق أهوائهم أو خالفها؛ وهؤلاء هم المفلحون الفائزون بكل خير، المخلدون في جنات النعيم؛ إذ قصر الله الفلاح فيهم إيذاناً بعلو منزلتهم، لأنه لا يُفلح إلا من حكم شرع الله ورسوله، وأطاع الله ورسوله في كل الأوامر والنواهي(١).

ويبين عز وجل في آية أخرى أن كل طاعة لله ورسوله محققة للفوز والظفر، ويجمع سبحانه أسباب الفوز في ذلك، فيقول جلّ شأنه :] وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ Z [النور: ٥٢] ، أي: من جمع الامتثال لأمر الله ورسوله، والخوف من الله خوفاً يحمل على ترك النواهي والمعاصي، فهو من الآمنين من العذاب، الناجين من الهلاك، والفائزين بالثواب (٢).

وواجب على المسلمين السمع والطاعة لله ورسوله دوماً في كل أمورهم، خصوصاً إذا دعوا إلى التحاكم إلى شرع الله، حتى يحققوا الفوز والنجاة في دينهم ودنياهم؛ لأن (كان) في قوله تعالى:] ¶ ¸ Z ليست إخباراً عن الماضي، بل لبيان الواجب في حق المؤمنين(٣).

وكما أن طاعة الله ورسوله سبب لتحقيق الفوز والفلاح فإنها سبب في دخول الجنة، قال تعالى:] تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ´ µ ¶ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٣﴾ Z [النساء: ١٣]، وطريق لتحصيل الرحمة، قال تعالى:] وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ Z [آل عمران: ١٣٢] ، ويتوقف عليها كمال الإيمان وقوته، قال تعالى:] ! " # % & ' ( ) * + , -

(١) انظر: جامع البيان ، (١٨/١٥٧)، روح المعاني، (١٨/١٩٨)،تيسير الكريم الرحمن ، (٥٧٢).

(٢) انظر: الكشاف، (٣/٢٥٤)،تفسير المراغي ، (٦/٣٦٦)،تيسير الكريم الرحمن ، (٥٧٢).

(٣) انظر: معالم التنزيل ، (٣/٣٥٢)، المحرر الوجيز، (٤١٩١)، التسهيل لعلوم التنزيل، لمحمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي، (٣/٧٠)، دار الكتاب العربي - لبنان، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، الطبعة الرابعة.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

. / 0 1 2 3 4 5 6 Z [الأنفال: ١]، وهي سبب لتحصيل محبة الله تعالى، يقول سبحانه:] N O P Q S T U V W Z Z Y X Z[آل عمران: ٣٢] ، فالآية واضحة الدلالة على أن طاعة الله تورث محبته سبحانه للعبد الطائع(١).

ومما يعين على طاعة الله ورسوله تقوى الله عز وجل، لأن تقوى الله طريق الهدى والنور، وزاد موصل إلى الحق، قال تعالى:] وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ Z [النور: ٥٢]، فجمعت الآية بين ثلاثي يقود إلى الفوز والفلاح، ومنه التقوى(٢).

أيضاً مما يعين على طاعة الله ورسوله التجرد في طلب الحق، وإلزام النفس الطاعة وترك المعصية ظاهراً وباطناً؛ والتشبه بالسلف، واتخاذ الصدر الأول (صحابة رسول الله r) مثلاً يحتذى به، لما أشار إليه r من مكانتهم العالية، ففي الحديث الذي رواه عمران بن الحصين(٣) أن رسول الله r قال: (خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم - قال عمران: فلا أدري أذكر بعده قرنين أو ثلاثاً - ، ثم إن بعدكم قوماً يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يَفُون، ويظهر فيهم السمن)(٤)، وكان مسلكهم رضي الله عنهم هو اتباع رسول الله r .

وترك الانقياد لله ولرسوله موجب للعقوبة والهلاك، واستحقاق الوعيد، قال تعالى:

---

(١) انظر: الطاعة وأنواعها في القرآن للسحيباني، (١٩٦) وما بعدها، الطاعة والمعصية في ضوء الكتاب والسنة، لصفوت عبدالفتاح محمود، (٣٤ وما بعدها) ، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

(٢) انظر: الكليات الشرعية للحسن حريفي، (٤٨٧).

(٣) هو عمران بن حصين بن عبيد بن خلف الخزاعي، يُكنى أبا نُجيد، أسلم عام خيبر، وغزا عدة غزوات، وكان صاحب راية خزاعة يوم الفتح، من فضلاء الصحابة وفقهائهم، كان مجاب الدعوة، مات سنة ٥٢هـ وقيل: ٥٣هـ.

انظر: الإصابة لابن حجر: (٧٠٥/٤)، طبقات ابن سعد، (٩/٧).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام، (١٣٣٥/٣)، ح(٣٤٥٠).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

] وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ Z [النساء: ١٤]، وهو تشبه بالشيطان، يقول تعالى:] Z i h g f e d b a ` _ [مريم: ٤٤].

ومليئة هي نصوص القرآن في التحذير من معصية الله ورسوله، وتبيين آثارها الوخيمة، منها قوله تعالى:] e d c b a ` _ ^] Z i h g f [النور:٦٣]، ويقول سبحانه:] لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ¶ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ Z [آل عمران: ٢٨].

وما يعاني منه المسلمون اليوم إنما هو لإخلالهم بطاعة الله عز وجل، وإعراضهم عنها(١).

ولا سبيل للرفعة وعلو الشأن، والتوفيق والسداد إلا بالعودة إلى طاعة الله ورسوله في الأمور كلها، والامتثال للأوامر، والوقوف عند الحدود، قال تعالى:] فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا ¶ μ يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ Z [النساء: ٦٥]، إنه الاستسلام المطلق لحكم الله ورسوله، والطاعة الكاملة المطلقة، وبدونها لا يكون إيمان.

(١) انظر: الطاعة وأنواعها في القرآن للسحيباني، (٣-٤).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المطلب الثامن
ذكر الله عز وجل

الذكر منزلة القوم الكبرى التي منها يتزودون، وإليها دوماً يترددون، وهو جلاء القلوب ودواؤها[١]؛ وهو للقلب كالماء للسمك، لا حياة إلا به.

وذكر الله يكون بذكر أسمائه سبحانه وصفاته، والثناء عليه، وتسبيحه وتحميده وتهليله وتمجيده - وهو الغالب من استعمال الذكر - ، وذكره سبحانه بأحكامه وأوامره ونواهيه، وذكره بكلامه - وهو أفضل الذكر - ، قال تعالى:] ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِ أَلَا â ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ Z [الرعد: ٢٨]، ومن ذكره سبحانه دعاؤه واستغفاره[٢]. وليس الذكر منحصر في التسبيح والتحميد والتهليل ونحوها، بل كل عامل لله تعالى بطاعة فهو ذاكر لله تعالى[٣].

وذكر الله يكون بالقلب، ويكون باللسان، والأفضل منه ما تواطأ عليه القلب واللسان لأن المراد من الذكر حضور القلب ، وقد يومأ بذكر[٤]، ونقل عن بعض العارفين قوله: (الذكر على سبعة أنحاء: فذكر العينين بالبكاء، وذكر الأذنين بالإصغاء، وذكر اللسان بالثناء، وذكر اليدين بالعطاء، وذكر البدن بالوفاء، وذكر القلب بالخوف والرجاء، وذكر الروح بالتسليم والرضا)[٥].

والإكثار من ذكر الله من أنفع الحروز من الشيطان، ففي الحديث عن رسول الله

---

(١) انظر: مدارج السالكين لابن القيم، (٢٥٨/٣)، الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم، (٦٠).

(٢) انظر: جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام لابن القيم، (٤٥١)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعبدالقادر الأرناؤوط، دار العروبة - الكويت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، والوابل الصيب لابن القيم، (١١٩-١٢٠).

(٣) انظر: الأذكار من كلام سيد الأبرار، لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي، (٣٨)، دار المنهاج - بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م، عناية صلاح الدين محمد مأمون الحمصي وجماعة.

(٤) انظر: شرح النووي لصحيح مسلم، (١٦/١٧) ، الأذكار للنووي ، (٤٤)، مدارج السالكين لابن القيم، (٢٧١/٣)، الوابل الصيب لابن القيم ، (١٢٠).

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر، (٢٠٩/١١).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

عليه الصلاة والسلام أن يحيى بن زكريا قال لبني إسرائيل: إن الله عز وجل أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن وآمركم أن تعملوا بهن، وذكر منها: آمركم بذكر الله كثيرا، وإن العبد أحصن ما يكون من الشيطان إذا كان في ذكر الله عز وجل. (١)

ودوام ذكر الله، والتفكر في أمور الآخرة سبب لفلاح العبد، وصلاح حاله ومآله، عن حنظلة الأسيدي(٢) قال: انطلقت أنا وأبوبكر حتى دخلت على رسول الله r ، فقلت نافق حنظلة يا رسول الله. فقال رسول الله r : (وما ذاك؟) قلت: يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنّا رأي العين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيراً، فقال رسول الله r : (والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم، وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة) ثلاث مرات(٣)، وهو سبب لتحصيل الإيمان وزيادته ، فإن الذكر يغرس شجرة الإيمان في القلب، ويغذيها ويقويها، وكلما ازداد العبد ذكراً لله قوي إيمانه، وذكر الله هو روح الأعمال الصالحة وقائمتها كما أنه مفتاحها، وإذا خلا العمل من الذكر كان كالجسد بلا روح(٤).

ودوام الذكر سبب لدوام المحبة، والله عز وجل أحق بكمال الحب والعبودية والتعظيم، لذا كان الإكثار من ذكر الله والمداومة عليه أنفع ما يكون للعبد وموجب لفلاحه وفوزه، وكان الصد عن ذكر الله وعبوديته موجب لعداوة الله؛ ولهذا أمر سبحانه

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الأمثال عن رسول الله ، باب ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة، (١٤٨/٥)، ح(٢٨٦٣)، وقال حسن صحيح غريب، وأحمد في مسنده، (١٣٠/٤)، ح(١٧٢٠٩)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، (٢٠٥/٢)، ح(١٤٩٨).

(٢) هو حنظلة بن الربيع بن صيفي الكاتب الأسيدي التميمي، يكنى أبا ربعي، وهو ابن أخي أكثم بن صيفي حكيم العرب، أحد الذين كتبوا لرسول الله، لذا يعرف بـ(الكاتب)، شهد القادسية، ومات في إمرة معاويةبن أبي سفيان.

انظر: أسد الغابة لابن الأثير، (٨٣/٢) ، الاستيعاب لابن عبدالبر، (٣٧٩/١).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب التوبة، باب فضل دوام الذكر، (٢١٠٦/٤)، ح(٢٧٥٠).

(٤) انظر: مدارج السالكين لابن القيم، (٢٦٠٢٦١/٣)، نور الهدى وظلمات الضلال في ضوء الكتاب والسنة، لسعيد بن وهف القحطاني، (١٧٦).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

بكثرة ذكره في القرآن، وجعله سبباً للفلاح والظفر، بل من أكبر أسباب الفلاح(١)، قال سبحانه:] 8 9 : ; < = > ? @ A B

C D E F G Z [الجمعة: ١٠]، فبعد أن نهى الله عباده عن البيع بعد نداء صلاة الجمعة، وأمرهم بالسعي إلى ذكره، والمبادرة إلى الصلاة المفروضة، كرر عليهم الأمر بالإكثار من ذكره سبحانه في جميع أحوالهم، وشكره على ما تفضل به عليهم من النعم، وأن لا تشغلهم مشاغل الدنيا مهما كانت - من طلب للمكاسب والتجارة، وسعي في طلب الرزق ونحوها - عن الذي ينفعهم في الدار الآخرة؛ فأوصاهم بإكثار الذكر، لأن فلاحهم وفوزهم منوط به، إذ الإكثار من ذكره سبحانه يجعل القلوب تتعلق به، فتعتصم به، وتقل آفاتها، أو تذهب عنها بالكلية، وهذا من أكبر أسباب الفوز بخيري الدنيا والآخرة(٢).

وهو من أكبر ما يدخل الطمأنينة في القلب، واستحضار معية الله سبحانه للعبد الذاكر، وذلك كما جاء في الحديث القدسي: (يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم)(٣).

وذكر الله من أحب الأشياء إليه سبحانه ، ولولا ذاك ما أمر الناس به عند القتال(٤)؛ فقد أمر عز وجل بالإكثار من ذكره في أحلك المواقف موقف الجهاد وقتال الأعداء، وجعل الأمر به قرين الأمر بالثبات حال المعركة، إرشاداً إلى أن ذكر الله مطلوب في كل حال، خصوصاً حال الشدة، وإيماءً إلى أن كثرة ذكره سبحانه، وتمجيده بالألسن والقلوب معين على الثبات حال القتال، وموجب للفلاح، وسبب من أسباب النصر(٥)، يقول جل

---

(١) انظر: جلاء الأفهام لابن القيم، (٤٥٠)، تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي، (٨٦٣).

(٢) انظر: الكشاف ، (٤/٥٣٧-٥٣٨)، مجموع الفتاوى، (١/٩٥)،تفسير ابن كثير، (٤/٣٦٨)، تيسير الكريم الرحمن، (٨٦٣).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: (ويحذركم الله نفسه)، (٦/٢٦٩٤)، ح(٦٩٧٠)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الحث على ذكر الله، (٤/٢٠٦١)، ح(٢٦٧٥).

(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم، (٥/١٧١١)، تفسير ابن كثير، (٢/٣١٧).

(٥) انظر: الكشاف، (٢/٢١٤)، مدارج السالكين لابن القيم، (٣/٢٦٥)، البحر المحيط، (٤/٤٩٨)، أضواء

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

شـــأنه] يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٤٥﴾ Z [الأنفال: ٤٥].

فيُعَلِّم سبحانه عباده آداباً حال ملاقاتهم العدو، تضمن لهم الظفر علـــى الأعـــداء، والفوز والفلاح بكل خير؛ فيأمرهم بالصبر والثبات، وبالإكثار مـــن ذكـــره بـــالقلوب والألسن، بالتكبير، والتضرع ، والدعاء بالنصر على الأعداء؛ وهذا من أكبر أسباب النصر والتمكين في الدنيا، ونيل الثواب في الآخرة.

فذكر الله أثناء الحرب يحقق العبودية لله والتوكل عليه، ويُقوّي الروح المعنوية، يقول تعالى:] أَلَا â ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ Z [الرعد: ٢٨]، فتطمئن القلـــوب ، وتتعلق بالنصر والفرج، ويعم التفاؤل أرواح المسلمين(١).

وكما أن الذكر من أسباب الثبات والنصر، فهو داعٍ إلى فعل الطاعات، خـــصوصاً ما إذا اقترن بتذكر ثواب الله وعقابه، وقد وعد الباري جل شأنه من طهّر نفسه ونقّاهـــا من الشرك والظلم، وانشغل بذكر الله وأداء الطاعات بالفوز والربح، والظفر بسعادة الدنيا والآخرة(٢)، يقول تعالى في سورة الأعلى :] قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ Z [الأعلى: ١٤-١٥].

فإن المرء متى وحّد ربه ودعاه، وذكره بلسانه وقلبه خاف منه ووجـــل،] 7 E D C B A @ ? > = < ; : 9 8 Z H G F [الأنفال: ٢]، ثم دعاه ذلك الخوف إلى الإقبال على عبادة الله، فكان ذلك أساس نجاته من العذاب، والظفر بمبتغاه من الخير(٣)، كما قال تعالى هنا:] قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ Z [الأعلى: ١٤-١٥]، فرتب الطاعات على

البيان، (١٠٢/٢).

(١) انظر: جامع البيان، (١٤/١٠)، تفسير المراغي، (٧/٤-٨)، التفسير المنير، (٣٦٥/٥-٣٦٧).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب ، (١٣٤/٣١)، تيسير الكريم الرحمن، (٥٢١).

(٣) انظر: جامع البيان، (١٥٧/٣٠)، أنوار التنزيل ، (٤٨١/٥)، تفسير المراغي، (٤٠١/١٠).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ذكر الله، وحكم بالفلاح على من التزم ذلك.

أما من ذكر الله بلسانه مع غفلة قلبه فهذا لا ثواب له فيه، ولا ينبغي أن يدخل فيمن وعدوا بالفلاح(١).

ووجه الفلاح لمن ذكر الله وأكثر منه، أنه إذا ذكر الله انخنس عدو الله (الشيطان)، وتنحى عن العبد، فينغلق الباب الذي كان يصدّ العبد عن الخير؛ ويستعين بالذكر على فعل الطاعات وأداء القربات، ويتلذذ بها، وتكون قرة عينه، وينشغل به عن الكلام الباطل، من غيبة، وكذب ولهو.

ولذا امتلأت آيات القرآن أمراً بذكر الله مطلقاً ومقيداً، ونهياً عن ضده من الغفلة والنسيان؛ وعُلِّق الفلاح باستدامة ذكر الله وكثرته، وأثنت على أهله، وما أعد الله لهم من الجنة والمغفرة، وأثبتت الخسارة لمن تركه، وتلهى عنه، كل هذا للحث على ذكر الله، وتبيين عظم منزلته.

وقد أورد ابن القيم في كتابه القيم (الوابل الصيب) جملة من فوائد الذكر، تجاوزت المائة فائدة، منها : أنه يطرد الشيطان، ويرضي الرحمن، ويزيل الهم والغم، ويجلب الفرح والسرور، ويُنير القلب والبدن، ويورث ذكر الله تعالى للذاكر، يقول سبحانه:] فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ Z [البقرة: ١٥٢]، ولو لم يكن في الذكر إلا هذه وحدها لكفى بها فضلاً وشرفاً، بالإضافة إلى أن ذكر الله يحط الخطايا ، ويُنجي من عذاب الله، وغير ذلك(٢).

وعصرنا هذا مليء بظلمات الشهوة والشبهة والغفلة، والله عز وجل يخرج بفضله من يشاء من الظلمات كلها إلى النور، قال سبحانه:] ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = Z [البقرة: ٢٥٧]، ومن هداية الله للعبد، وإخراجه من الظلمات إلى النور توفيقه إلى ذكره سبحانه والإكثار منه،

---

(١) انظر: روح المعاني للألوسي، (١٠٩/٣٠).

(٢) انظر: الوابل الصيب، (٦١ وما بعدها).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

والتقرب إليه بأداء الطاعات وترك المنهيَّات، ومن هُدي إلى ذلك فقد هُدي إلى صـــراط مستقيم، وكُتب له حياة القلب، ففي صحيح البخاري أن رسول الله r قال: (مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت)[١].

(١) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله، (٥/٢٣٥٣)، ح(٦٠٤٤).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المبحث الثالث: الإتيان بالواجبات وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: حفظ الفروج.
المطلب الثاني: أداء الأمانة.
المطلب الثالث: الوفاء بالعهود.
المطلب الرابع: إتيان البيوت من أبوابها.
المطلب الخامس: أداء الحقوق.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

تمهيد:

دعا الإسلام إلى الطاعات، وأمر بالواجبات، وحث على المستحبات، لما في ذلك من كسب الأجر ومضاعفته، وحصول السعادة في الدنيا والآخرة، وتحقيق الفلاح.

وأداء الواجبات هو أساس المعيشة الفاضلة، والحياة السعيدة في كل مكان وزمان، وبدونه يكون البنيان على شفا جرف هار، وأساس منهار.

والله عز وجل يأمر في آيات كثيرة بالواجبات، ويرتب على ذلك الفوز والسعادة والفلاح، ودخول الجنة، قال تعالى:] وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ à ٱلْعُلَىٰ Z [طه: ٧٥]؛ وأداء الواجبات والابتعاد عن المعاصي إنما يعود نفعه على الإنسان، فمن اهتدى فلنفسه،ومن ضل فإنما يضل عليها، والله تعالى لا تنفعه طاعة المطيع، ولا تضره معصية العاصي، بل هو الغني سبحانه] y x w v u z | { ~ ٱلْحَمِيدُ Z [فاطر: ١٥].

والانقياد والطاعة ينشآن عن صدق الإيمان وعظيم المحبة لله عز وجل، فإن من أحب الله بكل قلبه أطاعه بكل قواه، فأقام عوج حياته، وأزهرت معيشته.

وفعل المأمور أعظم من جنس ترك المنهي عنه، فالمأمور أرجح في ميزان الشريعة في الجملة من المنهي عنه؛ ومثوبة بني آدم على أداء الواجبات أعظم من مثوبتهم على ترك المحرمات، وعقوبتهم على ترك الواجبات أعظم من عقوبتهم على فعل المحرمات [١] .

فلا بد للروح من إيمان يرقيها ويسمو بها، ولا بد للقلب من تقوى تنوره وتنقيه، ولا بد للجوارح من طاعات تطهرها وتزكيها.

وسنحاول هنا الحديث عن بعض الواجبات والتي متى التزم المرء بها أفلح ونجى.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى، (٢٠/٨٥، ١١٨).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المطلب الأول

حفظ الفروج

الحفظ يستعمل في كل تفقد وتعهد ورعاية، وحفظ الفرج كناية عن العفة، والمراد: منع النفس من الوطء الحرام(١)، ومن تمام الحفظ تجنب ما يدعو إلى ذلك، كالنظر واللمس ونحوهما(٢).

وحفظ الفروج أحد الأصول الخمسة التي اتفقت عليها الشرائع، ولم يخالف فيها أحد من العقلاء، وهي: حفظ النفس، والمال، والدين والعقل والعرض(٣)؛ وكان الأمر به واضحاً في نصوص الكتاب والسنة، فقد تعاقب ذكره في كثير من المواضع، ففي سورة النور يأمر الله نبيه محمداً r أن يأمر المؤمنين بحفظ فروجهم وقبل ذلك يأمرهم بغض أبصارهم، يقول سبحانه: [N O P Q R S T | [النور : ٣٠]، ويقول r : (من يضمن لي ما بين لحييه، وما بين رجليه أضمن له الجنة)(٤).

وما أمر الشرع بحفظ الفروج إلا حماية للمجتمع من الفساد والانحراف، وصيانة له من أبواب الشر كلها، من زنىً، ولواط؛ إذ مفسدة الزنا من أعظم المفاسد، وهي منافية لمصلحة نظام العالم في حفظ الأنساب، لذا كانت تلي مفسدة القتل في الكبر، فقد قرنه الله بها في كتابه، وأيضاً رسوله عليه الصلاة والسلام، يقول سبحانه: [! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 | 3 4 5 6 7 Z[الفرقان: ٦٨]، وروى عبدالله بن مسعود t أنه قال: يا رسول الله أي

---

(١) انظر في مادة حفظ: المفردات للراغب، (١٢٤)، عمدة الحفاظ للسمين الحلبي، (٤٩٩/١).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي، (٥٤٨).

(٣) انظر: الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي، لعلي بن عبدالكافي السبكي، (١٧٨/٣)، بدائع السلك لابن الأزرق، (١١٩٤).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، (٢٣٧٦/٥)، ح(٦١٠٩).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الذنب أعظم؟ فقال r : (أن تجعل لله نداً وهو خلقك، قال: قلت: ثم أي؟ قال: أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك، قلت ثم أي؟ قال: أن تزاني حليلة جارك)[١].

قال الإمام أحمد: ولا أعلم بعد قتل النفس شيئاً أعظم من الزنا[٢].

فمن كان له قلب وعقل، وخوف من عقاب الله، فسعى في التزام الأوامر والنواهي، وامتنع عن الزنا استجابة لأمر الله، وسعى في حفظ فرجه عما حرم الله فقد حمى نفسه من شر كثير، وسعى في فلاح ذاته ونجاتها في الدنيا والآخرة، ونجى من فعل الحرام، وسَلِمَ من العقوبة والأمراض، وملأ وقته بطاعة الله، وانشغل بمعالي الأمور عن سوافلها، فإن جمع إلى ذلك - أي : إلى حفظ الفرج - الخصال المذكورة في آية سورة الأحزاب فهو موعود بمغفرة الله والأجر العظيم، يقول جل شأنه:] r s t

{ z y x w v u

| } ~ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ

وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ ©

وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا Z[الأحزاب: ٣٥] .

وهو من المفلحين المتخلقين بأخلاق الإسلام والإيمان، ففي سورة (المؤمنون) نجد أن الله حكم بفلاح المؤمنين، لإيمانهم، ولتصديقهم إيمانهم بعمل الطاعات، والتي منها: حفظ الفروج من الحرام، يقول سبحانه:] 6 7 8 9 : ; < =

J I H G F E D C B A @ ? >

Z L K[المؤمنون: ٥-٧].

فعلّق سبحانه فلاح العبد على حفظ الفروج، وأخبر أنه قد فاز وسعد من آمن بالله، واستجاب لأمره، ووقف عند نواهيه، وكان في غاية العفة والإعراض عن الشهوات بأن

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى: (فلا تجعلوا لله أندادا)، (٤/١٦٢٦)، ح(٤٢٠٧)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب كون الشرك أقبح الذنوب، (١/٩٠)، ح(٨٦).

(٢) انظر: الجواب الكافي لابن القيم، (١٧٧-١٧٩).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

يحفظ فرجه ، ويتجنب كل داعية إلى الزنا، كالنظر واللمس في كافة الأحوال إلا في حال التزوّج وملك اليمين، فلا لوم عليه حينئذ ولا حرج إذا كان على الوجه المأذون فيه شرعاً، كالإتيان في حال زوال الحيض والنفاس؛ أما من تجاوز ذلك إلى ما نهى الله عنه كالزنا واللواط فقد تجرأ على محارم الله وحدوده، وفاته الفلاح، واستحق اسم العدوان، ووقع في اللوم، وفَعَل ما يستحق به العقوبة، فخسر دنياه وأخراه(١).

ونلحظ في الآية تقديم (الفروج) على (الحفظ) وذلك لأهمية الأمر، وشدة العناية به(٢).

ومن صور الفلاح المترتب على من حفظ فرجه: أنه يكون من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، فقد أخرج الشيخان أن رسول الله r قال: (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، وذكر منهم: رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله)(٣).

وتفريج الكربات، كما في قصة الثلاثة الذين انطبق عليهم الغار فقالوا: (إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم، فقال أحدهم: اللهم إني كانت لي ابنة عم، وكانت من أحب الناس إليّ، فراودتها عن نفسها فامتنعت، حتى ألّمت بها سنة من السنين فجاءتني، فأعطيتها مائة وعشرين ديناراً على أن تُخَلِّي بيني وبين نفسها، ففعلت، حتى إذا قدرت عليها قالت: لا أحل لك أن تَنُضَّ الخاتم إلا بحقه، فتحرجت من الوقوع عليها، فانصرفت عنها وهي أحب الناس إليّ، وتركت لها الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة...الحديث)(٤).

---

(١) انظر: جامع البيان، (١٨/٤)، الجواب الكافي لابن القيم، (١٠٥)،تفسير ابن كثير، (٣/٢٤٠)، تيسير الكريم الرحمن، (٥٤٨).

(٢) انظر: من بلاغة سورة (المؤمنون)، لعائشة حسين فريد، (٦٥)، دار قباء - القاهرة، بدون ، ٢٠٠٠م.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجماعة والإمامة، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة ، (١/٢٣٤)، ح(٦٢٩)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، (٢/٧١٤)، ح(١٠٣١).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الإجارة، باب من استأجر أجيرا فترك أجره فعمل فيه المستأجر فزاد ، (٢/٧٩٣)، ح(٢١٥٢)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب قصة أصحاب الغار الثلاثة، (٤/٢٠٩٩)، ح(٢٧٤٣).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ولما كانت العفة من محاسن الدين ومقاصده، جاء التأكيد عليها في قوله تعالى : [F G H I J K L Z [المؤمنون: ٧] ، بعد الأمر بحفظ الفروج، وذلك مزيداً في التحذير، ولتبيين أن الأصل في الفروج التحريم إلا ما أباحه الشرع، وليكون رادعاً لكي لا تتغلب شهوة الفرج على المرء، فإن ذلك موجب للوم الشرعي، وإقامة الحد، ومانع من الفلاح والظفر(١).

والمراد بقوله تعالى: [F G H I J K L Z [المؤمنون: ٧] من طلب ما بعد ذلك و لم يحفظ فرجه فهو من الجائرين الظالمين الذين تعدوا في الظلم به، وفاته الفلاح، واستحق اسم العدوان، ووقع في اللوم(٢).

ولذا أُفرد حفظ الفروج هنا من بين سائر صفات المفلحين في هذه السورة بذكر عقوبة من خالفه، تحذيراً من شناعة فعله، وحماية للمجتمع الإسلامي من الفساد، وبناءه على العفة والطهارة.

وأصل حفظ الفرج حفظ وغض البصر؛ لأنه هو رائد الشهوة، وهو أصل عامة ما يصيب الإنسان من حوادث؛ ومن أطلق بصره أورد نفسه المهالك.

وقال ابن تيمية: (النظر داعية إلى فساد القلب، ولهذا أمر الله بحفظ الفروج كما أمر بغض الأبصار التي هي بواعث إلى ذلك)(٣).

وزلة الإنسان قد تأتيه من الفرج واللسان، لذا هذّبت الشريعة استخدامهما بما يوصل إلى الفلاح والفوز بالجنة، يقول r : (من يضمن لي ما بين لَحْيَيْه وما بين رجليه أضمن له الجنة)(٤).

وهذه الصفة التي مُدح بها المؤمنون جاء ذكرها في سورة المعارج في قوله تعالى: [~ ﴿ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا © أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ ´ µ ¶ ¸ Z[المعارج: ٢٩-٣١].

---

(١) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، (١٤/١٨).

(٢) انظر: الجواب الكافي لابن القيم، (١٧٨)، معاني القرآن للزجاج ، (٦-٧/٤).

(٣) تفسير سورة النور، (١٢٣)، مكتبة المنار الإسلامية - الكويت ، بدون ، ١٣٩٧ هـ.

(٤) تقدم تخريجه ص(١٨٩).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

فمن كان بهذه الصفة فقد نال البغية، وأحرز البقاء الدائم، وظفر بخير الدنيا والآخرة، وارتقى سلم العفة ، وهو سلم النجاة الذي سنه الدين لإقامة المجتمعات على خير وطهر، طهر للروح والأسرة والمجتمع، وصلحت أخلاقه من جانب، وامتنع بحفظه لفرجه تَفَشِّي الإباحة والوقاحة في المجتمع، واختلال العلاقات الإنسانية من جانب آخر(١).

وبهذا الأمر الرباني يتفوق التشريع الإسلامي على غيره من القوانين الوضعية، والأنظمة البشرية، في السمو الإنساني بمكارم الأخلاق، والمحافظة على عقل كل عاقل، والبعد عن التشبه بالبهائم؛ فكان هذا التشريع إزكاءً لنور العقل، وارتفاعاً بالنفس البشرية لتبقى دائماً في أحسن تقويم(٢).

ومن الوسائل المعينة على حفظ الفروج: الخوف من الله، واستشعار مراقبته، وتذكر اليوم الآخر، وغض البصر، وتحصين النفس بالزواج، وإلا فبالصوم، لحديث : (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء)(٣).

ولا ريب أن العفة عن الفواحش خصوصا فاحشة الزنا من أكبر علامات الإيمان، فالمؤمن لخوفه مقامه بين يدي ربه عز وجل ينهى نفسه عن الهوى، استجابة لداعي الإيمان(٤).

وجدير بكل مسلم التمسك بهذا الأمر الرباني (حفظ الفروج)، والسعي في تحصيل أسباب ذلك، لما له من أهمية بالغة على الفرد والمجتمع، خصوصاً في وقتنا الحاضر، حيث الفتن تتقاذف من كل جانب، وتَيَسُّر الحصول على المعاصي، وضَعُف الوازع الديني، وقوي سلطان النفس الأمارة بالسوء، وسلطان شياطين الإنس، وكان الانفتاح المريع على

---

(١) انظر: مبادئ الإسلام، لأبي الأعلى المودُودي، (١٧٤)، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - الرياض ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

(٢) انظر: الأخلاق الإسلامية، لحسن الشرقاوي، (٧٨)، دار المعرفة الجامعية ، مصر، بدون ، ١٩٩٩م.

(٣) رواه البخاري في كتاب النكاح، باب قول النبي عليه الصلاة والسلام : (من استطاع منكم الباءة فليتزوج) ، (١٩٥٠/٤)، ح(٤٧٧٨)، ومسلم في كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، (١٠١٨/٢)، ح(١٤٠٠)، وليس عند البخاري: (فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج).

(٤) انظر: التوضيح والبيان لشجرة الإيمان لابن سعدي، (٨٨).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الحضارات المختلفة، والشعوب الأخرى، حتى يسلم للمرء دينه وآخرته.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المطلب الثاني

أداء الأمانة

الإسلام يريد من معتنقه أن يكون ذا ضمير يقظ ، تُصان به حقوق الله وحقوق الناس، وتُحرس به الأعمال من دواعي التفريط والإهمال ، ومن ثمَّ على المسلم أن يكون أميناً، والأمانة في نظر الشارع واسعة الدلالة، وهي ترمز إلى معانٍ شتى، مناطها جميعاً شعور المرء بتبعته في كل أمر يُوكل إليه، وإدراكه بأنه مسؤول عنه أمام ربه، على النحو الذي فصّله الحديث الشريف: (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسؤولة عن رعيتها، والخادم في مال سيده راع وهو مسؤول عن رعيته)[١].

وقد جعل البعض الأمانة على أقسام ثلاثة، فعل العبادات التي أمر الشارع بها، واجتناب المنهيات، وحقوق العباد كالودائع والأموال ونحو ذلك[٢].

والمراد بأداء الأمانة: دفع الحق، وتوفية كل ما تحمله الإنسان من أمر دينه ودنياه، قولاً وفعلاً[٣]، فيشمل كل التزام التزم به الإنسان تجاه ربه ونفسه والناس ولذلك كانت الأمانة في هذه المرتبة من الأهمية حيث عُرضت على الكائنات الشديدة القوية، فأبين أن يحملنها، وأشفقن منها لأنها أدركت عِظم مسؤولية الأمانة، ورأت هذه المخلوقات الضخمة أنها - على ضخامتها وشدتها - عاجزة عن حمل الأمانة، قال تعالى:] إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ´ µ ¶ ¸ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا Z[الأحزاب: ٧٢].

وهي - أي الأمانة - على جسامة أمرها، وعِظم شأنها، وثِقل مسؤوليتها إلا أنها

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن ، (١/٣٠٤)، ح(٨٥٣)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، (٣/١٤٥٩)، ح(١٨٢٩).

(٢) انظر: الأمانة والأمناء، لأحمد نصيب المحاميد، (١٠)،الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م - بدون.

(٣) انظر: المحرر الوجيز، (٤/١٣٧)، والجامع لأحكام القرآن، (١٢/١٠٧)،المفردات للراغب، مادة أداء، (١٤).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

تؤتي أكلها بإذن ربها، فتثمر ثمار الطمأنينة والأمان في المجتمع، وتشيع رباط التآخي والثقة بين أفراده، وتَسْلم بأدائها الأرواح والأموال والأعراض، ويسير الناس على المنهج القويم، فيقومون بفعل الفرائض والواجبات، ويتركون المنهيات، ويستغلون النعم التي وهبها الله لهم في طاعته، ويؤدون حقوق العباد، فيصلح حالهم، ويعلو شأنهم.

وهي من أعظم الكنوز، وأنبل الأخلاق، إذ ما ادخر r لتبليغ دعوته، ونشر رسالته شيئاً أثمن من الأمانة، فقد كان يُعرف عند قومه بـ(الأمين) قبل أن يكون نبياً مرسلاً[١]؛ وعُرف بها موسى u ، قال تعالى:] L M N O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m n o p q r s t u v w x y z { | } ~ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ Z[القصص: ٢٤-٢٦]؛ وليست أمة من الأمم إلا وللأمانة عندها المكان الأعلى .

والأمة التي لا أمانة فيها يفسد حالها، وتعبث فيها الشفاعات بالمصالح العامة، وقد أرشدت السنة إلى أن هذا من مظاهر الفساد الذي يقع آخر الزمان، فقد جاء رجل يسأل رسول الله r : متى تقوم الساعة؟ فقال له: (إذا ضُيِّعت الأمانة فانتظر الساعة، فقال: وكيف إضاعتها؟ قال: إذا وُسِّد الأمر لغير أهله فانتظر الساعة)[٢].

فالأمانة خلق وجداني تُوجده الروح السامية، التي تستمده من الدين؛ ويفيض من النفس الطاهرة، لا من الخوف من رقابة البشر[٣]؛ فلاح العبد معلق عليه، إذ لا فلاح لعبد إلا بتخلقه بخلق الأمانة، يقول تعالى في سياق ذكر صفات المؤمنين المفلحين:] N O P Q R Z[المؤمنون:٨].

---

(١) انظر: الأمانة والأمناء ، لأحمد نصيب المحاميد، (٣٠).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب من سئل علما وهو مشتغل في حديثه فأتم الحديث ثم أجاب السائل ، (٣٣/١)، ح(٥٩).

(٣) انظر: الأمانة والأمناء لأحمد نصيب المحاميد، (٢٩-٣٠).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

فأهل الإيمان والفلاح حريصون على حفظ الأمانة، والقيام بها وتنفيذها، سواء أكانت حقاً لله تعالى كالتكاليف الشرعية، أم حقاً للعباد كودائع الأموال والأسرار، فهم يُتمُّون عباداتهم خالصة لله كما أمر، ويوفون بالودائع والعقود استجابة لأمر الله تعالى حيث أنهم مؤتمنون عليها، قال تعالى:] © ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا Z[النساء:٥٨][١].

وهم إذا ائتمنوا لم يخونوا، بل يؤدون الأمانة إلى أهلها:] 8 7 6 5 9 : ; < = > ? Z[الأنفال:٢٧]، بخلاف أهل النفاق والغدر[٢]؛ فتحقق لهم الفلاح، فلاح الدنيا والآخرة، ونالوا كل مطلوبهم؛ لأنه الوعد الصادق وعد الله، والله لا يخلف الميعاد.

وقرئ قوله تعالى:] P Z بالجمع باعتبار تعدد أنواع الأمانة، وتعدد القائمين بالحفظ، ولعمومها، وقرئ بالإفراد[٣]، وهما قرائتان سبعيتان متواترتان.

ولما كانت السعادة القصوى أن يُوقَى الإنسان شقاء العيش في الدنيا، وسوء المنقلب في الأخرى، جمع رسول الله r في استعاذته بين الحالين، فقال: (اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع، وأعوذ بك من الخيانة، فإنها بئست البطانة)[٤].

ونهى رسول الله r عن خيانة الأمانة؛ لأنها من أقبح خصال المنافقين، يقول عليه الصلاة والسلام: (آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان)[٥]، وبيّن r أن خيانة الأمانة من صفات ضعفاء الإيمان، ففي الحديث الذي رواه

---

(١) انظر: زاد المسير، (٤٦١/٥)، أنوار التنزيل، (١٤٨/٤)، أضواء البيان، (٣١٩/٥)، المفردات للراغب، مادة رعى، (١٩٨).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، (٢٤٠/٣)، التفسير المنير، (٣٢٨/٩، ٣٣٢).

(٣) انظر: السبعة في القراءات لأبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد، (٤٤٤): تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف - مصر، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ.

(٤) رواه أبو داوود في كتاب الصلاة، باب في الاستعاذة، (٩١/٢)، ح(١٥٤٧)، وابن ماجه في كتاب الأطعمة، باب التعوذ من الجوع، (١١١٣/٢)، ح(٣٣٥٤)، والنسائي في كتاب الاستعاذة، باب الاستعاذة من الجوع، (٤٥٢/٤)، ح(٧٩٠٣)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داوود، (٢٧١/٥)، ح(١٣٨٣).

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب علامة المنافق ، (٢١/١)، ح(٣٣)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

عمران بن الحصين أن رسول الله r قال: (خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم - قال عمران: فلا أدري أذكر بعده قرنين أو ثلاثاً - ، ثم إن بعدكم قوماً يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يَفُون، ويظهر فيهم السمن)[١].

ونلحظ في الآية :] N O P Q R Z [المؤمنون:٨] أنه جمع بين رعاية الأمانة ورعاية العهد، وذلك لأن الذي عاهد قد ائتمن صاحبه على الوفاء بما يقتضيه العهد[٢].

وجاء ذكر أداء الأمانة بعد ذكر الزكاة؛ لأن الزكاة أمانة الله عند أصحاب الأموال[٣]، فالأمانة هي الإسلام كله، وهي الدين كله، من اتصف بها فقد أرضى الله وضميره والناس، ومن أعرض عنها فقد خان الله وضميره والناس؛ والأمانات كثيرة، هي على عاتق الفرد والجماعة؛ ومتى استعان العبد بربه، واستشعر مراقبته له، وتأمل في ثواب أداء هذه الأمانات هانت عليه الصعاب، وتلذذ بأداء هذه العبادة.

ولا تستقيم حياة مجتمع ما إلا حينما يسلك أفراده درب أداء الأمانة، والوفاء بالعهد في العبادات والمعاملات، فيطمئن الكل، وتحل الثقة والأمن محل الغدر والخوف؛ وفي المبحث التالي مدار الحديث عن رعاية العهد، والوفاء به.

بيان خصال المنافق، (١/٧٨)، ح(٥٩).

(١) تقدم تخريجه ص(١٧٩).

(٢) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، (١٨/١٦).

(٣) انظر: المصدر السابق، (١٨/١٧).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المطلب الثالث

الوفاء بالعهود

الوفاء بالعهد شرفٌ يحمله المسلم، وهو قيمة إنسانية أخلاقية عظمى، به تدعم الثقة بين الأفراد، وتَقوى أواصر التعاون في المجتمع، وهو أصل الصدق وعنوان الاستقامة، وقبل ذاك هو أدب رباني، وخلق نبوي كريم، من شعب الإيمان، ومن أهم واجبات الدين، وخصال المتقين.

ولا غرو أن تتابعت آيات القرآن خاصةً على الوفاء بالعهد، قال تعالى: [وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا]Z[الإسراء: ٣٤] ؛ وأهم العهود عهد الله، قال تعالى: [B A @ ? > = < ; : 9 8 7 6 5 4 3 2 1 0 / . - , + *) (' & % $ # " !]Z[النحل: ٩١] ، وقال أيضاً: [ ] \ [^ _ ` a Z[الأنعام: ١٥٢].

وجاءت الأحاديث موافقة للقرآن في الأمر بوجوب الوفاء بالعهد، فقد روى البخاري أن رسول الله r قال: (أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها)(١).

وتربع رسولنا r قمة مكارم الأخلاق بعد أن شيدها، وكان للوفاء بين هذه اللبنات المكانة الرفيعة، فقد كانت حياته r وفاءً في وفاء، كان وفيّاً لربه ، ولأهله، وللمسلمين، وفياً في السلم والحرب معاً عليه الصلاة والسلام(٢).

وقد قال أهل اللغة: العهد الوفاء، إشارة إلى أهمية الوفاء بالعهد، جاء في لسان العرب: العهد الوفاء، وفي التنزيل : [وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ]Z[الأعراف:

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجزية، باب من عاهد ثم غدر ، (٣/١١٦٠)، ح(٣٠٠٧)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، (١/٧٨)، ح(٥٨).

(٢) انظر: الوفاء بالعهد في القرآن الكريم، لحسني أمين مصري، (٢١١)، دار المنار ، القاهرة ، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

١٠٢] أي: من وفاء[١].

والمراد بالعهد: حفظ الشيء ومراعاته حالاً بعد حال، والوفاء به إتمامه وعدم نقض حفظه[٢]؛ وكل ما أُخذ على الإنسان العهد بحفظه، والتزم به نحو ربه، وأُمر به، والتزم به نحو الناس فهو من العهد الذي يجب الوفاء به[٣].

والوفاء بالعهد من خصال البر والخير والإيمان، وسبيل الوصول إلى أعلى الدرجات، رتّب الله عليه فلاح أهل الإيمان، وكتب لهم باتصافهم به وبسائر الصفات الخير والسعادة في الدنيا، والثواب العظيم في الآخرة، يقول جلّ شأنه: [N O P Q Z R [المؤمنون: ٨].

فأهل الفلاح هم حافظون للعهد ولقدسيته ، مؤدون له، حريصون على القيام بـــه، العهد الذي بينهم وبين الله كالأوامر والنواهي، والعهد الـــذي بينـــهم وبـــين العبـــاد، كالالتزامات والعقود، لأن إهماله والتفريط فيه محـــرم، ومـــدعاة للاتـــصاف بـــصفات المنافقين[٤]، كما جاء في الحديث: (أربع من كن فيه كان منافقـــاً خالـــصاً: إذا حـــدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها)[٥].

وعهد الله هو أعلى العهود مكانة، وعليه تقوم جميع العهود والمواثيق، إذ أن كـــل عهد يقطعه المؤمن يجعل الله شهيداً عليه؛ والوفاء بعهد الله هو أساس كرامة الإنـــسان في الدنيا وسعادته في الآخرة، وفي الوفاء به صدق الانقياد والطاعة، يقول جل شـــأنه آمـــراً عباده بهذا الخلق، وخاتماً به الوصايا الخالدة: [@ A B D E F Z G H [الأنعام:١٥٢][٦].

---

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور، (٤/٢٠٥).

(٢) انظر: المفردات للراغب ، مادة عهد، (٣٥٠)، ومادة وفى، (٥٢٨).

(٣) انظر: أضواء البيان ، (٥/٣١٩)، التفسير المنير ، (٩/٣٢٨).

(٤) انظر: المحرر الوجيز، (٤/١٣٧)،تفسير ابن كثير، (٣/٢٤٠)، تفسير المراغي، (٦/٢٦٩).

(٥) تقدم تخريجه في الصفحة السابقة ص(١٩٩) .

(٦) انظر: العهد والميثاق في القرآن الكريم، لناصر سليمان العمر، (١٨٣)، دار العاصمة - الريـــاض، الطبعـــة

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وكما يوصي الإسلام بالوفاء بعهد الله، والمحافظة عليه يوصي في الوقت نفسه باحترام العهود والعقود مع الناس، ويأمر بإنفاذها على المسلم والكافر.

وفي آية سورة (المؤمنون) عُطف العهد على أداء الأمانة لأنه أعظم أمانة[١]؛ وجاء متأخراً عن سابقه من الخصال ليؤكد أن من خشع في صلاته، وأدى زكاته، وحفظ لسانه وجوارحه لم يكن له العمل بهذا ما لم يكن محافظاً على العهد الذي قطعه مع ربه.

والوفاء بالعهد كمبدأ من مبادئ الأخلاق - إن لم يكن أهمها - في حاجة ماسة إلى ثلاثة عناصر أساسية، إذا ما تحققت في المرء سهل عليه أن ينجز ما وعد، وأن يفي بالعهد، وهي: الإيمان، والعزيمة، والتذكّر.

فالإيمان بالله عاصم من نقض العهد؛ لأن الإيمان بالله لا يجتمع مع الغدر؛ وأما العزيمة ففقدها يورث الضعف والهوان في الإنسان، فيذوب في المجتمع ويضيع؛ والتذكّر ضرورة لازمة للوفاء، إذ من أين لناسٍ العهد أن يَفِيَ به، ولذلك ختمت آية العهد بعنصر التذكير، [@ A B | D E F G H Z[الأنعام: ١٥٢][٢].

ومن أوفى بعهده مع الله ومع الناس فقد تحقق له الإيمان ، والصدق، والفلاح، والتقوى؛ يقول تعالى: [! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z[المؤمنون: ١-٨]، ويقول سبحانه: [E F G H | J K L M N O | Q R S | U V W X Y Z[البقرة: ١٧٧].

الأولى، ١٤١٣هـ.

(١) انظر: نظم الدرر للبقاعي، (٥/١٨٤).

(٢) انظر: الوفاء بالعهد في القرآن الكريم لحسني أمين مصري، (٢٢٩ وما بعدها).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وينتظره الأجر العظيم، قال تعالى:] ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < Z[الفتح:١٠]، ولا أعظم أجراً من الجنة، يقول سبحانه عن المفلحين الموفين بالعهد:] Z [\ ] ^ _ ` a b c Z[المؤمنون: ١٠-١١]؛ وقال جل شأنه:] G H I J Z[البقرة: ٤٠].

قال ابن جرير: وعهده إياهم أنهم إذا فعلوا ذلك أدخلهم الجنة[١]؛ وكان من أهل العقول، إذ الوفاء بالعهد طريق تزكية العقول، يقول تعالى:] . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : Z[الرعد: ١٩-٢٠][٢].

فكل الفلاح والنجاة في الوفاء بالعهد، وكل خيبة وسوء حال بسبب نقض العهد؛ بالوفاء بالعهد تسعد البشرية، وتعيش في أمن واستقرار، وتحتمي من الشقاء والعناد، وبنقضه وإهماله تزول الاستقامة والثقة، وتضعف الأواصر، وتتهاوى العلاقات، وتحل الفتن والقلاقل، وما أهلك الله القرى الظالمة إلا بعد أن قال في أهلها:] وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ Z[الأعراف: ١٠٢].

---

(١) انظر: جامع البيان ، (١/٢٥٠).

(٢) انظر: العهد والميثاق في القرآن الكريم لناصر العمر، (٢٠٥-٢٠٦)، الوفاء بالعهد في القرآن الكريم لحسني أمين صبري، (٢٣٦ وما بعدها).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المطلب الرابع

إتيان البيوت من أبوابها

الباب مدخل الشيء، وهو ما يتوصل منه إلى غيره، ويقال: هذا من باب كذا، أي: مما يصلح له[١].

يرشد الله عباده المؤمنين إلى طلب الأمور من مظانها ومواضعها، ويعلق الفلاح على من سار على هذا النهج، فيقول سبحانه: [~ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ © ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ´ ¶ ٤ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ Z[البقرة: ١٨٩].

وقد قيل في سبب نزول الآية: أنهم كانوا إذا أحرموا في الجاهلية أتوا البيت من ظهره، فأنزل الله [~ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ © ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ´ ¶ ٤ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ Z[البقرة: ١٨٩][٢].

فبين الله لهم أن عملهم ذاك ليس ببر ، وإنما البر هو اتقاء المحرمات والشهوات، فإنه ليس في العدول بر، بل البر مباشرة الأمور من وجهها[٣]؛ ويأمرهم سبحانه أن يكون باطنهم عنواناً لظاهرهم وذلك بطلبهم الأمور كلها من مواضعها، وتحري - في كل عمل - إتيان الشيء من وجهه الذي ندبهم إليه، تنبيهاً على أن ما يُطلب من غير وجهه صعب تناوله، فكما أن الدخول من ظهور البيوت صعب وعسير، فكذلك طلب الأشياء من غير مظانّها.

---

(١) انظر: المفردات للراغب، مادة باب، (٦٤)، عمدة الحفاظ للسمين الحلبي، مادة بوب، (٢٧٦/١).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى:(وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها)، (١٦٤٠/٤)،ح(٤٢٤٢)، ومسلم في كتاب التفسير، (٢٣١٩/٤)، ح(٣٠٢٦).

(٣) انظر: أنوار التنزيل للبيضاوي، (٤٧٥/١).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

قال ابن عثيمين: الآية تناولت البيوت الحسية، والأمور المعنوية[١].

فكما أنه لا تؤتى البيوت من النقب بل من الأبواب فكذلك سائر الأمور لا تؤتى من غير أبوابها[٢].

ثم صحح لهم التصور الإيماني للبر، وأعلمهم أنه في لزوم تقواه سبحانه، وذلك بامتثال أوامره واجتناب نواهيه؛ فمن التزم ذلك فأتى البيوت من أبوابها، وقصد الأمور من مقاصدها المشروعة، والتزم بتقوى الله فقد ظفر بالبر والهدى، وأتى بسبب من أسباب الفلاح[٣].

أما من عصى الله عز وجل، فلم يطلب الأمور من أبوابها، وتعبّد الله بما لم يشرعه سبحانه، فليس بمفلح، بل هو خاسر في الدارين، وهو مبتدع؛ لأنه كما لا تؤتى البيوت من النقب بل من الأبواب، فكذلك أمور العبادات لا تبنى على أساس العادات ولا الابتداع، بل يكتفي بما نص عليه الشارع ولا يتعداه لا بزيادة ولا نقصان؛ ومعلوم أن خطر البدعة أعظم من المعصية، يقول شيخ الإسلام: (البدعة أحب إلى إبليس من المعصية؛ لأن العاصي يعلم أنه عاصٍ فيتوب، والمبتدع يحسب أن الذي يفعله طاعة فلا يتوب)[٤].

وطلب الأمور من مقاصدها وأبوابها ليس بالأمر الهيّن، ما لم يكن الداعي والمعين تقوى الله، فإن إشهار سلاح التقوى، واستشعار لذة إشباع الشرع يجعل النفس البشرية تستسهل الصعاب، ويحلولها المر في سبيل البحث عن الحق، وجلب الأمور والحقائق من منابعها الحقيقية، فتغنم خير الدارين.

والإسلام دين الحياة والواقع النافع، يصرف الناس إلى ما فيه نفعهم وصلاحهم، ويرشدهم إلى سلوك الطريق الأيسر في كل شؤونهم؛ لأن كل من ثابر وحاول في أمر ما، وأتاه من بابه لابد أن يحصد الثمرة؛ والبر كل البر إنما يكون بالإحسان، والتقوى، وترك

---

(١) انظر: تفسير ابن عثيمين(الفاتحة – البقرة)، (٢/٣٧٢)، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

(٢) انظر: الكشاف، (١/٢٦٢)، محاسن التأويل ، (٣/١٣٣-١٣٤)، تفسير المنار،(٢/٢٠٧)، تيسير الكريم الرحمن، (٨٨).

(٣) انظر: تفسير المراغي، (١/٢٦٠)، التفسير المنير، (١/٥٣٨).

(٤) مجموع الفتاوى، (١/٦٣٣).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

اتباع أهواء المبتدعين[١].

ولذا قيل: ملاك القصد إلى الله تعالى خلع العادات، و استمرار قبول الأمور المنزلات من قيوم السماوات والأرض[٢].

(١) انظر: التحرير والتنوير، (١٩٩/٢)، تيسير الكريم الرحمن، (٨٨-٨٩)، التفسير المنير، (٥٣٩/١).

(٢) انظر: نظم الدرر للبقاعي، (٣٦٠/١).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المطلب الخامس

أداء الحقوق

يهتم الإسلام بالمجتمع، ويضع الأسس الثابتة التي يقوم بنيانه عليها، والخطوط العريضة التي تصون كيانه؛ ويربط المسلمين جميعاً برباط هو أوثق رباط، وهو رباط الأخوة الدينية.

وهذه الأخوة تقتضي تبعات وحقوق، بأن يهتم كل أخٍ بأمر أخيه، وأن يُعنى بشأنه، ويدافع عنه، يقول r : (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) [١] .

ومن حقوق الأخوة (البذل)، وإعطاء الحقوق المالية والمعنوية لذوي القرابة، والمسكين، وابن السبيل؛ فأوصى الإسلام بالبذل ليتحقق مبدأ التكاتف بين أفراده، وها هو نص القرآن حينما جعل الخير الجامع هو صحة العقيدة، والإحسان إلى الجماعة البشرية، وذلك بإنفاق المال وبذله للمحتاجين، يقول تعالى:] ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ Z[البقرة: ١٧٧].

ورتب الأجور العظيمة على من قام بذلك، قال تعالى:] Q R S U V W Z[البقرة: ١٧٧].

وقرن الله بين الأمر بعبادته والأمر بالإحسان إلى الخلق، فقال سبحانه:] g h i j k l n o p q r s t u v w x y z { | } ~

---

(١) تقدم تخريج الحديث ص (١١٢) .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

أَيۡمَٰنُكُمۡ Z[النساء: ٣٦].

وعلق الباري سبحانه فلاح العبد بأدائه حقوق ذوي القرابة، والمسكين وابن السبيل، فقال جل شأنه: [s r q p o n m l k j i Z[الروم: ٣٨].

والمسكين : هو من يجد أقل ما يكفيه، وقيل: هو الذي يطوف يسأل الناس.

وابن السبيل: هو المسافر المحتاج البعيد عن منزله وماله(١).

فالله عز وجل الكريم المنان يحب الإحسان إلى ذوي القرابة وأهل الحاجات ، كالمساكين، وأبناء السبيل، وهو سبحانه إذا بسط الرزق لعباده لم يُنقِصُه الإنفاق، [X Z Y [\ ] ^ _ ` b c d e f g Z[الروم: ٣٧]، وحث نبيه محمداً r وعباده المؤمنين في قوله: [i j k l m n Z[الروم:٣٨] على إعطاء قرابتهم كلٌ على حسب قربه وحاجته مما أوجبه الشرع أو حض عليه، من النفقة الواجبة، والصدقة، والصلة، والبرّ، والإحسان، والعفو والمسامحة، لأنهم أحق الناس بالشفقة لرابطة الدم والنسب؛ وحث على إعطاء المساكين وابن السبيل ما فرض الله لهم، من الطعام، والكسوة بقدر ما يكفيهم ويدفع حاجتهم.

ووعد سبحانه على هذا العمل الخَيِّرِ الخَيْرَ الغزير، والثواب الكبير، والسلامة من العقوبة(٢).

هاهو الإسلام يرسخ مبدأ التكافل الاجتماعي، فيوحد جهود أفراده للعمران، وتحصيل المنافع، ودفع المفاسد والأضرار المادية والمعنوية؛ ومليئة هي نصوص الوحيين بما يؤكد مبدأ التكافل بين أفراد المجتمع الإسلامي، يقول تعالى: [J K L M N

(١) انظر: المفردات للراغب ، مادة سبل، (٢٢٣)، أحكام القرآن لابن العربي، (٤٠٢/٢)، تفسير ابن كثير، (٣٦٥/٢)، أضواء البيان للشنقيطي، (٥٤٣/٨).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، (٤٣٥/٣)، مفاتيح الغيب، (١٠٩/٢٥)، تفسير المراغي، (٢٨٠/٧-٢٨١)، تيسير الكريم الرحمن، (٦٤٢).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

Y X W V U T S R Q P O

Z [Z[النحل: ٩٠]، فأمر سبحانه بالعدل، ثم بما هو فوقه وهو الإحسان، أي: فعل الخير بلا مقابل، ثم أمر بإعطاء الأقارب ما يحتاجون، وقد دعا القرآن إلى كل خير وفلاح: [l m n o Z[الحج:٧٧]، وذلك لإصلاح الإنسان في أخلاقه ، وإصلاح المجتمع البشري(١).

وقال سبحانه: [g h i j k l m n o p Z q r s Z[النساء: ٣٦].

وقال r : (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد؛ إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)(٢).

وكانت أفعاله r مناراً في ذلك، فها هو حينما رأى مجتمع المدينة ممزقاً بخلافات الأوس والخزرج من جانب، وفقر معظم المهاجرين من جانب آخر طبق مبدأ أخوة الإسلام، واعتلى صرح المؤاخاة، فكان هذا درساً في التعاون والتكافل الاجتماعي.

وإذا كان الإحسان إلى الخلق مطلوب، فأولاه إحسان المسلم لأقاربه وأرحامه، فبه تُضاعف الحسنات، كما في الحديث: (الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم ثنتان: صدقة وصلة رحم)(٣).

وجعل الله قطع الأرحام عديل الإفساد في الأرض، قال سبحانه: [N O P Q R S T U V W Z[محمد: ٢٢]، وقطعها أيضاً من أهم أسباب انقطاع العبد عن الله، قال r : (لا يدخل الجنة قاطع). (٤)

---

(١) انظر: القرآن الكريم منهجه ووسائله في التربية الأخلاقية، لمحمد جمعة عبدالله، (٧٥، ٨٠)، المكتبة الأزهرية، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ٢٠٠٢م.

(٢) تقدم تخريجه ص ١١٢.

(٣) رواه الترمذي في كتاب الزكاة، باب ما جاء في الصدقة على ذي القرابة، (٤٧/٣)، ح(٦٥٨) وحسنه، وابن ماجه في كتاب الزكاة، باب فضل الصدقة، (٥٩١/١)، ح(١٨٤٤)، وأحمد في مسنده، (١٧/٤)، ح(١٦٢٧٢)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح، (٦٠٤/١)، ح(١٩٣٩).

(٤) انظر: جند الله ثقافة وأخلاقاً، سعيد حَوّى، (٢١٢-٢١٣)، بدون ، والحديث أخرجه البخاري في كتاب

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ومثلما ورد الأمر بالإحسان إلى ذوي القرابة فقد جاء الأمر بالإحسان إلى الفقراء والمساكين، والحث على كفالتهم، ومشاركتهم آلامهم، وتنفيس الكرب عنهم، وبذل العون لهم مادياً ومعنوياً، قال تعالى:] وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا Z[الإسراء: ٢٦].

ولم يكتف الإسلام بسد حاجة المحتاجين من أهل البلد، بل زاد على ذلك برعايته حاجة من كان ضارباً في الأرض مسافراً محتاجاً.

واعتنى بالمسافرين الغرباء عنايةً لم يُعرف لها نظير في الأنظمة والقوانين، وهي لون من ألوان التكافل الاجتماعي، فأمر بإكرام الضيف، وإحسان ضيافته، قال r : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه)(١)، وجعل لابن السبيل حقاً واجباً في الزكاة، قال تعالى:] y x w v u t s r q

z { | } ~ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ Z[التوبة: ٦٠].

حقوق ذوي القربى والمسكين وابن السبيل:

مما سبق يتبين لنا حقوق ذوي القربى والمسكين وابن السبيل، فحق ذوي القربى الصلة والبِرّ، وحق المسكين وابن السبيل ما فرضه الله لهم من الصدقات، والمواساة، والضيافة لابن السبيل(٢).

وجماع حقوق هؤلاء الثلاثة هو المواساة بالمال(٣).

وخص هؤلاء بالذكر (لأنهم أولى من سائر الأصناف بالإحسان، ولكون ذلك واجباً لهم على كل من له مال فاضل عن كفايته)(٤)، وقُدِّم (ذوي القربى) في الذكر اهتماماً به،

الأدب، باب إثم القاطع، (٥/٢٢٣٥)، ح(٥٦٣٨)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، (٤/١٩٨١)، ح(٢٥٥٦).

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ، (٥/٢٢٤٠)، ح(٥٦٧٢)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف، (١/٦٨)، ح(٤٧).

(٢) انظر: جامع البيان، (٢١/٤٥)، أنوار التنزيل، (٤/٣٣٦)، روح المعاني، (٢١/٤٣)، محاسن التأويل، (١٣/١٨١).

(٣) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، (٢١/١٠٣).

(٤) فتح القدير للشوكاني، (٤/٢٢٦).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

واعتناءً بشأنه، لأن بره صدقة وصلة، وقُدِّم المسكين على ابن السبيل لأن حاجته ليست مختصة بموضع دون آخر(١).

والإحسان إلى ذوي القربى والمسكين وابن السبيل وإلى الناس عموماً مشروط بالإخلاص لله تعالى؛ لأن النفقة بدون الإخلاص غير معتبرة بميزان الشرع، قال سبحانه:]Zv u t s r q[[الروم: ٣٨].

فهذه صفقة رابحة، سُدِّدَت يدٌ عملت بها، إذ باع أصحابها الفاني القليل بالباقي الكثير؛ ويسود بفعلها تكافل المجتمعات والأسر، ويظهر تعاونها على السراء والضراء، والمحبة والمودة، وتزول الأمراض التي تضر الأمة، كالحسد والفقر ونحوها(٢).

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (١٤/٣٥)، مفاتيح الغيب، (٢٥/١٠٩)، روح المعاني، (٢١/٤٥).

(٢) انظر: تفسير المراغي، (٧/٢٨١)، التفسير المنير ، (١١/١٠١).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المبحث الرابع: اجتناب المحرمات

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: اللغو.
المطلب الثاني: الربا.
المطلب الثالث: الخمر والميسر والأنصاب والأزلام.
المطلب الرابع: شح النفس.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

تمهيد:

يبني القرآن النفوس ظاهراً وباطناً بما يفرضه من الإيمان به من أسس العقيدة، وما يفرض الالتزام به من فرائض العبادات، وما يفرض الابتعاد عنه واجتنابه من المحرمات.

وهذان الجانبان: فعل الواجبات وترك المحرمات، هما خطان مميزان لشخصية المؤمن التي يبنيها القرآن الكريم، وبهما يتميز المؤمن في نظرته إلى الحياة، فينضبط سيره، يزكي نفسه بأداء الواجبات وترك المحرمات، فيرتفع في أفق كريم، ويتخلص من آفات النفس، ويفلح في دنياه وأخراه.

وسنقف هنا مع جانب (اجتناب المحرمات) بعدما أسلفنا الحديث عن الإتيان بالواجبات وأدائها.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المطلب الأول

اللغو

الركون إلى الدنيا، وإشغال الهم والفكر بها وبمتاعها الزائل ، والخوض في غمار اللغو من القول والفعل من أعظم أسباب الغفلة، وضعف كثير من أعمال القلوب والجوارح، إذ متى ما امتلأ القلب بحب الدنيا لم يعد فيه مكان للأعمال الشرعية.

وأصل اللغو ما لا فائدة فيه من الأقوال والأفعال، فيدخل فيه اللعب واللهو، وما تُوجب المروءة تركه، وما لا يُعْتدَّ به [١] .

ولأهمية التحذير من اللغو جاء ذكره بين ركنين أساسيين من أركان هذا الدين، قال تعالى:] ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 Z [المؤمنون: ١ – ٤]، وذلك مؤشر عظيم وكبير على أن أركان الإسلام وإن تحققت للعبد في الحياة الدنيا والعبد لم يحفظ نفسه عن اللغو فإن أركانه مهزوزة، وجاء ذكر الإعراض عن اللغو بعد ذكر الخشوع في الصلاة ليجمع للمؤمنين الفعل والترك الشاقين على الأنفس، اللذين هما قاعدة بناء التكليف [٢] .

والإعراض عن اللغو من صفات المؤمنين المفلحين الموعودين بالفردوس الأعلى، قال تعالى:] + , - . / Z [المؤمنون: ٣]، فأهل الإيمان والفلاح في صلاتهم معرضون عن كل شيء إلا الصلاة، وفي خارجها هم معرضون عن الشرك، والباطل، وكل كلام لا خير فيه ولا فائدة، ومعرضون عما لا يعنيهم من الأقوال والأفعال، ويترفعون عنها تنزيهاً لأنفسهم، ورغبة في ثواب الله، واستغلالاً لأوقاتهم بما فيه نفعهم ونفع المسلمين، مقتدين في ذلك بنبيهم صلى الله عليه وسلم [٣] .

وما أثنى الله به على المؤمنين المفلحين أشار إليه في مواضع أخرى من كتابه، كقوله تعالى:] b c d e f Z [الفرقان: ٧٢] أي: إذا سمعوا الكلام القبيح أكرموا

---

(١) انظر: المفردات للراغب ، مادة لغا، (٤٥١)، أضواء البيان للشنقيطي، (٣٠٦/٥).

(٢) انظر: الكشاف للزمخشري، (١٧٩/٣)، نظم الدرر للبقاعي، (١٨٣/٥).

(٣) انظر: جامع البيان، (٣/١٨)، النكت والعيون ، (٤٦/٤)، معالم التنزيل، (٣٠١/٣).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

أنفسهم عن الدخول فيه؛ لأن مرورهم به كراماً إعراضهم عنه، وعدم مشاركتهم أصحابه فيه [١] .

وأخبر سبحانه عن العلماء الأولياء من أهل الكتاب أن من أوصافهم أنهم إذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه، ولا يخالطون أهله، ولا يعاشرونهم، وإذا سفه عليهم سفيه وكلمهم بما لا يليق بهم الجواب عنه أعرضوا عنه،ولم يقابلوه بمثله من الكلام القبيح، ولا يصدر عنهم إلا كلامٌ طيب، قال الله تعالى مخبراً عنهم: [O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ Z [القصص: ٥٥].

والإعراض عن اللغو من خلق الجد، ومن اكتسى رداء الجد في حياته وتصرفاته لم يبدر منه إلا كل عمل نافع، ولم ينحدر في مهاوي الرذيلة؛ وهو من خلق الإسلام ومن أعظم آداب المعاملة [٢] ؛ وإذا ملك العبد لسانه واستعمله في أبواب الخير كان مالكاً لأمره، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل رضي الله عنه [٣] حين أوصاه بوصايا: (ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ قال معاذ: بلى يا رسول الله. فأخذ بلسانه وقال: كف عليك هذا)[٤] لأن أمر اللسان خطير، والنبي صلى الله عليه وسلم علق صلاح القلب واستقامته بصلاح اللسان، يقول عليه الصلاة والسلام: (لا يستقيم إيمان عبدٍ حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه)[٥] .

---

(١) انظر: جامع البيان لابن جرير، (١٩/٤٩)، أضواء البيان للشنقيطي ، (٦/٧٩).

(٢) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، (١٨/١١).

(٣) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي أبو عبدالرحمن، الإمام المقدم في علم الحلال والحرام، شهد المشاهد كلها، وشهد بدرا وهو ابن إحدى وعشرين، أمّره النبي عليه الصلاة والسلام على اليمن، وكانت وفاته بالطاعون في الشام سنة ١٨هـ.
انظر: الإصابة لابن حجر ، (٦/١٣٦)، أسد الغابة لابن الأثير، (٥/٢٠٤).

(٤) رواه الترمذي في كتاب الإيمان، باب ماجاء في حرمة الصلاة، (٥/١١)، ح(٢٦١٦)، وقال: حسن صحيح، وابن ماجة في كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، (٢/١٣١٤)، ح(٣٩٧٣)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، (٣/١١٥)، ح(١١٢٢).

(٥) رواه أحمد في مسنده، (٣/١٩٨)، ح(١٣٠٧١)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، (٦/٨٢٢)، ح(٢٨٤١).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ولعل أهم أسباب الخوض في لغو القول والفعل قلة الإيمان وتقوى الله، و ترك الانشغال بالطاعات، وغياب الهمة العالية، وعدم استشعار أهمية الوقت، ونسيان الله والدار الآخرة، وأن الإنسان محاسب على كل ما يفعله، قال تعالى: [: ; < = > ? @ A Z [ق: ١٨]، والفهم الخاطئ للترويح عن النفس، فإن بعض الناس قد يرى أن الخوض في الفضول والباطل إنما هو من قبيل الترويح والتنفيس عن النفس، فلا يتورع عن الوقوع في هذه الآفة.

وللخوض في الباطل آثار ضارة، وعواقب مهلكة، منها: قسوة القلب، وذلك بانشغال القلب عن وظيفته في عبادة الحق سبحانه، والتعرض لسخط الله، وذلك بإتيان المنكر من القول والزور، وعدم القدرة على القيام بالواجبات، وذلك أن الخائض في اللغو والباطل يبدد طاقاته في تفاهات، ومن ثم يعجز عن القيام بالواجبات المفروضة [١] .

وفوق أن الإعراض عن اللغو قولا وعملا، حالا وسلوكا، من صفات المفلحين فهو يحفظ على المؤمن إيمانه، ويرسخه في قلبه، إذ مجالسة أهل اللغو من أصحاب المعاصي والفجور تضعف الإيمان، وتقلل من خشية الله ومراقبته من القلب، بل وتحبب إلى العبد الذنوب والمعاصي حتى يألفها ويواقعها. [٢]

وحالنا في هذا العصر مما يُؤسف له، حيث انتشر اللهو واللغو في حياة كثير من الناس، وانشغل الكثيرون بتوافه الأمور، كرؤية التلفاز، وقراءة المجلات الغير نافعة، والعبث، وضياع ثواني العمر بما لا يجدي، ولذا وصفت أمتنا لإهدارها لأوقاتها وطاقاتها بالتخلف [٣] .

ودعوة القرآن صريحة في حث المسلمين على مجانبة اللغو، وإن كان الحث آكد في حق ذوي الأسوة والقدوة، فهؤلاء لا بد أن تكون تصرفاتهم دقيقة ومحسوبة، وإلا اقتدى بهم الآخرون، وكانت شرور ومفاسد لا يعلم عقباها إلا الله؛ إليك ما نبه إليه الإمام النووي

---

(١) انظر: آفات على الطريق للسيد محمد نوح، (٢/٢٦ – ٢٧).

(٢) انظر: المفلحون في القرآن الكريم ،لبدر البدر، (٢٨٥).

(٣) انظر: التفسير المنير لوهبة الزحيلي ، (٩/٣٣٠ – ٣٣١).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

في هذا الأمر، إذ يقول: (اعلم أنه يُستحب للعالم والمعلم، والقاضي والمفتي، والشيخ المربي، وغيرهم ممن يُقتدى به، ويؤخذ عنه: أن يجتنب الأفعال والأقوال والتصرفات التي ظاهرها خلاف الصواب وإن كان محقاً فيها، لأنه إذا فعل ذلك ترتب عليه مفاسد من جملتها: توهم كثير ممن يعلم ذلك منه أن هذا جائز على ظاهره بكل حال، وأن يبقى ذلك شرعاً، وأمراً معمولاً به أبداً، ومنها: وقوع الناس فيه بالتنقيص، واعتقادهم نقصه وإطلاق ألسنتهم بذلك، ومنها: أن الناس يسيئون الظن به، فينفرون عنه، وينفرون غيرهم عن أخذ العلم عنه)[٢] .

فالبدار البدار لاستغلال الأوقات والجهود بماينفع المرء، ويجعله عضواً فعالاً، ويداً معطاءة، تسهم في بناء الأمة، وتحقيق رفعتها بترفعها عن توافه الأمور، والإقبال على معاليها، إذ الأمة المؤمنة مشغولة بما هو أهم، مشغولة بتوحيد الله، وتكاليف العبادات؛ ولكل فرد طاقة بشرية إما أن يصرفها بما يُصلح حياته، وإما أن يُضيعها في اللهو واللغو، والمؤمن الكيس- العاقل- يصرفها بما يصلح حياته، لأنه لا يسعى في شقاء روحه، بل يسعى في إسعاد روحه وفلاحه، وهو في الوقت نفسه لا ينسى الترويح عن نفسه حيناً بعد حين.

---

(١) الإمام العلامة الحافظ الفقيه الشافعي الزاهد محيي الدين أبو زكريا يحي بن شرف بن مري بن حسن بن حسين النووي، مفتي الأمة وشيخ الإسلام، كان عالما بأصناف العلوم، ونفع الله بتصانيفه الكثيرة، والتي منها: المنهاج على صحيح مسلم، كتاب الأذكار، رياض الصالحين.
انظر: تاريخ الإسلام للذهبي، (٥٠/٢٤٦)، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، (٨/٣٩٥).

(٢) انظر: الأذكار للنووي ، (٥١٩ – ٥٢٠).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المطلب الثاني

الربا

الإسلام دين إلهي شامل للعقيدة، والشريعة، والأخلاق وآداب السلوك، وكل ما يحتاج إليه البشر في تحصيل السعادتين الدنيوية والأخروية، فمن أراد تحصيل السعادتين فليأخذ به في كل شيء، في العقائد، والعبادات، والمعاملات، والسياسات، والمعاهدات، والاقتصاديات، وبذلك يكون المجتمع الفاضل كما كان في صدر الإسلام، خير أمة أخرجت للناس.

إلا أنه مما يؤسف له ترك بعض أمة الإسلام كتاب الله، وهجران سنة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم، وسلوك مسلك الأعداء، فحصل التفرق في الأهواء، وغزتهم كثير من المبادئ الهدامة، والنظم المعوجة، والقوانين الفاسدة، فأثرت تلك في عقائدهم وأفكارهم، وغيرت كثيراً من أخلاقهم، وأفسدت معاملاتهم، فاستحل الكثير من المسلمين الربا، واعتقدوا أنه ضرورة اقتصادية في العصر الحاضر، فلا بد منه.

وحينما نرجع للإسلام لنرى رأيه في مسألة الربا نجد الحكم بتحريمه، يقول تعالى: [7 8 9 : ;] Z [البقرة: ٢٧٥]، ويقول تعالى: [u v w x] Z [البقرة: ٢٧٨]، وقد أمر الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام أمته باجتناب الربا، فقد روى البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (اجتنبوا السبع الموبقات)، قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: (الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات)[(١)] .

والمراد بالربا: هو الزيادة في أشياء مخصوصة [(٢)] .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الوصايا، باب قوله تعالى: (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما) ، (١٠١٧/٣)، ح(٢٦١٥)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، (٩٢/١)، ح(٨٩).

(٢) انظر: المغني لابن قدامة ، (٢٥/٤)، الروض المربع شرح زاد المستقنع، لمنصور بن يونس بن إدريس البهوتي، (١٠٦/٢).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ومن رحمة الله أرحم الراحمين وحكمته وإحسانه إلى خلقه أن حرم الربا، ولعن آكله وموكله وكاتبه وشاهديه،وآذن من لم يدعه بحربه وحرب رسوله، ولم يجيء مثل هذا الوعيد في كبيرة غيره، يقول تعالى:] فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ Z [البقرة: ٢٧٩]، ولهذا كان من أكبر الكبائر [١] ، وقال عنه الإمام مالك: لم أرَ أشرّ من الربا [٢] .

مراحل تحريم الربا[٣]:

نقف وقفة يسيرة مع مراحل تحريم الربا، فإن الربا لم يُحرَّم دفعة واحدة ، وإنما مرّ بمراحل كما هو الحال في تحريم الخمر والذي لم يأت دفعة واحدة؛ ومراحل تحريم الربا كالآتي:

- المرحلة الأولى (الإشارة إلى زوال بركة الربا، وبقاء بركة الزكاة ومضاعفة ثوابها):

قال تعالى:] | { ~ رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ Z [الروم: ٣٩] ، فليس في الآية نص على تحريم الربا، وإنما إشارة إلى أن الله يمحق الربا فلا ينمو ولا يبارك الله فيه، بخلاف الزكاة التي يراد بها وجه الله، فإن ثوابها مضاعف.

- المرحلة الثانية(بيان تحريم الربا على اليهود وفيه ملمح إلى أن المسلمين أولى بهذا الحكم):

قال تعالى:] فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا Z [النساء:١٦٠-١٦١]، ففي الآيات إشارة إلى أن من معاصي اليهود أكل الربا وقد نهوا عنه، وفي ذلك إشارة إلى أنه إن كان الربا محرما على

---

(١) انظر: إعلام الموقعين لابن القيم، (١٥٤/٢).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، (٣٦٤/٣).

(٣) انظر: دراسات في علوم القرآن، للدكتور فهد بن عبدالرحمن الرومي، (٢٧١-٢٧٣)، الطبعة الرابعة عشر، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

اليهود فمن باب أولى أن يكون محرما بين المسلمين، خصوصا أنهم خير أمة أخرجت للناس؛ فهو تحريم بالتعريض والتلويح لا بالنص الصريح(١).

- المرحلة الثالثة(تحريم ما كان من الربا أضعافا مضاعفة):

قال تعالى:] يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ Z [آل عمران: ١٣٠]، فحرم من الربا ما كانت فيه الأضعاف المضاعفة، تمهيدا لتحريمه كله.

- المرحلة الرابعة(تحريم الربا كله، والتغليظ في ذلك):

قال تعالى:] ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` Z [البقرة: ٢٧٥ – ٢٧٦]، ففي الآية تحريم للربا، وتغليظ في تحريمه، والتهديد والوعيد لأصحابه، ووصفهم بالمحاربين لله ورسوله، وليس بعد هذا قول أغلظ في التحريم.

فهو أول ما عابه الله على أهل الجاهلية في مكة،:] | { ~ ے ¡ ¢ £ ¤ ¥ ¦ § ¨ © ª « ¬ ® ¯ ° ± ² ³ ´ µ ¶ ¸ ¹ º » ¼ ½ ¾ ¿ À Á Â Ã Ä Å Æ Ç È É Ê Ë Ì Í Î Ï Ð Ñ Ò Ó Ô Õ Ö × Ø Ù Ú Û Ü Ý Þ ß à á â ã ä å æ ç è é ê ë ì í î ï ð ñ ò ó ô õ ö ÷ ø ù ú û ü ý þ ÿ Z [الروم: ٣٩].

ونهى الله عما كان منه مضاعفا؛ فوبخ المؤمنين على ما كانوا عليه في الجاهلية من تضعيف الربا، وناداهم باسم الإيمان إشعاراً بأن مقتضى الإيمان ترك الربا (٢) ، فقال:] يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ Z [آل عمران: ١٣٠].

---

(١) انظر: منهج القرآن الكريم في تقرير الأحكام، لمصطفى الباقجي، (٢٨٦)، المنشأة العامة للنشر والتوزيع- ليبيا، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م.

(٢) انظر: محاسن التأويل للقاسمي، (٢٢٧/٤).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ففي الآية أمر ونهي، أمر بالتقوى، ونهيٌ عن أكل الربا أضعافا مضاعفة ، والذي بتركه يكون المؤمن قد أتى بأهم خصال التقوى، ويفلح ويفوز بنعيم الدارين.

فإن إيمان المؤمنين بربهم هو دافع لهم لترك ما اعتاده اليهود وأهل الجاهلية من تعاطي الربا، والشروع في أبوابه، حيث كانوا في الجاهلية يقولون إذا حل أجل الدين: إما أن تقضي، وإما تُربي، فإن قضاه وإلا زاده في المدة، وزاد الآخر في قدر الفائدة، فيتضاعف القليل أضعافاً مضاعفة، وهذا ما نهاهم الله عنه من الربا في الآية؛ وهناك دافع آخر لترك الربا هو شدة شناعة هذا الجُرم، حيث يقول تعالى:] أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً Z لما فيه من الظلم، والقسوة، والبخل، واستغلال حاجة المعوز، وقد حث الله عز وجل على إنظار المعسر من غير زيادة على ما في ذمته، وإلزامه بما فوق ذلك من ظلم متضاعف، ولخطورته على الفرد والمجتمع [١] .

وليست السعادة في الربح المتوقع من الربا، بل في تقوى الله عز وجل، فإنه متى اتقى العبد ربه، واستجاب لأوامره، لان قلبه للمحتاجين، فلم يُحملهم ما لا طاقة لهم به، فتوزع محبته في القلوب، والمحبة أساس سعادة الدارين، وينجو من عذاب الله[٢] .

وعُبر عن تعاطي الربا هنا بالأكل من باب المجاز المرسل، لأن الأكل معظم ما يُقصد، ولشيوعه في المأكولات، على ما فيه من زيادة التشنيع [٣] .

واستقر الأمر على تحريم الربا كله، وأغلظ الحكم بتحريمه، وأعلن محاربة فاعله لله ورسوله، يقول جل شأنه:] ! " # $ % & ' ( ) * + , - / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z [\

(١) انظر: تفسير ابن كثير، (٤٠٥/١)، تفسير المنار، (١٣١/٤)، تيسير الكريم الرحمن، (١٤٨).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، (٣/٩)، تفسير المراغي ، (٥٢/٢)، محاسن التأويل، (٢٢٧/٤).

(٣) انظر: روح المعاني للألوسي، (٥٥/٤).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

[^ _ Z [البقرة: ٢٧٥ – ٢٧٦]، فناداهم بنداء الإيمان ، وحضهم على تـــرك الربا بموجب هذا الإيمان، وأمرهم بترك الزيادة على رؤوس الأموال، وحذرهم إن لم يذروا الربا بأنهم على حرب من الله ورسوله، وفتح باب التوبة لمن أراد الإنابة والرجوع إلى الله. (١)

وما نهى الشارع عن الربا إلا لما له من مضار عظيمة، حيث أنه يترك آثاراً سيئة في المجتمع الذي ينتشر فيه، فهو يفسد اقتصاده ويهدد وحدته، إذ يصرف أصحاب الأمـــوال عـــن استثمار أموالهم في المشروعات المفيدة للمجتمع، ويوسِّع دائرة البطالة، ويسبب ارتفـــاع الأسعار؛ وفيه امتصاص دم الآخرين باستغلال حاجتهم، يقـــول الفخـــر الـــرازي (٢) : (وقيل: السبب في تحريم عقد الربا: أنه يُفضي إلى انقطاع المعروف بين الناس من القرض، لأن الربا إذا حرم طابت النفوس بقرض الدراهم واسترجاع مثله، ولو حل الربا لكانـــت حاجة المحتاج تحمله على أخذ الدرهم بدرهمين، فيفـــضي ذلـــك إلى انقطـــاع المواســـاة والمعروف والإحسان)(٣).

وهذا يترك أثراً سيئاً في قلب المقترض المحتاج، فينشأ الحقد والغضب في قلبه ضد صاحب المال؛ ويُوسِّع الفجوة بين طبقات الناس (٤) .

ومن أهم ما يُعين على ترك الربا تحقيق الإيمان، وامتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه، لأننا نجد أن آيات الربا قد بدأ الله آيتين منها بقوله:] يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ Z وختم إحداها بقوله:] x w Z y ، يقول تعـــالى:] u v w x y Z [z } | { ~ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ Z [البقرة: ٢٧٨]، ويقول:] يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

---

(١) انظر: معالم التنزيل للبغوي، (١/٢٦٥)، تفسير ابن كثير، (١/٣٣١).

(٢) هو محمد بن عمر بن الحسين فخر الدين الرازي أبو عبدالله، المفسر المتكلم، إمام وقته في العلوم العقلية، وأحد الأئمة في العلوم الشرعية، له تصانيف منها: (التفسير الكبير، المحصول، نهاية العقول)، توفي سنة ٦٠٦هـــ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (٢١/٥٠٠)، طبقات المفسرين للداوودي، (٤٤٤).

(٣) مفاتيح الغيب ، (٧/٧٧).

(٤) انظر: التدابير الواقية من الربا في الإسلام لفضل إلهي، (٨١، ٩٠)، حلول لمشكلة الربا لمحمد محمد أبو شهبة، (١٨ – ٢١).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ Z [آل عمران: ١٣٠] فيظهر من الآيتين أثر الإيمان في ترك الربا.

ومما يعين على ترك الربا الخوف من الله، واتقاء الشبهات، والابتعاد عن الحيل والطرق الخفية في المعاملات المالية، والرغبة فيما عند الله جزاء اتباع أوامره، واجتناب نواهيه [١].

ونلحظ في آيات القرآن الكريم اقتران آيات الإنفاق والبذل بالحديث عن الربا [٢]، ففي سورة البقرة يقول سبحانه:] ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ ´ µ ¶ ¸ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ Z [البقرة: ٢٧٤]، وبعدها جاء الحديث عن حكم الربا:] ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ Z [البقرة: ٢٧٥ – ٢٧٦].

وفي سورة آل عمران يقول سبحانه:] . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < Z [آل عمران: ١٣٤]، بعد أن حذر من تعاطي الربا بقوله:] يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ Z [آل عمران: ١٣٠].

وفي سورة الروم يقول سبحانه:] { | } ~ ¡ ¢ £ ¤ ¥ ¦ § ¨ © ª « ¬ ® ¯ ° ± ² ³ ´ µ ¶ ¸ ¹ º » ¼ ½ ¾ ¿ Z [الروم: ٣٩].

---

(١) انظر: التدابير الواقية من الربا في الإسلام لفضل إلهي، (١٠٧ – ١١٧).

(٢) انظر: الربا والمعاملات المصرفية في نظر الشريعة الإسلامية، عمر عبدالعزيز المترك، (١٦٣)، دار العاصمة – الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وذلك حتى لا يكون المال دولة بين الأغنياء، وحتى لا يستغل القوي الضعيف، ولا يستعبد الغني الفقير.

وقد مرت على المسلمين قروناً طويلة لم يكونوا فيها بحاجة إلى التعامل بالربا، ولم تكن ثروتهم مترتبة على ثروات الأمم الأخرى، إذ كانوا قادة العالم، أتباعاً لا متبوعين، تنبض تعاملاتهم بالروح الإسلامية، لكن ما إن مر الزمان حتى بدت ملامح الأنظمة الربوية، والتعاملات المحرمة واضحة، فكان لا مفر من بناء ثروات الأمة الإسلامية وتعاملاتها على أصول الشريعة، ومع هذه المخذلات لا زلنا نجد المبشرات، فنرى نجاح مؤسسات المصارف التي تقوم على عقود مباحة لا على الربا والقمار [١] .

ولا حل لما يشكوه العالم اليوم من غلاء الأسعار، وأزمة مالية حادة، إلا بترك النظام الربوي ، وترك الربا، والرجوع في التعاملات المصرفية وعقود المعاملات إلى النظام الإسلامي الخالص.

(١) انظر: التحرير والتنوير، (٨٧/٤)، التفسير المنير، (٤١٠/٢).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المطلب الثالث

الخمر والميسر والأنصاب والأزلام

الشريعة الإسلامية جاءت لجلب المصالح وتكثيرها، ودفع المفاسد وتقليلها، فكل الأوامر والنواهي الشرعية ترمي إلى تحقيق مقاصد جليلة، وغايات سامية، لا تخرج عن حفظ ضرورات الحياة الخمس، وهي: الدين، والنفس، والعقل، والمال، والعرض.

فحفظاً لها جاءت الأوامر والنواهي، وكان النهي عن محرمات عديدة، منها: الخمر والميسر والأنصاب والأزلام.

والمراد بالخمر: هو كل شراب مسكر يخامر العقل [١] .

والميسر: هو القمار، ويتناول اللعب بالنرد والشطرنج عند أكثر العلماء [٢] .

والأنصاب: هي حجارة حول الكعبة كانت تُعبد في الجاهلية، ويُذبح عندها [٣] .

والأزلام: قطع خشبية بهيئة السهام، وقد زُلِّمت ووضعت في الكعبة، كان أهل الجاهلية يستقسمون بها لأجل التفاؤل أو التشاؤم [٤] .

فالأنصاب للشرك والعبادة، والأزلام للتكهن وطلب ما استأثر الله بعلمه [٥] .

وقد أباح الله عز وجل أكل الحلال الطيب، وكان من جملة ما يُستطاب الخمر والميسر، فبين الله عز وجل في سورة المائدة أنهما غير داخلين فيما هو حلال، بل هما حرام، ويتحقق بفعلهما مفسدة، وعداوة ظاهرة، وبغضاء باطنة، ويزول كيان السعادة وأساسها، حيث تحول بين المرء وبين ذكر الله والصلاة [٦] .

---

(١) انظر: المفردات للراغب، مادة خمر، (١٥٩)، أحكام القرآن لابن العربي، (٢٠٩/١).

(٢) انظر: جامع البيان لابن جرير، (٣٥٧/٢)، عمدة الحفاظ للسمين الحلبي، مادة يسر ، (٤٠٩/٤).

(٣) انظر: المفردات للراغب، مادة نصب، (٤٩٤)، جامع البيان لابن جرير، (٧٥/٦).

(٤) انظر: التفسير المنير، (٤٠/٦)، محاسن التأويل، (٣٤١/٣).

(٥) انظر: إغاثة اللهفان لابن القيم ، (٢٩٠/١).

(٦) انظر: مفاتيح الغيب، (٦٦/١٢)، مجموع الفتاوى ، (١٩٤/٢٠).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وقد كانت عادات وتقاليد ونظم معروفة لدى المجتمع الجاهلي، يمارسونها ويرونها حلالاً لا غبار عليه، فجاء الإسلام فحرمها [١] .

يقول سبحانه محذراً من الخمر والميسر، يقرنهما بتحريم الأنصاب والأزلام:] ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / Z [المائدة: ٩٠].

فينهى الله عباده المؤمنين عن تعاطي هذه الأشياء القبيحة، ويذمها، ويُحرمها عليهم، ويخبر أنها من تزيين الشيطان – الذي هو أعدى أعداء الإنسان – لا من الأعمال التي ندب الله إليها؛ وأنها رجس – وهو كل ما يستقذر من عمل [٢] - ، ومعول هدم لتقدم المجتمع وقوته، وأن الفلاح لا يتم إلا بترك ما حرم الله، خصوصاً هذه الفواحش المذكورة، إذ بتركها ينجو المرء من السخط والعذاب، ويأمن في الآخرة، ويفوز بتزكية نفسه، وسلامة بدنه، ومودة إخوانه له [٣] .

ففي الخمر أضرار شخصية، واجتماعية، وصحية، إذ بشربها ينقلب العقل لدى شاربها، فيسرع إليه الغضب، وقد ينشأ القتل والضرب والفجور؛ وفي عمل الميسر أخذ مال الغير بغير وجه حق، ومن دون مقابل، وهذا من أكبر أسباب العداوة، وفيه تضييع لحقوق الوالدين والزوج والأولاد، مع ما يترتب عليه من آثار نفسية عصبية، كالقلق والاضطراب، مع ما في فعلهما – الخمر والميسر – من صدود القلب و البدن عن ذكر الله وعن الصلاة الذين خلق لهما العبد، وبهما صلاح دنياه وأخراه، وسعادته، وطهارة قلبه واطمئنانه.

وهذه العلل كل واحدة منها تقتضي التحريم، واجتماعها يقتضي تغليظ التحريم[٤].

---

(١) انظر: المجتمع الجاهلي في القرآن الكريم، لعلي عبدالحليم محمود، (٣٩٠).

(٢) انظر: معاني القرآن للزجاج ، (١٦٤/٢).

(٣) انظر: تفسير المراغي ، (١٧/٣ – ١٩)، جامع البيان، (٣٢/٧)، الجامع لأحكام القرآن، (٢٨٥/٦ وما بعدها).

(٤) انظر: جامع البيان لابن جرير، (٣٢/٧).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

واقتصر في الآية على تبيين مفاسد شرب الخمر وتعاطي الميسر دون تبيين مفاسد عبـــادة الأصنام، والاستقسام بالأزلام، لأن إقلاع المسلمين عنها قد تقرر قبل هذه الآية من حين دخولهم الإسلام، لأنها من عقائد الشرك، ولأنه ليس في النفوس ما يدافع الوازع الشرعي عنهما، بخلاف الخمر والميسر فإن فيهما لذاتٍ تقود النفس إلى تعاطيهما [١]، وإلا ففـــي كلٍ ضرر، والضرر الحاصل من الأنصاب والأزلام أشنع وأفظع، إذ هو انحراف في العقيدة، وتضييع للفطرة السليمة، ورُقيٌ في مدارج الضلال والهلاك، ولا أعظم من هذا ضرراً.

وإذا تضافرت الجهود وتعاونت، فكانت التوعية الدينية، والتحذيرات الوقائية من الهيئات والمؤسسات الاجتماعية، وقامت البيئة الاجتماعية(الأسرة،الأصدقاء، المجتمع) بدورها تحقق المطلوب، ونِيل المبتغى. [٢]

وواقعنا الأخلاقي اليوم يدعونا أكثر من أي وقت مضى، إلى أن ندق ناقوس الخطر، وأن يهب كل واحد منا إلى ترسيخ مكارم الأخلاق والفضيلة، وقبل ذلك نشر العقيدة الصافية من شوائب الشرك، ورواسب الوثنية والجاهلية، وأن يجاهد كل منا لإشاعة الفـــضائل في المجتمع، نشراً للفضيلة، ودفعاً للرذيلة، وتطهيراً للبلاد من منابع الفجور، كيف ونحن نرى المجتمعات البشرية تعاني من ويلات وأضرار الخمر والميسر، وضلالات الوثنية؛ ولا منجى ولا مفر من ضيق ما هم فيه إلا بالعودة إلى الدين، والتوبة الصادقة، والتمسك بكتاب الله وسنة رسوله عليه أفضل الصلاة والسلام.

فسيراً في درب الدعوة والتبيين والله المستعان.

---

(١) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، (٣٠/٧).

(٢) انظر: المفلحون في القرآن الكريم ،لبدر البدر، (٣٠٢-٣٠٦).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المطلب الرابع
شح النفس

المجتمع الإسلامي مجتمع التكافل والتضامن والتعاون بين أفراده، لكن ما إن يفشو فيه البخل، وينتشر الشح بين أفراده سرعان ما تتقطع أواصر التكافل، ويحل البغض والعداوة، ويتحقق الخسران والشقاء.

والسخاء خلق المسلم، والمسلم لا يكون شحيحاً ولا بخيلاً، لأن الشح والبخل خلقان ذميمان منشؤهما خبث النفس وظلمة القلب؛ والمسلم نفسه طاهرة، فيتنافى مع طهارة نفسه وصف الشح والبخل [١] .

ولا شك أن الشح من أقبح الصفات، فإن البخيل قد يبخل حتى على نفسه، أما الشحيح فيبخل على الناس، ويؤثر نفسه، وهذه هي الأنانية، وفقر النفس من حب العطاء، ودناءة الروح؛ وهو منافٍ للإيمان، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد أبداً، ولا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبداً)[٢] .

والشح يُهلك صاحبه، وإذا شاع في المجتمعات مزقها وأهلكها، يقول صلى الله عليه وسلم: (وأما المهلكات: فشحٌ مطاع، وهوىً متبع، وإعجاب المرء بنفسه)[٣] .

ولهذا حذر النبي صلى الله عليه وسلم من هذا الخلق الذميم، لأنه يؤدي إلى شيوع الظلم – ظلم النفس وظلم الغير – ، وقطيعة الرحم، وسفك الدماء، وأكل الأموال، يقول عليه أفضل الصلاة والسلام: (إياكم والشح، فإن الشح أهلك من كان قبلكم، أمرهم بالقطيعة فقطعوا، وأمرهم بالفجور ففجروا)[٤] ، فهو هلاك في الدنيا والآخرة [١] .

---

(١) انظر: منهاج المسلم، لأبي بكر الجزائري، (١٣٥)، دار السلام – الرياض، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٤م.

(٢) أخرجه النسائي في كتاب الجهاد، باب فضل من عمل في سبيل الله على قدميه، (٣/١٠)، ح(٤٣١٩)، وصححه الحاكم، (٢/٨٢)، ح(٢٣٩٤)، ووافقه الذهبي، (٢/٨٢)، وصححه الألباني في الأدب المفرد، (١٢٠)، ح(٢٨١).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ، (٥/٣٢٨)، ح(٥٤٥٢)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، (٤/٤١٣)، ح(١٨٠٢).

(٤) رواه أبو داوود في كتاب الزكاة، باب في الشح، (٢/١٣٣)، ح(١٦٩٨)، وأحمد في مسنده، (٢/١٩١)، ح(٦٧٩٢)، وصححه الحاكم، (١/٥٧٦)،ح(١٥١٦)، ووافقه الذهبي، (١/٥٧٦)،وصححه الألباني في

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

واختلف العلماء في المراد بالشح، فمنهم من فرق بينه وبين البخل، ومنهم من جعلهما بمعنى واحد، والأصوب – والعلم عند الله – هو التفريق بينهما، وهو ما مال إليه شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم؛ حيث بين لنا ابن تيمية حقيقة الشح بقوله: الشح شدة المنع التي تقوم في النفس، وضيق النفس، وعدم إرادتها الخير للغير، فيتولد عن ذلك الامتناع عن النفع وهو البخل، وإضرار المنعم عليه وهو الظلم [٢] .

ويقول ابن القيم: الشح شدة الحرص على الشيء، والإحفاء في طلبه، وجشع النفس عليه؛ والبخل منع إنفاقه بعد حصوله، والبخل ثمرة الشح [٣] .

والشح متضمن لمعنى المنع ليس في جانب المال فقط، بل متضمن لمعنى المنع على أي وجه كان، سواء منع المال، أو المعروف، أو حقوق الغير، وغير ذلك.

ومنع النفس عما يضرها، ومجاهدتها في مجانبة الشح هو آكد صفات الفلاح، لأنه بفعله هذا يُعتق نفسه من قيود النفس الأمارة بالسوء، ويطلقها إلى فضاءات أرحب، حيث سماءات الطاعة الواسعة، فينقاد بطيبة نفس منه – وقبله بتوفيق من الله – لأوامر الله ورسوله عليه الصلاة والسلام، ويبتعد من المعاصي والهوى؛ وقد مدح الله الصحابة رضوان الله عليهم بهذه الصفة، فقال جل شأنه: [تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ Z [الحشر: ٩]، فيخبر الله عن حال الأنصار، الذين آووا رسول الله أنهم [يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ Z لمحبتهم لله ورسوله، فيحبون أحبابه ومن نصر دينه، وأنهم كانوا على أكمل أنواع الجود، بإيثارهم محاب نفوسهم من المال والمنزل ونحوه، وبذلها للغير مع الحاجة إليها، بل مع الضرورة والخصاصة، وهذا لا يتأتى إلا لمن آثر محبة الله ومحبة دينه على ملذات النفس

صحيح سنن أبي داوود، (٣٨٠/٥)، ح(١٤٨٩).

(١) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، (١٣٤/١٦).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، (٣٣٤/١٨).

(٣) انظر: مدارج السالكين ، (٢٩١/٢).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ورغباتها، وكان ممن عصمه الله من الشح المردي، والبخل المهلك، ومن كان هكذا فقد طابت نفسه بأوامر الله ورسوله عليه الصلاة والسلام، فأقبل طائعاً منقاداً، منشرح الصدر، تاركاً ما نهى الله عنه – وإن كان محبوباً للنفس – باذلاً الأموال في سبيل الله، فكان أهلاً للفلاح الذي لا خسارة بعده، والفوز بكل مطلوب، والنجاة من كل مكروه [١] .

وعلاج الرذائل صعب جداً، ومن بينها شح النفس، والذي لا يستطيع الإنسان تركه إلا بمعونة من ربه، لذا جاء في الآية التعبير عن فعل التوقي بفعل مبني للمجهول (يُوقَ)[٢] .

ومن وُقي شح النفس وقي الحسد، لأن الله قد ذكر الشح في سياق ذكر الحسد، كما في آية الحشر هذه، ولأن الشح أصل الحسد، ففي الحديث الصحيح أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: (إياكم والشح، فإنه أهلك من كان قبلكم، أمرهم بالبخل فبخلوا، وأمرهم بالظلم فظلموا، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا)[٣] .

بل يوق من قبيح الخصال كلها، لأن الشح داعية كل خلق سوء [٤]، يؤكد هذا قصة عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه أنه كان يكثر من الدعاء أثناء طوافه (اللهم قني شح نفسي)، فقال له رجل: ما أكثر ما تدعوا بهذا! فقال: إذا وقيت شح نفسي وقيت الشح والظلم والقطيعة والحسد [٥] .

والإنسان يبذل ما بوسعه لنفع إخوانه المسلمين، ويؤثرهم على نفسه مادام أن ذلك في إطار أمور الدنيا، وليس معنى هذا أن يُضيع وقته ويفرط فيه، لأن الشح بالوقت ليس شحاً، وإنما عمارة للقلب، يقول ابن القيم: الإيثار الذي يكون به الفلاح هو ما كان في فضول الدنيا لا في الأوقات المصروفة في الطاعة، فإن الفلاح كل الفلاح في الشح بها، لأن الشح بالوقت هو عمارة القلب [٦] .

---

(١) انظر: زاد المسير، (٨/٢١٢ – ٢١٣)، تفسير المراغي، (١٠/٣٦ – ٣٨)، تيسير الكريم الرحمن، (٨٥١).

(٢) انظر: نظم الدرر للبقاعي ، (٧/٥٢٦).

(٣) تقدم تخريجه ص٢٢٧.

(٤) انظر: المحرر الوجيز، (٥/٢٨٨)، التحرير والتنوير، (٢٨/٩٥).

(٥) انظر: أمراض القلوب لابن تيمية، (٢٣)، المطبعة السلفية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ.

(٦) انظر: طريق الهجرتين، (٤٤٦).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

والشح كامن في النفس وغريزة، فيها – ولذا أضيف للنفس – [١] ، فمن بخل فقد أطاع شحه، ومن لم يبخل فقد عصى شحه، ووقي شره، وذلك هو المفلح، يقول تعالى:] z y x w } | { ~ ﴿ لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ Z [التغابن: ١٦].

فيأمر الله عباده المؤمنين بلزوم تقواه و طاعته جل شأنه وطاعة رسوله عليه الصلاة والسلام في كل الأمور، ومن ذلك الإنفاق في الوجوه التي يكون بها صلاح الأمة والملة، لكن ثم آفة تمنع الكثير من النفقة المأمور بها، وهي الشح، والتي من وقي منها نجا، وطابت نفسه، وكان من المفلحين الفائزين بالثواب والرضوان، ومحبة الناس، وسعادة الدارين [٢] .

وفي إضافة الشح إلى النفس، وإضافة الهداية إلى القلب] 6 7 8 9 : Z [التغابن: ١١] سرٌ لطيف، وهو أن الشح جبلة بشرية، والهداية منحة إلهية، وعلى المسلم أن يغالب بالقوة الروحية (الهداية) ما جُبِل عليه من قوة بشرية (الشح) حتى يظفر بالفوز والفلاح[٣] .

وليس المراد بالشح شح النفس بالمال فقط، بل يشمل الشح بأي شيء كان، وإن كان أصدق ما يكون في المال، لأن الحديث عن الوقاية من الشح أتى محفوفاً بالآيات الآمرة بالنفقة، ولأن النفس غالباً ما تكون شحيحة بالمال، لمكانته في نفوس البشر.

وعلاج الشح يكون بالتعلق بالله، والطمع فيما عنده؛ والعلم أن ما عند الله خير للإنسان مما في يده، فالله عز وجل يبسط يده ليلاً ونهاراً، ولا تنقص خزائنه من العطاء سبحانه، وأيضاً يمكن علاجه بكثرة البذل بما أنعم الله على العبد من غير إفراط ولو تخلق المسلمون بهذا الخلق العظيم (السخاء والكرم)، وطهرت نفوسهم من الشح وحب المال والحرص

(١) انظر: الكشاف للزمخشري، (٤/٥٠٥)، مفاتيح الغيب للرازي ،(٢٩/٢٥٠).

(٢) انظر: جامع البيان،(٢٨/١٢٧)، الجامع لأحكام القرآن، (١٨/١٤٥ – ١٤٦)، فتح القدير، (٥/٢٣٨ – ٢٣٩).

(٣) انظر: أضواء البيان للشنقيطي ، (٨/٢٠٥).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

عليه، وحب الذات، لصفت نفوسهم، وطهرت قلوبهم، وتوحدت كلمتهم، فهابهم عدوهم، وأفلحوا في دنياهم، وفازوا في أخراهم [١] .

وما أسعد البشر بالكرماء الأجلاء منهم، المتخلصين من دناءة النفس البشرية، المفلحين بتركهم رأس القبائح وهو (الشح).

(١) انظر: النفس البشرية كما تحدث عنها القرآن، لخليل محمد خليل، (٩٠)، طبعة جامعة الإمام،الطبعة الأولى،١٤٢٢هـ،٢٠٠١م.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الفصل الثالث
ثواب المفلحين وجزاؤهم

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: وراثة الفردوس.
المبحث الثاني: ضمان الهداية لهم من الله.
المبحث الثالث: ثقل الموازين يوم القيامة.
المبحث الرابع: وعدهم بالخيرات.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

تمهيد:

مبدأ الثواب والعقاب - سواء أكان الثواب والعقاب مادياً أم معنوياً – أمر قررته شـــرائع السماء، وأقرته شرائع الأرض، وقامت عليه حياة الناس في الأولى والآخرة، وفي القـــديم والحديث، يقول تعالى:] b a ` _ ^] \ [Z Y [Z k j i h g f e d c [النحل: ٩٧].

وطائفة أهل الفضائل والتقوى لا ريب أن الله سينيلها من الثواب ما تقر به العين، وتهنأ به الروح.

ولئن كان القرآن يحرص على إبراز الجزاء المعادي – جزاء أهل الضلال والخسران – فإنه لم يغفل الوعد بالخير لمن آمن وعمل صالحاً وكان من أهل الفلاح.

وكم للمفلحين من جزاء، وكم للفلاح من ثمار وفوائد؛ ومجمل ما يتحقق للمفلحين مـــن خيرات الدنيا والآخرة، ودفع للشرور كلها إنما هو جزاء من الله لهم، لكن يتحدد النعـــيم الكبير، والسعادة العظيمة بما بثه الله عز وجل في وعوده التي يصورها القرآن الكريم وينص عليها، والتي منها: وراثة الفردوس، والهداية، وثقل الموازين.

الفرق بين الثواب والجزاء:

حفل القرآن بالعديد من الألفاظ المتعلقة بمبدأ (الثواب)، فمن تلك الألفاظ:

- (الأجر)، كقوله تعالى:] **بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ** Z [البقرة: ١١٢].

- (الحساب)، كقوله تعالى:] G H I J K L Z [البقرة: ٢١٢].

- (الجزاء)، كقوله تعـــالى:] s t u v w x Z [آل عمـــران: ١٤٥].

وما يعنينا هنا تبيين الفرق بين الجزاء والثواب، فالثواب هو جزاء الطاعة، وما يرجـــع إلى الإنسان جزاء أعماله.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ويقال في الخير والشر، ولكن الأكثر استعماله في الخير [١] .

والجزاء المقابلة على الفعل إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، ويقال في النافع والضار [٢] .

فيظهر أن لا فرق كبير بينهما، وكأنهما مترادفين لغوياً.

(١) انظر: المفردات للراغب، مادة ثوب ،(٨٣).

(٢) انظر: المفردات للراغب، مادة جزاء ،(٩٣).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المبحث الأول

وراثة الفردوس

الوراثة والإرث هو انتقال قُنية إلى أحد ما عن غيره، من غير عقد، ولا ما يجري مجرى العقد، واستعير للاستحقاق الثابت، لأن الإرث أقوى الأسباب لاستحقاق المال [١] .

والفردوس اسم يقال على جميع الجنة، ويقال على أفضلها وأعلاها، كأنه أحق بهذا الاسم من غيره من الجنات [٢] للنص الصريح الثابت عن الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث قال: (إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض،فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة)[٣] .

والجنة هي الجزاء العظيم، والثواب الجزيل، الذي أعده الله لأوليائه وأهل طاعته، فضلاً منه سبحانه وكرما [٤] ، وهي نعيم كامل لا يشوبه نقص، ولا يعكر صفوه كدر، جعله الله فوق ما يتصوره العقل البشري، روى البخاري في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فاقرؤوا إن شئتم: [p q r s t u v w x Z [السجدة: ١٧][٥].

وتظهر عظمة النعيم بمقارنته بمتاع الدنيا، فإن متاع الدنيا بجانب نعيم الآخرة تافهٍ حقير، لا يساوي شيئاً، ولذا كان دخول الجنة والنجاة من النار في حكم الله وتقديره هو الفلاح العظيم، والفوز الكبير، قال تعالى: [y z { | } ~ **فَقَدْ فَازَ** Z [آل عمران: ١٨٥][٦] .

---

(١) انظر: المفردات للراغب، مادة ورث، (٥١٨ – ٥١٩)، عمدة الحفاظ للسمين الحلبي، مادة ورث، (٣٤٤/٤).

(٢) انظر: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، لابن القيم،(٦٩)، دار الكتب العلمية – بيروت، بدون.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين في سبيل الله ، (١٠٢٨/٣)، ح(٢٦٣٧).

(٤) انظر: القول المفيد لابن عثيمين، (١٨١/٢).

(٥) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ماجاء في صفة الجنة ، (١١٨٥/٣)، ح(٣٠٧٢).

(٦) انظر: الجنة والنار، لعمر سليمان الأشقر (١١٧)، مكتبة الفلاح – الكويت، الطبعة الثالثة، ١٤١١هـ -

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وأكد هذا في مطلع سورة (المؤمنون)، حيث حكم سبحانه بالفلاح لمن آمن وعمل صالحاً، وأثابهم بإدخالهم جنات الفردوس خالدين فيها، لأن هذا هو معنى فلاحهم، يقول سبحانه: [! " # $ % & ' ( ) * + , - .

/ 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9

: ; < = > ? @ A B C D E F G H

I J K L M N O P Q R S T U

V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b

c Z [المؤمنون: ١ – ١١].

فهؤلاء المؤمنون المتصفون بهذه الخصال السامية ينالون الفردوس ويرثونه، وقيل: يرثون نصيب الكفار من الجنان، ففي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ما منكم من أحد إلا وله منزلان: منزل في الجنة، ومنزل في النار، وإن مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله)[١] .

وهم جديرون بهذا الفضل، ونزول أعلى رتب الجنة، وهم الأحق أن يُسمَّوا وارثين دون غيرهم، لأنهم أخذوا من صفات الخير ذروتها وأعلاها، وزينوا أنفسهم بكريم الأخلاق والخصال، فحصاد عملهم هذا النعيم الدائم، الذي يخلدون فيه، ولا يبغون عنه حولاً لكماله وتمامه؛ وهذا جزاء المفلحين، وقانون العدل [٢] .

وتقييد الوراثة في قوله: [^ _ ` Z بعدما أطلقها في قوله [Z [\ Z من باب التفخيم لها، وللتأكيد على عظم هذا النعيم [٣] ؛ وجاء في سورة مريم قوله تعالى: [تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا Z [مريم: ٦٣]،

١٩٩١م.

(١) رواه ابن ماجة في كتاب الزهد، باب صفة الجنة، (١٤٥٣/٢)، ح(٤٣٤١) ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، (٣٤٨/٥)، ح(٢٢٧٩).

(٢) انظر: معالم التنزيل للبغوي ، (٣٠٣/٣)، تفسير المراغي، (٢٦٩/٦).

(٣) انظر: الكشاف ، (١٨١/٣)، معالم التنزيل، (١٤٨/٤).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وفي سورة الزخرف:] وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ Z [الزخرف: ٧٢].

والأعمال الصالحة ليست ثمناً لدخول الجنة، وإنما هي سبب، في الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لن يدخل أحداً عمله الجنة) قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: (ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله بفضل ورحمة) .[١]

فدخول الجنة برحمة الله، ونيل المنازل فيها بالأعمال، لأن درجات الجنة متفاوتة بحسب تفاوت الأعمال،ويصح أن يقال: دخول الجنة بسبب الأعمال ثم التوفيق للأعمال وقبولها برحمة الله وفضله، فيصح أنه لم يدخل الجنة بمجرد العمل، وبهذا يظهر أن لا تعارض بين هذا الحديث وبين قوله تعالى:] وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ Z [الزخرف :٧٢].[٢]

وطريق الجنة شاق، يتطلب الجد في عمل الصالحات، ومخالفة الهوى والمحبوبات، وهذا محتاج لعزيمة صادقة، وإرادة قوية، يروي البخاري ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (حجبت النار بالشهوات، وحجبت الجنة بالمكاره)[٣] ، ومن هتك الحجاب وصل المحجوب[٤] .

فطوبى لمن فعل هذا، واجتهد في العبادة، وواظب عليها، وصبر على مشاقها، وفي الوقت نفسه لم ينس نصيبه من الدنيا، وجعل الدنيا معبراً لنيل الآخرة.

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (٤٩٥)، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٣٩١هـ، والحديث أخرجه البخاري في كتاب المرضى، باب نهي تمني المريض الموت، (٥/٢١٤٧)، ح(٥٣٤٩)، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله، (٤/٢١٧٠)، ح(٢٨١٦)، واللفظ للبخاري.

(٢) انظر: شرح النووي لصحيح مسلم، (١٧/١٦١) ،فتح الباري لابن حجر، (١١/٢٩٥).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب حجبت النار بالشهوات ، (٥/٢٣٧٩)، ح(٦١٢٢)، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، (٤/٢١٧٤)، ح(٢٨٢٢)، واللفظ لمسلم.

(٤) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، (١٧/١٦٥).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المبحث الثاني

ضمان الهداية لهم من الله

يقول ابن القيم: لا يستوجب العبد على الله بسعيه نجاة ولا فلاحا، ولا يُدْخِلُ أَحَدٌ عَمَلُهُ الجنةَ أبداً، والله تعالى بفضله وكرمه أكدّ إحسانه وجوده بأن أوجب لعبده عليه سبحانه حقاً بمقتضى الوعد، فإن وعد الكريم إيجاب ولو بعسى ولعل [١] ؛ وقد وعد سبحانه عباده المفلحين بالهداية، وهداهم.

فهو سبحانه يهدي من يشاء ويضل من يشاء؛وقد اتفقت رسل الله من أولهم إلى آخرهم، وكتبه المنزلة عليهم على ذلك، وأجمع على ذلك السلف وأئمة الدين، واتفقوا على أن الهدى والإضلال بيده سبحانه لا بيد العبد، وأن العبد هو الضالّ المهتدي؛ فالهداية والإضلال فعله سبحانه وقدره، والاهتداء والضلال فعل العبد وكسبه [٢] .

ومسألة هداية الله تعالي للعبد وإضلاله له هي قلب أبواب القدر . كما سماه ابن القيم؛ وأعظم نعمةٍ نعمة الهداية، وأعظم مصيبة مصيبة الضلال.

ومما يؤكد أن الهدى والهداية بيد الله، ما نرى ونسمع من ضلال بعض أبناء المسلمين وكفرهم، وقد ولدوا في بيوت مسلمة، ثم ما نرى ونسمع من اهتداء كثير من بلاد الشرق والغرب ممن نشؤوا بعيداً عن الإسلام، في بيئات متحللة [٣]، فهذا دليل صريح على أن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء سبحانه.

فالهدى محض فضل من الله على العبد، لولا خلقه في قلبه لما أمكنه الاهتداء، [s t

u v w x | z { | } Z [الحديد:٢١]، والضلال محض عدل الله

---

(١) انظر: مدارج السالكين، (٣٣٩/٢).

(٢) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، لهبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي، (٦٥٥/٤ وما بعدها)، تحقيق : أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض بدون، ١٤٢٠هـ ، مجموع الفتاوي، (٧٨/٨)، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لابن القيم ، (٢٢٩/١)، تحقيق عمر سليمان الحفيان، مكتبة العبيكان- الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م .

(٣) انظر: الهدى والضلال، لأحمد عز الدين البيانوني ، (١٧)، دار السلام – القاهرة ، الطبعة الثانية، ١٤٠٥ هـ -١٩٨٥م.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

[{ ~ ﴿ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡ ﴾ Z [الأنفال: ٢٣]، ولكن سبق علمه بشقاوة الضالين فمنعهم فضله، فكان فعله عدلاً فيمن أضله، إذ لم يمنعه حقاً وجب عليه، بل فضلاً يمتن به على من يشاء من عباده؛ وهو سبحانه قادر على هداية الناس كلهم، يقول سبحانه: [2 3 4 5 6 7 Z [السجدة:١٣] ويقول : [à ﴿ شَآءَ â لَجَمَعَهُمۡ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ ﴾ Z [الأنعام: ٣٥]؛ إلا أن حكمته اقتضت الاختلاف من باب الابتلاء، وإقامة الحجة على الناس، فهدى من رغب في الهداية، وأضل من رغب في الضلال، يقول ابن سعدي [١] في تفسير آية السجدة السابقة: الحكمة تأبى أن يكونوا كلهم على الهدى [٢] .

وقد جمع الله لأهل هدايته بين الهدى والرحمة والصلاة عليهم فقال : [I J

K L M N O P Q R Z [البقرة:١٥٧]، قال عمر بن الخطاب : نعم العدلان ونعمت العلاوة، فبالهدى خلصوا من الضلال، وبالرحمة من الشقاء، وبالصلاة عليهم نالوا منزلة القرب والكرامة [٣].

وبتلك الهداية تتحقق السعادة في الدنيا والآخرة؛ والسعداء بحق هم الذين قبلوا هدى الله والتزموا منهجه، أما من أعرض عن الهدى، وحارب منهجه فهو في حزن وتعاسة، وشقاء وضلال.

ومن أسباب الهداية القيام بأسس الفلاح، والاتصاف بصفات وخصال المفلحين، يقول تعالى: [- . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < =

---

(١) هو عبدالرحمن بن ناصر بن سعدي، المفسر المحدث الفقيه الأصولي المتكلم ، عاش حياة الزهد والورع والتواضع، وتميز بقوة الذاكرة والحفظ، من مصنفاته: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الحق الواضح المبين في توحيد الأنبياء والمرسلين، توفي عام ١٣٧٦هـ.

انظر: الأعلام للزركلي، (٣/٣٤٠)، روضة الناضرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين للقاضي، (١/٢٢٠).

(٢) انظر : تفسير الكريم الرحمن ، (٢٥٥)، الهدى والضلال دراسة قرآنية رسالة مقدمة لنيل الماجستير، لأماني عبدالله الطويلي، إشراف د. محمد الطاهر الجوابي، (١٥٨-١٥٩)، جامعة الملك سعود ، قسم الثقافة الإسلامية شعبة التفسير والحديث، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

(٣) انظر: إغاثة اللهفان لابن القيم ، (٢/١٧٢-١٧٣).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

Z K J I GFEDCBA@?> [البقرة: ٣ – ٥].

فمن حمل نفسه على هذه الخصال الحميدة فهو على نور وبيان وبصيرة واستقامة، وعلى هدى عظيم من الله، وأي هداية أعظم من تلك الصفات المذكورة، والمشتملة على العقيدة الصحيحة والأعمال المستقيمة! بل هي الهداية الحقيقية، وما عدا ذلك فهو ضلال وتبار.

والمهتدون مفلحون، ضمنوا لأنفسهم النجاة في الآخرة، والسعادة والطمأنينة في الدنيا؛ ولا سبيل للفلاح والنجاة إلا بسلوك سبيلهم، وما عداه من السبل فهلاك وخسارة، قال تعالى:] U T S R Q P N M L K J

V Z [الأنعام: ١٥٣][(١)] .

وأعيد اسم الإشارة (أولئك) للعناية بشأن المفلحين، وللدلالة على أن اتصافهم بتلك الصفات موجبٌ لنيلهم هاتين الفضيلتين: الهدى والفلاح، وكل واحد منهما كافٍ لتميزهم، فكيف إذا اجتمعا؟[(٢)]

وفي موضع آخر امتدح الله المحسنين المقيمين الصلاة على أكمل وجه، المؤدين للزكاة المفروضة، الموقنين بالجزاء في الآخرة، الراغبين في ثواب الله، الجامعين بين العقيدة الصحيحة، والعلم التام، والعمل، حكم بفلاحهم وهدايتهم، فقال:] 8 7 6

9 : ; < = > Z [لقمان: ٥].

فهؤلاء على بصيرة ونور ومنهج واضح، وهدى عظيم حاصل لهم من ربهم ذي العزة والجلال، وهم وحدهم الذين أدركوا رضا ربهم وثوابه الدنيوي والأخروي؛ وسلموا من سخطه وعقابه لإيمانهم التام بكل ما ورد في الآيات [(٣)] .

فالهدى أجلُّ الوسائل، والفلاح أكمل الغايات [(٤)] .

وما ورد في القرآن عن هداية المفلحين رأينا اقتران التعبير فيه بـ(على) الدالة على

---

(١) انظر: جامع البيان، (١/١٠٧ – ١٠٨)، معالم التنزيل، (١/٤٨)، محاسن التأويل، (١/٣٩).

(٢) انظر: الكشاف، (١/٨٥)، فتح القدير، (١/٣٨)، التفسير المنير، (١/٧٧).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير، (٣/٤٤٢)، تفسير المراغي، (٧/٣٩٨)، تيسير الكريم الرحمن، (٦٤٦).

(٤) انظر: التوضيح والبيان لشجرة الإيمان لابن سعدي، (١٢٠).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الاستعلاء، بخلاف الحديث عن الضلالة، والتي كان التعبير فيها بـ(في)، كما في قوله تعالى:] قُلْ مَن كَانَ μ ´ Z [مريم: ٧٥]، وذلك لأن صاحب الهدى مرتفع بالهدى، وصاحب الضلال منغمس في الضلالة؛ ولإفادة معنى تمكن المفلحين المؤمنين من الهدى، وكمال رسوخهم فيه كما يتمكن الراكب على الدابة [١] .

ومثلما امتن الله على عباده المفلحين بالهداية فقد امتن على عباده بأن علمهم أسباب طلب الهداية، والتي منها: سؤال الله عز وجل الهداية قال تعالى:] 7 8 9 Z [الفاتحة: ٦]، وتحقيق الإيمان، قال تعالى:] 6 7 8 9 : Z [التغابن: ١١]، واتباع أوامر الله، قال تعالى:] 2 3 4 5 6 7 8 9 Z [الأحزاب: ٣٦]، وغير ذلك من الأسباب [٢] .

(١) انظر: الكشاف للزمخشري، (١/٨٥).

(٢) انظر: الهدى والضلال لأحمد عز الدين البيانوني، (٢٧ وما بعدها).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المبحث الثالث

ثقل الموازين يوم القيامة

من الإيمان باليوم الآخر الإيمان بما يكون فيه من أهوال، فإن ليوم القيامة أهوالا عظيمة، وشدائد جسيمة، تذيب الأكباد، وتشيب الأولاد؛ وهي حق ثابت ورد به الكتاب والسنة وانعقد عليه الإجماع [١] ، وفي ختام ذلك اليوم ينصب الميزان لوزن أعمال العباد، فإنه إذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال، لأن الوزن للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، إذ المحاسبة لتقرير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها، قال تعالى: [E D B A @ ? > = < ; :] Z O N M K J I H G F [الأنبياء: ٤٧][٢] .

والميزان هو ما يضعه الله يوم القيامة لوزن أعمال العباد [٣] .

والمراد بثقل الميزان: رجحانه بالشيء الموزون [٤] .

وقد دلت النصوص على أن الميزان حقيقة، لا يقدر قدره إلا الله تعالى،، وهو ميزان دقيق لا يُزيد ولا يُنقص، قال تعالى: [A @ ? > = < ; :] Z O N M K J I H G F E D B [الأنبياء: ٤٧][٥] .

والميزان عند أهل السنة والجماعة هو ميزان حقيقي توزن به الأعمال، له لسان وكفتان، وكيفيته بمنزلة كيفية ما أخبرنا الله به من الغيب؛ وهو غير العدل، كما دل على ذلك

---

(١) انظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد لصالح الفوزان (٢١٩).

(٢) انظر: شعب الإيمان، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٢٥٧/١)، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

(٣) انظر: لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، لأبي محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي (٢٦)، الدار السلفية – الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، تحقيق: بدر عبدالله البدر.

(٤) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٣١/٨).

(٥) انظر: اليوم الآخر القيامة الكبرى، لعمر سليمان الأشقر (٢٤٧)، الطبعة الثالثة، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، دار النفائس – الكويت.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الكتاب والسنة، قال تعالى:] Z q p o n m l [[الأعراف: ٨]، وقال تعالى:] : ; < = > Z [الأنبياء: ٤٧]، وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم) [١] ؛ ويقلب الله أعمال العباد – وهي أعراض – أجساما لها ثقل [٢] .

قال الزجاج [٣] : أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان، وأن للميزان لسان وكفتان، يميل بالأعمال [٤] .

واختلفوا في الذي يوزن، على ثلاثة أقوال [٥] :

فقيل: يزن الله أعمال خلقه الحسنات منها والسيئات، كما قال تعالى:] m l n Z [الأعراف: ٨].

وقيل: يوزن كتاب الأعمال، كما جاء في حديث البطاقة أن رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام قال: (إن الله سيخلص رجلا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا، كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول أتنكر من هذا شيئا؟ أظلمكَ كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب. فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يا رب. فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنة، فإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، فيقول: أحضر وزنك، فيقول: يا رب، ما

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب فضل التسبيح، (٥/٢٣٥٢)، ح(٦٠٤٣)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، (٤/٢٠٧٢)، ح(٢٦٩٤).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٤/٣٠٢)، لمعة الاعتقاد لابن قدامة (٢٦)، معالم التنزيل للبغوي (٢/١٤٩).

(٣) إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج النحوي اللغوي المفسر، من مؤلفاته: معاني القرآن، الاشتقاق، إعراب القرآن، كانت وفاته سنة ٣١١هـ.
انظر: الأعلام للزركلي، (١/٤٠)، معجم المؤلفين لرضا كحالة، (١/٣٣).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/٢٥٨).

(٥) انظر: جامع البيان ، (٨/١٢٣ – ١٢٤)، معالم التنزيل،(٢/١٤٩)، تفسير ابن كثير، (٢/٢٠٣)، محاسن التأويل، (٧/٩ – ١٢).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فقال: إنك لا تُظلم. قال: فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة،فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، فلا يثقل مع اسم الله شيء)[١] .

وقيل: يوزن صاحب العمل (فيثقل في الميزان أويخف بمقدار إيمانه لا بضخامة جسمه)[٢]، كما في الحديث: (يؤتى يوم القيامة بالرجل السمين فلا يزن عند الله جناح بعوضة) ثم قرأ:] { ~ هَٰمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا Z [الكهف: ١٠٥][٣] .

وجمع ابن كثير بين هذه الأقوال فقال: (هذه الآثار كلها صحيحة، فتارة توزن الأعمال، وتارة توزن محالها، وتارة يوزن فاعلها والله أعلم)[٤] .

لأن النصوص دالة على أن كل واحد من هذه الثلاثة يوزن، ولم تنف النصوص المثبتة لوزن الواحد فيها أن غيره لا يوزن، ومقتضى الجمع بين النصوص إثبات الوزن للثلاثة جميعا.

وصرح القرآن بنجاة المؤمنين المتقين، وأخبر عن فوزهم، وجازاهم بثقل موازين حسناتهم، فقال سبحانه:] Z q p o n m l j i h [الأعراف: ٨].

فيوم القيامة يوم الجزاء والحساب، توزن الأعمال – بعد قصاص واستيفاء المظلومين حقوقهم من حسنات العبد [٥] – بالعدل والقسط الذي لا جور فيه؛ فتعرف حقائق الأمور، وما يستحقه كل أحد من ثواب وعقاب جزاء ما قدم من عمل، ولا يظلم الله

---

(١) رواه الترمذي في كتاب الإيمان، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله، (٢٤/٥)، ح(٢٦٣٩)، وقال: حسن غريب، وابن ماجة في كتاب الزهد، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة، (١٤٣٧/٢)، ح(٤٣٠٠)، وأحمد في مسنده ، (٢١٣/١)، ح(٦٩٩٤)، وصححه الحاكم، (٤٦/١)، ح(٩)، ووافقه الذهبي، (٤٦/١)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، (٢٦٢/١)، ح(١٣٥).

(٢) اليوم الآخر القيامة الكبرى لعمر الأشقر، (٢٥٢ – ٢٥٣).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى: (أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم) ، (١٧٥٩/٤)، ح(٤٤٥٢)، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، (٢١٤٧/٤)، ح(٢٧٨٥).

(٤) تفسير ابن كثير، (٢٠٣/٢).

(٥) انظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم، (٥٦٢).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

أحدا، قال تعالى: [: ; < = > ? @ A B D C Z O N M K J I H G F E [الأنبياء: ٤٧]، وقال جل شأنه: [F G H I J K M N O P Q R S T U Z [النساء: ٤٠]؛ فمن رجحت كفة حسناته على سيئاته بالإيمان وكثرة الأعمال الصالحة، فأولئك الفائزون بالنجاة من العذاب، المدركون للنعيم والربح العظيم، والسعادة الأبدية، والخلود والبقاء في الجنات، بعكس من رجحت سيئاته بسبب كفره وكثرة سيئاته، فقد فاته النعيم المقيم، وحصل لهم العذاب الأليم،فحرم السعادة [١] .

وقد جاء في بعض المواضع ما يدل على أن المراد بالفلاح هنا كونه في عيشة راضية في الجنة، قال تعالى: [A B C D E F G H I Z [القارعة: ٦ – ٧][٢] .

فمن رجحت موازين أعماله وحسناته على سيئاته، فهو من الفائزين بكل مطلوب، وأغلى مطلوب هو الجنة، الناجين من النار ومن كل مهروب [٣] .

ولم يكن الله ليضيع أجر من أحسن عملا، بل يثيبه على ذلك الأجور العظيمة، ومن ثم يثقل ميزانه بالحسنات، فينجو يوم الحساب، ويفوز بالنعيم فضلا من الله ونعمة.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، (٢/٢٠٣)، تفسير المراغي،(٣/٢٦٥)، تيسير الكريم الرحمن،(٢٨٣ – ٢٨٤).

(٢) أضواء البيان للشنقيطي، (٢/٩).

(٣) انظر: جامع البيان،(١٨/٥٥)، تفسير ابن كثير،(٣/٢٥٨)، أنوار التنزيل، (٤/١٦٨).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المبحث الرابع
وعدهم بالخيرات

تفضل الله على عباده المؤمنين المفلحين بفضائل عديدة، فهو سبحانه أنعم عليهم بثقل ميزان حسناتهم، وإدخالهم الفردوس، وهدايتهم طريق السواء، ويجمع لهم سبحانه هذا الفضل وزيادة حينما أنعم وتكرم عليهم سبحانه بالخيرات.

ومثوبة الله للمؤمنين هي عدل منه سبحانه، لأنه لا تماثل بين البر والفاجر، والمؤمن والكافر، ولا المحسن والمسيء، لأن الله هو أعدل الحاكمين، يقول ابن عاشور: (وتوفية الجزاء على العمل تستلزم كون تلك التوفية عدلاً)[١] ؛ هي كرمٌ منه سبحانه على عباده المؤمنين، بأن يجازيهم أحسن الجزاء، وأن يثيبهم الجنات، ويعدهم بالخيرات في الدنيا والآخرة؛ ولا عجب أن نال المفلحون هذا الثواب، لأن هذا ثمرة مرضاة الله، ونتيجة الطاعة، حيث عملوا بما كان سبباً في صلاحهم.

وعمل المرء مهما كان في طريق الطاعة واليقين، فإنه لا يقابل الجزاء وإن كان سبباً للجزاء، لأن المكلف لا يزال مقصراً محتاجاً إلى عفو الله ورحمته [٢] ، يقول عليه الصلاة والسلام: (إن الله لو عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته لهم خيراً من أعمالهم)[٣] .

يقول سبحانه منعماً ومتفضلاً على المفلحين، وواعداً إياهم بالخيرات العظيمة في الدنيا والآخرة:] - . / 0 1 2 3 4 | 6 7 8 | : ; < Z [التوبة: ٨٨].

---

(١) التحرير والتنوير، (٣٠٣/١٤).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، (٢١٧/١).

(٣) أخرجه أبو داوود في كتاب السنة، باب في القدر ،(٢٢٥/٤)، ح(٤٦٩٩)، وابن ماجة في باب في القدر،(٢٩/١)، ح(٧٧)، وأحمد في مسنده، (١٨٢/٥)، ح(٢١٦٢٩)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح، (٤١/١)، ح(١١٥).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

فهؤلاء لهم العزة والكرامة، ولهم المغنم والكلمة العالية، ولهم شرف النصر وهزيمة الكفر، والسيادة في الأرض وإقامة العدل فيها، ولهم الجنة – وهي أعظم مطلوب – ولهم رضوان الله؛ لهم الفلاح في الدنيا بالعيش الكريم، والفلاح في الآخرة بالأجر العظيم، فشرفوا بنيل سعادة الدارين [١] .

وكرر اسم الإشارة] C Z لتفخيم شأنهم، وتعظيم أمرهم [٢] .

وفي الوعد بالخيرات سند قوي، وترغيب عظيم في أعمال الخير والصلاح، والفوز والفلاح، وفيه من جانب آخر ترهيب من العقوبة على أعمال الشر والنفاق والفساد، فحين يستشعر من أتى بخصال الفلاح أنه موعود بالخير لا شك أن ذلك يثمر بداخل نفسه داعي الخير، ويقمع باغي الشر، فتنزل على قلبه وجوارحه كلها ثمرات طيبة، أهمها الفوز برضا الله، والجنة، وهذا غاية الغايات] y z { | } ~ **فَقَدْ فَازَ** Z [آل عمران: ١٨٥][٣] .

وفي الوعد بالخيرات أيضاً الإرشاد للمرء بأن يكون الدافع لبقائه وقيامه بأعمال الخير الضمير الحي الذي يجعله يؤمن بما وعد الله، ومن ثم يرغب في الثواب، لا القوة المادية، وأي سلطة.

والنية بالنسبة للجزاء تشكل المعيار الحقيقي للقيمة العلمية، كما تشكل الشرط النهائي للجزاء، وهي – أي النية – ليست بمعزل عن الرقابة الإلهية،] ! " # $ % & ' ( ) Z [ق: ١٦][٤] ، فإن كان الإيمان هو الدافع الحقيقي كان صاحب العمل من الموعودين بالفوز والفلاح، وكل خير في الدنيا والآخرة.

وأهل الفلاح مرحب بهم، فهم أهلٌ للخيرات والسعادة الأبدية.

---

(١) انظر: أنوار التنزيل،(١٦٤/٣)، التحرير والتنوير، (٢٩١/١٠)، تيسير الكريم الرحمن، (٣٤٧)،تفسير المراغي، (١٤٦/٤).

(٢) انظر: فتح القدير، (٣٩١/٢)، روح المعاني، (١٥٧/١٠).

(٣) انظر: الكليات الشرعية في القرآن الكريم للحسن محمد حريفي ، (٥٦١/٢).

(٤) انظر: المصدر السابق، (٥٥١/٢).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الفصل الرابع: أسباب الحرمان من الفلاح

وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: الكفر.

المبحث الثاني: الردة عن الدين.

المبحث الثالث: افتراء الكذب على الله.

المبحث الرابع: التكذيب بآيات الله.

المبحث الخامس: الظلم عموما.

المبحث السادس: الإجرام.

المبحث السابع: السحر.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

تمهيد:

خير الله واسع، وفضله عميم؛ محروم من حُرِم هذا الفضل بسبب خبث سريرته، وفساد طويته وعمله.

فقد شرع الله الشرائع ووعد بالفلاح لمن أقام بنيانه عليها، ونهى عن أمور ووعد بالنجاة لمن ابتعد عنها، وفي نفس الوقت توعد من قام بها بالعذاب والحرمان من النعيم والسعادة.

وكما أثبت الله الفلاح لعباده المؤمنين أهل الإيمان واليقين، ولأوليائه وحزبه المتقين فقد نفاه سبحانه عن أقوام شتى، فنفاه عن الظالمين، والمجرمين، والكافرين، والمفترين عليه الكذب، والسحرة؛ وعامة هذه الآيات الواردة في نفي الفلاح عنهم أريد بها الكفار، ويتضح ذلك من أمور:

- نفي الفلاح صراحة عن الكافرين جاء في موضعين، يقول تعالى:]إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ Z [المؤمنون: ١١٧]،] وَيۡكَأَنَّهُۥ ´ µ ¶ Z [القصص: ٨٢].

- نص جمع من أهل العلم على تفسير (الظالمين) و(المجرمين) في مواطنها بأنهم (المشركون) و(الكافرون)[١] .

- دلالة كثير من عبارات المفسرين والتي تؤكد أن المقصود بمن نُفِيَ عنهم الفلاح هم الكفار، وذلك عند قوله تعالى:] B C D E Z [القصص: ٣٧]،] m n o p Z [يونس: ١٧]، كقول ابن جرير: (لا ينجح الذين اجترموا الكفر في الدنيا يوم القيامة إذا لاقوا ربهم، ولا ينالون الفلاح)[٢] ، وقول البغوي [٣]: (لا ينجو المشركون)[٤] ، (لا يسعد من كفر وأشرك)[٥] .

---

(١) انظر: جامع البيان،(٧٦/١٠)، معالم التنزيل ، (٤٤٦/٣)، زاد المسير، (١٥/٤).

(٢) جامع البيان لابن جرير ، (٩٧/١١).

(٣) هو الحسين بن مسعود بن محمد البغوي الفقيه الشافعي، كان إماما في التفسير والحديث والفقه، من مصنفاته: معالم التنزيل، شرح السنة، الجمع بين الصحيحين، مات سنة ٥١٦هـ.
انظر: طبقات المفسرين للسيوطي، (٣٨)، طبقات المفسرين للداوودي، (١١٣).

(٤) معالم التنزيل للبغوي، (٣٤٧/٢).

(٥) المصدر السابق، (١٣٣/٢).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

- سياق الآيات التي وردت فيها آيات نفي الفلاح يؤكد أن المراد بمن نفي الفلاح عنهم هم الكفار، إذ التكذيب بآيات الله، و افتراء الكذب عليه، وتحليل الحرام وتحريم الحلال، ونسبة الولد والشركاء إليه كلها من صفات الكفار.

فكل من نفي عنه الفلاح بنص القرآن فهو الكافر، عدا ما ورد في قولـــه تعـــالى: [. / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; Z [يوسف: ٢٣] على القول بأن الظالمون هم (الزناة)[١] . [٢]

نبدأ بذكر هذه الأسباب – وإن كانت في مجملها كما أسلفنا لا تخرج عن الكفر- لبيان الوعيد فيها، وللتحذير منها.

(١) الكشاف للزمخشري، (٢/٤٢٩).

(٢) انظر:كليات الألفاظ في التفسير دراسة نظريـــة تطبيقيـــة، لبريـــك ســـعيد القـــرني، (٢/٧٤٥ – ٧٤٦، ٧٥١)،الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـــ.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المبحث الأول

الكفر

كما أثبت الله الفلاح لعباده المؤمنين، أهل الإيمان واليقين، فقد نفى الفلاح عن الكفار. والكفر على الإطلاق متعارف فيمن يجحد الوحدانية، أو الشريعة، أو النبوة [١] .

وهو أول ما ذُكر من المعاصي في القرآن، يقول تعالى:] ! " # $ % & ' ( ) * + , Z [البقرة: ٦]، وهو أكبر الكبائر على الإطلاق؛ إذ لا كبيرة فوق الكفر [٢] .

ومن آثاره وأضراره: أنه يوجب لصاحبه الخلود في نار جهنم، قال تعالى:] v w x y z { | } ~ ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ﴾ © Z [فاطر: ٣٦]، ومن أعظم أسباب الخزي والعار، قال تعالى:] 6 7 8 9 Z [التوبة: ٢]، ولا يغفر الله لمن مات على الكفر الأكبر، قال سبحانه:] | } ~ ﴿وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا © إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾ ´ µ ¶ Z [النساء: ١٦٨ – ١٦٩]، ويحبط جميع الأعمال، قال تعالى:] B C D E F G H I J Z، وهو من أكبر الأسباب التي يُعاقب عليها، يقول جل شأنه:] ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 | 4 5 6 8 9 : Z [البقرة: ٦ – ٧]، ويجمع آثار الكفر وأضراره (عدم فلاح صاحبه)، إذ هو محروم من أسباب الخير والنجاة في الدنيا والآخرة،

---

(١) انظر: المفردات للراغب، مادة كفر، (٤٣٣ – ٤٣٤)، بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي ، (٣٦١/٤)، الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة، لعبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، (٥)، مطبوع ضمن الجامع الفريد، بدون ، توزيع الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء – الرياض.

(٢) انظر: الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة لعبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، (٥).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

لأن الكفر أساس الخسران والهلاك، ومنبت الضلال والانحراف، والطريق الموصل للخذلان والعقوبات، مضاد للفلاح والنجاة، والفوز بالجنات؛ ومن ألطف بيان سورة (المؤمنون) لهذا المعنى، حيث أنها افتتحت بفلاح المؤمنين، وخُتمت بخيبة وخسارة الكافرين، وشتان ما بين الفاتحة والخاتمة [١] ، يقول تعالى:] ¶ , مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ Z [المؤمنون: ١١٧].

فيتوعد سبحانه من أشرك به غيره، أو عبد غيره بأنه قد ادعى الباطل، وحاد عن جادة الصواب، لأنه ليس لديه برهان على ذلك، ولا بينة ولا حجة، وسيحاسبه على كفره واستكباره، وسيجازيه العقاب الشديد، والعذاب الأليم، فلا يفوز بشيء من النعيم، ولا بالسعادة، لأن كفره مانع له من الفلاح [٢] .

ونفي الفلاح على من ادعى آلهة أخرى يدل على هلاكه، وأنه من أهل النار، وقد حذر جل شأنه من دعا آلهة أخرى في آيات عديدة، يقول سبحانه:] وَلَا à مَعَ â إِلَـٰهًا ءَاخَرَ ۘ إِنَّنِى ç è é ê Z [الذاريات: ٥١]، ويقول:] Z [\ [^] _ ` a b c d Z [القصص: ٨٨].

وسرد القرآن قصصاً كثيرة عن كفر الكافرين وعتوهم، والعقوبات التي حلت بهم في الدنيا، وما ينتظرهم من العذاب في الآخرة منها: قصة قارون، كيف كان كفره بالله، وكيف كان هلاكه عقوبة له، وعبرة وموعظة لغيره، خصوصاً من تمنى أن يكون له مثل ما لقارون من المال والكنوز، يقول تعالى:] y z { | } ~ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ ´ µ ¶ Z [القصص: ٨٢]، فهؤلاء الذين تمنوا ما عند قارون سرعان ما تراجعوا عن أمنيتهم لما رأوا العقوبة تحل به، وندموا، وتغيرت أفكارهم، وانقلبوا من

---

(١) وهذا ضرب من رد العجز على الصدر، انظر: الكشاف، (٢٠٩/٣)، مفاتيح الغيب، (١١٢/٢٣)، التحرير والتنوير، (١٣٦/١٨).

(٢) انظر: جامع البيان، (٦٤/١٨)، تفسير ابن كثير ، (٣٦٠/٣)، تفسير المراغي، (٣١٦/٦).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

معجبين به إلى متعجبين مما حل به، معتقدين أن كثرة المال لا تدل على رضا الله عن صاحب المال، روى ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم، وإن الله يعطي المال من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الإيمان إلا من يحب)[١] ، وعلموا أنه لولا لطف الله بهم وإحسانه عليهم لحلت بهم العقوبة، وحُرموا الفلاح، وكُتب عليهم الضلال والخسران، لأن الله عز وجل جزاؤه واحد فيمن كفر وهو أنه لا يُحقق له الفوز والنجاح لا في الدنيا ولا في الآخرة [٢] .

والكافر لا ينفعه عمل صالح في الآخرة إن عمله في الدنيا، وإنما يُعجل الله له ثواب عمله في الدنيا، فيتمتع به في الدنيا، وليس له في الآخرة نصيب [y z { | } ~ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ ´ µ ¶ Z [الكهف: ١٠٥][٣] .

لكن إن أسلم ومات على الإسلام وكانت منه أفعال جميلة وقت كفره كالصدقة والصلة الرحم فإنه يُكتب له ثواب ذلك، ويُضاف على حسناته تفضلا من الله وإحسانا، فهو يثاب على عمله إن أسلم، يدل على هذا قوله عليه الصلاة والسلام لما سألته عائشة[٤] رضي الله عنها عن ابن جدعان[٥] ، وماكان يصنعه من خير هل ينفعه، فقال: (لا

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، (٢٨٧/١)، ح(٣٦٧٢)، وصححه الحاكم، (٨٨/١)، ح(٩٤)، ووافقه الذهبي، (٨٨/١)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، (٤٨٢/٦)، ح(٢٧١٤).

(٢) انظر: جامع البيان،(١٢٠/٢٠، ١٢٢)، تيسير الكريم الرحمن، (٦٢٤)، التفسير المنير، (٢٣٦/١٠ – ٥٣٨).

(٣) انظر: جامع البيان لابن جرير ، (٣٥/١٦)، الكفر والمكفرات لأحمد عز الدين البيانوني، (١٨١)، دار السلام – القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

(٤) أم المؤمنين بنت أبي بكر الصديق بن أبي قحافة بن عثمان، أم عبدالله القرشية التيمية، زوج النبي عليه الصلاة والسلام وأشهر نسائه،و أفقه النساء، روت كثيرا من الأحاديث، توفيت سنة ٥٨هـ، وقيل: ٥٧هـ، ودفنت بالبقيع.

انظر: الإصابة لابن حجر، (٣٥٩/٤)، أسد الغابة لابن الأثير، (٢٠٥/٧).

(٥) هو عبدالله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد ين تيم بن مرة بن كعب، من أقرباء عائشة رضي الله عنها، ومن رؤساء قريش، كان كثير الإطعام ، وكان قد اتخذ للضيفان جفنة يرقى إليها بسلّم، وفي داره كان حلف الفضول.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ينفعه، إنه لم يقل يوما رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين)[١] ، فهذا يدل على أنه لو قالها بعدما أسلم نفعه ما عمله في الكفر[٢]، وكما جاء في حديث حكيم بن حزام[٣] رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله أرأيت أمورا كنت أتحنث بها في الجاهلية من صلة وعتاقة وصدقة هل كان لي فيها من أجر؟ فقال عليه الصلاة والسلام: (أسلمت على ما سلف من خير).[٤]

وكل ما يراه الناس على الكفار من نعيم ومتاع فليس بفلاح حقيقي، إنما هو استدراج ينتهي بالوبال في الدنيا، وفي الآخرة يكون الحساب والجزاء،وهذه سنة الله النافذة التي لا تتخلف، كما أن الفلاح للمؤمنين سنة الله في خلقه.

انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، (٨٧/٣)، نسب قريش لأبي عبدالله الزبيري، (٢٩١/٨).

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على الكفر لا ينفعه عمل، (١٩٦/١)، ح(٢١٤).

(٢) انظر: فتح الباري لابن حجر، (٩٩/١-١٠٠).

(٣) هو حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزي بن قصي الأسدي بن أخي خديجة زوج النبي صلى الله عليه و سلم ،كان من سادات قريش ،كان صديق النبي صلى الله عليه و سلم قبل المبعث ،وكان يوده ويحبه بعد البعثة ولكنه تأخر إسلامه حتى أسلم عام الفتح وكان من المؤلفة ،مات سنة ستين من الهجرة.
انظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر،(١١٢/٢) أسد الغابة لابن الأثير، (٢٧٨/١).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب من وصل رحمه في الشرك ثم أسلم،(٢٢٣٣/٥)، ح(٥٦٤٦)، ومسلم في كتاب الإيمان ، باب بيان حكم عمل الكافر إذا أسلم بعده، (١١٣/١)، ح(٥٥).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المبحث الثاني
الردة عن الدين

جُعل للسيئات ما يوجب رفع عقوبتها، كما جعل للحسنات ما قد يُبطل ثوابها، ومما يبطل السيئات التوبة، وما يبطل جميع الحسنات الردة [١] .

والردة هي: (الإتيان بما يُخرج عن الإسلام، إما نطقاً أو اعتقاداً، أو شكا ينقل عن الإسلام)[٢] .

ويحصل الكفر بأحد أربعة أمور: بالقول كسب الله تعالى ورسوله، أو ملائكته، أو ادعاء النبوة، وبالفعل كالسجود للصنم ونحوه، وبالاعتقاد كاعتقاد الشريك لله، أو اعتقاد أن الزنا والخمر حلال، ونحو ذلك مما أجمع على تحريمه إجماعاً قطعياً، وبالشك في شيء من ذلك [٣] .

وأكثر ما تكون الردة فيمن عنده قرآن بلا علم وإيمان، أو من عنده إيمان بلا علم وقرآن، أما من أوتي القرآن والإيمان فحصل فيه العلم فهذا لا يرفع من صدره [٤] ، ولهذا نجد من لم يكن لديه إيمان، ولا علم وقرآن عرضة للشبهات التي تثار، والتي نشرها أعداء الدين، عبر المبادئ والنظريات المدمرة، التي لبست ثوب العلم، وأتت تطعن في الشريعة، وتتهمها بالقصور في مواكبة العلم، وغيرها من الشبهات.

ومثل ما أن ضعف الدين سبب للردة فإن للشهوة أثر في الردة، فإن العبد إذا غلبته الشهوة هان عليه دينه، فيذكر ابن الجوزي [٥] في كتابه (ذم الهوى) قصة رجل تنصر بسبب العشق [١] .

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى ، (٤٨٣/١٢).

(٢) المغني لابن قدامة، (١١٥/١).

(٣) انظر: دليل الطالب على مذهب الإمام المبجل أحمد بن حنبل ، (٣١٧)، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية – ١٣٨٩هـ.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى، (٣٠٥/١٨).

(٥) هو عبدالرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج جمال الدين بن جعفر الجوزي، الإمام العلامة، كان في التفسير من الأعيان، وفي الحديث من الحفاظ، وفي التاريخ من المتوسعين، من مصنفاته: زاد المسير، المغني، توفي سنة٥٩٧هـ.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

للبيئة – أيضاً – أثر في إفساد دين العبد إن كانت تلك البيئة فاسدة، إذ للأهل دور كبير في ذلك، والمجتمع، ورفقة السوء، وهناك بعض القنوات الفضائية، ومواقع الإنترنت، ويحكي القرآن صورة من صور أثر البيئة الفاسدة في الإضلال، يقول تعالى في سورة الكهف عن أصحاب الكهف:] إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا Z [الكهف: ٢٠].

خشوا إن علم قومهم بدينهم أن يقتلوهم رجماً بالحجارة – وهو أشنع وأخبث قتلة [٢] – ، وإما أن يفتنوهم عن دينهم، ويجبروهم على العودة إلى دين الوثنية فيصيرون كفاراً – والعياذ بالله – وكلاهما صعب إذ ما على الفار بدينه أعظم من هذين: هلاك النفس، وهلاك الدين [٣] ، إلا أن الخيار الثاني هو الأفظع، لذا أكد التحذير منه بأن رتب على ارتكابه انتفاء الفلاح، فلا فلاح أبداً لمن بدل دينه، فلا ينال الجنة، ولا يفوز بخير في الدنيا ولا في الآخرة، ويخسر دينه ودنياه وأخراه، ويكون من أهل الشقاء والخذلان [٤] .

فلا يفلح من مات مرتدا حيث ترك الإسلام بعدما ذاقه وعرفه، ومصير من فعل هذا نطق القرآن به في أكثر من موضع ، قال تعالى:] n m l k j i h { y x w u t s r q p o | } | Z [البقرة: ٢١٧]، وقال:] وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ Z [المائدة: ٥]، وقال:] وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ Z [الأنعام: ٨٨].

انظر: طبقات المفسرين للداوودي، (١٩١)، طبقات المفسرين للسيوطي، (٥٠).

(١) انظر: ذم الهوى، لأبي الفرج عبدالرحمن بن أبي الحسن الجوزي، (٤٥٩ – ٤٦٠)، تحقيق: مصطفى عبدالواحد، بدون ، ١٩٦٢م.

(٢) وهذا ما كان معتادا عندهم فيمن يعلن خلاف ما عليه الجماهير. انظر: الكشاف، (٦٦٤/٢)، فتح القدير، (٢٧٦/٣).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب للرازي، (٨٨/٢١).

(٤) انظر: جامع البيان، (٢١٦/١٥، ٢٢٢ – ٢٢٤)، تفسير ابن كثير، (٧٧/٣ – ٧٨)، تفسير المراغي، (٣٨٥/٦ – ٣٨٧)، تيسير الكريم الرحمن، (٤٧٣).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

والقلب الذي يذوق الإسلام ويعرفه لا يمكن أن يرتد عنه، إلا إذا فسد فساداً لا صلاح له، لكن رخص الشرع لأفراد أمة الإسلام إظهار الكفر مع اطمئنان القلب بالإيمان اتقاءً للأذى والعذاب، يقول جل شأنه:] M N O P Q R S T U

V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a

b c d Z [النحل: ١٠٦]، ودل هذا على أن العذر بالإكراه من خصائص أمة محمد صلى الله عليه وسلم، لأن آية الكهف ظاهرها إكراه أهل الكهف على الكفر، ومع هذا قال عنهم:] وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا Z [الكهف: ٢٠]، فدل على أن الإكراه ليس بعذر [١] .

والكافر المرتد أسوأ حالاً في الدين والدنيا من الكافر المستمر على كفره، والردة عن الدين أعظم من الكفر بالدين، ولهذا يجد المسلمون من ضرر هؤلاء على الدين ما لا يجدونه من ضرر غيرهم [٢] ، إذ ارتداد المرء عن الإسلام يسلخه من المجتمع، ويجعله يتحرر من الالتزامات نحو ربه، وبذلك يكون خطراً على بقية المجتمع، ويُفسِد نظامه؛ كأنه دخل الإسلام فلم يجده يرقى لمستوى يطمح إليه، فخرج منه؛ وقد يكون عمله هذا سبباً في منع غيره من دخول الإسلام، وكشف القرآن هذا في حق اليهود، حينما جعلوا من حرية الارتداد وسيلة للطعن في الإسلام، حيث أعلنوا عن دخولهم فيه حتى ينفوا عن أنفسهم التهمة، ثم قرروا الردة كأنهم اكتشفوا فيه ما ينفر من البقاء عليه،] , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < Z [الأنعام: ٧٢].

وما كان لمؤمن ذاق الإيمان، وخالط قلبه بشاشته، وعرف الحق أن يرجع عنه مهما كانت الأحوال والظروف، لأن بيده أعظم دين، وسيستعين بالمجاهدة والمصابرة، ويتدثر بغطاء

---

(١) انظر: أضواء البيان للشنقيطي، (٢٥١/٣).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى ، (٤١٤/٢٨)، (٥٣٤/٢٨)، (١٩٣/٢).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

اليقين، والرضا والتسليم، ويتسلح بسلاح العلم، وسؤال أهل العلم عن الشبه التي تثار ولا يجد لها جوابا.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المبحث الثالث

افتراء الكذب على الله

الافتراء مرادف للكذب، وهو الكذب المتعمد؛ والكذب هوالإخبار عن الشيء بخلاف ما هو، تعمدت ذلك أم جهلته، لكن لا يأثم في الجهل، وإنما يأثم في العمد(١) .

وأعظم الكذب الكذب على الله، وعلى رسوله عليه الصلاة والسلام، فهذا أشد وأعظم ذنباً، وأقبح فعلا، [C D E F G H I J K Z [الزمر: ٦٠]، وهو من أكبر الكبائر، وأعظم الحرمات، وهو كفر ينقل عن الملة (٢) ، يقول تعالى: ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ ﴾ Z [المائدة: ١٠٣]، فعله مجانب للإيمان: [@ A B C D E F G Z [النحل: ١٠٥].

والافتراء على الله – كما أنه أكبر الكبائر – أعظم الظلم، يقول جل شأنه: [¶ ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعۡرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ Z [هود: ١٨]، لأن ضرره لا يقتصر على مرتكبه، بل يتعداه إلى غيره، فإنه بضلاله في حق نفسه يكون قد أضل غيره، وسن سنةً شنعاء، عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة، قال تعالى: [V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g Z [الأنعام: ١٤٤]، وهو محرم مطلقاً، سواء قصد به الإضلال أم لا (٣) .

---

(١) الأذكار للنووي،(٣٠٢)، وانظر: شرح النووي على صحيح مسلم، (٦٩/١).

(٢) انظر: الكبائر، للذهبي، (٥٧)، دار الجيل – بيروت، بدون .

(٣) انظر: تنزيه الشريعة المرفوعة من الأخبار الشنيعة الموضوعة، لعلي بن محمد علي الكناني ، (١٣/١)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف وعبدالله محمد صديق الغماري.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وتاريخ اليهود حافل بافتراء الكذب على الله، فقد أخذ الله عليهم الميثاق ألا يقولوا على الله إلا الحق] أَلَمْ يُؤْخَذْ ´ µ ¶ ¸ لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ Z [الأعراف: ١٦٩]، فنقضوا العهد، وافتروا على الله الكذب، وكانت افتراءاتهم على الله متعددة، يطول المقام بذكرها، لكن أذكر بعضاً منها: فاليهود حرفوا ما أنزل الله، وادعوا أن ما يقولونه هو من عند الله، ففضح الله حالهم، وقال: [! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 Z = < ; : 9 8 7 6 5 4 3 [آل عمران: ٧٨]، وادعوا أنهم أبناء الله وأحباؤه، فبين الله كذبهم [! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 Z [المائدة: ١٨]، وبلغ غرورهم أن ادعوا أن النار لن تمسهم إلا أياماً معدودة، يقول تعالى: [Q R S T U V W Y Z [\ ] ^ _ ` a c d e f g h i Z [البقرة: ٨٠][1] ، وغيرها من الافتراءات، التي كان الخزي والوبال عاقبة أمرها.

ويذكر الله نوعاً من أباطيل أهل الضلال والافتراء، وهو نسبة الولد إليه سبحانه، فيقول سبحانه:] { ~ ¡ ¢ £ ¤ ¥ ¦ § ¨ © ª « ¬ ® ¯ ° ± ² ³ ´ µ ¶ ¸ ¹ º » ¼ ½ ¾ ¿ À Á Z [يونس: ٦٨]، ثم ينكر عليهم لأن قولهم هذا افتراء عليه سبحانه، ونسبة ما لا يليق به إليه، فيقول جل شأنه:] قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا

(١) انظر: لماذا لعن اليهود في القرآن والسنة، لأحمد إبراهيم الحاج، (٧٣ وما بعدها)، دار ابن حزم – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

يَكْفُرُونَ Z [يونس: ٦٩ – ٧٠].

فيتوعد سبحانه الذين يختلقون الكذب عليه بنسبة الشريك إليه سبحانه أو الولد، أو باعتقاد أن الأولياء يتصرفون في ملكه ويطلعون على أسرار خلقه بأنهم لا يفلحون أبداً في الدارين، فلا يفوزون بشفاعة الولد ولا الشركاء، ولا يفوزون ولا ينعمون بالجنة؛ بل يستدرجهم الله ويملي لهم، فيمتعهم قليلاً في الدنيا، وفي الآخرة لا ينجون من العذاب الذي ينتظرهم، وهذه هي الخسارة الحقيقية؛ فحالهم وحال أمثالهم أنهم (لا يظفرون ببغية، ولا يبقون في نعمة، إذ هذه حال من يصير إلى العذاب، وإن نعم في دنياه يسيراً)[١] ؛ ونجاحهم في الدنيا ليس معياراً للفوز، ولا قيمة له أصلاً في مقابل ما يخسرونه في الآخرة من الثواب والنعيم[٢] .

وللمبالغة في الزجر عن افتراء الكذب على الله، والتحذير من الاستمرار عليه، جاء تلوين الخطاب وتوجيهه إلى سيد المخاطبين صلى الله عليه وسلم (قل)[٣] .

وتكرر في سور القرآن التحذير من افتراء الكذب على الله بتحريم ما لم يُحرمه، وتحليل ما حرمه، يقول تعالى: [v u t s r q p o n m l

{ z y x w } | { ~ ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٦٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ

© يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ ´ µ ¶ ¸ Z

[يونس: ٥٩ – ٦٠]، ويقول سبحانه في سورة النحل مبيناً عدم فلاح من ارتكبه:]

} | { ~ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ

© ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ´ µ ¶ ¸ عَذَابٌ أَلِيمٌ Z

[النحل: ١١٦ – ١١٧]، فينهاهم سبحانه عن التحليل والتحريم بالرأي والهوى والجهل، دون اتباع الشرع والدليل؛ حيث أن مدار الحرمة والحل حكمه إلى الله، لأن التحليل والتحريم تشريع والتشريع لله وحده دون غيره من البشر؛ ويتوعدهم الباري بأن لا فوز لهم

(١) المحرر الوجيز لابن عطية، (٣/١٣١).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، (٢/٤٢٦)، تفسير المراغي، (٤/٢٦١)، التفسير المنير،(٠٢٨/٢٣٥، ٢٣٧).

(٣) انظر: روح المعاني، (١١/١٥٦)، التحرير والتنوير، (١١/٢٣٢).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

في الدنيا ولا في الآخرة، ففي الدنيا لا ينالون إلا المتاع القليل، ولا يظفرون بالمطالب التي لأجلها كذبوا على ربهم، وفي الآخرة لهم العذاب الأليم، [| { ~نَضۡطَرُّهُمۡ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٖ Z [لقمان: ٢٤][(١)] .

ومن سار على درب الكذب حُرم الهدى، وهُدِيَ إلى الفجور، ولم ينل درجة الصديقية، والتي مفتاحها ومبدؤها الصدق، لا سيما الكاذب على الله في أسمائه وصفاته، والكاذب في الدين والشرع ، يقول عليه الصلاة والسلام: (إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإن الكذب ليهدي إلى الفجور،وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً)[(٢)] .

ولا يجترئ على الكذب على الله إلا من خلا قلبه من الإيمان، أما من كان قد استكمل الإيمان فلن يجرؤ على الكذب على الله، لأنه يرجو الفلاح في الدنيا والآخرة، ولا يرضى بعقوبة الله في الدنيا ولا في الآخرة؛ ومن كان هذا صنيعه فنعم ما عمل، ونعم الجزاء الذي ينتظره.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ، (٢/٥٩١)، روح المعاني، (١٤/٢٤٨)، تفسير المراغي، (٥/٢٦٨ – ٢٦٩)، تيسير الكريم الرحمن، (٤٥١).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)، (٥/٢٢٦١)ح(٥٧٤٣)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب ، باب قبح الكذب وحسن الصدق، (٤/٢٠١٢)، ح(٢٦٠٧).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المبحث الرابع
التكذيب بآيات الله

أسباب هلاك الأمم – رغم تعددها وتنوعها – أشبه ما تكون سلسلة مترابطة، من ارتكب أحدها سرعان ما ينجر إلى ارتكاب سبب آخر؛ والتكذيب بآيات الله هو رأس السلسلة المؤدية إلى الهلاك، إذ هو أساس الشرك، وادعاء الولد لله، والاستهزاء بالأنبياء والرسل.

والتكذيب بآيات الله كفر مخرج عن الملة، وهو ما يسمى بـ(كفر التكذيب)، قال تعالى: [ ] ^ _ ` a b c d e f g h | j k l m n Z [العنكبوت: ٦٨][(١)] .

وأخبر الله سبحانه عن هلاك المكذبين بالآيات من الأمم السالفة في آيات كثيرة، ودلت بعض تلك الآيات على أن مطلق التكذيب كان بسبب هلاكهم، قال تعالى: [f g h i j k l m n o p q r Z [آل عمران: ١٣٧]، وقال: [5 6 7 | 9 : ; | = > Z A @ ? [الأنفال: ٥٤]، وقال: [u v w x y z { | } ~ وَكَانُواْ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ Z [الروم: ١٠]؛ فالتكذيب بآيات الله من أبرز أسباب هلاك الأمم [(٢)] .

وكما أخبرت آيات القرآن عن سبب هلاك الأمم، وهو التكذيب بآيات الله فقد حذرت في الوقت نفسه منه، ووصفت من يفعل ذلك بالمجرم، والظالم، وحكمت عليه بعدم الفلاح، وتحقق الخسارة، يقول تعالى: [b c d e f g h i

---

(١) انظر: مدارج السالكين لابن القيم، (١/٣٣٧).

(٢) انظر: أسباب هلاك الأمم السالفة كما وردت في القرآن الكريم لسعيد محمد بابا سيلا ، (١٨٩)، دار ابن الجوزي – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

[Z p o n m l k j [يونس: ١٧]، وقال سبحانه: [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j Z [الأنعام: ٢١]، ونلحظ ان الكفار لم يكتفوا بالكذب على الله، بل كذبوا بآياته، فجمعوا بين الأمـــرين، ومع ذلك عبر بـــ(أو) تنبيها على أن كل واحد منها بالغ غاية الإفراط في الظلم، فكيف بمن جمع بينهما، فأثبت ما نفاه الله، ونفى ما أثبته! [١]

والمكذب بآيات الله مُفترٍ الكذب، لكن نص عليه لأنه منحىً آخر من الكفر [٢] .

والتكذيب بآيات الله من أخلاق أهل الكفر والعصيان، الذين حُرموا كل خير في الـــدنيا والآخرة لنص القرآن على ذلك، يقول تعالى: [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j Z [الأنعام: ٢١]، إذ هو من أشد وأعظم الظلـــم، لـــذا لا عجب أن كان من أكبر أسباب الخسران، سواء كان تكذيباً بآيات الله المنزلة، أو بالآيات الكونية الدالة على وحدانية الله عز وجل، أو بتكذيب حجج الله وبراهينه وأدلتـــه الـــتي أعطاها لرسله؛ وعاقبة الظلم أن لا يفلح صاحبه أبداً، فلا يفوز يوم الحـــساب والجـــزاء بالنعيم، ولا ينجو من العذاب [٣] ، قال تعالى: [﴿ تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ Z [يونس: ٩٥].

ومنشأ التكذيب بالآيات له أسباب عديدة، من أبرزها: الكفر؛ فالكافرون يكذبون بآيات الله، والكِبرُ والاستكبار، واتباع الهوى والظنون الكاذبة، إذ متى ما غلب الهوى على النفس جنح العقل، فلا يسمع المرء كلمة الحق، ويصد عن سبيل الله [٤] .

وعاقبة التكذيب بالآيات – كما بينا – العـــذاب المهـــين، [Z Y [\ ] ^ _ Z [المائدة: ٨٦]، وعدم دخول الجنة، وإ حباط ســـائر

---

(١) انظر: محاسن التأويل للقاسمي، (٤٨٧/٦).

(٢) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية، (٢٧٧/٢).

(٣) انظر: جامع البيان، (١٦٥/٧)، تيسير الكريم الرحمن، (٢٥٣)، تفسير المراغي، (٧٨/٣).

(٤) انظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد لصالح الفوزان، (١٣٠)، الأخلاق الإسلامية لحسن الشرقاوي ، (٢١)، دار المعرفة الجامعية – مصر، ١٩٩٩م، بدون.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

العمل، يقول تعالى: [t s r q p o n m l Z y x w v u] [الأعراف: ١٤٧].

الفرق بين الجحد والتكذيب:

من الآيات الصريحة في التفريق بين الجحد والتكذيب قوله تعالى: [© لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ Z [الأنعام: ٣٣]، فالآية نفت التكذيب وأثبتت الجحود، مما يدل على عدم تلازمهما، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية حول هذه الآية: (فنفى عنهم التكذيب، وأثبت الجحود، ومعلوم أن التكذيب باللسان لم يكن منتفياً عنهم، فعلم أنه نفى عنهم تكذيب القلب، ولو كان المكذب الجاحد علمه يقوم بقلبه خبر نفساني لكانوا مكذبين بقلوبهم، فلما نفى عنهم تكذيب القلوب علم أن الجحود الذي هو ضرب من الكذب والتكذيب بالحق المعلوم ليس هو كذباً في النفس، ولا تكذيب فيها ...)[١] .

فيمكن أن يقال: التكذيب أعم من الجحود، إذ الجحود يكون في اللسان، والكذب يكون في القلب واللسان والعمل، وكل جحود تكذيب، وليس كل تكذيب جحود.

وبهذا يكون وصف المكذبين بآيات الله شاملاً لتكذيبهم بالقلب واللسان والجوارح؛ ومن كان هذا حاله ووصفه فهو مصروف عن الفلاح والنجاة؛ وهو مثل سَوْءٍ لكل معتبر، يستدرجه الله من حيث لا يعلم، ثم تكون عاقبة أمره الخسران.

---

(١) الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية، (١٩٨/٥)، دار المعرفة – بيروت ، بدون ، قدم له: حسنين محمد مخلوف.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المبحث الخامس
الظلم عموماً

إن من أهم أسس الفلاح إفراد الله بالعبادة، والاستجابة لأوامر الله ورسوله عليه الصلاة والسلام؛ ومن لم يلتزم بهذا فهو ظالم لنفسه خاسر، والمراد بالظلم: وضع الشيء في غير موضعه المختص به، إما بزيادة أو بنقصان، وإما بعدول عن وقته أو مكانه، ومجاوزة الحق سواء كانت المجاوزة قليلة أم كثيرة.

والظلم يقع على ثلاثة أنواع: فالأول: ظلم بين الإنسان وبين ربه، وأعظمه الشرك والكفر والنفاق، ولذا قال تعالى:] A B C D Z [لقمان: ١٣].

والثاني: ظلم بينه وبين الناس، نحو قوله تعالى:] إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ Z [الشورى: ٤٢].

والثالث: ظلم بينه وبين نفسه، كقوله تعالى:] W X Y Z [Z [القصص: ١٦].

وحقيقية هذه الأنواع الثلاثة هي ظلم للنفس، إذ الإنسان أول ما يبدأ بالظلم فقد ظلم نفسه [(١)] .

وقد قضى الحق – تبارك وتعالى – في كتابه، وعلى لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم تحريم الظلم، حيث نزه سبحانه نفسه عنه في قوله:] g h i j Z [الكهف: ٤٩]، وفي قوله في الحديث القدسي: (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا ...) الحديث [(٢)] .

وجاء التنفير منه والتحذير في آيات كثيرة، منها قوله تعالى:] ? @ A B Z [البقرة: ٥٩]، وقوله تعالى:] k l m n o p q r Z [مريم: ٧٢].

---

(١) انظر في مادة ظلم: المفردات للراغب، (٣١٥)، عمدة الحفاظ للسمين الحلبي، (١٣/٣).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، (١٩٩٤/٤)، ح(٢٥٧٧).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ووردت آيات عديدة في القرآن الكريم تذكر الظلم سبباً في أسباب هلاك الأمم السالفة، منها قوله تعالى:] وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ Z [يونس: ١٣]، وقوله تعالى:] ! " # $ % & Z [الأنبياء: ١١]، وغيرها من الآيات التي تذكر الظلم سبباً للهلاك، وأول ما يدخل تحته الشرك، فهلاك من سبق كان بسببه وبسبب ما دونه من المعاصي؛ لأن لفظ الظلم عام في وضع الشيء في غير موضعه، يشمل الشرك وغيره من المعاصي، إلا أن الشرك أعلى أصناف الظلم.

ففي جانب الظلم الذي هو شرك يقول تعالى:] [\ ] ^ _ ` a b c d Z [الأنعام: ٢١]، فالآية تنفي الفلاح عن المشركين الظالمين؛

وفي جانب الظلم الذي هو دون الشرك يقول تعالى نافياً الفلاح عمن عصاه:] . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; Z [يوسف: ٢٣][1] .

وأجمعت آيات القرآن على أن كل ظالم لن يفلح، سواء كان ممن أشرك بالله، أو عصاه، أو ادعى النبوة، أو زاد في الدين؛ ولن يسعد في دنياه، ولن يظفر في أخراه بالرضا والجنات، لأن الظلم لا يغني ولا يجدي بل يردي، يقول تعالى مبيناً عدم فلاح من أشرك:

[J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z [\ Z [ألأنعام: ١٣٥].

ففي الآية يأمر الله نبيه عليه الصلاة والسلام إذا دعا قومه فامتنعوا من الانقياد له، واستمروا على شركهم يأمره أن يقول لهم: اعملوا على ما أنتم عليه من حال قد رضيتموها لأنفسكم، وستعلمون عند نزول نقمة الله بكم لمن تكون عاقبة الخير في هذه الدار، ومن الذي يعقب دنياه ما هو خير له منها بما قدم من صالح عمل؛ ومعلوم أن العاقبة المحمودة في الدنيا والآخرة هي للمؤمنين المتقين، أما من أعرض عن الإيمان، وظلم

---

(١) انظر: أسباب هلاك الأمم السابقة لسعيد محمد باباسيلا ، (١١٢ – ١١٣)، سنة الله في عقاب الأمم في القرآن الكريم، لعبدالسلام نصر الله الشريف، (١٧٥ – ١٧٧)، وانظر في ذلك أيضاً: آفات على الطريق، للسيد محمد نوح، (٣/٢٣١ – ٢٣٢).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

نفسه بالكفر، واتخاذ الشركاء فلن يسعد بخير في الدنيا، بل له عاقبة السوء في الدنيا والآخرة [١] .

وكما أبان محمد صلى الله عليه وسلم لقومه عدم فلاح المشركين الظالمين ها هو نبي الله موسى عليه السلام يبين ذلك لقومه لما رموه بالسحر، يقول تعالى على لسان موسى عليه السلام:] 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E Z [القصص: ٣٧].

فهو عليه السلام يجيبهم برد الأمر إلى الله، وأنه سبحانه هو الأعلم بالمحق من المبطل، ومن الذي له العقبى المحمودة في الدنيا بالنصر والتأييد، وفي الدار الآخرة بالثواب والرضوان؛ ويؤكد لهم ثبات سنة الله والتي جرت بأن المخذول هو الكاذب الكافر، وأن الظالم نفسه بالشرك والمعاصي لا يفلح، ولا يظفر بفوزٍ ولا نجاة [٢] .

ويبين الله عز وجل أظلم الظلم وخسران صاحبه فيقول:] [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j Z [الأنعام: ٢١].

فإن أظلم الناس من كذب على الله بادعاء الشريك له سبحانه، ونسبة الولد له والصاحبة، أو كذب بآيات الله، وحججه وبراهينه؛ ومن كان كذلك فهو بعيد كل البعد عن الفلاح؛ لا يفوز يوم الجزاء بالنعيم، ولا ينجو من عذاب الجحيم، بل يبقى في الحرمان والخذلان، إذ الفلاح مقصور على أهل الإيمان والطاعة،] ! " # $ % & ' ( ) Z [المؤمنون: ١ – ٢] [٣] .

ومن الظلم الموجب للخسران ارتكاب المعاصي والاعتداء على أعراض الآخرين، ومجازاة الإحسان بالإساءة، يقول تعالى في قصة يوسف عليه السلام:] ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4

---

(١) انظر: جامع البيان، (٣٩/٨ – ٤٠)، تفسير المراغي ، (٢١٠/٣)، تفسير ابن كثير، (١٧٩/٢).

(٢) انظر: جامع البيان، (٧٦/٢٠)، المحرر الوجيز، (٢٨٨/٤)، فتح القدير، (١٧٣/٤)، محاسن التأويل، (١٠٧/١٣).

(٣) انظر: جامع البيان، (١٦٥/٧)، تيسير الكريم الرحمن، (٢٥٣)، تفسير المراغي ، (٧٨/٣).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

5 4 7 8 9 : Z [يوسف: ٢٣].

فيوسف عليه السلام لم يستجب لما طُلِب منه، وقدَّم مراد الله على مراد النفس الأمارة بالسوء، والتجأ إلى الله من فعل هذا الجرم القبيح، لأنه مما يُسخط الله، ومراعاة لمقابلة الإحسان الذي لاقاه من سيده بالإحسان لا بالإساءة، وصيانة لنفسه عن الظلم والزنا والذي لا يفلح من تعاطاه، لا يفلح في الدنيا ببلوغ المناصب، ولا في الآخرة بالوصول إلى مرضاة الله وجناته [١] .

هذا حديث القرآن عن عدم فلاح الظالمين، وهذا أثر من آثار الظلم، إذ أن من آثار ظلم النفس بالشرك: إطفاء نور الفطرة، ونقض الميثاق الذي أخذه الله على البشر، يقول تعالى:

[6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C

Z H F E [الأعراف: ١٧٢]؛ والقضاء على عزة النفس، والوقوع تحت ذل العبودية، إذ العزة الحقيقية تستمد من الإيمان بالله وحده [d e f

Z g [المنافقون: ٨].

فهذه بعض آثار ظلم النفس بالشرك؛ أما آثار ظلم النفس بالمعاصي فكثيرة جداً، منها: حدوث الفساد في الأرض، قال تعالى:] ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ Z [الروم: ٤١]. قال مجاهد: إذا ولي الظالم سعى بالظلم والفساد، فيحبس الله بذلك القطر، فيهلك الحرث والنسل؛ ومن آثار المعاصي زوال الحياء، وزوال النعم وحلول النقم، واستدعاء نسيان الله لعبده وتركه، وغير ذلك من الآثار العظيمة [٢] .

والقاعدة التي لا تتخلف هي أنه (لا يفلح الظالمون)، فلا يفلح المشركون ولا العصاة؛ وليس نتيجة فعلهم هذا إلا الضلال البعيد، والخسران المبين.

وطابت نفس عرفت هذا، فباعت نفسها لله، فآمنت وصدقت، وتركت الظلم والمعاصي،

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى، (١١١/١٥)، تفسير ابن كثير، (٤٧٤/٢)، فتح القدير، (١٦/٣ – ١٧)، التفسير المنير، (٥٧٣/٦).

(٢) انظر: الجواب الكافي لابن القيم، (٧٣ وما بعدها).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وأيقنت بثواب الله وجزائه في العاجل والآجل.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المبحث السادس

الإجرام

أصل الجُرْم قطع الثمرة عن الشجر، واستعير لكل اكتساب مكروه [١]؛ والإجرام ارتكاب الجريمة، وهي الذنب العظيم الذي يستحق صاحبه عليه النكال [٢] .

والإجرام شبيه بالظلم، يعم الشرك وغيره من المعاصي؛ لكن الشرك أبشع أنواع الإجرام وأشنعه، فالمشرك أجرم في حق ربه لأنه جعل من لا يستحق العبادة معبوداً مع من لا يستحق العبادة أحد سواه، وأجرم أيضاً في حق نفسه فأذلها لغير الله، وأوردها موارد الردى في الدنيا، وأحلها دار البوار في الآخرة [٣]؛ وأهل الإجرام هم أهل الذنوب من الكفر، والشرك، والمعاصي [٤] .

وقد توعد الله المجرمين بالعذاب فقال:] إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ Z [القمر: ٤٧]، وقال سبحانه:] ! " # $ % & Z [الزخرف: ٧٤]؛ والله جل جلاله محمود على انتقامه من أهل الإجرام مثلما أنه محمود على إكرامه لأهل العدل والإحسان [٥] .

والإجرام سبب من أسباب هلاك الأمم وعقوباتها، يقول تعالى: [v w x y Z [الروم: ٤٧]، وقال:] كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ Z [المرسلات: ١٨]، وقال: [b c d e f g i j k l m n o p q r Z [التوبة: ٦٦].

وهو سبب للخسران وعدم الفلاح، يقول تعالى: [b c d e f g

---

(١) انظر في مادة جرم: المفردات للراغب، (٩١)، عمدة الحفاظ للسمين الحلبي ، (٣٦٩/١).

(٢) انظر: أضواء البيان، (٢٨٨/٣)، التحرير والتنوير، (٢٥٧/٢٥).

(٣) انظر: أسباب هلاك الأمم السالفة كما وردت في القرآن الكريم لسعيد محمد باباسيلا، (١١٣).

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي، (٦٣٨).

(٥) انظر: طريق الهجرتين لابن القيم، (٢٠٤).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

Z p o n m l k j i h [يونس: ١٧].

فلا أحد أظلم ولا أعتى ولا أشد جرماً ممن افترى الكذب على الله بنسبة الشريك أو الولد إليه، أو بدل كلام الله وأضاف شيئاً لم ينزله، أو زعم أن الله أرسله ولم يكن كذلك، أو كذب بآيات الله وكفر بها، وكذب بالحق الذي جاءت به الرسل.

ولا أحد أظلم من المشركين والكفار الذين أنكروا القرآن، وهذا أعظم جرم على الله؛ فإنهم بئس ما قدموا لأنفسهم، لأن المجرم بفعل المعاصي أو الإشراك بالله قد باء بالخزي والنكال، ولا يشتبه أمره على أحد بحال(١).

وختمت آية سورة يونس عليه السلام هذه بنفي الفلاح عن المجرمين، أما آية الأنعام فقد ختمت بنفي الفلاح عن الظالمين، وذلك لتقدم وصفهم في سورة الأنعام بـ(الظلم) أولاً، ثم لما تكرر منهم هذا الفعل وصفهم بالإجرام هنا ترقيا في الشر كما يترقى في الخير؛ ولمناسب أيضاً ما وقع في سورة يونس عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يونس: ١٣](٢).

---

(١) انظر: جامع البيان، (٩٧/١١)، تفسير ابن كثير، (٤١٢/٢)، تفسير المراغي، (٢١٥/٤ – ٢١٦)، محاسن التأويل، (١٧/٩).

(٢) انظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي، (٤٣٣/١ – ٤٣٥)،تحقيق: سعيد الفلاح ، دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ-١٩٨٤ م، أسرار التكرار في القرآن لمحمود بن حمزة بن نصر الكرماني، تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا (٦٦)، دار الاعتصام – القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٦هـ.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المبحث السابع

السحر

يقف الإسلام موقفاً عدائياً من كل الأعمال المنكرة، لما فيها من الضرر المتحقق على المجتمع الإسلامي بأكمله، فها هو ينهى عن السحر، ويحرمه تحريماً قاطعاً بعدما ثبت ضرره؛ ووصل الحد في الشريعة بأن تكون عقوبة الساحر القتل، بل وأعظم من ذلك أن عده الإسلام كفراً، قال تعالى:] (* + , - . / 0 1 Z [البقرة: ١٠٢]، ولما عُرف باستقراء القرآن أن لفظة (لا يفلح) فيمن كفر [١]، قال تعالى:] وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ Z [يونس: ٧٧].

وحذرنا رسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام من الاقتراب من هذا العمل، وعده من جملة المهلكات، ففي الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اجتنبوا السبع الموبقات، وذكر منهن: السحر)[٢] فهو من المهلكات التي تهلك فاعلها في الدنيا بما يترتب عليها من العقوبات، وفي الآخرة من العذاب [٣].

والمراد بالسحر: عزائم ورقى وعقد، تؤثر في القلوب والأبدان، فيمرض ويقتل، ويفرق بين المرء وزوجه[٤].

وينقسم إلى قسمين: الأول: عقد ورقى يتوصل بها الساحر إلى استخدام الشياطين فيما يريد به ضرر المسحور.

والثاني: أدوية وعقاقير تؤثر في بدن المسحور، وعقله، وإرادته؛ والأول شرك، والثاني

---

(١) انظر: أضواء البيان للشنقيطي، (٤/٣٨ – ٣٩).

(٢) تقدم تخريجه ص(٢١٧).

(٣) انظر: تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، لسليمان بن محمد بن عبدالوهاب ، (٢٥٥)، تحقيق: محمد أيمن الشبراوي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

(٤) انظر: الكافي في فقه الإمام المبجل أحمد بن حنبل، لعبدالله بن قدامة المقدسي ، (٤/١٦٤)، المكتب الإسلامي، بيروت، بدون.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

عدوان وفسق، ومن كان سحر بواسطة الشياطين فإنه يكفر، لأن ذلك لا يتأتى إلا بالشرك غالباً [! " # $ % & ' ( ) * + , - . Z [البقرة: ١٠٢]، أما من كان سحره بالأدوية والعقاقير ونحوها فلا يكفر ولكن يعتبر عاصياً معتدياً [١] .

قال النووي: عمل السحر حرام، وهو من الكبائر بالإجماع، منه ما يكون كفراً، ومنه ما لا يكون كفراً، بل معصية كبيرة [٢] .

ومع أن حكم الإسلام واضح في شأن السحر والسحرة إلا أننا نجد أنه ظهرت في وسط العوام ظاهرة تصديق المشعوذين، وإتيان العرافين، والتعامل بالسحر، وهذا من أخطر درجات الطغيان، حيث أنه سبب في إفساد عقائد الناس، وصرفهم عن عقيدة التوحيد، ويجر إلى التعلق بغير الله، وأخطر ما يكون على الأمة الإسلامية، ومن أعظم ما يكون في الجناية على بني آدم، حيث يفسد على المسحور أمر دينه ودنياه [٣] .

ولذا كان من أكبر أسباب الحرمان من الفلاح في الدنيا والآخرة، يقول تعالى: [_ ` a b c d e f g h i Z [البقرة: ١٠٢]، ويقول: [وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ Z [يونس: ٧٧]، فموسى عليه السلام يتعجب من قومه ويستنكر ردهم للحق، ويأمرهم بأن ينظروا فيه ليعلموا أنه لا يمكن أن يكون ما جاء به سحر، لأنهم يعلمون أن السحر تخييل وتمويه، أمره إلى اضمحلال؛ ولن يفلح فاعله، لأنه قد مضت سنة الله بأن السحرة لا يفوزون في الدنيا ولا في الآخرة، ولا يظفرون بمطلوب[٤].

وأكد الله لقوم موسى عليه السلام في سورة طه أن عملهم لا عمل موسى هو السحر، فقال سبحانه: [P Q R S T U V W X Y Z [طه: ٦٩]، فما

---

(١) انظر: القول المفيد لابن عثيمين، (٤٨٩/١ – ٤٩٠).

(٢) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم ، (١٧٦/١٤).

(٣) انظر: السحر في الشريعة الإسلامية نشأته وحكمه والوقاية منه، لمحمود قاسم الحمد، (١٣١)، دار وائل – عمان – الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، القول المفيد لابن عثيمين (٤٩٨/١).

(٤) انظر:جامع البيان، (١٤٥/١١)، المحرر الوجيز، (١٣٤/٣)، روح المعاني، (١٦٤/١١).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

صنعوه ليس إلا سحراً من كيد السحرة، خيالاً لا حقيقة له ولا بقاء، لـــيس بمثمـــر ولا ناجح؛ ولا يظفر ساحر بسحره أين كان، ولا يفوز حيث أتى من الأرض، ولا يحصل له مقصوده[١]، لأنه لا يعتمد على حقيقة ثابتة باقية، بل شأنه شأن كل مبطل، ما يلبـــث أن يتهاوى ويتوارى أمام قوة الحق.

وجملة (لا يفلح الساحر) نكرة في سياق النفي، فتفيد العموم، فيعم نفي جميـــع أنـــواع الفلاح عن الساحر، والفلاح لا يُنفى بالكلية إلا عمن لا خير فيه وهو الكافر[٢]، وأكـــد هنا بجملة (حيث أتى).

ومن الجهل بالدين تساهل الناس في شأن السحر،وعدّه فناً من الفنون التي يفتخرون بهـــا، ومَنْحِ أصحابه الجوائز والتشجيع، وما هذا إلا جهلاً بالدين، وتهاوناً بشأن العقيدة، وتمكيناً للعابثين [٣].

لذا يلزم على كل مسلم راجٍ للفلاح تحقيق الإيمان في نفسه، واتخاذ درب حياته من منهج الدين، وفق ما شرع الله ورسوله عليه الصلاة والسلام، والحذر من كل مفسدات الدين، وموجبات الخسران.

---

(١) انظر: جامع البيان،(١٨٦/١٦)، تفسير ابن كثير، (١٩٥/٣)، محاسن التأويل، (١٧٦/١١)، التفسير المنير، (٥٩٤،٥٩٧/٨).

(٢) انظر: أضواء البيان للشنقيطي، (٣٨/٤).

(٣) انظر: عقيدة التوحيد بيان ما يضادها أو يناقضها من الشرك الأكبر والأصغر والتعطيل والبدع وغير ذلـــك، لصالح الفوزان، (١٢٥)، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـــ- ١٩٩٩م.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الباب لثالث
أسباب لخ ران و قوبته

وفيه فصلان:

الفصل الأول: أسباب الخسران

الفصل الثاني: عقوبة الخاسرين

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الباب الثالث
أسباب الخسران و عقوبته

تمهيد:

هذا الباب هو تتمة صلب الرسالة ولبها، وهو من أهم فصول هذا البحث، لأن معرفة الأسباب التي تجلب الهلاك والخسار، وتنذر بعقوبة الله من أهم الأمور التي ينبغي أن يدركها المسلم، فالعلم بالأسباب سبب قوي في تجنب ما يغضب الله تعالى، ويوقع الإنسان في مهاوي الردى، وإذا عرف كل فرد في الأمة هذه الأسباب وتجنبها كانت هذه الأمة من خير الأمم؛ وقبل الشروع في هذا الفصل لنا وقفة يسيرة مع معنى الأسباب.

معنى الأسباب:

أولاً: الأسباب في اللغة:

هي جمع سبب، وهو الحبل [١] .

وإطلاقه في الأصل على الحبل الذي يوصل به إلى الماء، ثم استعير لكل ما يتوصل بها إلى غيره [٢] .

ومن ثم يقال لاعتلاق القرابة سبب، ويقال: أسباب السماء أي: أبوابها أو نواحيها [٣] ، إلى غير ذلك من الاستعمالات اللغوية.

ثانياً: السبب في الاصطلاح:

(هو ما يلزم من وجوده الوجود، ومن عدمه العدم، بالنظر في ذاته)[٤] .

وقيل: (هو ما يكون طريق للوصول إلى الحكم غير مؤثر فيه)[٥] .

ثالثاً: معاني السبب في القرآن الكريم [٦] :

وردت خمسة معانٍ في القرآن الكريم للسبب، هي:

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس، مادة سبب، (٦٤/٣)، مختار الصحاح، مادة سبب ،(١١٩).

(٢) انظر: تاج العروس، مادة سبب، (٣٧/٣ – ٣٨)، نزهة الأعين النواظر لابن الجوزي، (١٣٤).

(٣) انظر: القاموس المحيط للفيروزآبادي، مادة سبب ، (١٢٣/١).

(٤) الكليات للكفوي ، (٥٠٤).

(٥) التعريفات للجرجاني، (١٥٤).

(٦) انظر: نزهة الأعين النواظر لابن الجوزي، (١٣٥ – ١٣٦)، الوجوه والنظائر لمقاتل بن سليمان ، (١٧٤).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

١- الحبل، كما في قوله تعالى:] فَلْيَمْدُدْ à إِلَى â Z [الحج: ١٥][١] .

٢- الباب، كما في قوله تعالى:] h g f e d c b
i j k Z [غافر: ٣٦ – ٣٧]، أي: أبواب السماء وطرقها [٢] .

٣- العلم، كما في قوله تعالى:] & ') (* Z [الكهف: ٨٤] أي: علما [٣] .

٤- الطريق، كما في قوله تعالى:] , - Z [الكهف: ٨٥]، أي: طرقا [٤].

٥- المواصلة والمودة، كما في قوله تعالى:] x y z Z [البقرة: ١٦٦][٥] .

وشرع الله الدين وأحكمه، وهيأ لعباده سبل النجاة] J K L M N
O Z [الحديد: ٢٦]، وأبان لهم دروب الفلاح والظفر، وحذرهم من مسالك الهلاك و الردى، وزهدهم في كل ما هو مانع من سعادتهم في الدنيا والآخرة، وها هي آيات القرآن الكريم نصوص صريحة في إثبات درب النجاة، والتحذير من أسباب الخسارة وعواقبها.

وأسباب الخسارة في القرآن متعددة، فمنها أسباب عقدية، كالكفر بالله، والتكذيب بآياته، إلى أسباب عملية، كالقتل، وعدم العمل الصالح، والصد عن دين الله، وأسباب خلقية، كترك التواصي بالصبر.

وتنوعت هذه الأسباب – أيضاً – من حيث تعدي الأثر وعدمه، فبعضها يتعدى أثره إلى غير صاحبه، كالصد عن سبيل الله، والإفساد في الأرض، وطاعة الشيطان والكفار، وترك

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، (٣/٢١١).
(٢) انظر: معالم التنزيل للبغوي، (٤/٩٨).
(٣) انظر: جامع البيان لابن جرير، (١٦/٩).
(٤) انظر: زاد المسير لابن الجوزي، (٥/١٨٥).
(٥) انظر: جامع البيان لابن جرير ، (٢/٧١).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

التواصي بالحق؛ وبعضها يقتصر أثرها على صاحبه كاستحباب الدنيا على الآخرة، والكفر بالله.

ومنشأ هذه الأسباب واحد، فمردها إلى عدم الإيمان باليوم الآخر، واستحباب الحياة الدنيا على الآخرة.

ومثلما بين القرآن أسباب الخسارة لم يغفل عن بيان عاقبة الخسران وأهله، فها هو يبين عاقبة الذين اقترفوا أسباب الخسران، واستمتعوا بالدنيا ونعيمها، و لم يعدوا العدة لنيل ثواب الآخرة، فيبين أن الله سيعاقبهم على صنيعهم، وما قدموا من أشأم عمل.

وقد استعمل القرآن عدة ألفاظ في التعبير عن العقوبة، فهو تارة يعبر بلفظ (العذاب)، وتارة بلفظ (العقاب)، وتارة بلفظ (النكال)، وتارة بلفظ (الرجز)، وكلها تجمع معنىً مشتركاً ألا وهو العقوبة، سواء كانت في الدنيا أو في الآخرة، والمراد بالعقوبة: الجزاء على الفعل [١] .

وفي هذا الباب سنورد أسباب الخسران على اختلافها وتنوعها وتفاوتها؛ ومن ثم نبين الجزاء والعقاب للخاسرين في الدنيا والآخرة.

(١) انظر في مادة عقب: معجم مقاييس اللغة لابن فارس، (٨/٤)، مختار الصحاح للرازي ، (١٨٦).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الفصل الأول
أسباب لخسران

وفيه ثمانية مباحث:

المبحث الأول:الكفر بالله.

المبحث الثاني:التكذيب بلقاء الله ، وآياته، وأنبيائه.

المبحث الثالث: فعل المحرمات

المبحث الرابع : ترك الواجبات

المبحث الخامس: عدم مغفرة الله ورحمته.

المبحث السادس : ترك الدعوة إلى الحق.

المبحث السابع : خفة الموازين.

المبحث الثامن: الأمن من مكر الله.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الفصل الأول
أسباب الخسران

تمهيد:

مثلما تقدم فيما سبق من الحديث عن سبل النجاة والفلاح وجزاء أهلها، سيكون الحديث هنا عن الخسران وعقوبة أصحابه، ليكون المنهج الحذر من الخسران، والابتعاد عن أسبابه خوفاً من العقوبة.

وأسباب الخسارة على تنوعها متفاوتة، وتبعاً لذلك يتفاوت حجم الخسارة، فهناك الخسارة المطلقة، وهناك مطلق الخسارة [١] ، ومن ثم تتفاوت العقوبة، فمحال أن تتساوى خسارة من كفر بالله مع من ترك التواصي بالصبر، ذلك أن الأول قد أتى بما يخرج عن الملة، ويناقض أصل الإسلام، بينما الآخر أتى بعمل لا يخرج عن الملة لكنه ينافي كمال الإيمان، فعظمت الخسارة وكملت في حق الأول دون الثاني.

وبيان هذا بما ورد في سورة العصر، حيث أنها أتت على مجمل أسباب الخسران، وجعلت مصير الناس جميعاً إلى خسارة وهلاك إلا من سلك سبيل التوحيد والإيمان، والطاعة والعمل الصالح، والتناصح في الخير والحق والصبر على الأوامر، وعن النواهي، وعلى الابتلاء؛ فليس كل هذه الأسباب موجب الخسارة والخلود في النار، بل منها ما هو سبب للخسارة المطلقة الموجبة لدخول النار، ومنها ما هو سبب في مطلق الخسارة.

وفي زماننا هذا نجد كثيراً من الأسباب قد تهيأت، فهناك التكذيب بآيات الله الكونية والشرعية، والطاعة للشيطان وأحزابه، والانشغال بالدنيا وزينتها من المال والأولاد عن الآخرة، وعدم الاستجابة لأوامر الله، وترك التواصي بالحق والصبر، وغير ذلك؛ لذا كان جديراً معرفة هذه الأسباب لنكون على بينة من أمرنا، ولنحذر منها.

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي (٩٣٤).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

عرفـــت الـــشر لا للـــشر لكـــن لتوقيـــه

ومن لا يعرف الشر مـــن النـــاس يقـــع فيـــه

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المبحث الأول
الكفر [١] بالله

سُمّي الخارج عن الإيمان كافرا لأنه يرى أدلة التوحيد وما يدعوه إلى الإيمان بربه، ثم يصر مستكبرا على باطله وكفره ، وكلام الله عن إمام الكافرين في الأرض فرعون، الذي ترك الإيمان بالله جحودا لا جهلا شاهد على هذا، يقول تعالى على لسان موسى u لفرعون:] قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ ´ µ ¶ ¸ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا Z [الإسراء : ١٠٢]، وأخبر الله عن قوم فرعون أنهم علموا الحق ولكنهم أنكروه، قال تعالى:] ! " # $ % & ' ( ) * + , Z [النمل : ١٤]، أي: علموا في أنفسهم أنها الحق من عند الله ولكن جحدوا وعاندوها وكابروها[٢]، وكذلك أخبر الله عن كفار العرب الذين كذبوا رسول الله r ، حيث قال عنهم:] قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ © لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ Z [الأنعام : ٣٣].

ومن لم يؤمن فهو فاقد للسعادة، لأن الله ربط السعادة مع إصلاح العمل بالإيمان، يقول سبحانه:] Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d Z [النحل : ٩٧]، وحابط عمله الصالح أيضا ، يقول تعالى:] F G H I J K L M N O P Q R S T U V Z [النور : ٣٩] .

ومن جعل مع الله إلها آخر، أو أشرك معه في الربوبية ربا آخر، أو عبد مع الله معبوداً آخر

---

(١) تقدم بيان معنى الكفر ص (٢٥٤).

(٢) انظر: جامع البيان لابن جرير، (١٩/١٤٠).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

فقدكفر بالله، [١] وهو خاسر، قال تعالى :] ? @ A B C D E F

[Z K J I H G [آل عمران : ٨٥]

من اعتنق ملة غير ملة الإسلام والتوحيد فلن تقبل منه، وهو من الذين وقعوا في الخسران مطلقا، لأنه سلك طريقا غير ما شرعه الله –وهو سبحانه أعلم بما شرع-، وقد قال النبي r في الحديث الصحيح:(من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد) [٢]، ولأنه أضاع الفطرة السليمة، والتي جبلت على التوحيد، كما جاء في الحديث: (كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) [٣]، وشوهها بعقائد لا تغني شيئا، فخسر نفسه عندما أضاع حياته في ما لا فائدة منه، وغبنها حظوظها من رحمة الله، إذ حُرم نعيم الجنة، واستحق الخلود في نار جهنم، ومن لم يأت بدين الإسلام لم يأت بسبب النجاة من عذاب الله. [٤]

قال ابن عاشور: فيه تأييس لأهل الكتاب من النجاة في الآخرة. [٥]

وأصل الخسران ذهاب رأس المال. [٦]

وهذا التوحيد الذي لا يقبل الله غيره من الشرك ونحوه يقول تعالى: M ? @ A

L K J I H G F E D C B [آل عمران:٨٥]، وهو الذي جاء به الأنبياء، إذ اتفقت شرائع الأنبياء على ملة الإسلام يقول ابن تيمية: (دين

---

(١) انظر: الكفر والمكفرات، أحمد عزالدين البيانوني، (١٧)، الطبعة الرابعة، ١٤١٠ هـ -١٩٩٠م، دار السلام، القاهرة.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، (٩٥٩/٢)، ح(٢٥٥٠)، ومسلم في كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة، (١٣١٤/٣)، ح(١٧١٨).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب ماقيل في أولاد المشركين، (٤٦٥/١)، ح(١٣١٩)، ومسلم في كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، (٢٠٤٧/٤)، ح(٢٦٥٨).

(٤) انظر: جامع البيان ، (٣٣٩/٣)، أنوار التنزيل، (٦١/٢)،تفسير القرآن العظيم ، (٣٨٠/١)، تيسير الكريم الرحمن ، (١٣٧).

(٥) انظر: التحرير والتنوير، (٣٠٢/٣).

(٦) انظر: روح المعاني للألوسي، (٢١٦/٣).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الإسلام هو دين الأولين والآخرين من النبيين والمرسلين، فنوح وإبراهيم ويعقوب وموسى وعيسى -عليهم السلام- كلهم كان دينهم الإسلام، الذي هو عبادة الله وحده لا شريك له، وإن تنوعت شرائعهم) [١].

والردة بعد الإيمان كفر، ومحبطة للعمل [٢]، قال تعالى:] ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ۖ ¶ μ ´ ، لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ Z [المائدة : ٥]

فلما قدَّم الله في أول هذه الآية أحكام الحلال، أتبع سبحانه بالتحذير من المخالفات، وعلى رأسها إنكار شرائع الإسلام، وما تضمنه من الأحكام المتعلقة بالحل والحرمة، وجَحْد أصول الإيمان وفروعه[٣]، ومن فعل هذا فقد أبطل ثواب عمله، شرط أن يموت على كفره، كما قال تعالى:] p o n m l k j i h Z } | { y x w u t s r q Z [البقرة : ٢١٧] [٤]، وخاب وخسر في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا بضياع تعبه وعمله

---

(١) مجموع الفتاوى ، (١١/٢٢٠-٢٢١).

(٢) انظر: الكفر والمكفرات، لأحمد البيانوني ، (٩٢، ٩٤).

(٣) لاحظ بعض المفسرين إشكالا في قوله سبحانه:(ومن يكفر بالإيمان) ، لأن مسمى الكفر لا يعقل إلا بالكفر بالله ورسوله، أو اليوم الآخر، فأما الكفر بالإيمان فمحال، فاختلفوا على وجوه، قيل: المراد بقوله تعالى:(ومن يكفر بالإيمان) يكفر بالله، قال الرازي: وهذا مجاز حسن، لأن الله هو رب الإيمان، انظر: مفاتيح الغيب، (١١/١١٧-١١٨)، وحسنه أبو حيان ، انظر: البحر المحيط، (٣/٤٤٨)، ورده الألوسي، وقيل: هو شهادة التوحيد، لأن الإيمان بها يستلزم القيام بشريعة الله، فهو من إطلاق الشيء على لازمه، وهذا أرجح الأقوال وأوضحها. انظر: روح المعاني، (٦/٦٧).

(٤) لأن مقتضى الأصول حمل هذا المطلق :(ومن يكفر بالإيمان فقط حبط عمله) على هذا المقيد (فيمت وهو كافر)، فيقيد إحباط العمل بالموت على الكفر. انظر: أضواء البيان للشنقيطي، (١/٣٢٩)، مفاتيح الغيب للرازي،(١١/١١٨)، صفوة الآثار والمفاهيم في تفسير القرآن العظيم، لعبدالرحمن محمد الدوسري، (٨/ ١٤٥) ، دار المغني ، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

دون مقابل، وفي الآخرة بالهلاك والنكال، وغَبْنه نفسه حظوظها من ثواب الله، وخسارة الأموال والأهل. (١)

قال ابن عاشور: المراد التحذير من الارتداد عن الإيمان، والترغيبُ في الدخول فيه أيضا، ليعلم أهل الكتاب أنّهم لا تنفعهم قرباهم وأعمالهم، ويعلم المشركون ذلك . (٢)

وترك عبادة الله، واستبدال ذلك بعبادة الأوثان من دون الله صريح الكفر، لاستبداله الحق بالباطل، وحقيق بالخسران، قال تعالى:] قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ Z. (٣) [العنكبوت : ٥٢]

فهذا تصريح بخسارة عبدة الأصنام الكافرين بالله U مع توافر الأدلة على الإيمان به، المكذبين برسل الله مع قيام الأدلة على صدقهم، حيث زُين لهم الباطل فرأوه حسنا، أولئك هم الأخسرون أعمالا، المغبونون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالإيمان، والعذاب بالمغفرة، فخسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة. (٤)

و قوله تعالى:] أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ Z يقتضي الحصر، فكل من آمن بالباطل وكفر بالله فهو خاسر، ويفيد المبالغة في اتصافهم بالخسران المبين، بحيث أن كل خسران في جانب خسرانهم كالعدم، كأنهم انفردوا بالخسران. (٥)

قال الرازي: كان خسرانهم من أتم وجوه الخسران، لأنهم جمعوا بين خسارة رأس المال، وتراكم الديون عليهم، لأنهم لما عبدوا غير الله أفنوا العمر و لم يحصلوا على مقابل من المنافع، واجتمع عليهم ديون ترك الواجبات. (٦)

---

(١) انظر: جامع البيان ، (١٠٩/٦) ، إرشاد العقل السليم ، (٩/٣) الجامع لأحكام القرآن ، (٧٩/٦) ، تيسير الكريم الرحمن ، (٢٢٢).

(٢) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، (١٢٥/٦)

(٣) انظر: مجموع الفتاوى،(٣٨٣/٢).

(٤) انظر: جامع البيان ، (٧/٢١)، الكشاف، (٤٦٤/٣) تيسير الكريم الرحمن ، (٦٣٤).

(٥) انظر: مفاتيح الغيب، (٧٠/٢٥) التحرير والتنوير، (١٧/٢١-١٨).

(٦) انظر: مفاتيح الغيب للرازي، (٧٠/٢٥).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

و(الْخَاسِرُونَ) استعارة مكنية، حيث شبه استبدال الكفر بالإيمان المستلزم للعقاب باشتراءٍ مستلزم للخسران ، لأن الخسران أصله في التجارة. (١)

ومن أخسر الناس من أشرك بالله و لم يوحده، لأنه ارتكب أكبر الكبائر ، ففي الصحيح أن رسول الله r قال : (أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ، الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وقَتْل النَّفْسِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَقَوْلَ الزُّور، أو قال: وَشَهَادَةَ الزُّور).(٢)

وهو أظلم الظلم، وأقبح القبيح، كما أن (التوحيد أعدل العدل) (٣)، وهو أعظم ذنب عصي الله به (٤)، كما في الصحيحين عن ابن مسعود قال:سألت النبي r : أي الذنب أعظم عند الله ؟ قال : (أن تجعل لله نداً وهو خلقك) (٥) ، وهو الماحق للأعمال والمبطل لها، وهو نوعان:

الأول: أن يُجعل لله نداً، ويعبد غيره، فهذا هو الشرك الأكبر الذي نهى الله عنه، فقال:

X W V T S R Q P O N M L K J [

Z Y [المائدة : ٧٢].

والثاني: شرك أصغر لا يخرج من الملة، ولكنه ينقص ثواب العمل وقد يحبطه إذا زاد. (٦)

والشرك سبب لحصول الكربات في الدنيا والآخرة، وسبب لحصول الخوف، ونزع الأمن في الدنيا والآخرة، وهو موجب غضب الله، والعداوة بين صاحبه والمؤمنين(٧)، ولشناعة

---

(١) انظر: روح المعاني للألوسي، (٨/٢١).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الديات، باب قوله تعالى: (ومن أحياها)، (٢٥١٩/٦)، ح(٦٤٧٧)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، (٩١/١)، ح(٨٧)، واللفظ للبخاري.

(٣) الجواب الكافي، (٨٩).

(٤) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، (٨١/٢)، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، (٣٢٠)، عالم الكتب - بيروت - ١٩٩٩م، الطبعة الأولى، تحقيق : محمد أيمن الشبراوي.

(٥) تقدم تخريجه ص١٩٠.

(٦) انظر: مدارج السالكين لابن القيم، (٥٩٤/١-٥٩٥)، (٦٠٢/١-٦٠٣)، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، لحافظ بن أحمد حكمي، (٤٨٩/٢)، دار ابن القيم - الدمام – ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م، الطبعة الأولى، تحقيق : عمر بن محمود أبو عمر.

(٧) انظر: نور الهدى وظلمات الضلال في ضوء الكتاب والسنة، لسعيد بن علي بن وهف القحطاني، (١٠٧-

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الكفر والشرك بالله، جاء قوله تعالى في تهييج المخاطب المعصوم [١] r :] وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ © عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ Z[الزمر : ٦٥] على سبيل الفرض، للإيذان بقبح الإشراك بالله، حتى أنه ينهى عنه من لا يكاد يفعله، فكيف بغيره! كما قال تعالى:] وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ Z [الأنعام : ٨٨].

قال ابن تيمية :خوطب الرسول بهذا لأنه سيد ولد آدم، وإذا كان هذا حكمه، كان هذا حكم غيره بطريق الأولى والأحرى، كما في مثل قوله:] # $ % & ' ( ) Z [الأحزاب:١][٢]

وقال ابن عاشور:المقصود بالخطاب التعريض بالمشركين، لأن فرض إشراك النبي r غير متوقَّع . [٣]

وقال الشنقيطي: على القول بأن (إِنْ) شرطية، يكون هذا شرط، والشرط لا يقتضي جواز الوقوع، كقوله :] [\ ] ^ _ ` a b Z [الزخرف : ٨١]. [٤]

والإشراك بالله هو وليد الجهل وهو مبطل لكل عمل صالح، ومحبط لثوابه، وصاحبه هالك خاسر حظوظه في الدارين، يستحق العقاب والنكال ما لم يتب قبل موته، فيوحد الله تعالى، لقوله تعالى:] h i j k l m n o p q r s t u Z[البقرة : ٢١٧]. [٥]

وورد ذكر الخسر في سورة العصر، وهو خسر متفاوت، أعظمه وأخلده الخسر الناتج عن ترك الإيمان بوحدانية الله وصدق الرسول r ، وما دونه تكونُ مراتب الخسر متفاوتة

---

١٠٨)، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، بدون.

(١) لأن الله تعالى عصمه من الشرك. انظر: معالم التنزيل، (٨٦/٤)

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، (٢٧٣/١٤).

(٣) انظر: التحرير والتنوير، (٥٨/٢٤).

(٤) انظر: أضواء البيان للشنقيطي، (٤٨٧/١).

(٥) انظر: الكشاف ،(١٤٤/٤)،أنوار التنزيل، (٧٧/٥)، فتح القدير ، (٤٧٤/٤) .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

بحسب كثرة الأعمال السيئة ظاهرها وباطنها ، قال تعـــالى:] ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 Z [العصر : ١ - ٣].

فجنس الناس هالك إلا من استثنى الله، ممن اتصف بصفات أربع تُعد أصول النجاة والفوز من العذاب والخسران ، فاستثنى المؤمنين العاملين الصالحات، المتواصين بالحق، والمتواصين بالصبر والثبات، فإنهم أهل للفوز والفلاح، والنجاة من الخزي والخسران، أما من عداهم فهو الخاسر، فإن كان كافرا غير مؤمن، فهو الخاسر خسارة عظمى، لأنه لا جريمة أعظم من التفريط في الإيمان بالله وعبادته مع أنه —سبحانه- هو الممتن بالخلق والإيجاد، إذ الأولى شكر الله على نعمه، لا مقابلة النعمة بالجحود والصدود [١].

ولا خسران أعظم ممن صرف عمره فيما لا يعود عليه بالنفع بل الوبال والهلاك، وبـــاع آخرته بدنياه، فخسر الدنيا والآخرة!

لأن الإيمان هو أصل الأصول، وأساس الدين، وبدونه لا ينفع العبد قول ولا عمل[٢].

قال ابن عاشور: دل استثناء الذين آمنوا وعملوا الصالحات من أن يكونوا في خُسر، على أن سبب كون الإنسان في خسر هو عدم الإيمان والعمل الصالح، بدلالة مفهوم الصفة. [٣]

والكفر بالله موجب للخسران، والاستمرار عليه موجب للخـــسران والـــبغض، يقـــول ســـبحانه:] ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; Z [فاطر : ٣٩]

فالاستمرار على الكفر موجب لزيادة البغض والغضب من الله عزوجل، والبعد عن رحمته، ومستوجب لخسارة النفس والأهل يوم القيامة، والخزي عند الله وعند خلقه ، وحـــصول النقص والهلاك وسوء العذاب. [٤]

وليس بعد هذا الخزي والخسار شر وخسار، قال الرازي: (العمر كرأس المال، من اشترى

---

(١) انظر: إرشاد العقل السليم ، (١٩٧/٩)، التحرير والتنوير، (٥٣١/٣٠)،تفسير المراغي، (٤٨٧/١٠).

(٢) انظر: وقفات تربوية في ضوء سورة العصر، لعبدالعزيز ناصر الجليل، (٤١).

(٣) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، (٥٣١/٣٠-٥٣٢).

(٤) انظر: جامع البيان، (١٤٣/٢٢)، أنوار التنزيل ، (٤٢٢/٤)، تيسير الكريم الرحمن ، (٦٩١).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

به رضا الله ربح، ومن اشترى به سخطه خسر). [١]

يوم القيامة يظهر خسران الكافرين بالله المنكرين الجاحدين بما أنزل الله على رسله من الآيات والدلائل، وذلك بدخولهم جهنم وبئس المصير، يقول تعالى:] y x w [z | { ~ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ Z [الجاثية : ٢٧]

لأنهم أنكروا اليوم الآخر، وأتوا بالباطل ليدحضوا به الحق، وكانت أعمالهم باطلة، ورضوا بالحياة الدنيا واستمتعوا بها، وأتعبوا أنفسهم بالآثام والشرك، فما وجدوا في العاقبة إلا الخسران والخذلان، وبطلت أعمالهم في يوم القيامة، وفاتهم الثواب، وذلك مالا يرضاه عاقل لنفسه، وغبنوا بفوز أهل الحق بمنازلهم من الجنة ذلك هو الخسران المبين. [٢]

والإبطال يقال لمن يُبطل شيئا ويفسده، ويقال لمن أتى بالباطل [٣]، والمراد بالمبطلون: الداخلون في الباطل، المبطلون الحق، الآتون بالباطل في معتقداتهم وأقوالهم وأعمالهم وماتوا وهم مصرون عليه [٤]، وجاء في آية أخرى التأكيد على خسارة الكفار، المبطلين الحق، إذا جاء (عذاب الله ونكاله المحيط بالمكذبين) [٥] ، يقول تعالى:] $ # " ! 3 2 1 0 / . - , + *) (' & % Z B A @ ? > = < ; : 8 7 6 5 4 [غافر : ٧٨]، فهم هالكون لقولهم الكذب على الله بادعائهم الشريك له سبحانه [٦].

والغرض من ذكر هذا الوعيد: تخويف المخاطبين من استمرارهم على باطلهم، فيخسروا كما خسر أولئك فإن هؤلاء ليسوا بخير منهم، ولا لهم براءة في الكتب بالنجاة [٧].

---

(١) مفاتيح الغيب للرازي، (٢٩/٢٦).

(٢) انظر: معالم التنزيل، (١٦١/٤)،تفسير ابن كثير، (١٥٢/٤)، تفسير المراغي، (٩/ ١٣٤).

(٣) انظر: عمدة الحفاظ للسمين الحلبي، مادة بطل، (٢٢٩/١).

(٤) انظر: المفردات للراغب، مادة بطل، (٥١)، التحرير والتنوير لابن عاشور، (٣٦٦/٢٥)،أضواء البيان للشنقيطي، (٣٩٥/٦).

(٥) تفسير ابن كثير، (٩٠/٤).

(٦) انظر: جامع البيان لابن جرير، (٨٧/٢٤)، تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي، (٧٤٣).

(٧) انظر: تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي، (٧٤٣) .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

والمبطلون والكافرون الجاحدون توحيد الله خاسرون في كل وقت، لكن الله بيّن خسرانهم إذا رأوا العذاب، وأنهم لا ينفعهم إيمانهم في ذلك الوقت، قال تعالى :] فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ Z[غافر : ٨٥]، لأن سنة الله في الذين سلفوا أن لا ينفعهم إيمانهم إذا عاينوا عذابه، بعد أن جحدوا به، وأنكروا وحدانيته [١]، ولهذا جاء في الحديث:(إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر) [٢] فخسروا بسبب كفرهم وعدم إيمانهم دينهم ودنياهم وأخراهم، وباعوا الآخرة بالدنيا، والمغفرة بالعذاب، والإيمان بالكفر. [٣]

و عدل عن الضمير إلى الاسم الظاهر وهو(الكافرون) للإيماء إلى أن سبب خسرانهم هو الكفر بالله، وفي ذلك إعذار للمشركين من قريش. [٤]

والشرك مبني على سوء الظن بالله تعالى، ولهذا قال إبراهيم إمام الحنفاء للمشركين:] Z [Z Y X W V U T S R [الصافات:٨٦-٨٧]. [٥]

فسوء الظن بالله مهلك للعبد، وصرح بذلك قوله تعالى:] 9 8 7 6 5 H G F E D C B A @ ? > = < ; : Z R Q P O N M L K J I [فصلت : ٢٢ - ٢٣].

فالظن الفاسد الذي كان منهم في الدنيا وهو أن الله لا يعلم كثيرا من قبائح أعمالهم، هو الذي أوقعهم في مهاوي الردى ، فاجترؤوا على محارم الله، فخسروا أنفسهم وأهليهم،

---

(١) انظر: جامع البيان ، (٩٠/٤)، معالم التنزيل ، (١٠٦/٤) ،تفسير ابن كثير، (٩٠/٤-٩١).

(٢) أخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، (١٤٢٠/٢)، ح(٤٢٥٣)، والترمذي في كتاب الدعوات، باب في فضل التوبة والاستغفار، (٥٤٧/٥)، ح(٣٥٣٧)، وقال: حسن غريب، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه، (٤١٨/٢)، ح(٣٤٣٠).

(٣) انظر: جامع البيان لابن جرير، (٩٠/٤) ، تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي، (٧٤٤).

(٤) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، (٢٢٣/٢٤).

(٥) انظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، لابن القيم ، (٦٢/١)، دار المعرفة - بيروت - ١٣٩٥ هـ-١٩٧٥م، الطبعة الثانية، تحقيق : محمد حامد الفقي.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وصرفهم من السعادة إلى الشقاء، بأن صار ما أعطوا من الجوارح لنيل السعادة في الدنيا سببا لشقائهم في الدارين، حيث أدى بهم إلى كفران نعم الرازق، والكفر بالخالق، واتباع الشهوات. (١)

فسوء ظنهم بالله أوقعهم في الخسارة؛ لأن حسن الظن وسوءه يترتب عليه العمل، فإن من أحسن الظن بالله سيحسن العمل، ليقينه بأن الله سيجازيه على أعماله الصالحة ثواباً، ويرجو أن يتجاوز الله عن سيئاته، أما من أشرك بالله، وعمل السيئات فهذا لسوء ظنه بالله، حيث يظن أن الله لا يعلم أعماله، ولن يجازيه عليها.

قال الحسن: (إنما عمل الناس على قدر ظنونهم بربهم، فأما المؤمن فأحسن بالله الظن فأحسن العمل، وأما الكافر والمنافق فأساءا الظن فأساءا العمل) . (٢)

وقال ابن القيم: حسن الظن بالله هو حسن العمل نفسه، فإن العبد إنما يحمله على حسن العمل ظنه بربه أن يجازيه على أعماله، ويثيبه عليها، ويتقبلها منه، فالذي حمله على العمل حسن الظن فكلما حسن ظنه حسن عمله. (٣)

لذا حث النبي **r** على حسن الظن بالله، فقال عليه الصلاة والسلام : (لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى). (٤)

وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود قال: (اجتمع عند البيت ثلاثة نفر: قرشي وختناه(٥) ثقفيان ، أو ثقفي وختناه قرشيان، كثير شحم بطونهم، قليل فقه قلوبهم، فتكلموا بكلام لم أسمعه فقال أحدهم أترون أن الله يسمع ما نقول؟ فقال الآخر: يسمع إن جهرنا، ولا يسمع إن أخفينا، ، وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا فهو يسمع إذا أخفينا ، فأنزل الله **U**] 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J K L M N O

---

(١) انظر: جامع البيان، (١٠٨/٤)،تفسير ابن كثير، (٩٧/٤)، تفسير المراغي، (٣٥٨/٨)،

(٢) أخرجه ابن جرير، (١٠٨/٤).

(٣) الجواب الكافي، (١٤-١٥)

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الجنة، باب الأمر بحسن الظن بالله عند الموت، (٢٢٠٦/٤)، ح(٢٨٧٧).

(٥) ختانه: صاهره، وختناه: أبوا الزوجة، والأختان من قبل المرأة، والأحماء من قبل الرجل. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، مادة ختن، (١٠/٢).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

Z S R Q P[فصلت:٢٢-٢٣][(١)].

والعدول عن اسم الله العَلَم في قوله :] Z H G F E D C B A @ [فصلت:٢٢] إلى اسم الربوبية (بِرَبِّكُم) للتنبيه على ضلال ظنهم، إذ ظنوا خفاء بعض أعمالهم عن علمه مع أنه ربهم وخالقهم فكيف يخلقهم وتخفى عنه أعمالهم، وهو يشير إلى قوله :] , - . / 0 1 2 Z [الملك : ١٤].[(٢)]

و للإيذان بغاية بعد منزلة ظنهم في الشر والسوء، جاء التعبير باسم الإشارة (ذلكم).[(٣)]

وتتمة الآيات بينت شيئا من هلاكهم، وهو طرحهم في النار، قال تعالى:] T U V W X Z [فصلت:٢٤].[(٤)]

وقول الله تعالى في سورة الحجرات:] $ % & ' ( ) * + Z [الحجرات:١٢]، دال أنه لم ينه عن جميع الظن[(٥)]، لذا قال العلماء: الظن قسمان:

- ظن حسن؛ وهو أن يظن بالله الرحمة والفضل، قال r حكاية عن الله U : (أنا عند ظن عبدي بي)[(٦)]

- ظن قبيح؛ وهو أن يظن أن الله يعزب عن علمه بعض الأفعال.

وقال قتادة: الظن ظنان: ظن منج وظن مهلك، ، فالمنج قوله:] r s t u Z v [الحاقة:٢٠]، وقوله :] ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ Z،والمردي هو قوله:

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى:(وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم) ، (١٨١٨/٤)، ح(٤٥٣٩)، ومسلم في كتاب صفات المنافقين، (٢١٤١/٤)، ح(٢٧٧٥).

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور، (٢٧٢/٢٤).

(٣) انظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود، (١١/٨).

(٤) انظر: معالم التنزيل للبغوي، (١١٢/٤-١١٣).

(٥) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين محمود بن أحمد العيني، (١٣٧/٢٢)، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٦) تقدم تخريجه ص ١٨٣.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

DCB A @ ? > = < ; : 9 8 7 6 5 [

R Q P O N M L K J I H G F E

S Z[فصلت:٢٢-٢٣]. (١)

فحسن ظن العبد بربه في غاية الأهمية، وذلك أن إساءة الظن بالله قد توصل العبد إلى القنوط من رحمة الله وعفوه، وهذا مدخل من مداخل الكفر والعياذ بالله، قال تعالى :]

- . / 0 1 2 3 4 5 Z [يوسف : ٨٧].

والمراد بحسن الظن بالله: (أن يظن أنه يرحمه ويعفو عنه، وفي حال الصحة يكون خائفا راجيا، فإذا دنت أمارات الموت غلّب الرجاء) (٢).

وكما أن سوء الظن بالله خسران، فكذلك ترك الثبات على الدين، يقول تعالى:] f

x w v u t r q p o n l k j i h g

y z { | } ~ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ Z [الحج : ١١].

فإن ضعيف الإيمان الذي لم يدخل الإيمان قلبه، و لم تخالطه بشاشته، بل دخل فيه إما خوفا، وإما عادة، لا يثبت عند المحن ، بل يكون مضطربا متذبذبا، يعبد الله على وجه التجربة انتظارا للنعمة، فإن مسه الرخاء بقي مؤمنا، وإن أصابه الشر ارتد ورجع إلى الكفر، فيضيع بعمله هذا نفع الآخرة والدنيا، فيخسر العز والمنفعة في الدنيا، ويخسر الثواب الدائم في الآخرة، ويحبط عمله، وذلك الخسران المبين الذي لا مثيل له.(٣)

قال ابن تيمية: (خسر الدنيا بما امتحن به، وخسر الآخرة برجوعه عن الدين) (٤) .

وقال: وهذه الآية تتناول كل من جعل طاعة الرسول، وفعل ما بعث به، مسببا لشر أصابه إما من السماء وإما من آدمي. (٥)

---

(١) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية، (١٢/٥)، مفاتيح الغيب للرازي، (١٠١/٢٧).

(٢) مداخل الشيطان، لعبدالله عبد الكريم العزاز، (٥٦)، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م، مكتبة المنار- الكويت.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير، (٢١٠/٣)، تفسير المراغي، (٢٢٠/٦)، تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي، (٥٣٤).

(٤) مجموع الفتاوى، (٤٠/٢٨).

(٥) انظر: المصدر السابق، (٢٥٠/١٤).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

والكافر لا ينفعه عمل صالح في الآخرة، فإن عمل صالحا في الدنيا عجّل الله له ثواب عمله في الدنيا، وليس له في الآخرة نصيب (١)، وهو خاسرٌ دنياه بترك عبادة الله، وطاعته للشيطان والكفار، وخاسرٌ آخرته بحرمانه النعيم، واستحقاقه عذاب الجحيم، وخاسرٌ خسارة كبرى حينما أفنى ماله وعمره ظنا منه أنه قدّم ما يعود عليه بالنفع، فباءت صفقته، يقول تعالى: [p o n m l k j i h g f e d c ~ } | { z y x w v u t s r q لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا © وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ Z] الكهف : ١٠٣ - ١٠٦]، وشبه عملهم بالهباء، قال تعالى: [G F E D C B Z K J I H] الفرقان : ٢٣]، وبالرماد الذي لعبت به الريح، قال تعالى: [μ ¶ ¸ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ Z [إبراهيم : ١٨].

وهم أخسر الناس على الإطلاق، لأنهم سعوا سعياً حثيثاً في الدنيا، ولم يتركوا ميداناً من ميادين الفخر والمآثر الدنيوية، ولا مجالاً يُخلِّد ذكرهم ويرفع شأنهم إلا اقتحموه، وهم يظنون أن من أعطي من الدنيا شيئاً ضامن أكثر منه في الآخرة: [. / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 Z] الكهف: ٣٦] .

فاختلف موازينهم، ولم يستجيبوا لنداء الفطرة، وسخروا برسل الله المبلغين لدعوة ربهم، وأنكروا آيات الله، فمصيرهم جميعاً إلى جهنم بما كسبوا من سيئات، وما جحدوا من آيات(٢).

ووجه خسارة الكافرين يتضح من خلال ذكر بعض آثار الكفر، بالإضافة إلى إحباط العمل، فمنها: أن الكفر سبب لضلال صاحبه، يقول تعالى: [p q r s

(١) انظر: الكفر والمكفرات، لأحمد البيانوني، (١٨١).

(٢) انظر: مباحث في التفسير الموضوعي، لمصطفى مسلم،(٣٢٨)، الطبعة الأولى، ١٤١٠-١٩٨٩م، دار القلم، دمشق.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

Z z y x w v u t [النساء : ١٦٧]، وأنه لا يغفره الله لمن مات عليه، ويوجب لصاحبه النار والخلود فيها، قال تعالى:] | { ~ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا © إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ ´ µ ¶ Z [النساء : ١٦٨-١٦٩]، وهو من أعظم أسباب غضب الله وأليم عقابه، قال تعالى:] Z Y [\ ] ^ _ ` a b Z d c [النحل : ١٠٦] (١)، وصاحبه مستوجب للعقاب الرباني، كالختم على القلوب، قال تعالى:] ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : Z [البقرة : ٦ - ٧].

فمن كفر بالله، وآمن بالباطل أياً كان هذا الباطل فهو من الخاسرين، فوّت على نفسه نعيم الطاعة في الدنيا، ونعيم الجنة في الآخرة، وبارز الله بالكفر والشرك فاستحق الخلود في نار جهنم، ولا أحد أبين خسراناً منه حين كان في النار، وخسر أهله.

(١) انظر: نور الهدى وظلمات الضلال في ضوء الكتاب والسنة، لسعيد القحطاني، (١٦٩-١٧٠).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المبحث الثاني
التكذيب بلقاء الله [١] وآياته وأنبيائه

مر في سابق هذا البحث الحديث عن أسباب الفلاح، وكان من جملتها الإيمان بالله واليوم الآخر، والإيمان بالرسل عليهم السلام و بالكتب المنزَّلة عليهم، من آمن بها صلح شأنه، فعمل الخير وأعان الغير، وسعى في عمارة الأرض وفق نهج الله، فانكف الشر بين الناس، وانشغل كل منهم بما فيه صلاح دينه ودنياه، رغبة في ثواب الآخرة والأولى وخوفا من مغبة المخالفة والتكذيب.

ولا شك أن من أنكرها وكذّب بها لم يكن من جملة المفلحين، بل كان من الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة والعياذ بالله، كما نصت على ذلك نصوص كثيرة من القرآن الكريم، لأن التكذيب بالحق إما أن يكون بسبب الجهل، أو بسبب الظلم [٢]، وتكذيب هؤلاء لم يكن جهلا منهم بالحقائق، بل ظلما وعدوانا، وجحودا واستكبارا، ومن كفر ببعضها فهو كافر بها، يقول ابن تيمية: المقصود من إنزال الكتب، وإرسال الرسل هو حصول الإيمان لنا، فمن كفر بهذا فهو كافر بذاك[٣].

---

(١) لقاء الله المراد به يوم البعث، وما فيه من جزاء ونشور، وذكر ابن عاشور كلاما ثمينا في توجيه هذا المعنى، قال: لقاء الله هو ظهور آثار رضاه وغضبه دون تأخير ولا إمهال، ولا وقاية بأسباب عادية من نظام الحياة الدنيا، ولّما كان العالم الأخروي وهو ما بعد البعث عالم ظهور الحقائق بآثارها دون موانع، وتلك الحقائق هي مراد الله الأعلى الذي جعله عالم كمال الحقائق، جعل المصير إليه مماثلاً للقاء صاحب الحق بعد الغيبة والاستقلال عنه زماناً طويلاً، فلذلك سمّي البعث ملاقاة الله، ولقاء الله، ومصيراً إلى الله في كثير من الآيات والألفاظ النبوية، فاللقاء استعارة تمثيلية: شبّهت حالة الخلق عند المصير إلى تنفيذ وعد الله ووعيده بحالة العبيد عند حضور سيِّدهم بعد غيبة ليجزيهم على ما فعلوا في مدّة المغيب . وشاع هذا التمثيل في القرآن وكلام الرسول r ، كما قال r : (من أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه)، أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، (٥/٢٣٨٦)، ح(٦١٤٢)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، (٤/٢٠٦٥)، ح(٢٦٨٣). وفي القرآن (لينذر يوم التلاق)[غافر : ١٥]، انظر: التحرير والتنوير، (٧/١٨٩)، وقال الألوسي: الأكثرون على أنه كناية عن البعث والحشر وما يتبع ذلك من أمور الآخرة. انظر: روح المعاني، (١٦/٤٨).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، (١٦/٦٥).

(٣) المصدر السابق، (٢/٣٨٣).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

والقرآن سجل لنا صوراً من تكذيب الهالكين، وذُكرت هذه الصور مقرونة إما بالرسل، أو بالآيات، أو بالبعث والنشور(١)، وسأتناول تلك الصور من خلال النقاط التالية:

التكذيب بلقاء الله:

ورد الاهتمام في القرآن باليوم الآخر اهتماما بالغا، حيث قُرن بالإيمان بالله، يقول تعالى:] * + , - . / 0 Z [البقرة : ١٧٧]، (لأن من لم يؤمن بالآخرة لا يمكن أن يؤمن بالله) (٢)، ولا يكون الإنسان صادقاً في إيمانه إلا إذا آمن بالله واليوم الآخر(٣).

فقد مثل الإيمان باليوم الآخر حداً فاصلاً بين الإيمان والكفر، ومن هنا كانت العناية به في كثرة إيراد النصوص على ذلك(٤)، ولا تكاد تخلو سورة من القرآن من ذكر اليوم الآخر تقربه للأذهان، تارة بالحجة، وتارة بضرب الأمثال (٥)، وتثني ذكره بأسماء متعددة، وتحذر من إنكاره، قال تعالى:] j i h f e d c b a ` Z n m l [النحل : ٦٠]، وتتوعد من كذب به بالعذاب الأليم،] @ Z H G F E D C B A [الإسراء : ١٠]، و كما توعدت بالعذاب الأليم فقد توعدت بالخسارة والهلاك من كذب به، يقول تعالى:] 9 K J I H G F E C B A @ ? > = < ; : Z M L [يونس :٤٥].

---

(١) انظر: أسباب هلاك الأمم السالفة كما وردت في القرآن الكريم، لسعيد محمد باباسيلا، (١٩٠)، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، دار ابن الجوزي، الدمام.

(٢) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين، (٢/١٠٥).

(٣) انظر: الحياة الدنيا في القرآن الكريم، لمحمد كامل حسن، بدون ، ١٩٨٩م، المكتب العالمي -بيروت، (١٣-١٤).

(٤) انظر: أحوال الآخرة من نصوص الكتاب والسنة، لسيد محمد ساداتي الشنقيطي، (٧٥)، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ -٢٠٠٣م، دار الفضيلة - الرياض.

(٥) انظر: عقيدة المسلم في ضوء القرآن والسنة، لخالد العك، (٧٠)،

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

فمن آثر الحياة المُنَغَّصّة بالأكدار الفانية على الحياة السعيدة الأبدية، ولم يتزود بخير زاد فهو خاسر لثواب الجنة، وخاسر لنفسه وأهله يوم القيامة- بشهادة الله تعالى -، وما كان من المهتدين الموفقين لإصابة الرشد، والنجاة من الخسار،لجهله وعدم طلبه ما ينفعه (١).

وما أخسره حين أعطى الكثير وأخذ القليل، وحصد الأوزار وكسبها، بنفيه للبعث وترك الاستعداد ليومه، وفُرِّق بينه وبين أحبته يوم الحسرة(٢)، وما أعظمها من خسارة حيث لا تُعوض، فلا تنفعه التوبة ولا يُردُّ إلى الدنيا.

ويظهر ما في الآية من الإغلاظ على المكذبين وما هم عليه من الغرر مع الله، حينما عُبِّر عنهم بالموصول مع كون المقام مقام إضمار، ولإفادة الذم، وبيان سبب خسرانهم. (٣)

وجاء النص صريحا في موضع آخر في بيان ضلال وهلاك وخيبة المكذبين لليوم الآخر، المشترين للكفر بالإيمان، حينما حكى سبحانه حالهم حينما تقوم الساعة، وما هم فيه من حسرة وندامة جراء عدم استعدادهم لهذا اليوم لتكذيبهم به، يقول سبحانه: T [e d c b a ` _ ^] \ [Y X W V U f g h i j k l m n o Z [الأنعام : ٣١]، نعم قد خسر أولئك المكذبون كل ما ربحه أهل الإيمان من ثمرات الإيمان في الدنيا والآخرة ، فخسروا رضا الله وشكره، وخسروا النعيم الكبير، والحساب اليسير، وخسروا الإيمان حينما اشتروا به الكفر، وخابوا وحُرِموا الخير كله، وفاتهم النعيم، واستوجبوا العذاب المقيم (٤).

وما أشدها من خسارة حينما جمعوا بين الخسارتين: حيث عُدموا فائدة الانتفاع بما ينتفع به الناس من أنفسهم وهو العقل والتفكير، وحرموا خيرات الآخرة(٥).

وسبب خسارتهم إنكارهم البعث -وما فيه من حساب وجزاء - المفضي إلى إفساد

---

(١) انظر: الكشاف للزمخشري، (٣٣٣/٢)، فتح القدير للشوكاني، (٤٤٩/٢).
(٢) انظر: جامع البيان للطبري، (١٢٠/١١)، تفسير المراغي، (٢٤٣/٤).
(٣) انظر: المحرر الوجيز ، (١٢٣/٣)، إرشاد العقل السليم ، (١٥٠/٤). التحرير والتنوير ، (١٨١/١١).
(٤) انظر: التفسير الكبير ، (١٦٣/١٢)، أنوار التنزيل ، (٤٠٣/٢)، تيسير الكريم الرحمن ، (٢٤٥).
(٥) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، (١٥٤/٧)، (١٨٩/٧).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الفطرة النقية، إذ الاعتقاد بأنه لا حياة أخروية يُثَبِّط الهمم، ويُضعف العزيمة، ويجعل الهمَّ محصورا في الاستمتاع بلذات الحياة الدنيا، واللهث وراء شهواتها، ويُجرئ على ارتكاب المحرمات، ويجعل حياة البشر أقرب ما تكون بحياة البهائم، لا يصدهم عن الشر إلا العجز، ولا تحكم بينهم إلا لغة القوة. (١)

وكان دأب الأنبياء بدء دعوتهم بالتوحيد، والتحذير من عذاب اليوم الموعود، ومن عذاب الآخرة، فكان الرد بالتكذيب للرسل ولما يدعون إليه، والتكذيب باليوم الآخر، فهاهم مثلاً قوم صالح يقولون:] إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا μ ´ ¶ Z [المؤمنون:٣٧]، ثم صرحوا بأنهم لن يؤمنوا فقالوا:] إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ Z [المؤمنون: ٣٨]، فكذبوا صالحاً وما دعى له،(٢) وعلى هذا النحو سارت الأمم المكذبة.

لذا توعد الله U من لا يؤمن بالآخرة خسران ثواب الآخرة، واستحقاقه سوء العذاب، أنه كان من الذين لم يُصدِّقوا بهذا اليوم فلم يعدوا له العدة، وإنما سولت لهم ضمائرهم الفاسدة التكذيب به وبما فيه من الجزاء والحساب، و لم يؤمنوا به، فصدق عليهم وصف (الْأَخْسَرُونَ)، لأنهم خسروا الآخرة بكفرهم، فهم أخسر من كل خاسر والعياذ بالله، قال تعالى:] 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J K L Z [النمل : ٤ - ٥]، من لا يؤمن بالآخرة ويستبعد وقوعها يتمادى في غيِّه، ويتجاوز الحد في عصيانه، ويُحبب إليه قبيح أعماله، فيبقى في دنياه في حيرة واضطراب، وفي الآخرة له أشد الخسران، لفواته المثوبة، واستحقاقه العقوبة الأبدية' يخسر نفسه وأهله من بين أهل المحشر بخسرانه الإيمان. (٣)

وجاء التعبير عن خسارتهم بأفعل التفضيل (الْأَخْسَرُونَ) للدلالة على أنهم الأوحدون في الخسران، لا يشبهه خسرانُ غيرهم، لأن الخسران في الآخرة متفاوت المقدار والمدة،

---

(١) انظر: تفسير المراغي، (٨٧/٣)، تفسير ابن كثير، (١٢٩/٢).

(٢) انظر: أسباب هلاك الأمم السالفة، لسعيد محمد باباسيلا، (٣٠٩-٣١٠).

(٣) انظر: جامع البيان ، (١٣٢/١٩)، الجامع لأحكام القرآن ، (١٥٥/١٣)،تفسير المراغي، (٧/ ٩٩).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وأعظمه فيهما خسران المشركين ، ولأن خسارتهم في الآخرة أعظم من خسارتهم في الدنيا. (١)

وكُرر الضمير] Z K J I H G لإفادة الحصر والاختصاص. (٢)

وجاء في موضع آخر التأكيد على أن الجاحدين لليوم الآخر هم الأخسرون، قال تعالى في سورة هود – u - :] ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E F G H Z I J K L M N [هود: ١٩-٢٢].

لأن من كانت صفتهم في الحياة الدنيا التكذيب بالآخرة، وجحد وقوعها، والكفر بها وبالبعث والجزاء، كان عاقبة أمرهم في الآخرة الخسارة، بل الخسارة العظمى، خسارة أنفسهم بدخولهم النار الحامية حيث باعوا منازلهم من الجنان بمنازل أهل الجنة من النار وذلك هو الخسران المبين ، واستعاضوا عن شرب الرحيق المختوم بسموم وحميم، بخلاف أهل الإيمان الذين هم أسعد الناس برضوان المنان، ونعيم الجنان. (٣)

وتعريف المسند (هُمُ الْأَخْسَرُونَ) لإفادة الحصر، والضمير (هُمُ) لتأكيد الاختصاص والحكم. (٤)

واستحق هؤلاء المكذبون باليوم الآخر أن يكونوا أخسر الناس إطلاقا لأنهم قد اجتمع لهم من أسباب الشقاء والعذاب ما افترق بين الأمم الضالة، واجتمعت لهم خسارة الدنيا والآخرة، ولأنهم شَقُوا من حيث كانوا يحسبونه سعادة(٥)، كما قال تعالى:] c

(١) انظر: البحر المحيط لأبي حيان، (٥٢/٧)،التحرير والتنوير لابن عاشور، (١٩/ ٢٢٣).
(٢) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، (١٩/ ٢٢٣).
(٣) انظر: جامع البيان ، (٢٣/١٢)، تفسير ابن كثير، (٤٤٢/٢)، تفسير المراغي، (٤/ ٣٠٤-٣٠٥).
(٤) انظر: روح المعاني للألوسي، (٣٣/١٢).
(٥) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، (٣٩/١٢).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

s r q p o n m l k j i h g f e d
Z ﴿ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ~ } | { z y x w v u t

[الكهف : ١٠٣ - ١٠٥] .

فهؤلاء الكفار في جهل وغباء حينما أتعبوا أنفسهم في أعمال يبغون بها ثوابا وفضلا، ويرجون عاقبة الخير من ورائها، فنالوا عكس ما أرادوا، وخسر بيعهم، لأنهم عملوا بغير ما أمرهم الله به، وكفروا بالدلائل الدالة على توحيد الله، وكفروا بالبعث والحساب، فأصبحوا لا يخافون، ولا يردهم شيء عن أهوائهم ، فكانوا أخسر الناس وحبطت أعمالهم المتنوعة وضاعت، قال تعالى: [H G F E D C B

I J Z [الفرقان : ٢٣]، واستحقوا الخلود في نار جهنم. (١)

واختلف العلماء في تحديد المراد بقوله تعالى: [f g Z على أقوال عديدة، والصواب ما أثبته ابن جرير في تفسيره، واختاره أبو حيان وابن كثير والشنقيطي من أن الآية عامة في كل عامل عملا يحسبه فيه مصيبا، وأنه لله بفعله ذلك مطيع، وهو بفعله ذلك لله مسخط، من أهل أي دين كان(٢).

ونلحظ أن آية سورة الكهف قد جَمعت سببين من أسباب خسران الكفار، هما: كفرهم باليوم الآخر، وكفرهم بآيات الله، والمراد بآيات الله: هي الآيات القرآنية و الدلائل المنبثقة في الآفاق والأنفس، وحجج الله وأدلته الدالة على وجوب الإيمان به، وملائكته، ورسله، وكتبه، واليوم الآخر. (٣)

وجزم الكفار المكذبون بالبعث بخسارتهم إن صحت الرجعة أحياء بعد الممات كما يقولون، وأكدوا أنهم خاسرون لتكذيبهم بها، وهذا على سبيل الاستهزاء منهم، يقول

---

(١) انظر: جامع البيان ، (٣٢/١٦، ٣٥)، نظم الدرر للبقاعي، (٥١٠/٤)، تفسير المراغي، (٢٠/٦).

(٢) انظر: جامع البيان ، (٣٢/١٦)، البحر المحيط ، (١٥٧/٦)، تفسير ابن كثير، (١٠٨/٣)، أضواء البيان، (٣٥٠/٣).

(٣) انظر: جامع البيان ، (٣٢/١٦)، زاد المسير ، (١٩٧/٥)، تفسير المراغي، (٢٠/٦).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

تعالى حاكيا مقالتهم:] قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ Z [النازعات: ١٢]. (١)

فهم استبعدوا أن الله يبعثهم بعد ما يكونون عظاما نخرة،جهلا منهم بقدرته سبحانه، فقال الله في بيان سهولة هذا الأمر عليه:] فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ Z [النازعات: ١٣-١٤]. (٢)

التكذيب بآيات الله:

التكذيب بآيات الله كفر، لأن من أركان الإيمان الإيمان بالله، وبالكتب المنزلة، وبالرسل، والإيمان بالآيات الكونية من الإيمان بالله (٣)، وإفساد للعقيدة، فلا يتحمس العبد للعمل الصالح، ولا يُصدق بالغيبيات، ويعيش بلا فكر وعقل، تتناوشه الهموم لمخالفته الفطرة، يصحو وينام، وينهض ويجلس خائب الكرة مهموم القلب، يتشاغل بتوافه الأمور، وملذات الدنيا عما خُلق له، زعما منه أنه بفعله ذاك يحصد الفوز والسعادة، فيتحقق فيه الوبال والخسران.

المراد بالآيات هنا: العلامات الدالة على وحدانية الله سبحانه وتعالى، وعظمته، وما أيّد به رسله من الآيات(٤) الدالة على صدقهم، وما أنزله عليهم من الآيات المتلوة.

وهي بهذا الاعتبار ثلاثة أنواع:

النوع الأول: الآيات الكونية: وهي الآثار الموجودة في الكون الدالة على قدرة الله تعالى وعظمته، ووحدانيته، هذه الآيات لا يخلو منها شيء في الكون مهما صغر وخفي، قال تعالى:] سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ Z[فصلت: ٥٣].

---

(١) انظر: جامع البيان ، (٣٠/٣٥)، أنوار التنزيل ، (٥/٤٤٧)، المحرر الوجيز، (٥/٤٣٢).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي، (٩٠٩).

(٣) انظر: شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين، (١/٥٦-٥٧).

(٤) يرى شيخ الإسلام ابن تيمية أن الأولى أن يطلق على معجزات الأنبياء آيات النبوة وبراهينها وبيناتها، حيث ورد في القرآن آية وبينة وبرهان، ونحوها انظر: الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح، لأحمد بن عبدالحليم بن تيمية ، (٤/٦٧-٧١)، مطبعة المدينة، مصر، بدون ، تحقيق: علي سيد المدني؛ ووافقه ابن عثيمين، انظر: شرح العقيدة الواسطية ، (١/١٢٤).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

والنوع الثاني: الآيات التعجيزية (المعجزات): والمراد بها: ما يُجريه الله على أيدي رسله وأنبيائه من خوارق العادات دلالة على صدقهم في دعوى الرسالة والنبوة، وما من نبي إلا وقد أوتي آية من هذا النوع، ففي الصحيحين عن أبي هريرة t قال: قال النبي r : (ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة)(١) (٢).

والنوع الثالث: الآيات التنزيلية، وهي: الآيات المتلوة التي أنزلها الله على رسله، لبيان الملة، كالكتب والصحف، قال تعالى مخبراً أنه أنزل الكتاب على الأنبياء:] O N [[Z Y X W V U T S R Q P \ ] ^ _ ` Z[البقرة: ٢١٣](٣).

وأشار القرآن إلى هلاك المكذبين بآيات الله، وفي ذكره للتكذيب يورده بصيغة الجمع غالباً، حتى في أثناء حديثه عن أمة واحدة، نحو قوله تعالى عن قوم نوح:] وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ Z ، حيثما ذكر التكذيب بالآيات بهذه الصيغة فهو شامل للنوعين الأولين قطعاً.

والتكذيب بالآيات هو من أبرز أسباب هلاك الأمم، وأكثرها ذكراً في ثنايا قصص السالفين، إذ قلّما ترد قصة عن أمة من الأمم إلا ويذكر فيها التكذيب بالآيات ضمن الشنائع التي ارتكبوها(٤).

إذ جاء في آيات عديدة من القرآن الكريم التنصيص على خسارة الكافرين بآيات الله وحججه في الأكوان، وآيات أخرى نصت على خسارة المكذبين بآيات القرآن تحديدا، منها قوله تعالى:] ۥ تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي، (٤/١٩٠٥)، ح(٤٦٩٦)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد r إلى جميع الناس، (١/١٣٤)، ح(١٥٢).

(٢) انظر: أعلام السنة المنشورة، لحافظ الحكمي، (١٠٧).

(٣) انظر: أسباب هلاك الأمم السالفة ، لسعيد محمد باباسيلا، (٢٦٠، ٢٦٢).

(٤) انظر: المصدر السابق، (٢٦٤).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ٱلْخَٰسِرِينَ Z [يونس :٩٥]، فيقول تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام من باب التهييج والتثبيت وقطع الأطماع عنه آمرا إياه بالاستمرار والدوام على ماهو عليه من انتفاء المرية عنه(١)؛ يقول له: لا تكونن من المكذبين بآيات الله وحججه الدالة على وحدانيته سبحانه، وعلى قدرته على إرسال الرسل لهداية البشر، فتكون ممن غبن حظه، وباع رحمة الله ورضاه بسخط، وخسر نفسه بالحرمان من الإيمان وما يتبعه من سعادة في الدارين. (٢)

وقيل: الخطاب للنبي عليه الصلاة والسلام والمراد منه غيره. (٣)

ويرى ابن سعدي أن المراد بالآيات هنا القرآن الكريم، يقول: نهى الله عن التكذيب بالقرآن، والنهي عن الشيء أمر بضده، فيكون أمرا بالتصديق التام بالقرآن، فبذلك يكون العبد من الرابحين. (٤)

والتعبير بالخاسرين في الآية أظهر في التحذير من التعبير بالكافرين. (٥)

وكما قرر سبحانه خسارة من كذب بآياته قرر في سورة الزمر هذا المعنى بلفظ أشد، حينما وصفهم بالكفر، لأنهم عرَّضوا أنفسهم للحرمان مما في خزائنه سبحانه وأعظمها خزائن خير الآخرة (٦)، قال تعالى: [o m l k j Z u t s r q p [الزمر: ٦٣].

فيذكر سبحانه خسارة هؤلاء المغبونين حظوظهم من خيرات السماء والأرض، لأنهم حرموا من ذلك في الآخرة بخلودهم في النار، وفي الدنيا بخذلانهم عن الإيمان بالله، وما ذاك إلا لأنهم جحدوا آيات الله-الذي له مقاليد السماوات والأرض- في القرآن، وبراهينه في الأكوان الدالة على وحدانية الله جل شأنه وعظيم قدرته، وأنكروها(٧).

وغيرهم له نصيب من الرحمة أما هؤلاء فهم كاملون في الخسران، خسروا ما يكون

---

(١) انظر: الكشاف ، (٣٢٥/٢)، فتح القدير ، (٤٧٤/٢).
(٢) انظر: جامع البيان، (١٦٩/١١)، تفسير المراغي، (٤/ ٢٧٦).
(٣) انظر: المحرر الوجيز ، (١٤٣/٣)، معالم التنزيل ، (٢/ ٣٦٨).
(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي، (٣٧٤).
(٥) انظر: روح المعاني للألوسي، (١٩٠/١١).
(٦) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، (٥٥/٢٤).
(٧) انظر: جامع البيان ، (٢٤/ ٢٤)، تفسير ابن كثير، (٦٢/٤).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

به صلاح القلوب والألسن والجوارح، يقول ابن سعدي:(خسروا ما به تصلح القلوب من التأله والإخلاص لله، وما به تصلح الألسن من إشغالها بذكر الله، وما تصلح به الجوارح من طاعة الله، وتعوضوا عن ذلك كل مفسد للقلوب والأبدان، وخسروا جنات النعيم وتعوضوا عنها بالعذاب الأليم). (١)

وكما عُبِّر عن كفرهم بآيات الله بالتكذيب في آية سورة يونس، جاء وصف كفرهم وتكذيبهم في آية الأعراف بالظلم، لأنه تكذيبُ ما قامت الأدلّة على صدقه، فتكذيبه ظلم للأدلّة بدحضها وعدم إعمالها (٢)، قال تعالى : [s t u v w x y z { | } ~ Z [الأعراف : ٩]، فلأجل كفرهم بحجج الله وأدلته، وجحدهم لها، وعدم إقرارهم بصحتها غبنوا أنفسهم حظوظها من جزيل ثواب الله وكرامته، فحرموها السعادة الأبدية والنعيم الأبدي، وصيروها إلى النار(٣)، كما ورد في سورة القارعة التي بينت خسارتهم، قال تعالى : [K L M N O P Q R S T U V W X Y Z Z [القارعة : ٨ - ١١]، وما كان الله ليظلمهم ولكن أنفسهم يظلمون، قال تعالى : [: ; < = > ? @ A B C D E F G [الأنبياء : ٤٧].

ولا يخفى ما في التعبير بالمضارع (يَظْلِمُونَ) من دلالة تكذيبهم المستمر.(٤)

ولا أخسر ممن كذّب بآيات القرآن الكريم، آخر الكتب السماوية، والناسخ لها، والمهيمن عليها، لأن الواجب الإيمان به والعمل بأحكامه، قال تعالى: [p q r s t u v w Z [الأنعام : ١٥٥]، و قال تعالى: [

---

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي، (٧٢٩).

(٢) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، (٣٢/٨).

(٣) انظر: جامع البيان ، (١٢٥/٨)، المحرر الوجيز ، (٣٧٧/٢)،التفسير المنير ، (٥٠٣/٤-٥٠٤).

(٤) انظر: إرشاد العقل السليم، ، (٤١٢/٣)، التحرير والتنوير ، (٣٢/٨).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

1 2 3 4 5 6 Z [الأعراف : ٣].

أنزله الله نوراً وهدى، فأبى المكذبون إلا كفورا، فهلكوا وغبنوا حظوظهم من خير القرآن وبركته، ومن خير الدنيا والآخرة، قال تعالى : [t u v w x y

z { | } ~ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا Z [الإسراء : ٨٢].

كلما سمعوا آية منه ازدادوا صدودا وكفرا ، فلاينتفعون به، ولا يحفظونه [١]، فاستحقوا الخزي والهلاك والضلال.

لأن الحق الذي لا مرية فيه أن آيات القرآن رحمة وهدى، وشفاء من أمراض القلوب والأبدان، وأهل الإيمان كانوا أحق بها، ازدادوا بها إيمانا، واستصلحوا بها دينهم، وعملوا بها، واهتدوا بها إلى الحكمة والخير، وإلى نعيم الجنان، دون الكافرين الذين كلما نزل في القرآن أمر من الله بشيء أو نهي عن شيء كفروا به ، فزادهم ذلك خسارا إلى ما كانوا فيه قبل ذلك من الخسار. [٢]

قال ابن كثير: (هذا من جملة شقاقهم، أن ما يهدي القلوب يكون سببا لضلالهم ودمارهم، كما أن سيئ المزاج لو غُذِّي بما غُذِّي به لا يزيده إلا خبالا) [٣].

ونظير هذه الآية قوله تعالى: [¶ μ ´ ¸ وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ Z [فصلت : ٤٤].

قال ابن جرير: في آذانهم ثقل عن استماع القرآن، ولا يبصرون حججه ومواعظه. [٤]

وأيضا قوله تعالى: [? @ A B C D E F G

H I J K L M N O P Q R

---

(١) قاله قتادة، انظر: جامع البيان ، (١٥/١٥٣).

(٢) انظر: جامع البيان ، (١٥/١٥٣)، الجواب الكافي لابن القيم، (٢-٣)،تيسير الكريم الرحمن ، (٤٦٥).

(٣) تفسير القرآن العظيم، (٢/٤٠٤).

(٤) انظر: جامع البيان، (٢٤/١٢٨).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

Z [التوبة:١٢٤- ١٢٥].

و لسوء صنيع هؤلاء المكذبين أسندت الزيادة إلى القـــرآن] { ~ Z مـــع أن الكفار هم المزدادون في ذلك، و للتعجيب من أمر القرآن من حيث كونه مدارا للـــشقاء والهلاك. (١)

والتكذيب بالقرآن هو سبب للندامة في الآخرة، حيث يعترف المكذبون بأنه الحـــق الثابت، ويتمنون الخلاص بأي وسيلة: إما بشفاعة الشفعاء، أو بالرجوع للدنيا ليؤمنـــوا بالقرآن (٢)، ولكن هيهات وقد خسروا أنفسهم بتعريضها للعقـــاب والعـــذاب، يقـــول سـبحانه:] ! " # $ %& ' ( ) * + ,

= < ; : 9 8 7 6 5 4 3 2 1 / . -

N M L J I H G F E D C B A @ ? >

Z S R Q P O [الأعراف :٥٢-٥٣].

هم خسروا أنفسهم بتركهم للقرآن ونسيانه، وصَرْف أعمارهم إلى الكفر، وعـــدم التزود بالصالح من الأعمال، فغبنوا أنفسهم حظوظها إذ صاروا إلى الهلاك، وباعوا مـــالا خطر لهم من نعيم الآخرة الدائم بعرض زائل من الدنيا. (٣)

وهؤلاء المكذبون بالقرآن ليسوا بدعا من الأمم، لهم سلف في هـــذا، ســـبقوهم في التكذيب، فهذه التوراة هناك من كذّب بها من المفترين، مثلما آمن بها أنـــاس آخـــرون، والذين آمنوا بها تلوها بتدبر وإمعان، بلا تحريف أو تبديل، وعملوا بما فيها، هؤلاء هـــم الممدوحون بالإيمان والمتابعة، أما المكذبون بالتوراة من أهل الكتاب، والمحرفون لها، ولمـــا ورد فيها من أوصاف النبي r فهم الخاسرون (٤)، قال تعالى:] F E D

Z S R Q P O N L K J I H G [البقـــرة :

(١) انظر: روح المعاني للألوسي، (١٤٦/١٥).

(٢) انظر: التفسير المنير لوهبة الزحيلي، (٥٩٤/٤-٥٩٥).

(٣) انظر: جامع البيان، (٢٠٥/٨)، مفاتيح الغيب ، (٧٨/١٤-٧٩)، الجامع لأحكام القرآن ، (٢١٨/٧).

(٤) انظر: جامع البيان لابن جرير، (٥٢٢/١).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

١٢١].

أولئك الهالكون، الذين خسروا سعادة الدنيا والمجد والسيادة التي يعطيها الله من ينصر دينه، كما قال تعالى: [J K L M Z [الحج : ٤٠]، وخسروا نعيم الآخرة و استحقوا عذاب النار، لأنهم : [ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ Z [البقرة : ١٧٥]. (١)

ولفظ التلاوة هنا يتناول العمل، كما فسره بذلك الصحابة والتابعون (٢)، يقول ابن عباس وابن مسعود: يتبعونه حق اتباعه، ويحلون حلاله، ويحرمون حرامه، ولا يحرفونه، وقال عكرمة(٣): يتبعونه حق اتباعه. (٤)

وفي الآية إيماء إلى أن الذين يتلون الكتاب دون أن يتدبروا معانيه لا حظ لهم من الإيمان، وفي هذا عبرة لنا بأن يكون ذاك حافزا في تدبر القرآن والعمل به، وهذه هي الحكمة من إنزاله، لا مجرد التلاوة له، كما قال تعالى: [B C D E F G H I J Z [ص : ٢٩]، قال ابن جرير: ليتدبروا حجج الله التي فيه، وما شرع من شرائع، فيتعظوا ويعملوا به. (٥)

وقال ابن تيمية: لا ريب أن استماع كتاب الله، وتحريم حرامه، وتحليل حلاله، والعمل بمحكمه، والإيمان بمتشابهه واجب على كل أحد، أما حفظ جميع القرآن وفهم جميع معانيه فلا يجب على كل أحد. (٦)

ومن عجز عن فهمه كان واجبا عليه سؤال أهل الذكر. (٧)

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، (١/١٦٥)، أنوار التنزيل، (١/٣٩٣)، إرشاد العقل السليم ،(١/١٥٣).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، (٧/١٦٧).

(٣) هو العلامة الحافظ المفسر أبو عبدالله البربري عكرمة بن عبد الحبر، ثقة ثبت ، عالم بالتفسير، مات سنة ١٠٤هـ.

انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي، (٥/١٢)، طبقات المفسرين للداوودي، (٢٦٥).

(٤) أخرجه ابن جرير، (١/٥٢١).

(٥) انظر: جامع البيان، (٢٣/١٥٣).

(٦) انظر: مجموع الفتاوى، (١٥/٣٩١).

(٧) انظر: تفسير المراغي، (١/١٧٢-١٧٣)، التحرير والتنوير ، (١/٦٩٧).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

التكذيب بالرسل عليهم السلام:

كما خسر وهلك من كذّب بآيات الله فقد ضل وخاب من كذّب برسل الله، إذ هم المبلغون شرع الله، وهم الداعون لكل خير وفضيلة، وهم الكاملون في التوحيد والأخلاق(١) .

ولم تخل أمة من رسول، قال تعالى: [J I H G F E D Z [النحل : ٣٦]، واتباعهم والإيمان بهم واجب، قال تعالى: [s r q p n m l k j i h g Z { z y x w v u t [البقرة : ٢٨٥]، لأنه درب الفوز بسعادة الدارين، فباتباعهم يعرف المرء الطريق الموصل إلى الله و إلى رضوانه، ويقتدي بهم في صدق الإيمان وكمال التوحيد، يقول تعالى في حق من آمنوا بخاتم المرسلين r : [o n l k j i h g f e d c p Z [الأعراف : ١٥٧]، ويقول في حق المكذبين بشعيب u حاكيا خسارتهم، ورادا عليهم ما زعموا من أن الخسارة في اتباع شعيب u : [} | { ~ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ © ٱلْخَٰسِرِينَ Z [الأعراف: ٩٢].

فكذَّبهم سبحانه بما أحل بهم من عاجل نكاله، وجاءت هذه الجملة جوابا لقولهم: [n o p q r s Z [الأعراف : ٩٠].

فمن الخاسر إذن؟ الذين كذَّبوا شعيبا وزعموا أن من يتبعه يكون خاسرا كانوا هم الخاسرين لما وُعدوا من سعادة الدنيا والآخرة، أُهلكوا واستؤصلوا، وصاروا مخصوصين بالخسارة في الدنيا والدين لتكذيبهم، لا المتبعون له u المؤمنون به فإنهم الرابحون.(٢)

وفي هذا الرد من المبالغة في الذم والتوبيخ ما لا يخفى.

---

(١) انظر: أسباب هلاك الأمم لسعيد محمد باباسيلا، (١٩١).

(٢) انظر: جامع البيان ، (٦/٩)، روح المعاني ، (٧/٩)، تفسير المراغي، (٣٥٧/٣).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وسجل القرآن صوراً أخرى لتكذيب الهالكين لرسلهم، منها: الاتهام بالكذب الصريح، والاتهام بالضلالة، والسفاهة، والسحر، والجنون، والشك فيما جاءت به الرسل، وعصيان الأوامر والنواهي، وغيرها من صور التكذيب الشنيعة، والمفضية إلى الكفر بلا شك[١] .

وكل من أنكر اليوم الآخر، وكذب بآيات الله ورسله فهو كالمشتري سلعة يرجو بها ربحا، فخاب رجاؤه، وخسر بيعه، لأن حقيقة الخسران ضد الرّبح، واستعير في القرآن للدلالة على فقدان نفع ما يرجى منه النفع [٢].

قال الشنقيطي: (المراد به في القرآن غبن الكفار-بسبب كفرهم ومعاصيهم-في حظوظهم مما عند الله لو أطاعوه) [٣].

ودرب الهلاك ممهد وميسر لمن كذب باليوم الآخر ولقاء الله، وجحد آيات الله الكونية والشرعية (التنزيلية)، وكذّب بالرسل وأنكر دعوتهم.

أما من خالف نفسه الأمارة بالسوء، ونهى النفس عن الهوى، فآمن بأركان الإيمان كاملة فهو المحقق لأسباب النجاة، وبإذن الله يتحقق له ما يصبو إليه من نعيم الجنان، والنجاة من عذاب النيران.

---

(١) انظر: أسباب هلاك الأمم السالفة لمحمد سعيد باباسيلا، (١٩٩) وما بعدها.

(٢) انظر: التحرير والتنوير، (٣٢/٨)، (١٥٧/٨)، (١٣/٩).

(٣) أضواء البيان للشنقيطي، (٣٤٩/٣).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المبحث الثالث
فعل المحرمات

وفيه تسعة مطالب:

المطلب الأول: القتل.

المطلب الثاني: عدم الاستجابة لأوامر الله ورسله.

المطلب الثالث: الإفساد في الأرض.

المطلب الرابع :استحبا ب الدنيا على الآخرة.

المطلب الخامس: التفاخر بالأموال و الأولاد، والانشغال بها عن ذكر الله.

المطلب السادس: تحريم ما أحل الله .

المطلب السابع: الصد عن سبيل الله .

المطلب الثامن: طاعة الشيطان، والكفار.

المطلب التاسع: الكيد بأنبياء الله.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المطلب الأول

القتـــــل

اعتنى الإسلام بحفظ الضروريات الخمس، والتي اتفقت الشرائع الـــسماوية علـــى حفظها، وهي: حفظ الدين، والنفس والعقل، والعرض، والمال، لأن مصالح الدين والدنيا مبنية على المحافظة عليها(١)، واعتبر التعدي عليها جناية وجريمة تستلزم العقوبة، وبحفـــظ هذه الضروريات يسعد الفرد والمجتمع، ويحل بهم الاطمئنان.

ومن أول هذه الضروريات وأولاها (حفظ النفس) التي اهتم الإسلام بها، فهـــذبها بالتشريع، وحرم قتلها بغير حق كما أجمع على ذلك المسلمون (٢)، وجعل ذلك من أكبر الكبائر بعد الشرك بالله، فعن أنس(٣) t عن النبي r قال: (أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ: الْإِشْرَاكُ بِاَللَّهِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَقَوْلُ الزُّورِ، أو قال: وَشَهَادَةَ الـــزُّورِ) (٤)، و(لا يـــزال المؤمن في فسحة من دينه مالم يصب دما حراما) (٥) ، لأنه ذنب عظيم موجب للعقـــاب في الدنيا والآخـــرة، قـــال تعـــالى: [c d e f g النساء] Z r q p o n m l k j i h : ٩٣].

وعن عبدالله بن مسعود t قال : قال رسول الله r (لا يحل دم امرئ مسلم يشهد

---

(١) انظر: الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي، لعلي بن عبد الكافي السبكي، (١٧٨/٣)، دار الكتب العلمية - بيروت – ١٤٠٤هـــ، الطبعة الأولى، بدائع الـــسلك ، لابـــن الأزرق، (١١٩٤)، وزارة الإعلام - العراق، الطبعة الأولى، تحقيق : د.علي سامي النشار.

(٢) انظر: المغني في فقه الإمام أحمد ، لابن قدامة المقدسي، (٢٠٧/٨).

(٣) هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم النجاري الأنصاري، أبو حمزة ، خادم رسول الله r ، نزيل البصرة وآخر من مات من الصحابة فيها، توفي سنة ٩٥هـــ.
انظر: الإصابة لابن حجر، (٧١/١) ، أسد الغابة لابن الأثير، (١٩٢/١).

(٤) تقدم تخريجه ص (٢٨٧).

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الديات، (٢٥١٧/٦)،ح(٦٤٦٩).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة) [١]،ومن قتل مسلما متعمدا عدوانا فقد فسق، وأمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له. [٢]

لأن الحياة منحة من الله، لا يملك أحد انتزاعها بغير إرادته جل وعلا ، قال تعالى:] Z v u t s r q [[ق: ٤٣]، وقد أعطى الله حق انتزاع الحياة من الأفراد للدولة فحسب، وفق الجنايات لمصلحة المجتمع، وحماية الأفراد،] وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ © لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ Z [البقرة:١٧٩][٣].

والحسد تلك الصفة الشنيعة التي تودي إلى المخاطر والمهالك والقبائح، وهو سبب أول جريمة قتل في البشر، قد عُرفت منذ الأزل، عندما حسد إبليس آدم u حينما دخل الجنة؛ ووقعت من ابن آدم ولا زالت إلا من عصمه الله منها، وكان أول وقوعها من ابني آدم لصلبه ، حينما تكشفت لنا طبيعة الجريمة، وبواعثها في النفس البشرية، عندما حسد أحدهما آخاه فهمَّ بقتله، فارتكب أبشع جريمة وهي القتل، فكان أول حادث قتل متعمد.

فخسر دنياه حينما أهلك نفسه بقتل أقرب الناس إليه، وأبرَّهم به وهو أخوه التقي، فبقي بلا أخ، وأسخط أبويه، وصار مذموما إلى يوم القيامة، ولم ينتفع بقتله، وخسر الآخرة لأنه أسخط ربه، ولم يصر أهلا لنعيم الآخرة المقصور على المتقين، [٤]، قال تعالى:] فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ Z [المائدة : ٣٠].

وفاز المقتول بالمغفرة ودخول الجنة، وخاب القاتل وخسر في الدارين، كيف لا وقد كان من الذين سنوا سنة سيئة، عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة، روى البخاري ومسلم عن ابن مسعود t : (لا تُقْتَل نفسٌ ظلما إلا كان على ابن آدم الأول

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى: (أن النفس بالنفس...)، (٢٥٢١/٦)، ح(٦٤٨٤)، ومسلم في كتاب القسامة والمحاربين، باب ما يباح به دم السلم، (١٣٠٢/٣)، ح(١٦٧٦)،واللفظ لمسلم.

(٢) الروض المربع شرح زاد المستقنع، لمنصور بن يونس بن إدريس البهوتي ، (٢٥٢/٣).

(٣) انظر: الجرائم والعقوبات في الشريعة الإسلامية، لأبي الحمد أحمد موسى، ومحمود العكازي، (١١)، الطبعة الأولى، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م - دار الاتحاد العربي ، مصر.

(٤) انظر: مفاتيح الغيب ، (١٦٤/١١)، زاد المسير ، (٣٣٨/٢)، تفسير المراغي، (٤٢٣/٢).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

كِفل-نصيب- من دمها، وذلك لأنه أول من سنَّ القتل)[١]، فهو من سن للذرية قتل النفوس، وهتك حرمة الدماء.

ونرى بوضوح نموذج طبيعة الشر الذي لا مبرر له، ونموذج طبيعة الخير، فتولد الشعور بالحاجة إلى شريعة عادلة بالقصاص، تمنع المعتدي، وتخوفه من جريمته، لأن الجزاء العادل ينتظره إن قام بفعلته.

فشرعت العقوبة الزاجرة في الدنيا، لتمنع الناس ابتداءً من ارتكاب الجرائم- والتي فيها من الفساد مالا ينتهي-، لأن مجرد الأمر والنهي لا يردع البعض للوقوف عند حدود الله، فشرع القصاص حفظا لحياة الناس ومصالحهم، وحماية للنفس المحرمة، وصيانة للمجتمع وتطهيرا له، وحياة للأمة، وتحقيقا للعدل والأمن، ودفعا للفساد في الأرض، قال تعالى:] وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ۝ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ Z [البقرة : ١٧٩].[٢]

والقاتل للنفس المحرمة حينما خسر نفسه في الدنيا فلم تهنأ له حياة ولا معيشة، وخسر الآخرة فباء بإثمه ، صار من حزب الخاسرين، (الذين باعوا آخرتهم بدنياهم بإيثارهم إياها عليها، وأي خسارة أعظم من جريمة القتل هذه؟ [٣]

والتعبير بقوله تعالى: (فَأَصْبَحَ) إشارة إلى جميع أوقاته، حيث أُقيم بعض الزمن مقام كله، وخُص الصباح بذلك لأنه بدء النهار والانبعاث إلى الأمور ومطية النشاط، لا لأن القتل –كما زعمه البعض- وقع ليلا [٤]، قال ابن الجوزي:] فَأَصْبَحَ Z بمعنى صار.[٥]

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب قول النبي عليه الصلاة والسلام (يعذب الميت ببعض بكاء أهله (٤٣١/١)، ح(٣٢)، ومسلم في كتاب القسامة والمحاربين، باب بيان إثم من سن القتل، (١٣٠٣/٣)، ح(١٦٧٧).

(٢) انظر: الروض المربع شرح زاد المستقنع، لمنصور بن يونس بن إدريس البهوتي، (٣٠٠/٣-٣٠١)، الاختيار لتعليل المختار، لعبد الله بن محمود بن مودود الموصلي، (٢٥/٥-٢٦)، فقه السنة للسيد سابق، (٤٦٠/٢، ٤٥٦)، الطبعة الثامنة، ١٤٠٧ هـ -١٩٨٧م، دار الكتاب العربي، بيروت.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير، (٤٦/٢)، تيسير الكريم الرحمن ، (٢٢٩)، التفسير المنير، (٥٠٣/٣).

(٤) انظر: المحرر الوجيز ، (١٨٠/٢)، روح المعاني ، (١١٥/٦).

(٥) انظر: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، (٩٢).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وإن الإنسان ليعجب كيف اجتمعت سيطرة شهوات النفس مع خطوات الشيطان على إزهاق الأرواح البريئة، وأشد من ذلك عجبا حينما نستعرض في سياق القرآن ضلالات المشركين، وما يتحمله أتباعها من تبعات وخسائر وتضحيات، وهذا هو ثمن الانحراف عن شرع الله ونهجه، والتمسك بأغلال العقائد المنحرفة، حتى إن التضحيات لتصل إلى فلذات الأكباد، فخرجوا من عبودية الله، إلى رق عبودية العبيد، فتكلفوا أغلالا ما أنزل الله بها من سلطان.

و في سورة الأنعام ذكرٌ لخسارة هؤلاء وسفاهة عقولهم، عندما ارتكبوا أشد أنواع عاداتهم وأحكامهم ظلما وجورا ، وهو قتل أولادهم ووأد بناتهم، لا لشيء إلا اتباعا لما تمليه عليهم عقائدهم المنحرفة، واعتقاداتهم الباطلة، التي مصدرها وَهْمٌ وسُخْف، وقصور عقل، وهوى فاسد، وحماقة منهم خوفا من الفقر والسبي،وجهلا بأن الله سبحانه وتعالى رازق أولادهم لا هم ، فقال سبحانه مشنعا قبح فعلهم [1]: Z Y X W [\ [^] _ ` a b c d e g h i j k Z [الأنعام : ١٤٠].

فهم (طلبوا نفع أنفسهم بالتخلّص من أضرارٍ في الدّنيا محتمل لَحَاقُها بهم من جراء بَناتهم، فوقعوا في أضرار محقّقة في الدّنيا وفي الآخرة) [2]، وخسروا دينهم وأولادهم وعقولهم بفعلتهم هذه، لأن الولد نعمة من الله أنعم بها على عبده يأنس به، فإذا سعى العبد في زوالها فقد خسر خسرانا عظيما، إذ هو قد استحق الذم في الدنيا، وخسر كل ما كان يرجوه من العزة والنصرة، والبر والصلة، وخسر عاطفة الأبوة الجياشة واستبدلها بالغلظة، واستحق العقاب في الآخرة، لأنه ألحق أعظم أنواع الأذى بأقرب الناس إليه وفلذة كبده، وخسروا مقام العبودية لله عندما خضعوا لعبودية العبيد، وخسروا الهدى والرشاد، فجمعوا بين خسارة الدارين، وما أشنع ذاك. [3]

---

(١) انظر: المحرر الوجيز ، (٣٥٢/٢)، أنوار التنزيل ، (٤٥٨/٢)،التفسير المنير، (٤/ ٤١٣-٤١٤).

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور، (١١٣/٨).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب ، (١٧٢/١٣)، تفسير ابن كثير، (١٨٢/٢)،تفسير المراغي، (٢١٦/٣-٢١٧)، تيسير الكريم الرحمن ، (٢٧٦).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وفعلهم هذا –أي:القتل-غاية في السفه، وأيُّ سفه أعظم من تعطيل مصالح عظيمة وارتكاب أضرار شنيعة، لأجل التخلّص من أضرار طفيفة قد تحصُل وقد لا تحصل، وهم في هذا كالتّاجر الذي أراد الربح فباء بضياع أصل ماله.

وتحقيق الفعل (خَسِرَ)بـــ(قد) للتنبيه على أن خسرانهم أمر ثابت، وهو تحقيق يفيد التّعجيب منهم. (١)

و النّسل نعمة من الله على الوالدين يأنسون به ويعينونهم على مهماتهم، ونعمة على القبيلة تكثر وتعتز، وعلى العالَم كلّه بكثرة من يعمره وبما ينتفع به النّاس مـــن مواهـــب النّسل وأعماله، ونعمة على النّسل نفسه بما يناله من نعيم الحياة وملذاتها، ولتلك الفوائـــد اقتضت حكمة الله إيجاد نظام التناسل، تعميراً للعالم، وحفظاً للنـــوع، وإظهـــاراً لمـــا في الإنسان من مواهبَ تنفعه وتنفع غيره، إضافة إلى ما في عملهم من اعتداء على حقّ البنت الذي جعله الله لها وهو حقّ الحياة إلى انقضاء الأجل المقدّر لها، وهو حقّ لا يملكه الأب. (٢)

فمن عطل مصالح الناس، وسعى في إهلاك البشر، وسيطرت عليه نفـــسه الأمـــارة بالسوء، وأمرته ضلالاته المنحرفة بإزهاق الأرواح بغير وجه حق، واجتمعت فيه انحرافات الحقد، والجهل، والضلال، وتقليد الضالين بغير علم ولا عقل، كان أهلاً للضلال والهلاك في الدنيا والآخرة، في الدنيا ييأس ويتحسر على ما قدم من أشأم عمله، وتضييع نعـــم الله عليه، وفي الآخرة يهلك بأن يغبن نفسه حظها من رحمة الله. قال تعالى:] d c [n m l k j i h g f e Z r q p o [النساء : ٩٣].

قتل النفس ظلما وعدوانا مشابهة لفعل اليهود:

القتل كان معروفاً عن بني إسرائيل، فقد بلغ بهم الكفر، واتباع الهـــوى أن يقتلـــوا

(١) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، (٨/١١٣-١١٤).
(٢) انظر: المصدر السابق، (٨/١١٣-١١٤).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

رسل الله، كما صرّح به القرآن في كثير من آياته ، منها قولـــه تعـــالى:] v w x y z { | } { وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ © جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ ´ μ Z[البقرة:٨٧] ، فخسروا دينهم وأنفسهم بأن ضربت عليهم الذلة والمـــسكنة [´ μ ¶ ، وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ Z[البقرة: ٦١][(١)].

وهذا اجتراء منهم على الأنبياء ، وجريمة نكراء دالة على كذبهم.

وفي قصة فرعون أكبر مظهر من مظاهر العدالة الربانية، حيث انتقم الله للمظلومين من الظالم الذي قتل الرجال والأطفال، واستحيا النساء، وجعله عبرة على مر القـــرون، ونذيراً لمن تحدثه نفسه بإزهاق الأرواح، مهما علت منزلته، وارتفع شأنه[(٢)].

(١) انظر: الحياة الدنيا في القرآن، لمحمد كامل حسن، (٤٩).

(٢) انظر: من هدي القرآن في كشف مفاسد بني إسرائيل، لعبدالقادر شيخ إبراهيم، (٦٥٣)، الجرائم والعقوبات في الشريعة الإسلامية، لأبي الحمد أحمد موسى، محمود العكازي، (١١).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المطلب الثاني
عدم الاستجابة لأوامر الله ورسله

مالذي أبدل إبليس بالقرب بعداً، وبالجمال قُبحاً؟

ومالذي أغرق أهل الأرض كلهم حتى وصل الماء رؤوس الجبال؟

ومالذي سلط الريح على قوم عاد فدمرهم، وأرسل الصيحة على قوم ثمود فأهلكتهم، ورفع قُرى قوم لوط ثم قلبها حتى بادوا؟

ومالذي أغرق فرعون وقومه في البحر، وخسف بقارون وداره؟ (١)

سبب ذلك كله هو عدم استجابتهم لأوامر الله ورسله، وانحرافهم عن الشرع، وإعراضهم عن نهج الأنبياء والرسل عليهم السلام.

فمخالفة أمر الله وأمر رسله أمر موجب للفساد والانحلال، والظلم والجور، والعيش بلا اطمئنان؛ إذ كيف يهنأ عيشٌ، وتقر عينٌ لمن عصى الله وخالف رسله!

وأوامر الله لعباده متضمنة كل الخير لهم في معاشهم ومعادهم، أراد لهم بها أن يسعدوا في الدنيا والآخرة، فأمرهم بالتوحيد والطاعات، وأرسل الرسل، وأنزل الكتب ليقطع الطريق على المكذبين بإلزامهم الحجة، وسنّ من الشرائع ما يكفل عيشهم بأمان وعدل، ويبعدهم عن الفساد والانحلال، فتنكّبوا عن الطريق، وضلوا من حيث أرادوا الرشد، ونقضوا المواثيق، وعصوا الله، وأعرضوا عن أوامره.

فتعسرت أمورهم، ودبّ الوهن في قلوبهم وأبدانهم، وهانوا على ربهم، قال تعالى:] ^ _ ` a b c d e[الحج : ١٨]، قال الحسن البصري(٢): هانوا عليه فعصوه، ولو عزوا عليه لعصمهم. (٣)

---

(١) انظر: الجواب الكافي، لابن القيم، (٤٦-٤٧).

(٢) هو الحسن البصري بن أبي الحسن أبو سعيد، كان رأسا في العلم والعمل، أخرج له الجماعة، له تفسير، كانت وفاته سنة ١١٠هـ.

انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي، (١/١٧٤)،طبقات المفسرين للداوودي،(١٠٦).

(٣) انظر: روضة المحبين ونزهة المشتاقين، لابن القيم، (٤٤١)، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون ، ١٤١٢هـ-

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وأورثهم العصيان وترك الاستجابة الذل، وزوال الحياء الذي هو مادة حياة القلب، وحلت القطيعة بينهم وبين ربهم، فانقطعت عنهم أسباب الخير، وأي فلاح يُرجى لمن انقطعت عنه أسباب الخير، وقُطع ما بينه وبين مولاه! وحلت به النقم والعقوبات، قال تعالى: [وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ Z [الشورى : ٣٠][١]، وكان عاقبة أمرهم الخسار والهلاك، قال تعالى: [e d c s r q p o n m l k j i h g f Z x w v u t [الطلاق : ٨-٩].

فالذين خالفوا أمر الله وكفروا به، وكذبوا رسله، وسلكوا نهجا لم يشرعه سبحانه حاسبهم الله حسابا عسيرا، يستقصي عليهم الذنوب، ويعذبهم العذاب العظيم في الآخرة، وفي الدنيا بالقحط والجوع والسيف، وعاقبة أمرهم الخسران والنكال والهلاك حينما باعوا نعيم الآخرة بخسيس من الدنيا قليل، وآثروا اتباع أهوائهم على اتباع أمر الله، وخسروا أنفسهم وأموالهم وأهلهم وأعمالهم جزاء عصيانهم أوامر الله ورسله وتكبرهم، ولا يُجنى من الشر إلا الشر، ثم أكد سبحانه الوعيد بقوله: [z { | } ~ Z [الطلاق : ١٠][٢].

والمراد بالعتو: الانصراف عن الطاعة، والاستكبار[٣]، كما قال تعالى : [K J Z T S R Q P O N M L [الأعراف : ١٦٦].

ونلحظ هنا تفصيل العذاب لمن كذب وأنكر بذكر صوره، وذكر الحساب العسير والعذاب الأليم، ثم تصوير سوء المصير، [r s t u v w x Z، ثم تأخير العاقبة الخاسرة، وذلك للتحذير من هذا الفعل.

١٩٩٢م.

(١) انظر: الجواب الكافي، لابن القيم، (٦١ وما بعدها).

(٢) انظر: جامع البيان ، (١٥١/٢٨)، تفسير ابن كثير، (٣٨٥/٤)، تيسير الكريم الرحمن ، (٨٧٢)، تفسير المراغي، (١٢٦/١٠).

(٣) انظر: المفردات للراغب، مادة عتا، (٣٢١)، معجم مقاييس اللغة لابن فارس، مادة عتو، (٢٢٥/٤).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ومن أعظم أسباب المعاصي: الشبهات والشهوات، بسبب الجهل وفساد القصد، واتباع الهوى، يقول ابن القيم: الفتنة نوعان : فتنة الشبهات -وهي أعظم الفتنتين- ، وفتنة الشهوات، وقد يجتمعان للعبد، وقد ينفرد بإحداهما، و جمع سبحانه بينهما في قوله:

[! " # $ % & ' ( ) *

+ , - . / 0 1 2 3

4 5 6 7 Z [التوبة : ٦٩]. (١)

وهذا الفساد المذكور في الآية مثلما تحقق في المنافقين ، فقد تحقق في الفاسقين من الكفار والمنافقين وأهل الكتاب، يقول تعالى مبينا حالهم: [v w x y z

{ | } ~ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ © هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ Z [البقرة : ٢٧]. (٢)

إذ عادة الفاسقين مخالفة أوامر الله، وترك الانقياد لها، والسعي في المخالفة، وترك الاستجابة.

فهم يقطعون ما أمر الله به أن يوصل من الإيمان به بعد قيام الأدلة الكونية على وجوده سبحانه، والإيمان بجميع الأنبياء، فلم يؤمنوا بالله ولا بآياته، وعصوا وتجبروا، وفرقوا بين الأنبياء، و لم يصلوا الأرحام والقرابات المادية بين الأقارب، والمعنوية بين الرسل وموالاة المؤمنين، فقطعوا كل ما أمر الله بوصله وفعله، فتفككت الروابط، وانحلت العرى، وحل الفساد في الأرض والفوضى، [وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ Z.

وقيل أن المراد بقوله تعالى: [{ ~ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ Z : صلة الأرحام والقرابات، ورجحه ابن جرير. (٣)

ولا خلاف أن صلة الرحم واجبة، وقطيعتها معصية كبيرة (٤)، فعن عائشة رضي الله

---

(١) انظر: إغاثة اللهفان، لابن القيم، (١٦٥-١٦٦)

(٢) انظر: جامع البيان لابن جرير، (١٠/١٧٥).

(٣) المصدر السابق، (١/١٨٣).

(٤) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، (٨/٣٢٩).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

عنها قالت :قال رسول الله r : (الرحم معلقة بالعرش، تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله) [١].

إلا أن الآية – كما في قول الجمهور - تعم كل ما أمر الله به أن يوصل، والرحم جزء من هذا، واختاره ابن عطية[٢]، و قال الألوسي[٣]: هذا هو الأوجه، لأن فيه حمل اللفظ على مدلوله من العموم ولا دليل واضح على الخصوص. [٤]

ومن قطع ما أمر الله بوصله استحق الخزي في الدارين، وخسر في الدنيا بافتضاح أمره وبالحيرة، وبإهمال العقل عن النظر فيما يفيده، وفي الآخرة بالعذاب المقيم، فكان في خسران مبين. [٥]

ومن آثار مخالفة الأمم لأوامر الله: حصول الهلاك وزوال النعم، كنعمة الإيمان والمال والرزق والأمن [٦]، وهذا ما حل ببني إسرائيل عندما عصوا موسى u ، و لم يطيعوا أمره بدخول الأرض المقدسة، إذ عوقبوا بالتيه مدة أربعين سنة على تفريطهم في أمر الله [٧]، قال تعالى:] B C D E G H I J K L N O P Q R Z [المائدة : ٢٦].

هاهو نبي الله موسى u يحذر قومه من مغبة ترك الاستجابة لأمر الله، ويأمرهم

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب من وصل وصله الله،(٥/٢٢٣٢)، ح(٥٩٨٩)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب صلة الرحم، (٤/١٩٨١) ح (٢٥٥٥)، واللفظ لمسلم.

(٢) هو عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن أبو محمد، كان فقيها عالما بالتفسير والأحكام والحديث والفقه والنحو والأدب، من تصانيفه : المحرر الوجيز في التفسير، مات سنة ٥٤٠هـ.

انظر : طبقات المفسرين للسيوطي، (٥٠)، طبقات المفسرين للداوودي، (١٨٥).

(٣) هومحمود بن عبدالله الحسيني الألوسي أبو الثناء شهاب الدين، مفسر محدث فقيه مجتهد لغوي نحوي، له تصانيف عديدة، منها: روح المعاني، دقائق التفسير، غرائب الاغتراب.

انظر: الأعلام للزركلي، (٧/١٧٦)، معجم المؤلفين لعمر كحالة، (١٢/١٧٥).

(٤) انظر: المحرر الوجيز ، (١/١١٣)، تفسير ابن كثير، (١/٦٧)، روح المعاني، (١/١٢٠-١٢١).

(٥) انظر: أنوار التنزيل ، (١/٢٢٦)، الجامع لأحكام القرآن ، (١/٢٤٧)، معالم التنزيل ، (١/٥٩).

(٦) انظر: نور الهدى وظلمات الضلال في ضوء الكتاب والسنة، لسعيد القحطاني، (٣٦٦).

(٧) انظر: تفسير ابن كثير، (٢/٣٨).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

بأمر الله إياه يأمرهم بدخول الأرض المقدسة، وأن لا يرجعوا القهقرى خائبين خائفين من العدو، ويبشرهم بالنصر والظفر [١]، فيقول:] } | { ~ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا © Z [المائدة : ٢١].

فتبدت حقيقة بني إسرائيل، فظهر الجبن والخوف، ونقض المواثيق، وتولاهم الفزع، فلم يمتثلوا لأمر موسى بمباشرة الغزو[٢]، فاستوجبوا الخسارة بتركهم فَرْضَ الله من وجهين، أحدهما: خلافهم أمر الله في تركهم دخول الأرض، وعصيانهم نبيهم جبنا وخوفا من الجبابرة، وردهم ورجوعهم عن الدين الصحيح إلى الشك في نبوة موسى u ، وإلى الوثنية والعصيان ، والثاني: تضييع فرض الجهاد الذي كان الله فرضه عليهم، فخسروا ثواب الدنيا والآخرة، خسروا دنياهم بما فاتهم من النصر على الأعداء وفتح بلادهم، و خيرات الأرض المقدسة وبركاتها، ولحوق الذل بهم، وخسروا أخراهم بما فاتهم من الثواب وما استحقوه من العقاب . [٣]

ومخالفتهم أمر نبيهم موسى u ، وامتناعهم عن القتال معه، يعطينا صورة واضحة عن طبيعة اليهود عبر الأزمان، أنها طبيعة عاصية متمردة، مخالفة لأوامر الله، فهل يعقل أن يلتزم اليهود بأمر صادر من البشر خصوصاً من أعدائهم بعدما عصوا أمر الله ورسله.

وقد سجل لنا القرآن هذه الصورة وغيرها من صور مخالفتهم لأمر الله وأوامر أنبيائهم لتتضح لدى المسلمين حقيقتهم وحتى لا يفعلوا فعلهم[٤] لكن قد سار بعض المسلمين على درب العناد والمخالفة الذي سلكه اليهود.

وحقيق بالخسران مَن خالف ما فرضه الله عليه من الجهاد وأمور العبادات، وخالف أمره، فإن من (من أضاع حق الله لا يطاع في حظ نفسه) [٥]، فلا يُوفق للخير والفلاح، لافي الدنيا ولا في الآخرة، ولا يُعطى ما كان يؤمله، لأنه خالف أمر ربه.

---

(١) المحرر الوحيز، (١٧٤/٢)،تفسير ابن كثير، (٣٨/٢).

(٢) اليهود في القرآن، لعفيف عبدالفتاح طبارة، (٢٢٩).

(٣) انظر: الكشاف، (٦٥٤/١)، إرشاد العقل السليم ،(٢٣/٣)، زاد المسير ، (٣٢٤/٢)، تيسير الكريم الرحمن، (٢٢٨).

(٤) انظر: لماذا لعن اليهود في القرآن والسنة، لأحمد إبراهيم الحاج، (١٣٦-١٣٧، ١٤٣).

(٥) نظم الدرر للبقاعي، (٣٧/٨).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وما أقرب الشبه بين هؤلاء المعاندين وحالهم في ترك أمر الله وشرعه، وحال بعض الناس اليوم، الذين لا يحاولون إلا التنكب عن الجادَّة، ولا يجلوا لهم إلا العناد والاستكبار.

ويوم أن سار المسلمون على درب اليهود في عدم الاستجابة لأوامر الله ورسوله، كانت الغلبة لليهود على المسلمين بقوتهم، فهل من عودة صادقة إلى دين الله، تضمن النصر والتمكين في الأرض، وتحقق الفوز والنجاة يوم القيامة؟

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المطلب الثالث

الإفساد في الأرض

الفساد: خروج الشيء عن الاعتدال، قليلاً كان ذلك الخروج عنه أم كثيراً، وضده الصلاح[١] ؛ وأفسد غيره: زيّن له الفساد حتى فسد.

تناول القرآن جانب الفساد، وتعددت الآيات في ذكره، حتى أن الانطباع الأول الذي تبادر عند الملائكة حينما خلق الله آدم، وأخبرهم أنه جاعل في الأرض خليفة كان استفهاماً تعجبياً عن إنشاء هذا المخلوق، وذلك بقولهم:] + , - . / 0 1 2 Z[البقرة: ٣٠]، ومعنى ذلك بأن الأرض كانت مكاناً يسوده الاطمئنان والسلام، لا فساد فيها ولا خراب، حتى كان هذا المخلوق هو مبدأ الفساد، وسفك الدماء[٢] .

وما انفك الإنسان الذي خُلق لعمارة الأرض يخترع وسائل الفساد حتى ضاقت الأرض بالظلم والشرور[٣] .

وسار القرآن في فضح سلوك الإفساد، والتحذير منه، وتبيين تضمن رسالات الأنبياء لإصلاح الفساد ، وتعددت الآيات في النهي عن الفساد، يقول تعالى:] **وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا** Z[الأعراف: ٥٦]، فهو سبحانه ينهى عن الفساد في الأرض، ويُقرُّ على الإصلاح، ووسائل قطع الفساد؛ لأن الفساد معول هدم للبناء الحضاري[٤] ، وقال سبحانه:] e f g h i Z[البقرة: ٦٠] وذلك عقيب قوله:

---

(١) انظر في مادة فسد: المفردات للراغب، (٣٧٩)، بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي، (١٩٢/٤).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، (٢٦١/١).

(٣) انظر: الفساد والمفسدون في الأرض وبيان فساد بني إسرائيل واليهود، نشوة العلواني، (٩)، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ -٢٠٠٢م.

(٤) الحضارة الإسلامية في القرآن الكريم مقوماتها وأهدافها وعوامل نموها وانحطاطها، رسالة مقدمة لنيل الماجستير من الطالب: عبدالكريم الشملان، بإشراف: د. عبدالرحمن المطرودي، عام ١٤١٧هـ، قسم الثقافة الإسلامية، جامعة الملك سعود.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

[` a b c d Z [البقرة:٦٠]، ووجه النهي: أن النعمة قد تُنسي العبد حاجته إلى خالقه، فيهجر الشريعة، فيقع في الفساد، فيخسر في دنياه وأخراه[١].

والمطالع للآيات القرآنية التي تناولت الفساد يلحظ أن القرآن تحدث عن الفساد ومظاهره بدءاً بالمجال العقدي، وبلوغاً بالمجال الخلقي، وانتهاءً بخاتمة الإفساد السيئة، وعاقبته الوخيمة[٢]، ففي المجال العقدي والدعوة إلى الشرك يقول تعالى: [l m n o p q r s t u v w x y Z[الأعراف: ٨٦]، وهذا الصد والمنع عن الحق هو رأس الفساد.

وفي المجال الخلقي يقول سبحانه: [Z [\ ] Z[الأعراف:٨٥]، وهذا تأسيس لمبدأ من مبادئ المعاملة بين أفراد الأمة، إذ المعاملة مبدؤها الثقة المتبادلة، والتي لا تتحقق إلا بشيوع الأمانة[٣].

ولم يترك القرآن التصريح بعاقبة الإفساد، يقول تعالى: [w x y z { | } ~ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ Z [الرعد:٢٥].

وبيان أن الإفساد وحده موجب للقتل[٤]، قال تعالى: [K L M N O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b Z[المائدة: ٣٣].

---

(١) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، (٢/٢٧).

(٢) انظر: الكليات الشرعية في القرآن الكريم، للحسن العريفي، (١/٣٤٨)، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ - دار ابن القيم - الدمام، دار ابن عفان - مصر.

(٣) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، (٨/٢٤٤).

(٤) انظر: أحكام القرآن لابن العربي، (٢/٩٩).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

والتحذير من الخسران بسببه، يقول تعالى في سياق ذكر صفات الفاسقين:] v w x y z { | } ~ ﴿أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ Z[البقرة: ٢٧] .

فالإفساد في الأرض بالمعاصي والكفر، وبالفتن بين الناس، وقطع الطريق، والصد عن سبيل الله، والاستهزاء بالحق بعدما تبين وإنكاره، والتضليل في العقائد، والتكذيب بالأنبياء، واتباع الشهوات من صفات أهل الفسق والجَوْر، وهذا إفساد عمّ العقائد والأخلاق، وتَعَدَّى دون أن يقف عليهم [١] ، وهذا غاية الفساد.

قال الشيخ عبدالرحمن الدوسري[٢] : أعظم فساد يقوم به الكفار وأهل النفاق وأخطره شيئان: الأول: إهمال هداية العقل، وهداية الدين، والثاني: صدهم عن سبيل الله إلى ما يريدونه من باطل، وتحبيب المنكرات باسم التطور والمدنية، وعداوة الأمر بالمعروف وأهله[٣] .

ووجود هؤلاء المفسدين في الأرض مفسدة لأنفسهم، ومفسدة لأهلها، فاستحقوا فوات المثوبة، وغبن نصيبهم من الرحمة، وقُضي عليهم بالخسران وحُصر فيهم ؛ فاستحقوا الخزي في الدنيا والحرمان من السعادة الجسمية والعقلية، وفَضْح أمرهم وتخبطهم، وفي الآخرة استحقوا عذاب الله وغضبه، ومن خسر السعادتين كان في خسران مبين.

وخسارهم هو خسار الكفر[٤] ، قال ابن عباس: (كل شيء نسبه الله إلى غير أهل الإسلام من اسم مثل: خاسر، فإنما يعني به الكفر، وما نسبه إلى أهل الإسلام فإنما يعني به الذنب) [٥] . وأكبر خسران لهم طردهم وإبعادهم عن رحمة الله، وإحلالهم دار السوء

---

(١) روح المعاني للألوسي، (٢١٢/١).

(٢) هو عبدالرحمن بن محمد بن خلف بن عبدالله الدوسري، طلب العلم، ودرس السيرة والفقه والتوحيد، وأحب الجمع بين الفقه والحديث، ألف كتبا عديدة، منها: الجواهر البهية، صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم، توفي سنة ١٣٩٩هـ.
انظر: مقدمة تفسير صفوة الآثار والمفاهيم ، (١٧/١-٢٥)، علماء ومفكرون عرفتهم لمحمد المجذوب، (٦٧/٣).

(٣) انظر: صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم، لعبدالرحمن محمد الدوسري، (٦٤/٣).

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن، (٤٨).

(٥) أخرجه ابن جرير في جامع البيان، (١٨٥/١).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

والعذاب، لأن حالهم كان الإفساد في الأرض؛ فنقضوا العهد الأول، - وكل عهد قائم عليه منقوض من الأساس-وقطعوا ما أمر الله بصلته[١]، يقول تعالى:] x w v u t s r q p o n m l k j i h g f e d c b a ` _ ~ } | { z y x w [مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ Z[الرعد:٢٥]، وبنقضهم العهد تسببوا في جميع أنواع الفساد الجسمي والمعنوي، ففسدت عقولهم، وتصوراتهم، فلا عجب أن نرى قتل الأولاد خشية الأكل مع الأهل، وتصوير التمر تمثالاً يعبد، وتحريم ما أحل الله[٢] !

رأينا كيف لوّن القرآن الخطاب في كشف سلوكيات المفسدين، وتبيين آثار الإفساد في المعاش والمعاد، يقول سبحانه:] ! " # $ % & ' ( ) * + , - . Z[النحل:٨٨].

وهذا كافٍ لعدم فلاحهم في الدنيا والآخرة، بل موجب لخسارتهم في الدارين[٣] .

وأول منهج في الإفساد هو الإشراك بالله، وجعله الله أساس كل فساد؛ لأن مظاهر الفساد وليدة الإشراك بالله، وهو الفساد الشامل للحياة والأحوال.

يقول ابن القيم: الشرك والدعوة إلى غير الله، وإقامة معبود غيره هو أعظم الفساد في الأرض، ولا صلاح لها ولا لأهلها إلا أن يكون الله وحده هو المعبود، وتكون الدعوة له لا لغيره؛ فإن الله أصلح الأرض برسله ودينه، والأمر بتوحيده، ونهى عن إفسادها بالشرك[٤] .

وفسّر ابن كثير الفساد الوارد في قوله تعالى:] ~ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ Z[الشعراء: ١٥٢] بالشرك والكفر ومخالفة الحق[٥] .

---

(١) انظر: الفساد والمفسدون في الأرض، لنشوة العلواني، (٤٦-٤٧).

(٢) انظر: صفوة الآثار والمفاهيم لعبدالرحمن الدوسري، (٦٧/٣).

(٣) انظر: الكليات الشرعية في القرآن للحسن الحريفي، (٣٤٧/١-٣٥٠).

(٤) انظر: بدائع الفوائد، (٥٢٥/٣)، وانظر: مجموع الفتاوى، (٢٤/١٥-٢٥).

(٥) انظر: تفسير ابن كثير، (١٩٩/٥).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وكما أن الكفر إفساد، فإن المعاصي إفساد، تُفسد الأرض وتُهلك الزرع؛ وطاعة الشيطان إفساد، فإنه يُزيِّن الإفساد، وتغيير خلق الله،] وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ Z[النساء:١١٩][١]، أما الطاعة فهي تمام الصلاح؛ لأنه بالتزام الشرائع يزول التعدي والظلم، ويحل العدل الذي قامت به السماوات والأرض[٢].

فالكفر والمعاصي إفساد، والطاعة صلاح، لكن قد تختلف الموازين عند البعض، حتى يُظن الصلاح فساداً، كما في مقولة فرعون:] (* + , - . / 0 j i h g f [:وقوله تعالى ،Z 3 2 1[غافر: ٢٦] m l k Z[الأعراف:١٢٧][٣]. والفساد في الأرض هو أبرز سمات اليهود، ملازم لهم من بدايتهم، ولا تكاد سورة من القرآن تخلو من الحديث - صراحة أو إشارة - عن اليهود وفسادهم، للفت الأنظار إلى أنهم مصدر الشر والإفساد في الإنسانية كلها[٤]؛ والمقام يطول بذكر هذه الآيات، ويكفينا قوله تعالى:] كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ â à ß Þ Ý Ü Û فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ Z ê é è ç[المائدة:٦٤]، فإن هذه الآية تصلح أن تكون عنواناً لتاريخ اليهود كله، وتحقق الفساد فيهم بكل ألوانه.

ومن أقوالهم التي تؤيد هذا: لقد زعمنا أننا خُلقنا لإنقاذ العالم من الهلاك، وفاخرنا على الإنسانية بأننا من الشعب المختار، مع أننا منذ فجر التاريخ نسعى دون هوادة لنشر الخراب والدمار في العالم، وشلِّ تقدم الإنسانية بكل السبل والوسائل[٥].

---

(١) انظر: الفساد والمفسدون في الأرض، لنشوة العلواني، (٦، ٩، ٢١)، الإنسان والشيطان، لمحمد أمين البقشي، (٦٦)، الطبعة الأولى ، ١٩٩٢م، دار البيان العربي - بيروت.

(٢) انظر: مفاتيح الغيب للرازي، (١٣٧/٢).

(٣) انظر: جامع البيان لابن جرير، (٥٧/٢٤)، الفساد والمفسدون في الأرض لنشوة العلواني ، (٤١).

(٤) انظر: بنو إسرائيل في ميزان القرآن، لصابر طعيمة، (١٢٩-١٣٠)، الطبعة الأولى، ١٩٧٥م، بدون .

(٥) انظر: المفسدون في الأرض، لسليمان ناجي، (٤٥٨)، الطبعة الثانية، ١٩٧٣، دار العربي للإعلان – دمشق.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ومن الرائع أن القرآن سبق أن قرر هذه الحقيقة منذ أربعة عشر قرناً، مما جاء في قوله تعالى عن يهود:] â فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا ç è é ê Z[المائدة: ٦٤][1] .

ولا أريد هنا حصر الكلام عن الفساد والإفساد، وتحديد نتائجه وآثاره، لأني سأخفق في ذلك؛ لأن قاموس الفساد أخصب من قاموس الإصلاح، إذ الفساد المنتشر في الأرض لا يمكن تحديده؛ لأنه يسري في دم ابن آدم؛ لكن حسبها إشارات يسيرة ، تفتح مدارك كثيرة، تنير للبشرية طريق الأمن والأمان في زمن الصراع والنكبات، والخوف والمصادمات، إذ بفقد الأمن تكون الحياة خاضعة لسيطرة الغرائز باختلافها.

(١) انظر: اليهود في القرآن، عفيف عبدالفتاح طبارة، (٥٠).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المطلب الرابع
استحباب الدنيا على الآخرة

حقيقة الاستحباب أن يتحرى الإنسان في الشيء أن يحبه، ويقتضي معنى الإيثار إن عُدِّي بـــ(على)[١] .

ويُعبّر عن تفضيل الدنيا علـــى الآخـــرة بالاســـتحباب دون الاستحـــسان، لأن الاستحسان يكون في وجدان الشيء وعدّه حسناً، أما الاستحباب فيدل علـــى المـــيلان للشيء والمحبة له، ولا يدل على حسنه؛ لأن النفس قد تميل إلى ما هو قبيح في الشرع، لذا استعمل (الاستحباب) في مقام الذم، كما في قوله تعالى:] V U T Z Y X W Z[إبراهيم: ٣][٢] .

والدنيا دار عمل وزرع، والآخرة دار جزاء وثواب، وللإنسان أن يعيش في دنيـــاه، ويتنعم فيها بنعم الله في طاعة الله، ويتزود من الطاعات زاداً يبلغه الجنات، واضعاً نـــصب عينيه قوله تعالى:] وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ Z[القصص:٧٧].

قال السمعاني[٣] : (اعلم أنه يجوز للمؤمن أن يطلب الدنيا، ويطلب الآخرة)[٤] .

فيسير فيها على نهج الله، متأملاً الثواب، وخائفاً من العقاب، قانعاً باليسير منـــها، ليقينه بأن ما عند الله خير وأبقى.

---

(١) انظر: المفردات للراغب ، مادة حبّ، (١٠٥).

(٢) انظر: كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي، لعلاء الدين عبدالعزيز أحمد البخـــاري، (١٩/٤)، بدون ، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٨هـــ - ١٩٩٨م، تحقيق : عبدالله محمود محمد.

(٣) هو منصور بن محمد بن عبدالجبار بن أحمد المروزي السمعاني الحنفي ثم الشافعي، شيخ الشافعية أبو المظفر ، مفسر من العلماء بالحديث، له تفسير السمعاني، والانتصار لأصحاب الحديث، مات سنة ٤٨٩هـــ.
انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (١١٤/٩)، الأعلام للزركلي، (٣٠٣/٧).

(٤) تفسير القرآن، لأبي المظفر منصور بن عبدالجبار السمعاني، (٢٠٤/٢)، دار الوطن - الرياض - ١٤١٨هـــ - ١٩٩٧م، الطبعة الأولى، تحقيق: ياسر إبراهيم وغنيم عباس غنيم.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ويترجح بميزانه الآخرة على الأولى، لا إيثار الدنيا على الآخرة، والعمل للعاجلة دون الآجلة، حتى لا يكون ممن قال الله فيهم:] ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 Z[يونس: ٧-٨]، وهم الذين لا يخافون عقاب الله، ولا يرجون ثوابه، ورضوا بالحياة الدنيا عوضا عن الآخرة، فاختاروها وعملوا لها وتنافسوا فيها. (١)

وإن العجب ليشتد ممن آثروا الدنيا، والغيظ يكبر عليهم، لإيثارهم الفاني على الباقي، ولعدم مبالاتهم بـ(ما نقص من دينهم إذا زادت دنياهم، ولا ما فاتهم من رضى مولاهم إذا أدركوا شهواتهم)(٢)، قال هرم بن حيان(٣): (ما آثر الدنيا على الآخرة حكيم قط، ولا عصى الله كريم)(٤).

إضافة إلى فوات الآخرة عليهم؛ لأن من يختار الدنيا على الآخرة، تَفُتْه الدنيا، ولا يُصِبْ الآخرة(٥).

وما كان الهلاك لمن آثر الدنيا إلا لأن حب الدنيا وإيثارها على أمر الله هو أصل الذنوب، من إغفال المراقبة، وتأخير التوبة والاستغفار وغير ذلك.

---

(١) انظر: جامع البيان ، (٨٧/١١)، معالم التنزيل ، (٣٤٤/٢-٣٤٥).

(٢) التذكرة في الوعظ، لأبي الفرج عبدالرحمن الجوزي، (١٦٣)، دار المعرفة، بيروت - ١٤٠٦هـ - الطبعة الأولى، تحقيق: أحمد عبدالوهاب فتيح.

(٣) هو هرم بن حيان العبد الأزدي من بني قيس، قائد فاتح، ولي بعض الحروب أيام عمر وعثمان بأرض فارس، وكان ثقة له فضل علم وعبادة، توفي بعد سنة٢٦هـ .
انظر: سير أعلام النبلاء، (٤٨/٤)، الأعلام للزركلي، (٨٢/٨).

(٤) البصائر والذخائر، لأبي حيان علي بن محمد التوحيدي، (١٠٢/٥)، دار صادر - بيروت - ١٤١٩هـ - الطبعة الرابعة، تحقيق: وداد القاضي، صفة الصفوة، لأبي الفرج عبدالرحمن الجوزي ، (٢١٤/٣)، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م ، الطبعة الثانية، تحقيق: محمود فاخوري، ومحمد رواس.

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، (٦٠/١٤).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ونعجب مرة أخرى من مقولة عبدالله بن مسعود عن نفسه وأصحابه - رضي الله عنهم - : آثرنا الدنيا على الآخرة، لأنا رأينا زينتها، وزُويت عنا الآخرة، فاخترنا العاجل وتركنا الآجل[١] .

فإن كان هذا من ابن مسعود t فكيف بغيره، وبمن بعده!

وتحمل مقولته هذه على وجه التواضع منه t والهضم، أو على سبيل الإخبار عن الجنس كما قال ابن كثير[٢] .

ويأخذنا النص القرآني الصريح في إثبات خسارة المؤثرين للدنيا على الآخرة ، يقول تعالى: [f g h i j k l m n o p

q r s t u v w x y z

{ | } ~ ﴿ ١٠٨ ﴾ ﴿ ١٠٩ ﴾ ﴿ ١٠٧ ﴾

Z[النحل:١٠٧-١٠٩] فحل غضب الله، ووجب عذابه العظيم على من اختاروا زينة الحياة الدنيا، وطمعوا في حطامها، وآثروها على نعيم الآخرة، فشرحوا صدورهم للكفر، وعدلوا عن الإيمان بعد علمهم به، ولم يهدهم الله لجحدهم آياته، ولم يثبتهم على الدين الحق، إضافة إلى طبعه على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم فلا يهتدون، بل يستمرون في غيِّهم وغفلتهم.

وهذه النقم على انفرادها من أعظم موانع الفوز بالخير، فكيف بها كلها![٣] .

فلما اجتمعت بهم هلكوا، وكانوا من الذين غبنوا أنفسهم حظوظها، بأن صرفوا أعمارهم فيما يودي بهم إلى العذاب المخلد ، وفاتهم النعيم المقيم[٤] .

ورماهم الله بالغضب وحكم عليهم بالخسران؛ لأن أمور الآخرة لا يجوز أن تكون موضع مساومة، وحساب للربح والخسارة، فيقنع صاحبها بالدنيا، ويستحبها على الآخرة، اغتراراً بها ، وتأثراً بالمؤثرات، ويُضيِّع قلبه.

---

(١) أخرجه ابن جرير، (١٥٧/٣٠).

(٢) تفسر القرآن العظيم، (٥٠٢/٤).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب للرازي ، (١٠٠/٢٠).

(٤) انظر: جامع البيان ، (١٨٢/١٤-١٨٣)، تفسير ابن كثير، (٥٨٨/٢)، تفسير المراغي، (٢٦٢/٥).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

لكنهم اغتروا بملذات الدنيا، وتركوا الدين بعدما استقر في قلوبهم، لأجل تلك الملذات، فآثروا الكفر على الإيمان، والضلال على الهدى، فثقلت قلوبهم بما يصرفها عن الإيمان، ففقدوا الاستعداد للخير والفلاح، وخسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة؛ لأن المرء في هذه الحياة كالتاجر الذي يشتري بطاعة ربه سعادة آخرته، وإن لم يفعل كما فعل هؤلاء المكذبين عظم خسرانه[١] ، وظهر غبنه لأنه ضيع رأس ماله ، وعاد ذلك عليه بالوبال والنكال في جهنم، وبئس القرار ، والعذاب الذي لحقهم، والهلاك إنما هو بسبب استحبابهم الدنيا وإيثار حظوظها على الآخرة[٢] ، قال ابن تيمية: (جعل استحبابهم الدنيا على الآخرة هو الموجب للخسران)[٣] .

فأكبر كارثة تصيب الإنسان هي محبته للدنيا محبة تجعله متهافتاً عليها، منصرفاً عن طاعة الله ، متناسياً زوالها، ومجيء يوم الحساب[٤]،

وأكبر خسارة خسارة المرء بسبب استحبابه الدنيا، وهذه خسارة فادحة؛ لذا نبذ الرسول r الدنيا وراء ظهره هو وأصحابه، وهجروها وعدوها سجناً لا جنة[٥] ، ولم يبيعوا حظهم من الآخرة رغبة في الفلاح والظفر ، يقول الرسول r : (ما الدنيا في الآخرة إلا مثلما يجعل أحدكم أصبعه في اليم، فلينظر بماذا ترجع)[٦] .

فتركوا الدنيا وباعوها بالآخرة، لكمال إيمانهم وعقولهم، حيث أن إيثار الدنيا إنما ينشأ من فسادٍ في الإيمان، أو في العقل[٧] .

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب للرازي، (٢٠/١٠٠).

(٢) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، (٤/١١٨)، دار الفكر، بيروت - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، بدون ، عمدة القاري، للعيني ، (٢٤/٧٨)، الكشاف للزمخشري، (٢/٥٩٥)، تفسير المراغي، (٥/٢٦٢)،

(٣) مجموع الفتاوى، (٧/٥٦٠)، وانظر: إعلام الموقعين، لابن القيم، (٢/٢٩٦-٢٩٧).

(٤) انظر: الحياة الدنيا في القرآن الكريم، لمحمد كامل حسن، (١٣-١٤).

(٥) في الحديث: (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر). أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، (٤/٢٧٢٢)، ح(٢٦٥٦).

(٦) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد، باب ما جاء في هوان الدنيا على الله، (٤/٥٦١)، ح(٢٣٢٣)، وقال: حسن صحيح، وابن ماجة في كتاب الزهد، باب مثل الدنيا، (٢/١٣٧٦)،ح(٤١٠٨)، وأحمد في مسنده، (٤/٢٢٩)، ح(١٨٠٤١)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، (٢/٥٣٢) ح(٢٣٢٠).

(٧) انظر: الفوائد لابن القيم، (٩٤-٩٥).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

فلنقتدي بهم، وليرغب كل امرئ في الآخرة، ويزهد في الدنيا، وليتأمل فناء الـــدنيا وغصصها، وبقاء الآخرة وخيراتها، ويجعل نُصْب عينيه قوله تعالى:] & ') Z[الأعلى:١٧]، وقوله r : (ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيمـــا في أيـــدي النـــاس يحبوك)[١]، ليفلح في دنياه وأخراه.

(١) أخرجه ابن ماجة في كتاب الزهد، باب الزهد في الدنيا، (١٣٧٣/٢)،ح(٤١٠٢)، ، وصححه الألبـــاني في السلسلة الصحيحة، (٦٢٤/٢)،ح(٩٤٤).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المطلب الخامس

التفاخر بالأموال والأولاد، والانشغال بها عن ذكر الله

لما كان الانشغال بالدنيا من أسباب الخسارة - كما في المبحث السابق - ، كان من المناسب الحديث عن بعض مظاهر الانشغال بالدنيا، والتي تعلقت بها قلوب كثير من الناس، ولعلها فطرة الله التي فطر الخلق عليها،] 3 4 5 6 7 8 9 : ; > = < Z[الأعراف: ٣٢] .

ومن أهم مغريات الدنيا وزينتها: المال والولد ، قال تعالى:] ! " # $ % Z[الكهف: ٤٦]، فالمال عصب هذه الحياة، أداة التفاعل بين الناس، والأولاد هم ثمرة القلب، وقرة العين، وسلوة الروح من متاعب الحياة وهمومها، مشاهدتهم تسر القلب، وتبهج الفؤاد[١] ، ومحبة الولد فضيلة من فضائل الفطر الإنسانية، بل الغريزة الحيوانية. [٢]

وأثبت الواقع أن الناس عندما يضعف إيمانهم يفتنون بالمال والولد عن الطاعة لله U ، فينخدع البعض منهم، فيؤثر المال ويقدمه على حقوق الله U، ولا يبالي بحلٍ ولا حرمة، ويحرص على جمعه بأي طريقةٍ كانت ، وبأي وسيلة تهيأت، فوقعوا في الربا والغش، واستمتعوا بالمال في الحرام، فعظمت المصيبة.

وانشغل البعض منهم بفتنة الولد، فحرصوا على الكسب الحرام لأجل أولادهم، وبخلوا عن البذل والإنفاق، وأهملوا الفرائض والطاعات وذكر الله، لأجل الأولاد، والانشغال بشأنهم، فحق وصفهم في كتاب الله بالأعداء، والتحذير منهم، قال تعالى:]

---

(١) انظر: مقال: كيف يستثمر المسلم ماله بعيداً عن شبهات الربا، للدكتور حسين شحاته، من موقع دار المشورة الذي يشرف عليه الدكتور حسين شحاته، والمنشور أيضا في مجلة الاقتصاد الإسلامي، العدد (٢٨٩)، ربيع الآخر، ١٤٢٦هـ.

(٢) انظر : تفسير القرآن الكريم، لمحمد رشيد رضا، (٢٣/١٢)، الطبعة الثانية، دار المعرفة - بيروت - بدون.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

b a ` _ ^] \ [Z Y

Z[التغابن:١٤] .

غير أن المؤمن يدرك أن هذه الغريزة، في حب المال والولد إنما تكون في دائرة العبودية لله، وأن ما عند الله أعظم، فإن رزقه الله الولد ربّاه على طاعة الله، وإذا رزقه الله المال جعله في سبيل الله، ولم يطلبه إلا من أوجه الحلال(١) .

والانشغال بالمال والولد، والإقبال على الدنيا من آفات ومعوقات الطريق إلى الله، فيُصدم بها البعض، ويعجز عن مواجهتها، فيفتر عن العمل كسلاً أو انقطاعاً، وهذا سر تنبيه القرآن الكريم وتحذيراته المتكررة في أكثر من آية من فتنة المال والولد؛ لأنه سبحانه يعلم أن الحرص على الأموال والأولاد لدى النفس - كما هو من آفات الطريق إلى الله - من أعمق مواطن الضعف فيها، فقال سبحانه : [p o n m

H G F E D C B A [Z[التغابن: ١٥]، وقال:

I J Z[الأنفال:٢٨] (٢). فتنة باعتبار ما ينال الإنسان من الاعتبار بهم ويجوز أن يكون المراد الإثم والعذاب، لأنهم سبب الوقوع في ذلك(٣) .فإذا لم يتنبه المؤمنون إلى ما عند الله من الأجر العظيم، ولم يوازنوا بين ما بأيديهم من مال وولد، وبين ما عند الله، وركنوا إلى أموالهم وأولادهم، والتهوا بها عن ذكر الله، عندئذ تكون الخسارة المحققة الماحقة، يقول تعالى: [u t s r q p o n m

Z[المنافقون:٩].

(١) انظر: مقال: المال والبنون زينة الحياة الدنيا، لأحمد حسن محمد، (٧٨-٧٩)، مجلة الحرس الوطني، ربيع الأول - ربيع الآخر، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، (العدد٢٨٨) بتاريخ ١-٤-٢٠٠٦م.

(٢) انظر: آفات على الطريق، للسيد محمد نوح، (١٩/١)، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م - دار اليقين ، مصر.

(٣) انظر: محاسن التأويل للقاسمي، (٤٠/٨).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

فينهى الله عباده المؤمنين أن يكونوا مشابهين لفعل أهل النفاق[١] ، وأمرهم بـــذكره وأداء فرائضه، وأن لا يصرفهم عن ذلك زخرف هذه الحياة من مال وولد[٢] ؛ لأن محبـــة المال والأولاد جُبلت عليها أكثر النفوس، وقد يقدمها البعض علـــى محبـــة الله، فتكـــون الخسارة العظيمة، لذا حذر الله المؤمنين من الانشغال بالمال والولـــد، والالتـــهاء بتـــدبير أموالهم، وطلب النماء فيها بالتجارة، والعناية بشؤون أولادهم عما خُلقوا له من طاعة الله وذكره، وأداء فرائضه، وقراءة القرآن والتسبيح والتحميد، وتوعد مـــن تلـــهَّى بالـــدنيا وزخرفها، وانشغل بها بغضبه ، وكونه من الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يـــوم القيامة، و(غبنوا حظوظهم من كرامة الله)[٣]؛ إذ باع العظيم بالحقير، والخالـــد بالفـــاني، وكيف يرضى لبيب بتجارة خاسرة كهذه[٤] ، وصيغ الكلام في قوله تعالى:] q p [Z t s r في قالب توجيه النهي عن الإلهاء عن الـــذكر إلى الأمـــوال والأولاد، والمراد نهي أصحابها، مبالغة في نهي أصحابها من الاشتغال بسببها عن ذكر الله[٥] .

وفي التعريف بالإشارة في قوله تعالى:] Z S R Q [، وحصر الخسران فيهم بـــ(ال) الداخلة على كلمة] Z S [، وتوسيط ضمير الفصل ما لا يخفى من المبالغة[٦].

وخص النهي عن الاشتغال بالأموال والأولاد تحديداً:

- لأن الأموال كما تشغل عن ذكر الله بإضاعة الوقت في كسبها ونمائها، تـــشغل عن ذكره أيضاً بترك الإنفاق منها في وجوه الخير.

---

(١) نلحظ أن الآية جاءت في سورة (المنافقون)، إشارة إلى أن هذا الفعل من صنيع المنافقين، فمع ما في الانشغال بالأموال والأولاد عن ذكر الله من خسارة، ففيه مشابهة لفعل المنافقين.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، (١٢٩/١٨).

(٣) جامع البيان لابن جرير، (١١٧/٢٨).

(٤) انظر: الكشاف ، (٤٥٤/٤-٤٥٥)، تيسير الكريم الرحمن ، (٨٦٥)، تفسير المراغي، (٩٨/١٠).

(٥) انظر: أنوار التنزيل ، (٣٤٣/٥)، التحرير والتنوير، (٢٥١/٢٨).

(٦) انظر: روح المعاني للألوسي، (١١٧/٢٨).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

- ولأن الاشتغال بالأولاد وتدبير شؤونهم، وقضاء الأوقات في الأنس بهم من شأنه أن يُنسي تذكر أمر الله ونهيه في أوقات كثيرة.

فالشغل بهذين أكثر من غيرهما[١] .

والمال والولد إن أُغفل أنهما وسيلة لغاية ، وانشغل المرء بهم عما خُلق له، أصبحوا سببا من أسباب الخسران، ولما صاروا سبباً للخسران - بالانشغال بهم عن الدين، واستعمالهم في الكفر والفساد – صاروا كأنهم محض الخسار[٢] ، يقول تعالى:] d c Z o n m l k j i h g f e [نوح:٢١].

فيخبر نبي الله نوح u ربه أن قومه عصوه، وأنكروا دعوته بعد كل العناء في توجيههم، واتبعوا رؤساءهم وكبرائهم وأهل الثراء الذين غفلوا عن أمر الله، واغتروا بالأولاد، وبطروا بالأموال في الضلال والإضلال، واستعملوها في الكفر، فكان ذلك زيادة في شقائهم وخسرانهم خروجاً عن الصواب والحق إلى الضلال، وبعداً عن رحمة الله وهلاكاً، فخسروا الدنيا والآخرة، ولو لم يكن لهم أموال ولا أولاد لكانوا أقل ارتكاباً للفساد[٣] ، فإن البسط لهم في الدنيا بذلك كان سبباً لطغيانهم وبطرهم ، ومن ثَمَّ خسرانهم، وعقوبة الخسران متناسبة مع عظم معصيتهم.

وانشغال قوم نوح u بالمال والولد كحال معظم البشر، الذين يتطلعون إلى هاتين النعمتين، ويسعون جاهدين في الحصول عليهما، إشباعاً لشهواتهم، وإرضاءً لتطلعاتهم، يقول تعالى:] p q r s t u v w x y z { | } ~ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ Z [آل عمران: ١٤]، ثم أخبر سبحانه عما هو خير من هذا المتاع، وهو الثواب العظيم لمن لم تشغله الملذات عن دار الآخرة ترغيباً في فعل

---

(١) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، (٢٨/٢٥١).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب ، (٣٠/١٢٦)، أضواء البيان ، (٨/٣١٢)، التحرير والتنوير ، (٢٩/٢٠٧).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير، (٤/٤٢٧)، أنوار التنزيل ، (٥/٣٩٤-٣٩٥)، الجامع لأحكام القرآن ، (١٨/٣٠٦)، إرشاد العقل السليم ، (٩/٤٠).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الطاعات، يقول سبحانه:] قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ ¶ µ ´ ¸ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ Z[آل عمران: ١٥].

ويقول في آية أخرى :] { ~ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ © صَالِحًا Z[سبأ: ٣٧]، ويقول جل شأنه:] : ; < = > ? @ Z F E D C B A[الشعراء: ٨٨-٨٩].

وغيرها من الآيات المبينة بأن مجرد تملُّك المال والولد ليس بمنجٍ من العذاب ما لم يقارنه عمل صالح.

وما ينبغي التنبه إليه وفهمه هو أن الإسلام لم يَدْعُ أتباعه إلى التخلص من المال والولد بالكلية، والإقبال على الله وذكره فقط، بل امتازت ملة الإسلام السمحة بالجمع بين هذا وهذا، فلم تطلب من المؤمنين أن يكونوا ماديين كاليهود، ولا أن يكونوا روحانيين متجردين من ملذات الدنيا، متبتلين كما يفعل رهبان النصارى، بل وازنت بين الروح والجسد، ولم تجعل أحدهما يطغى على الآخر، ولعل ما يعكس تلك الرؤية هو قوله تعالى:] وَابْتَغِ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ Z[القصص:٧٧] فلا يمنع العبد نفسه من المباحات كملاعبة الأولاد وقضاء حوائجهم، ولا يمنع نفسه من كسب المال الحلال بالأوجه المعروفة[١] .

تقديم المال على الولد:

نلحظ تقديم المال في الذكر على الولد في قوله تعالى:] s r q p l k j i h Zw v u t[المنافقون:٩]، وقوله تعالى:] p o n m Z[نوح:٢١]، وليس في هاتين الآيتين فقط، بل هذا ملاحظ في كل آيات القرآن تقديم المال على الولد إذا اجتمع ذكرهما، كقوله تعالى:] C B

(١) انظر: آفات على الطريق، للسيد محمد نوح، (١/٢٧-٢٨).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

[% $ # " !] F E D Z[الفتح:١١]، وقوله تعالى: [N M L K] Z[الكهف:٤٦]، وغيرها من الآيات، إلا في قوله تعالى: [V U T S R Q P O] Z ^] \ [Z Y X W Z[التوبة:٢٤]، فقدم فيه ذكر الولد على المال؛ لأن المقام مقام حب، ولا شك أن الأبناء أحب من المال، وفي قوله تعالى: [x w v u t s r q p] Z ~ } | { z y وَٱلۡحَرۡثِۗ Z[آل عمران: ١٤]؛ لأن حب النساء والبنين مقصد، وحب المال وسيلة، لا يجعله مقصداً إلا من أعمته الفتنة عن الحقيقة[١] ، ولأن المال مناط ببقاء النفس، والبنين لبقاء النوع، والحاجة إلى المال أمس من الحاجة إلى الأولاد، ولعمومه بالنسبة إلى الأفراد والأوقات، فإنه زينة لكل أحد من الآباء والبنين في كل وقت، أما الأولاد فزينتهم لمن بلغ الأبوة فحسب.

وعلة تقديم المال على الولد[٢] :

- إما لأن الأموال يكثر إقبال الناس على إنمائها، فينشغلون بها أكثر من انشغالهم بالأولاد.
- أو لأن المال أشد فتنة؛ والمشاهد في حياة الناس افتتانهم بالمال أكثر من الولد، وما خراب ذمم الناس، والرشاوي والربا إلا بسبب المال.
- أو لأن المال هو ما يحاسب عليه المرء مرتين، مرة عند اكتسابه، ومرة عند إنفاقه، لحديث: (لا تزول قدما عبد يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به)[٣] .

---

(١) انظر: تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا، (٢٤٣/٣).

(٢) انظر: ، إرشاد العقل السليم، (٢٢٥/٥)، روح المعاني ، (١٢٧/٢٨)، التحرير والتنوير ، (٢٥١/٢٨)، (٣٣٣/١٥).

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة، باب في القيامة، (٥٢٩/٤)، ح(٢٤١٦)، وقال حسن صحيح،

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

- أو لأن المال هو فتنة هذه الأمة وهلاكها، ففي الحديث: (إن لكل أمـــة فتنـــة، وفتنة أمتي المال) [١].

وكم من تقصير في الطاعة، وفعل المعاصي والمحرمات إن فتّشنا عن سببه، وجدنا أن وراءه انشغال بالولد أو بالمال، ولو رأينا حرص الناس على ذلك، وغفلة أكثرهم عن الدين أعلناً حقاً أنهم :] . / 0 1 2 3 4 5 6 7 Z[الروم: ٧].

وبئس الحرص هذا إن أدّى إلى تضييع العهد، والتفريط في الأمانة[٢].

والعاقل من أقام أمور دنياه على شرع الله، و لم يفرح بما آتاه الله فرحاً ينسيه شكر الله، ويصرفه عن استعمالها وفق ما أمر الله، و لم ينسَ أن هذه الزينة مـــا هـــي إلا متـــاع الغرور[٣].

وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، (٢/٦٢٩)،ح(٩٤٦).

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد، باب ما جاء أن فتنة هـــذه الأمـــة في المـــال، (٤/٥٦٩)، ح(٢٣٣٦)، وصححه الحاكم (٤/٣٥٤)،ح(٧٨٩٦)، وقال: صحيح الإسناد و لم يخرجاه. ووافقه الذهبي، (٤/٣٥٤) ، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، (٢/٥٣٩).

(٢) انظر: الأخلاق الفاضلة قواعد ومنطلقات لاكتسابها، لعبدالله ضيف الله الرحيلـــي، (٩٩)، الطبعـــة الأولى، ١٤١٧هـــ - ١٩٩٦م - بدون.

(٣) الحياة الدنيا في القرآن، محمد كامل حسن، (١٦).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المطلب السادس
تحريم ما أحل الله

الحرام هو الممنوع منه، إما بتسخير إلهي، أو بمنع قهري، أو بمنع من جهة العقل أو جهة الشرع، أو من جهة من يؤتمر بأمره ويقابله الحل أو الحلال(١).

والحلال والحرام هو قوام الإسلام، ودليل الإيمان، فلا إيمان بلا عمل، ولا عمل إلا بمقتضى الأمر والنهي، والتحليل والتحريم تشريع، وهو حق من حقوق الله تعالى وحده، وليس حق أحد من خلقه أياً كانت درجته، فـ(لا حرام إلا ما حرّمه الله، ولا دين إلا ما شرعه الله)(٢)؛ فهو لله، وليس لأحد أن يقول أو يصرح بهذا في عين من الأعيان(٣) ،ومن انتحل التحريم والتحليل لنفسه فقد تجاوز حدّه، واعتدى على حق الربوبية في التشريع للخلق، ومن اتبع ذلك فقد اتخذه ربّاً(٤)، وجعله شريكاً لله، قال تعالى:] { ~ **شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ** © Z[الشورى: ٢١]، ولا يخرج حكمه عن أحد الأحكام الثلاثة:

إما أن يتابعهم راضيا بقولهم، ساخطا لحكم الله فهذا كافر، أو يتابعهم راضيا بحكم الله عالما أنه أمثل وأصلح للعباد ، ولكن لهوى في نفسه اختاره فهذا لا يكفر لكنه فاسق، أو يتابعهم جهلا منه، وظنا منه أنه حكم الله ، فإن كان يمكنه معرفة الحق بنفسه فهو مفرط وآثم، وإلا فلا شيء عليه. (٥)

(فالشرك وتحريم الحلال قرينان)(٦) ، يقول r فيما يرويه عن ربه: (إني خلقت عبادي حنفاء، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم(٧) من دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت

---

(١) انظر في مادة حرم: المفردات للراغب ، (١١٤)، عمدة الحفاظ للسمين الحلبي، (١/٤٥٧-٤٥٨).
(٢) مجموع الفتاوى، (٢٠/٣٥٧).
(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، (١٠/١٩٦).
(٤) انظر: تفسير المنار لمحمد رشيد رضا، (٧/٢٧-٢٨).
(٥) انظر: القول المفيد لابن عثيمين، (٢/١٥٧-١٥٨).
(٦) إغاثة اللهفان لابن القيم، (١/١٥٧).
(٧) أي: استخفوهم، فذهبوا بهم، وأزالوهم عما كانوا عليه. انظر: شرح النووي على صحيح مسلم،

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

لهم، وأمرهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً)[١] . وكان السلف لا يطلقون الحرام إلا على ما عُلم تحريمه قطعاً، لعلمهم أن التحريم على العباد إنما هو حق ربهم عليهم، و إذا ما نيط بغير الله كان إشراكا[٢].

ومن حرّم شيئاً مما أحله الله فقد افترى على الله الكذب، قال تعالى: [m l ~ } | { z y x w v u t s r q p o n ﷺ Z[يونس: ٥٩]، والمفتري على الله ظالم قال تعالى: [P O N M ﷺ Z[آل عمران: ٩٤]، ولا يفلح : [ﷺ Z[يونس:٦٩]، وهو معتدٍ على حق الله في التحليل والتحريم وعلى حقوق الناس بتحريم النعم[٣]، يقول تعالى: [b a ﷺ Z[المائدة: ٨٧].

وكما نهى الله عباده المؤمنين - في الآية السابقة - عن تحريم الحلال نهى نبيه محمداً r عن ذلك[٤] فقال: [! " # $ % & ' (| * + , Z[التحريم:١].

(١٩٧/١٧).

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجنة، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، (٢١٩٧/٤)، ح(٢٨٦٥).

(٢) نقل هذا القول ابن مفلح عن شيخ الإسلام ابن تيمية. انظر: الآداب الشرعية والمنح المرعية، لأبي عبدالله محمد بن مفلح المقدسي، (١٣٧/١)، مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، الطبعة الثانية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعمر القيام ؛ تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا، (٣٧٠/١٠).

(٣) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، (١٧/٧).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى، (٣٢٩/٣٥) .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وعاب الله على اليهود تحريم الإبل التي أحلها لهم[١]، فقال U :] 3 4

| C B A @ ? > = < ; : 9 8 7 6 5

Z[آل عمران: ٩٣]، ونعى على المشركين جهالتهم وضلالتهم في تحريم ما رزقهم الله من الطيبات افتراءً على الله، مبيناً عظم جنايتهم ، وسفاهة عقولهم، يقول سبحانه: W [

g e d c b a ` _ ^] \ [Z Y X

Z[الأنعام:١٤٠]. فحكم عليهم سبحانه وعلى من عمل k j i h

هذا الجرم بالخسر والضلال والهلاك في الدنيا والآخرة، في الدنيا بتضييقهم على أنفسهم وفي أموالهم، وردهم كرامة ربهم، وعدم اكتفائهم بذلك، بل وصفهم لها بأنها حرام افتراءً على الله، وتحريمهم أشياء ابتدعوها من تلقاء أنفسهم.

وفي الآخرة بصيرورتهم إلى أسوأ المنازل بكذبهم على الله[٢]؛ لأنه لم يكن فعلهم هذا تبعاً للشرع، بل تأثراً بوساوس الشيطان، وتبعاً لأهوائهم الفاسدة، وقصوراً في عقولهم، وجهالة بما لهم وعليهم، وحماقة منهم في منع أنفسهم تلك المنافع والطيبات، وقلة فهم منهم بعاجل ضرره وآجله من عظيم عقاب الله[٣].

قال ابن تيمية : عامة ما ذم الله به المشركين في القرآن الشرك والتحريم، [!

2 1 0 / . - , + *) (' & % $ # "

Z 5 4 3[النحل:٣٥][٤].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، (٣٨٢/١)، تيسير الكريم الرحمن، (١٣٨).
يقول ابن تيمية: ابتدع اليهود التحريمات الباطلة، وهو الغالب عليهم، بل أصل دينهم فيه الأغلال والآصار من التحريمات، ولهذا قال لهم المسيح : (ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم) [آل عمران: ٥٠]. انظر: مجموع الفتاوى، (٨٧/١).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، (١٨٢/٢)، تيسير الكريم الرحمن، (٢٧٦).

(٣) انظر: جامع البيان ، (٥١/٨)، تفسير المراغي، (٢١٦/٣-٢١٧).

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم، (٢٦٩).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ويرى القاسمي[١] أن التعميم الذي ذهب إليه المفسرون من حمل الخسران على ما يشمل الدارين أنه وإن كان حقاً إلا أن الأظهر حمله على الآخرة، لأجل التوفيق بين هذه الآية ونظائرها، كقوله تعالى:] قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ Z [يونس:٦٩-٧٠][٢].

وقوله هذا مخالف لعموم الآية، إذ الآية نصت على الخسران و لم تقيده فيبقى على عمومه، و نصوص الوحي تحمل على عموم ألفاظها ما لم يرد نص بالتخصيص، فتشمل الخسارة هنا خسارة الكفار في الدنيا والآخرة، حيث في الدنيا ضيقوا على أنفسهم وعلى أهليهم وحرَّموا الحلال، وفي الآخرة بكونهم في أسوأ المنازل وأرداها لكذبهم على الله [٣].

وتحريم الحلال لم يكن مقصوراً على المشركين، فقد فُتن به كثير من العُباد، زعماً منهم أنه كمال للنفس، وذلك بحرمان الجسد من اللذات.

وهو من العبادات المأثورة عند قدماء الهنود، وقلّدهم فيه أهل الكتاب ولاسيما اليهود فجاءت الشريعة الإسلامية بإباحة الطيبات وتحريم الخبائث، وأعطت الجسد حقه والروح حقها[٤].

وجاءت مقولة سيد البشر r جواباً شافياً عندما قال: (لكني أصوم وأفطر، وأنام وأقوم، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني)[٥].

---

(١) جمال الدين بن محمد بن سعيد بن قاسم القاسمي، عالم مشارك في أنواع العلوم، إمام الشام في عصره، له تصانيف كثيرة، منها: محاسن التأويل في تفسير القرآن، دلائل التوحيد، فن التحديث، توفي سنة ١٣٣٢هـ. انظر: الأعلام للزركلي، (١/١٣٥)، معجم المؤلفين لعمر كحالة، (٣/١٥٧).

(٢) انظر: محاسن التأويل للقاسمي، (٦/٧٤٠).

(٣) انظر: قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله U، لعبدالرحمن حسن حنبكة، الميداني، (٥٩)، دار القلم - دمشق - الطبعة الثانية ١٤٠٩، قواعد الترجيح عند المفسرين، لحسين علي الحربي، (٢/١٦٦).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى، (١/٨٧)، تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا، (٧/١٩-٢٠).

(٥) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، (٤/١٩٤٩)، ح(٤٧٧٦)، ومسلم في كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنه، (٢/٢٠١٠)،ح(١٤٠١).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

فليتق الله من يتجرؤون على الله فيحللون ما حرمه، ويحرمون ما أباحه، ولكن الأصل الكتاب والسنة، لا التقليد الأعمى ، ولا التعصب المذهبي(١).

يقول الإمام أحمد : عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته، ويذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول:] f e d c b a ` _ ^] [Z h g[النور: ٦٣](٢).

وليعلموا أن الشرع المطهر لم يحرم شيئاً إلا لمصلحة، وعوض عنه أمته ما يسد مسده.

وقد يُعزى الفساد الذي تعاني منه البشرية اليوم إلى تدخل الإنسان في التحليل والتحريم، وهذا إفساد وتطاول على الشرع، مع أن الله قد أتمّه :] M L K Z U T S R Q P O N[المائدة:٣٠]، وهو سبحانه أعلم بما شرع :] o p q r Z[فاطر:١٤].

تحريم الحلال وتحليل الحرام:

تحريم ما أحل الله لا ينقص إثماً عن تحليل ما حرم الله، فلا فرق بينهما، إلا أن تحليل الحرام فيما الأصل فيه الحل أهون من تحريم الحلال؛ لأنه إن لم يتبين تحريمه فهو على الأصل وهو الحل والإباحة(٣).

قال ابن تيمية : (ما ذمه الله تعالى وعاقب عليه من ترك الواجبات، أكثر مما ذمه الله وعاقب عليه من فعل المحرمات)(٤).

---

(١) انظر: القول المفيد لابن عثيمين ، (١٥٢/٢).

(٢) انظر: مجموع مؤلفات محمد بن عبدالوهاب: كتاب التوحيد، (٧٢/٦).

(٣) انظر: الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي، لعلي عبدالكافي السبكي، (٢٥٣/٢)، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ- دار الكتب العلمية - بيروت، التحبير شرح التحرير في أصول الفقه، لأبي الحسن علي بن سليمان المرداوي، (٣٨٤٤/٨)، مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢١-٢٠٠٠م، تحقيق: عبدالرحمن الجبرين وعوض القرني وأحمد السراح.

(٤) مجموع الفتاوى، (١١٥/٢٠).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المطلب السابع
الصد عن سبيل الله

هذه الأمة مبعوثة للدعوة إلى الله؛ وقد تلقى الصحابة رضوان الله عنهم أساليب ووسائل[١] الدعوة من رسول الله عليه الصلاة والسلام، وضحُّوا براحتهم في سبيل نشر الدين، ثم سار من بعدهم من السلف على نهجهم[٢].

وفي مقابل هذا تصدّى للدين والدعوة أناس بذلوا الغالي والرخيص، وأفنوا أعمارهم وأموالهم في محاربة الدين والصد عنه، ومنع الناس من اتباعه، وتزيين الباطل والسوء في نفوس الناس على مر الأزمان.

والمراد بالصد والصدود الانصراف عن الشيء والامتناع، أو الصرف والمنع[٣].

وسبيل الله هو دينه الذي أمر باتباعه للوصول إلى مرضاته، وهو يشمل (كل عمل خالص سُلك به طريق التقرب إلى الله تعالى، بأداء الفرائض، والنوافل، وأنواع التطوعات)[٤]، ولذلك فُسر بالدين، والإسلام، والإيمان، والجهاد، والحج والعمرة، وكل ما هو بر وطاعة لله، ولخص صاحب المنار كل ذلك بقوله: (سبيل الله هو طريق معرفته الصحيحة، وعبادته القويمة التي ترضيه)[٥].

---

(١) الفرق بين الأسلوب والوسيلة:
الوسيلة في اللغة: القربة، وفي الاصطلاح: هي كل ما يتم به تبليغ الأساليب، وحملها إلى المدعوين. والأسلوب في اللغة: هو الطريق والوجه والمذهب، وبالضم الفن، وفي الاصطلاح : هو الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه، واختيار مفرداته. والفرق بينهما أن الوسيلة أعم من الأسلوب، إذ أنها الأداة التي تنقل الأسلوب وتوصله للناس .
انظر: مادة وسل: لسان العرب لابن منظور، (١٣٤/١١)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس، (١١٠/٦)، وفي مادة سلب، انظر: لسان العرب لابن منظور، (٤٧٣/١)، وتهذيب اللغة للأزهري، (٣٠٢/١٢).
وانظر: خصائص القرآن الكريم، لفهد الرومي، (١٨)، دار طيبة - الرياض، الطبعة السابعة ، ١٤١١هـ.

(٢) انظر: مختصر الفقه الإسلامي، لمحمد التويجري، (١٠٠٩، ١٠١٢).

(٣) انظر في مادة صدد: المفردات للراغب، (٢٧٥-٢٧٦)، عمدة الحفاظ للسمين الحلبي، (٣٧٢/٢).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، مادة سبل، (٢٣٨/٢-٢٣٩).

(٥) تفسير المنار لمحمد رشيد رضا، (٤٠١/١٠).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وجاء الصد في أكثر آيات القرآن الكريم مقترناً بسبيل الله إما صريحاً أو ضمناً، وذكر القرآن أصنافاً أربعة ممن يصدون الناس عن سبيل الله، وهم: النفس، والشيطان، والكفار - ويشمل أهل الكتاب والمشركين - ، والمنافقون.

والظالمون جمعوا بين الصدودين: الانصراف عن الحق، وصرف الناس عن متابعة الحق والإيمان، وسلوك طريق الهدى، يقول تعالى معاتباً أهل الكتاب ومعنفاً لهم:] قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ Z[آل عمران:٩٩]، لأنهم صدُّوا عن سبيل الله بجهدهم وطاقتهم من أراده من أهل الإيمان، مع علمهم بأن الدين الذي جاء به محمد r هو الدين الحق(١).

وتوعد الكافرين بالعذاب الشديد لصدهم الناس عن سبيل الله التي نصبها لعباده، وبينها لهم في كتبه وعلى ألسنة رسله(٢)، يقول جل شأنه:] N O P Q \ [Z Y X W V U T S R] ^ _ ` a b c d e Z[إبراهيم:٢-٣].

وقال عن المنافقين:] @ A B C D E F G H I J K L M N Z[النساء:٦١]، وقال في حق الشيطان:] 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A Z [المائدة:٩١]، وكل من صد عن سبيل الله وأطيع في معصيته فهو شيطان(٣)، وقال سبحانه:] D E F G H I J K L M N O P Z[التوبة:٣٤].

---

(١) انظر: تفسر ابن كثير، (٣٨٨/١).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن، لابن سعدي، (٤٢١).

(٣) انظر: تفسر الثعلبي، لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، (١٣١/٧)، دار إحياء التراث العربي، لبنان - ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م، الطبعة الأولى، تحقيق: أبو محمد ابن عاشور، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، (٢٦/١٣).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ولعن الذين يصدون عن سبيل الله، وأثبت خسرانهم الذي لا يشابهه خسران، فقال:

] ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾ ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J K L Z[هود:١٩-٢٢].

فهم منعوا متابعة الناس للإيمان، ووصفوا سبيل الله بالعوج والالتواء للتنفير منها،أو يريدونها أن تكون عوجاء بموافقتها لأهوائهم[١]، وحسنوا الباطل وقبحوا الحق قبحهم الله[٢]، وما كانوا يعجزون الله أن يعاقبهم بالدمار والخسف في الدنيا قبل الآخرة، وإنما تركهم لعذاب الآخرة ليستوفوا عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، وليضاعف لهم العذاب جزاء إضلالهم غيرهم كما ضلوا بأنفسهم، قال تعالى:] ! " # $ % & ' ( ) * + , - Z[النحل:٨٨].

وهم الأخسرون لجمعهم خسارة الدنيا والآخرة حيث أرادوا الربح[٣]، وخسروا أنفسهم وغبنوها حظها من رحمة الله بضلالهم وإضلال غيرهم، وخسروا سعادتها وراحتها، وتركها عبادة ما خُلقت له، وتفويتها أعظم الثواب، وفي الآخرة هم أخسر الناس بالخزي الذي ينالهم، وبالعذاب الذي يلحقهم، إذ باعوا الباقي بالفاني، والمغفرة بالعذاب حينما دسوا أنفسهم وما زكوها[٤].

فلا تعدل خسارتهم خسارة، وقد أضاعوا أنفسهم دنياً وأخرى، يقول الألوسي: (لا أحد أبين أو أكثر خسراناً منهم، فأفعل للزيادة إما في الكم أو الكيف)[٥].

---

(١) انظر: محاسن التأويل ، (١٠٩/٩)، تفسير المنار ، (٥٥/١٢).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي، (٣٧٩).

(٣) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، (٣٩/١٢).

(٤) انظر: تفسير ابن كثير، (٤٤٢/٢)، تفسير المراغي، (٣٠٤/٤-٣٠٥).

(٥) روح المعاني، (٣٣/١٢).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وهذه عادة أهل الكفر الصد عن دين الله، وترك الاستقامة؛ لأنهم يريدون ملة الناس عوجاء؛ وما تُنتج العبودية لغير الله إلا العوج في كل جوانب الحياة، إذ هي تنشئ الذلة في النفوس، والظلم في الحياة، والله تعالى يريد للنفس كرامتها، وأن تقيم على العدل حياتها.

لكن أهل الكفر - ولا يزالون - يسعون لنقض العبودية لله، ويكيدون وينفقون من أموالهم للصد عن اتباع محمد r وهو سبيل الله - كما بينا - ، مبارزة منهم لله ولرسوله، وسعياً في إطفاء نوره، فكانت عاقبة هذا الإنفاق الحسرة والندامة، لذهاب المال وفوات حصول المقصود، وحصول الغلبة عليهم(١)؛ يقول تعالى في شأن شقاء أهل الكفر المنفقين للصد عن سبيله :] G H I J K L M N O

\ [Z Y W V U T S R Q

h g f e d c b a ` _ ^]

i j k l m o p q r Z[الأنفال: ٣٦-٣٧]، وعذابهم ضياع المال والهزيمة في الدنيا، وفي الآخرة يساقون إلى جهنم إن هم أصروا على كفرهم، لأنه] ´ µ ¶ ¸ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ Z[فاطر:٤٣].

وقد كتب الله الغلبة لأوليائه المؤمنين، وكتب الخذلان لمن قاتلهم وصدهم عن سبيله، والحسرة في نفوسهم، ليميز الكفر من الإيمان، وأهل السعادة من أهل الشقاء، وليميز ما أنفقه المشركون للصد عن سبيل الله(٢)، من الذي أنفقه المؤمنون في سبيل الله.

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، لابن سعدي، (٣٢٠).

(٢) ذكر ابن جرير وغيره من المفسرين أسباب نزول هذه الآية، وأنها نزلت في نفقة المشركين يوم بدر، وقيل: في نفقة يوم أحد؛ إلا أن الصواب ما ذكره ابن جرير ورجحه، من أن الآية تعم كما عمّ جلّ ثناؤه الكفار من قريش، وقال: لأن الله أخبر عن الذين كفروا به من مشركي قريش أنهم ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله، و لم يخبرنا بأي أولئك عنى، غير أنه عمّ بالخبر الذين كفروا، وجائز أن يكون عنى المنفقين أموالهم لقتال رسول الله r وأصحابه بأحد، وجائز أن يكون عنى المنفقين منهم ذلك ببدر، وجائز أن يكون عنى الفريقين. ولأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.
انظر: جامع البيان ، (٩/٢٤٤-٢٤٦)، معالم التنزيل ، (٢/٢٤٧).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ومن كانت حاله تلك من الصد عن سبيل الله وبذل الأموال لأجل ذلك، كان حقيقاً بالخسران العظيم؛ لأنه خسر منافع الدنيا ومنافع الآخرة، وباءت تجارته بالخسران حينما اشترى عذاب الآخرة بأمواله، وتعجل بإنفاقه إياها في قتال النبي r والمؤمنين الخزي والذل[١].

قال ابن جرير في تفسيره للآية: الذين ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله هم الخاسرون[٢]. وللإيذان ببعد درجتهم في الخبث، وبعدهم من رحمة الله، وعظم خسارتهم جاءت الإشارة إلى خسرانهم بالبعيد] © هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ Z [٣].

ويظهر الطباق في قوله تعالى:] a b c Z[٤]، وللإشعار بأن إنفاق أهل الكفر للصد عن سبيل الله كان ولا يزال مستمر جاء التعبير بصيغة المضارع (ينفقون)، والفعل المضارع يدل على التجدد والاستمرار، واستعملت لام التعليل (ليصدوا)، والتي أشعرت بأن الإنفاق مستمر؛ لأنه منوط بعلة ملازمة لهم، وهي بغض الإسلام، وصد الناس عنه، وفُرِّعت الفاء في (فسينفقونها) على العلة، لأنهم لما كان الإنفاق دأبهم لتلك العلة، كان مما يتفرع على ذلك تكرار ذلك الإنفاق مستقبلاً.[٥]

واتبع الصادون عن سبيل الله على مر الأزمان أساليب مختلفة للصد عن سبيل الله؛ استعانوا بها على الوصول إلى أهدافهم، وهي مختلفة باختلاف الزمان والمكان ، ومن وسائلهم التي عرضها القرآن: الدعوة المباشرة إلى الكفر، وإثارة الشبهات، وتزيين الباطل، والإفساد في الأرض، وتهديد أهل الحق وتعذيبهم، ومنعهم من أداء شعائر الإسلام، وقتلهم وقتالهم، وغيرها الكثير.

وصوّر القرآن استخدام قوم عاد وقوم ثمود أسلوب البناء العمراني بجانب عبادة الأصنام، ليصدوا الناس عن عبادة الله وحده، واستعمال فرعون لأسلوب:] J I H

---

(١) انظر: جامع البيان ، (٩/٢٤٤، ٢٤٦-٢٤٧)، مفاتيح الغيب ، (١٥/١٢٩).
(٢) جامع البيان، (٩/٢٤٧).
(٣) انظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود، (٤/٢١).
(٤) انظر: التفسير المنير لوهبة الزحيلي، (٥/٣٣٣).
(٥) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، (٩/٣٤٠-٣٤١).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

Z K [النازعات:٢٤] في استعباد الناس وصدهم عن سبيل الله، فتبين إذن أن عادة أعداء الدين الصد عن سبيل الله، وبذل الأموال والجهود في إقامة العقبات أمام هذا الدين، وكفار هذا العصر سائرون على هذا النهج، إذ هم لا يألون جهداً في إنفاق الكثير من الأموال للصد عن الإسلام، وفتنة العامة بدعوتهم إلى الدين الباطل(١).

والمعركة لن تقف، وأعداء الدين لن يدعوه في راحة، ولن يتركوا أتباعه، لكن حسبهم ما يُجازَون به جرّاء صدهم، فالحرمان من الهدي، وحصول الخزي والهزيمة مستقر بهم، والهلاك والدمار حال بهم، إضافة إلى ما ينتظرهم في الآخرة من الفضيحة، ومضاعفة العذاب.

ونلحظ أن الصد عن سبيل الله في القرآن يدور على الكفر حيث دار، ولا ينفك منه، لأن جميع من وصفوا بالصد هم ممن كفروا بالله ظاهراً أو باطناً.

يقول تعالى: [+ , - . / 0 1 2 3 Z [الحج: ٢٥]، وقال سبحانه: [! " # $ % & ' ( ) Z[محمد:١]، وغيرها من الآيات التي قرن فيها الصد مع الكفر.

وليس الكفر بالله إلا أحد أركان الصد عن سبيل الله ، لذا قدّم الصد عن سبيل الله بالذكر على الكفر في قوله تعالى: [E F G H I J K L M N O Z[البقرة: ٢١٧]، بعد أن دل الصد عن سبيل الله على الكفر بدلالة التضمن(٢).

---

(١) انظر: تفسير المراغي، (٣/٥١٧).

(٢) المراد بدلالة التضمن: أن يدل اللفظ على جزء مسماه.

انظر: الإبهاج في شرح المنهاج، لعلي السبكي، (١/١٢٠)، التحرير والتنوير لابن عاشور، (٢/٣٢٩-٣٣٠).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المطلب الثامن
طاعة الشيطان والكفار

الطاعة تطلق على امتثال أَمْر الآمِر – وهذا معروف، وعلى الدخول تحت حكم الغالب، فيقال: طوع الجيش بلاد كذا [١] .

وكما أن الطاعة لله من أسباب النصر والفلاح، فإن الطاعة للكفار والشيطان من أكبر أسباب الخذلان والخسران.

ولم يصرح القرآن بعداوة شيء مثلما صرح بعداوة الكفار والشيطان، يقول تعالى:] إِنَّ â كَانُواْ لَكُمۡ عَدُوّٗا مُّبِينًا Z [النساء: ١٠١]، ويقول:] \ [^ _ ` a Z [الإسراء: ٥٣].

والشيطان قيل: أنه مأخوذ من شطن، بمعنى: تباعد، وقيل: من شاط إذا احترق غضباً، وكلا المعنيين متحقق في الشيطان، فإ نه بعيد عن الرشد والسداد، والشيطان مخلوق من النار، كما قال تعالى:] وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن © مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ Z [الرحمن: ١٥][٢].

والشيطان اسم لكل متمرد [٣] ، وكل غالب متمرد من الجن والإنس والدواب فهو شيطان [٤] .

والعبد على الحقيقة هو من أفرد الله بالطاعة، وتعبد لله، ولم يطع إلا من أمره الله بطاعته من الرسل] ! " # $ % & Z [النساء: ٨٠]، ومن لم يحقق العبودية

---

(١) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (١٢١/٤).

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس، مادة شطن ،(١٨٣/٣ – ١٨٥)، ومادة شيط ،(٢٣٤/٣ – ٢٣٥)، لسان العرب لابن منظور، مادة شطن، (٢٣٨/١٣)، المفردات للراغب، مادة شطن، (٢٦١)، انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ،(١٠٧/١).

(٣) انظر: نزهة الأعين النواظر لابن الجوزي (٣٧٤).

(٤) انظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي، (٣٢/١)، علق عليه: محمد فؤاد، الطبعة الثانية ، مكتبة الخانجي، دار الفكر، معالم التنزيل ، (٣٦٧/٣).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

للرحمن فقد أطاع الشيطان، والله تعالى قد نهى عن طاعة الشيطان، وسمى ذلك عبادة، قال تعالى: [Z Q P O N L K J I H G F E D C [يس: ٦٠][(١)] ، وهي أصل الشرك، لأن الشرك شركان: شرك طاعة الشيطان، وشرك عبادة الأصنام [(٢)] ، وعباد الأصنام هم عباد للشيطان.

ولخص لنا صاحب معارج القبول المراد بـ(طاعة الشيطان) فقال: هي اتباعه فيما أمر به من الكفر والضلال [(٣)] .

وقد كاد الشيطان لنفسه قبل أن يكيد للأبوين، حينما أبى السجود لآدم، ثم أغوى أحد ولدي آدم و لم يزل يسلك درب الإغواء والإضلال [(٤)] ، فكان الشيطان الذي هو منبت الفساد، مبارز لبني آدم بالعداوة.

فكيف يطع الشيطان، والفطرة على كراهية العدو ومعاداته، وقد حذرنا القرآن من هذا بأسلوب عجيب، قال تعالى: [وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ ٱلشَّيْطَانِ Z [البقرة: ١٦٨]، فالشيطان يخطو والناس يتبعون خطواته[(٥)] ، وجاء التحذير من الشيطان في موضع آخر بالتذكير بعداوته، يقول تعالى: [| { ~ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا Z [الكهف: ٥٠].

وبيّن القرآن تسويلات الشيطان لابن آدم، فأكبرها: إفساد العقائد، ثم الإغراء بالفتن، ثم إفساد الأخلاق [(٦)] ، لذا أغلقت الشريعة باب مكائد الشيطان بالأمر بالتوحيد، والطاعة

---

(١) انظر: كلمة الإخلاص وتحقيق معناها لأبي الفرج زين الدين عبدالرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (٢٦ – ٢٧)، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الرابعة، ١٣٩٧هـ، تحقيق: زهير الشاويش.

(٢) انظر: الملل والنحل، لمحمد عبدالكريم الشهرستاني، (١٣٧/١)، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٤هـ - تحقيق: محمد سيد كيلاني.

(٣) انظر: معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، لحافظ أحمد حكمي (٥٥٠/٢)، دار ابن القيم – الدمام – ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، الطبعة الأولى، تحقيق: عمر محمود أبو عمر.

(٤) انظر: إغاثة اللهفان لابن القيم، (٢٠٠/٢ – ٢٠٣).

(٥) انظر: حقيقة الشيطان بالمنظور القرآني لشاكر عبدالجبار (١١٠)، الطبعة الرابعة، ١٩٩٨م، دار مكتبة الهلال، بدون.

(٦) انظر: صفوة الآثار والمفاهيم لعبدالرحمن الدوسري، (٣٧٥/٦).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

لله ورسله، وسدت كل أبواب الفتن والفساد، وحذر القرآن من اتباع الشيطان وخطواته، وحبائله، ومحاولاته لإغواء الإنسان وإغرائه، وصرح بعداوته:] إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ Z [البقرة: ١٦٨]، وأثبت الخسران لأتباعه، قال تعالى:] j k l m n

o p q r s t u v w y z { | } ~ ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ©

¶ µ ¸ Z [النساء: ١١٧ – ١١٩].

فمن يتبع الشيطان ووسوسته المخالفة للفطرة والمصادمة لشرع الله هو البعيد من أسباب رحمة الله وفضله، ومن يتخذه ولياً يتولى أمره، (متجاوزاً في ذلك ولاية الله بترك ما يدعو إليه)[١] ، فقد هلك في الدنيا والآخرة، إذ يكون أسير الأوهام والخرافات، ويفوته الانتفاع التام بما وهبه الله من العقل والنعم، ولا ينصره من الله إن عاقبه على معصيته إياه في خلافه أمره، بل يخذله عند حاجته إليه؛ ومصيره في الآخرة إلى النار، كما قال تعالى:] أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا Z [النساء: ١٢١]، (وتلك خسارة، لا جبر لها، ولا استدراك لفائتها)[٢] ، (وأي خسران أعظم من ترك هدي القرآن، واتباع أساليب الشيطان)[٣] ، وأي خسار أبين ممن خسر دينه ودنياه، واستبدل رضا الله برضا الشيطان [٤] .

و لم يحذرنا الله من طاعة الشيطان وموالاته إلا لأن الشيطان يزين لأتباعه النفع في أشياء مشتملة على كثير من المضار والمفاسد، كشرب الخمر، والزنا، والتي لا تتعدى لذاتها ساعات، يعقبها آلام دنيوية وعذاب أخروي، وهو يعد الناس بالفقر والمرض إن هم أنفقوا في سبيل الله، والغنى والثروة بالقمار مثلاً، ويمني بالفوز في الدارين، وغير ذلك من حبائل

(١) محاسن التأويل للقاسمي، (٥/٤٨٤).
(٢) تفسير ابن كثير، (١/٥٥٧).
(٣) التفسير المنير لوهبة الزحيلي، (٣/٢٨٣).
(٤) انظر: جامع البيان ، (٥/٢٨٦)، تفسير المراغي، (٢/٣١٨)، التفسير المنير ، (٣/٢٨٧ – ٢٨٨).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الشيطان ومكائده [١] .

فالولاية إما لله، وإما للشيطان وأعوانه، ومن اختار ولاية الشيطان، ووالى أعداء الله، مع إظهاره البقاء على الدين كذبا فهو من الحزب الخاسر [٢] ، وقد حذر الله من الانضمام إلى هذا الحزب، يقول تعالى:] اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ Z [المجادلة: ١٩].

فالمنافقون – وكل أتباع الشيطان – وقعوا في الردى، وصاروا في الجحيم، لتغلب الشيطان على عقولهم حتى اتبعوه، وتزيينه لقبيح أعمالهم، فلم يمكنهم من ذكر الله لا بقلوبهم ولا بألسنتهم ، ولا من اتباع أوامره وترك نواهيه، بل أوقعهم في الدركات، وبئس المصير.

هؤلاء هم جند الشيطان وأعوانه وأتباعه، وهم الكاملون في الخسران، الهالكون، المغبونون حينما فوتوا النعيم، واستبدلوا به العذاب الأليم، فخسروا دينهم، ودنياهم، وأهليهم، ولن يفلحوا أبداً، وليس من شأن عاقل أن يقبل بمثل هذا [٣] .

والمراد هنا بالاستحواذ [٤] : الاستيلاء والغلب، ولم يجيء هنا: (حاذ عليهم الشيطان)، وإنما جاء (استحوذ) لأن هذا الفعل في هذا المعنى لم يستعمل إلا بزيادة[٥] .

وتصدرت الجملة (ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون) بحرفي التنبيه والتحقيق، للتأكيد، وللتنبيه على أهمية مضمونها، وللمبالغة في التحذير منه [٦] .

ولا سبيل للنجاة من شرور الشيطان إلا إذا نجح المسلم في مجاهدة نفسه لله، فإن انتصر

---

(١) ساق ابن القيم في كتابه إغاثة اللهفان ، وذكر صوراً عديدة، انظر: الجزء الأول (١٠٢) وما بعدها، وذكر بعضاً منها عبدالله العزاز في كتابه: مداخل الشيطان، انظر: (١٩) وما بعدها، الطبعة الثانية، ١٩٩٨ – مكتبة المنار – الكويت.

(٢) انظر: الإنسان والشيطان لمحمد أمين البقشي (٢٨)، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م، دار البيان العربي – بيروت، مكائد الشيطان لعباد الرحمن وطرق الوقاية منها لسلمان نصيف الدحدوح (٢٣)، الطبعة الأولى ١٩٩٩م، دار البشائر – بيروت.

(٣) انظر: جامع البيان ، (٢٥/٣٨)، الجامع الأحكام القرآن ،(٣٠٦/١٧)، تيسير الكريم الرحمن ، (٨٤٨).

(٤) انظر في مادة حوذ: معجم مقاييس اللغة لابن فارس، (١١٥/٢)، لسان العرب لابن منظور، (٤٨٥/٣ – ٤٨٦)، المفردات للراغب ،(١٣٤).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج، (١١٠/٥).

(٦) انظر: روح المعاني ،(٣٤/٢٨)، التحرير والتنوير ، (٥٥/٢٨).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

على شهوات نفسه وأطماعها فقد انتصر على شياطين الجن، وكان جديراً بالانتصار على شياطين الإنس [١] ، وبتحقيق العبودية لله، فإن ذلك من أعظم أسباب الخلاص من كيد الشيطان، كما نطق بذلك الكتاب العزيز: [Z Y X W V U T [الحجر: ٣٩ – ٤٠][٢] .

وبالتزام طاعة الخالق، وطاعة رسوله عليه الصلاة والسلام، والحذر من مخالفة ذلك، فإن هذا من شأنه أن يقيم حاجزاً يعجز الشيطان عن اختراقه [٣] .

والذكر والاستعاذة بالله من شره، والتعرف على مداخله حتى يحذر منها، يقول الغزالي [٤] : (لا يتوصل إلى دفع الشيطان إلا بمعرفة مداخله)[٥] .

فطاعة الشيطان خسارة، لأنه العدو المبين الذي لا يريد إلا الشر، [H G F I Z L K J [فاطر: ٦]، وفي الحديث: قال r : (ما منكم من أحد إلا وقد وُكِّل به قرينه من الجن، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قا ل: وإياي، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير)[٦] ، وهذا دليل على عداوة القرين لابن آدم، وأنه لا يأمره إلا بشر، وفيه إشارة إلى (التحذير من فتنة القرين ووسوسته)[٧] .

أما طاعة الرحمن، وإيثار رضاه ففيها كل الربح، وكل الفلاح، وقرة العين[٨].

---

(١) انظر: صفوة الآثار والمفاهيم لعبدالرحمن الدوسري ،(٦/٤١٥).

(٢) انظر: إغاثة اللهفان لابن القيم ،(٢/١٥٦).

(٣) انظر: حقيقة الشيطان بالمنظور القرآني لشاكر عبدالجبار، (٧٢).

(٤) أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي، من فقهاء الشافعية، أخذ عن إمام الحرمين (الجويني)، وألف في فنون كثيرة، له المستصفى في أصول الفقه، وله الفقه الوسيط والبسيط والوجيز، إحياء علوم الدين توفي سنة٥٠٥هـ.

انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان،(٤/٢١٦)، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة،(١/٢٩٣).

(٥) إحياء علوم الدين لمحمد محمد الغزالي (٣/٣٢)، دار المعرفة – بيروت – بدون.

(٦) رواه مسلم في كتب صفة القيامة والجنة والنار، باب تحريش الشيطان، (٤/٢١٦٧)، ح(٢٨١٤).

(٧) شرح النووي على صحيح مسلم ،(١٧/١٥٨).

(٨) انظر: تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ،(٢٠٤).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

طاعة الكفار:

وكما جاء التحذير من اتباع الشياطين وطاعتهم، جاء التحذير من سوء مغبة اتباع الكفار – شياطين الإنس – ،وجاء التحذير لكل مؤمن من طاعة الكفار جميعاً، على اختلاف أنواعهم ونزعاتهم، لأن طاعة الكفار مخالفة للإيمان بالكلية أو لكماله [١] ، ولأنهم لا يريدون بالمسلم خيراً، بل يحرصون على ضلاله وإضلاله، وعلى هوانه وخسرانه، ولا يرضون للمسلم بما دون الكفر [٢] ، قال تعالى:] ^ _ ` a b

p o n m l k j i h g f e d c

U T S R Q P O [:وقال ،[البقرة: ١٠٩] Z r q

Z [النساء: ٨٩].

وطاعة الكفار عاقبتها الخسارة المؤكدة، فليس فيها ربح ولا منفعة، وفيها الانقلاب إلى الكفر، والذلة والهوان، لأن المصغي إلى أقوال ضده في الدين، والواثق برأيهم يصبح متنازلاً عن عقيدته من أول وهلة، ولا يبقى معه إلا مجرد الاسم، فيبقى في هزيمة روحية أخطر من نكبته الحسية، ويظل طول حياته في انهيار [٣] ، إذ أبدل الكلمة العليا بالسفلى، والنجاة بالضلالة والحيرة.

ولا شيء أضر على الأفراد والأمم من طاعتهم لأعدائهم، وتعلقهم بهم؛ يظنون نصحهم، ويرجون نفعهم، ويخافون ضرهم، لذا كان القرآن واضحاً كل الوضوح في تحذير المؤمنين من طاعة الكفار، ولا أحد أعلم من الله عز وجل بحقيقة أعدائنا، فبين لنا في كتابه العزيز شدة عداوة الكفار، وحذر المؤمنين في خطاب صُدِّر بالنداء والتنبيه اعتناءً بمضمونه [٤] من طاعة الكفار، فقال:] ! " # $ % & '

---

(١) لأنها قد تكون طاعة في معصية، أو غفلة أو كفر.

انظر: تفسير القرآن العظيم (سورة آل عمران)، للشيخ محمد بن صالح العثيمين، (١/٥٨٤)، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، دار الثريا – الرياض، الكفر والمكفرات لأحمد عز الدين البيانوني، (٢٠٨).

(٢) انظر: صفوة الآثار والمفاهيم، لعبدالرحمن محمد الدوسري، (٤/٣٤٥).

(٣) انظر: المصدر السابق، (٤/٣٤٤).

(٤) انظر: إرشاد العقل السليم ،(٢/٧٩).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

) (*) + , Z [آل عمران: ١٤٩].

فالله ينهى عباده عن متابعة الكفار والمنافقين الذين جحدوا نبوة محمد r ، ويأمر بعدم قبول رأيهم في أمر من الأمور لأنه طاعتهم (تورث الردى في الدنيا والآخرة)[١] ، لأنهم يحملونهم على الردى بعد الإيمان، فيرجعوا من إيمانهم ودينهم الذي هداهم الله له، فيخسروا العزة ويكسبوا الذلة، ويخسروا الكرامة الحقيقية ويعودون إلى مستوى البهائم ، ويخسروا دنياهم وأخراهم[٢].

فأما خسران الأولى فبخضوعهم لسلطانهم، واستبدالهم ذلة الكفر بعزة الإسلام، وحرمانهم من سعادة الملك والتمكين في الأرض كما وعد الله عباده المؤمنين،] < = > ? @ A B C D E F G H I J

K L M N O P Q R S T U Z [النور: ٥٥]،

وخسران محبة الله ورضوانه، وثوابه الدنيوي.

وأما خسران الآخرة فبما يصيبهم من عذاب أبدي في نار جهنم، وحرمانهم من ثواب الآخرة [٣] .

ونلحظ الاستعارة في قوله تعالى:]) (* Z ، حيث استعار الرجوع إلى الوراء إلى الرجوع إلى الكفر [٤] ، وفي هذا – أيضاً – معنى التعليم الحسِّي، والتصوير الواضح لحقيقة مصيرهم، ذلك أن المؤمن واجب عليه العز، بعقيدته، ومعاداة مخالفها، إذ في عقيدته غناء عن الالتفات إلى أعدائه في الطاعة والمشورة، وقوة عن التخاذل أمامهم، ومسالمتهم [٥] .

قال الألوسي: دلت الآية على أن المؤمنين لا ينزلوا على حكم الكفار، ولا يطيعوهم، ولا

---

(١) تفسير ابن كثير، (٤١٢/١).

(٢) انظر: صفوة الآثار والمفاهيم لعبدالرحمن الدوسري ،(٣٤٥/٤).

(٣) انظر: جامع البيان ، (١٢٢/٤ – ١٢٣)، مفاتيح الغيب ، (٢٦/٩)، تفسير المراغي، (٧٩/٢ – ٨٠).

(٤) انظر: التفسير المنير ، (٤٤٦/٢).

(٥) انظر: صفوة الآثار والمفاهيم لعبدالرحمن الدوسري، (٣٤٦/٤).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

يقبلوا مشورهم، خشية أن يستنزلوهم من دينهم [١] .

وما انتُقصت أمة الإسلام نقصاً عظيماً إلا بسبب طاعة بعض منها للكفار والمنافقين، فأردوهم عن دينهم، و لم يصلحوا لهم دنياهم، وقد كان النبي عليه الصلاة والسلام مخاطباً بالنهي عن طاعة الكفار والمنافقين فكيف بالمسلمين، وأكثر ما جاء ذلك في سورة الأحزاب، في وقت العسرة، والساعات الحرجة، يقول تعالى في افتتاح هذه السورة: [! " # $ % & ' (Z [الأحزاب: ١]، ثم كرر هذا النهي وسط السورة، فقال سبحانه: [C D E F G H Z [الأحزاب: ٤٨]، فلا طاعة للكفار حتى في الأوقات العصيبة، لأنه – كما قررنا – لا فائدة منهم.

وقال سبحانه في موضع آخر: [g h i j k l m n o p q r s t u v w x y z { Z [الجاثية: ١٨ – ١٩].

وما نرى في حياتنا اليوم من طاعة عمياء من البعض للكفر وأهله لهو نذير شؤم بالعقوبة في الدنيا والآخرة، كيف وقد هدانا الله لملة الإسلام، وأتم علينا الدين، وأعلن لنا عداوة الكافرين عامة، فقال: [إِنَّ â كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا Z [النساء: ١٠١]، والعدو لا يُوالى بحال، إذ الفطرة على كراهيته وعداوته.

فهل تستسيغ العقول المبصرة، والأفهام النيرة المضي قُدما في طاعة الكفار؟! قد آن الأوان للرجوع إلى الدين، والتمسك به وبكل شرائعه، وترك الانبهار بالكفار وتقليدهم، والانقياد لهم، لعدم الثقة بنصحهم لعداوتهم وحقدهم؛ وآن الأوان لإبراز العداوة للشيطان وحزبه، رجاء الفوز والفلاح بخيري الدنيا والآخرة، إذ طاعة الكفار والشيطان لا يُجنى منها إلا الوبال والخسران في الدارين، وفي تقديم أقوال الكفر على الكتاب والسنة أعظم الضلال، وسبب الخذلان للأفراد والأمم.

---

(١) انظر: محاسن التأويل، (٤/٢٤٨).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المطلب التاسع
الكيد بأنبياء الله

الكيد في اللغة يرادف المكر والحيلة.

وهو ضرب من الاحتيال، قد يكون مذموماً وممدوحاً، وإن كان يستعمل في المذموم أكثر [١].

وفي الاصطلاح: هو إرادة مضرة الغير بحيلة خفية؛ وهو من الخلق الحيلة السيئة، ومن الله التدبير بالحق لمجازاة أعمال الخلق [٢].

فالمكر والكيد هو التوصل بالأسباب الخفية إلى الإيقاع بالخصم [٣].

المعركة بين الحق والباطل لن تنتهي، وأعداء الدين لن يدعوه في راحة، ولن يتركوا أولياء هذا الدين في أمن، وتنوعت وسائل أهل الباطل في محاربة الحق وأهله، وكلما انكسر في يدهم سلاح أخرجوا سلاحاً غيره، وأعظم ذلك بلاءً محاربة الأنبياء والكيد بهم؛ ولا عجب لأن من حكمة الله سبحانه أنه لم يبعث نبياً بالتوحيد إلا جعل له أعداءً، كما قال تعالى: [9 : ; < = > ? @ A B C D Z G F E [الأنعام: ١١٢][٤]، وهذا من سنته سبحانه، فقد أخبر أنه لا بد للأنبياء من أعداء، وأقر هذا المبدأ، وتوعد بإبطال كيد الكائدين فقال: [وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا Z [الفرقان: ٣١].

فحكمة الله شاءت أن يكون الحق دائماً محارباً معادى وأن يكون أهله مضطهدين معذبين، وشواهد هذا من سيرة أنبياء الله واضحة، وتتضح في قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام

---

(١) انظر: مختار الصحاح للرازي، مادة كيد، (٢٤٣)، لسان العرب لابن منظور، مادة كيد، (٣٨٣/٣)، المفردات للراغب، مادة كيد، (٤٤٣)، عمدة الحفاظ للسمين الحلبي، مادة كيد، (٥١٤).

(٢) انظر: التعريفات للجرجاني (٢٤١).

(٣) انظر: شرح العقيدة الواسطية لمحمد صالح العثيمين ،(٣٣٥/١).

(٤) انظر: كشف الشبهات لمحمد بن عبدالوهاب، (١٥٩)، تحقيق: ناصر الطريم، وسعود البشر، وعبدالكريم اللاحم، الطبعة الأولى، مطابع الرياض، بدون.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

بشكل أوضح، فقد كانت حياة إبراهيم عليه السلام ثورة على الوثنية التي عاشها قومه، ودعوة إلى التوحيد الخالص، فأزال أصنامهم وكسرها، وأفهمهم بالحجة الدامغة والدليل المبين، فلما دحضت الحجة، وبان عجزهم، وظهر الحق وزهق الباطل، عدلوا إلى القوة وقالوا:] حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ Z [الأنبياء: ٦٨] (١) .

قال الزمخشري : غالبوه بالجدال فغلَّبه الله، وفزعوا إلى القوة والجبروت، فنصره الله وقواه (٢) .

وهذا مؤثر واضح على مدى فساد اعتقاد قومه، ومحاربتهم الفطرة، حيث بلغ انحرافهم عن الفطرة مبلغه أن اتفق الجميع على إلقاء الصالح في النار، فتبعاً لاعتقادهم الفاسد أصبحوا لا يدركون إلا الفاسد، ولا يأتمرون إلا لجبروت ظالم(٣).

فكان اصطدام الإيمان بالكفر – والذي يتجدد كل عصر، وإن اختلفت صوره الظاهرة وأشكاله – ، فلجأ الكفر وأهله للقوة، ولجأ أهل الإيمان إلى الرحيم الرحمن، يستمدون منه العون والتأييد، ونطق إبراهيم بـ(حسبي الله ونعم الوكيل)، فعن ابن عباس قال: كان أفضل قول إبراهيم حين ألقي في النار حسبي الله ونعم الوكيل، وقالها محمد حين قالوا:] إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ Z [آل عمران: ١٧٣](٤) .

وخاض النار مطمئناً واثقاً، وكذا كان] قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ Z [الأنبياء: ٦٩].

لجؤوا إلى القوة إذ أعيتهم الحجة، فقالوا: حرقوه بالنار لإضراره وقتله، فأبطل الله كيدهم،

---

(١) انظر: إبراهيم عليه السلام ودعوته في القرآن الكريم، لأحمد البراء الأميري (١١٩ – ١٢٠)، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، دار المنار، جدة.

(٢) انظر: الكشاف ، (١٢٧/٣).

(٣) انظر: سيرة إبراهيم الخليل في القرآن المجيد والأحاديث الصحيحة، لهشام فهمي العارف (١١٤)، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، دار البشائر الإسلامية – بيروت.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى: (إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم)، (١٦٦٢/٤)، ح(٤٢٨٧).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وقال:] وَأَرَادُوا بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ Z [الأنبياء: ٧٠][١]، هم أرادوا الكيد والمكر العظيم بنبي الله فكادهم الله، فما كانوا إلا مغلوبين.

قال ابن عطية: أرادوا حرقه فكانوا في خسارة من كفرهم، وغلبته لهم [٢] .

ودُفع عن إبراهيم عليه السلام هلاكا محققاً، وجُعل قومه الكائدين من ذوي الخسران والوبال، المغلوبين الأسفلين، لأنهم خسروا السعي والنفقة، و لم يتحقق مقصودهم، وحيث عاد سعيهم في إبطال الحق برهاناً على أنه عليه السلام على الحق، وهم على الباطل، موجباً لارتفاع درجته، واستحقاقهم أشد العذاب .

قال ابن سعدي: (فجعلناهم الأخسرين): (في الدنيا والآخرة، كما جعل الله خليله وأتباعه هم الرابحين المفلحين)[٣] .

وسُمي عزمهم على إحراقه – u – كيداً للدلالة على أنهم دبروا ذلك في خفية منه لئلا يَفِرَّ ويهرب [٤] .

واستخدموا شكلاً من أشكال العقاب الجسدي، لا تتناسب بشاعته مع الفعل الذي قام به إبراهيم عليه السلام، فهم حاولوا محوه ومحو سلوكه، لا تعديل السلوك، فصدق عليهم وصف (الأخسرين)[٥] .

ولفظ (الأخسرين) اسم تفضيل للمبالغة، وعُرِّف للقصر، كأن خسارتهم لا تدانيها خسارة، وكأنهم انفردوا بهذا الوصف فلا يكاد يصدق هذا الوصف إلا عليهم، وسميت خيبتهم خسارة على طريقة الاستعارة [٦] .

آية سورة الأنبياء، وآية سورة الصافات:

---

(١) انظر في تفسير الآية: تفسير ابن كثير، (٣/١٨٤ – ١٨٥)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود، (٦/٧٧).

(٢) انظر: المحرر الوجيز، (٤/٨٩).

(٣) تيسير الكريم الرحمن، (٥٢٧).

(٤) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ،(١٧/١٠٧).

(٥) انظر: الإشارات التربوية في قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام، بحث مقدم لنيل الماجستير مقدم من فايزة أحمد يوسف، (١٨٨).

(٦) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، (١٧/١٠٧).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

نلحظ أن آية سورة الأنبياء جاء الوصف بأنهم الأخسرين، وفي سورة الصافات كان الوصف بأنهم الأسفلين، قال تعالى:] فَأَرَادُواْ ´ µ ¶ ¸ Z [الصافات: ٩٨]، لأن في سورة الأنبياء كادهم إبراهيم u بقوله:] لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ Z [الأنبياء: ٥٧]، وكادوا هم إبراهيم عليه السلام، قال تعالى:] وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا Z [الأنبياء: ٧٠]، فجرت بينهم مكايدة، فغلبهم إبراهيم u بتكسير أصنامهم، و لم يغلبوه بأن لم يبلغوا من إحراقه مرادهم، فكانوا هم الأخسرين.

أما آية سورة الصافات فهم بنوا بناء عالياً ليرموا به من هناك في النار، فلما علوا ذلك البناء، وحطوه منه إلى أسفل، عادوا هم الأسفلين، فهلكوا في الدنيا، وسَفُلَ أمرهم في الآخرة، فاختصت الآية بالأسفلين [١].

وقيل: الأسفل هو الخاسر، لكن الأسفل أبلغ في التعبير، لأن السفول لا حق بذلك المسفل، والخسران حقيقة في شيء خارج عنه، فقدم ما هو لا حق خارجي، وأخّر ما لا يتعدى ذلك المتصف تكملة وتتمة، وهذا أبلغ وأرعى في الترتيب [٢] .

وعلى كلٍ فإن كلاً من الوصفين (الخسران والسفول) صادق عليهم، فكونهم الأسفلين واضح، لعلوه عليهم، وسلامته من شرهم؛ وكونهم الأخسرين لأنهم خسروا الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين.

وليس هذا الفعل .بمستغرب من اليهود، لأن عادتهم التكذيب بالأنبياء وقتلهم، لذا ضرب الله عليهم الذلة والمسكنة، قال تعالى:] U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m n o p q r s Z [آل عمران: ١١٢]، وكان الدافع لذلك هو الاستكبار والعتو، واتباع الأهواء] © جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ

(١) انظر: أسرار التكرار في القرآن للكرماني، (١٤٢)، درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز، لأبي عبدالله محمد بن عبدالله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي، (٣٠٠)، دار الآفاق الجديدة – بيروت، الطبعة الثالثة ،١٩٧٩م.

(٢) انظر: ملاك التأويل لابن الزبير، (٢/٨٤١ – ٨٤٢).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ﭐﺳۡﺘَﻜۡﺒَﺮۡﺗُﻢۡ ﻓَﻔَﺮِﻳﻘٗﺎ ﻛَﺬَّﺑۡﺘُﻢۡ ´ µ Z [البقرة: ٨٧][١] ، وفي الحديث: (أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل قتله نبي، أو قتل نبياً)[٢] .

وتاريخ اليهود حافل بالجرائم قديماً وحديثاً، ومن جرائمهم: محاولتهم قتل النبي r في السنة الرابعة من الهجرة، عندما ألقى بنو النضير صخرة عليه وهو جالس [٣] ، ومحاولتهم قتله بالسحر، ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (سحر رسول الله r يهودي يقال له: لبيد بن الأعصم)[٤].

وغيرها من صور كيد هؤلاء المجرمين التي كانت سببا في استحقاقهم الذل والهوان في الدنيا، والهلاك والعقاب في الآخرة .

(١) انظر: لماذا لعن اليهود في القرآن والسنة، لأحمد إبراهيم الحاج، (١٥١ – ١٥٢).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، (١/٤٠٧)، ح(٣٨٦٨)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة،(١/٥٦٩)،ح(٢٨١).

(٣) انظر: السيرة النبوية لعبدالملك بن هشام ،(٤/١٤٣ – ١٤٤)، تحقيق: طه عبدالرؤوف، دار الجيل – بيروت – ١٤١١هـ، الطبعة الأولى، تهذيب سيرة ابن هشام، لعبدالسلام هارون، (١٨٨)، بدون ، دار الفكر – بيروت.

(٤) رواه البخاري في كتاب الطب، باب السحر، (٥/٢١٧٤)، ح(٥٤٣٠)، ومسلم في كتاب السلام، باب السحر، (٤/١٧١٩) ، ح(٢١٨٩).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المبحث لرابع
ترك الوا بات

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: عدم عمل الصالحات.
المطلب الثاني: ترك التواصي بالحق والصبر.
المطلب الثالث: عدم الأخذ بميثاق الله.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

تمهيد:

هذا المبحث استكمالاً لأسباب الخسران، وسورة العصر مدار الحديث في هذا المبحث، لتضمنها تحديد معنى الخسران الحقيقي، وتبيينها أصول النجاة من الخسران، والفوز في الدنيا والآخرة، ومعرفة هذا من الضرورة بمكان، خصوصا في زماننا اليوم، حين ركنت البشرية إلى الدنيا، وأعرضت عن طريق الهداية [١] ، وسلكت درب الغواية، من ترك للصالحات، وتهافت على المعاصي والمنكرات، وترك التواصي بلزوم الإيمان، والخير، والتغافل عن الوصية بالصبر على طاعة الله، وعن معصيته، وعلى الأقدار المؤلمة، ونقض لعهد الله الذي يقضي باتباع الدين، فحاق بها الشقاء والخسران من كل جانب.

فطريق السعادة واضح، ودرب النجاح في الحياة لا يتطلب إلا الإيمان والعمل الصالح، والتواصي بالحق والصبر، والوفاء بعهد الله وعدم نقضه، وكذا العهد مع الناس، كما قال تعالى:] " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z [البقرة: ١٧٧][٢] ، وأهل النجاة من الدمار، والسلامة من النار إنما ظفروا بالفوز والفلاح، وربحوا في تجارتهم بتحقيقهم ذلك [٣] .

---

(١) انظر: وقفات تربوية في ضوء سورة العصر لعبدالعزيز ناصر الجليل، (٥، ٨).

(٢) انظر: الفلسفة التربوية في القرآن لمحمد فاضل الجمالي ،(٥٧)، دار الكتاب الجديد، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

(٣) انظر: مفتاح دار السعادة لابن القيم، (٥٦/١).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المطلب الأول

عدم عمل الصالحات

الصالحات جمع صالحة وهي الفعلة الحسنة، وأصلها صفة جرت مجرى الأسماء .

والمراد بالعمل الصالح: أداء الفرائض، واجتناب المعاصي؛ ويتناول كل ما يقوم به الإنسان نحو خالقه ونحو نفسه ونحو أسرته ونحو مجتمعه.(١)

وأداء الفرائض والنوافل هو الطريق إلى ولاية الله، ففي الحديث القدسي: (ما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه)(٢) .(٣)

قال ابن حجر (٤): يدخل في لفظ الفرائض جميع فرائض العين والكفاية، وظاهره الاختصاص بما ابتدأ الله تعالى فريضته (٥) .

وفي الإتيان بالفرائض على الوجه المأمور به امتثال للأمر واحترامه، وتعظيمه بالانقياد إليه، وإظهار عظمة الربوبية، وذل العبودية؛ وتتمة لهذا الانقياد يكون العمل بالنوافل، والسعي في أدائها (٦) .

لذا كان أهل الطاعات، و عمل الفرائض والمستحبات هم أسعد الناس بالخير والفلاح، أما من عداهم من أهل الفجور والمعاصي فهم أهل للخسران والوبال.

وفي آيات عديدة قرن الله الإيمان بالعمل الصالح، إشارة إلى أن الإيمان في الشرع اعتقاد

---

(١) انظر: جامع البيان لابن جرير، (٢٩٠/٣٠)، التحرير والتنوير لابن عاشور، (٣٥٢/١)، الفلسفة التربوية في القرآن، لمحمد فاضل الجمالي، (٥٧).

(٢) تقدم تخريجه ص (١٣٣).

(٣) انظر: ولاية الله والطريق إليها لإبراهيم إبراهيم هلال، (٣٥١)، دار الكتب الحديثة -القاهرة.

(٤) أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني الكناني، الإمام الحافظ المحدث المؤرخ الأديب، انتهت إليه معرفة الرجال واستحضارهم ، صاحب التصانيف الكثيرة والكتب النافعة، له: فتح الباري شرح صحيح البخاري، الإصابة في تمييز الصحابة، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة.

انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، (٣٩٥/٩)، الضوء اللامع للسخاوي، (٣٦/٢).

(٥) فتح الباري لابن حجر ،(٣٤٣/١١).

(٦) انظر: ولاية الله والطريق إليها لإبراهيم إبراهيم هلال، (٣٥٢).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وقول وعمل، إذ ليس (الإيمان مجرد التصديق، بل لا بد من أعمال قلبية تستلزم أعمـــالا ظاهرة)[١] ، فالعمل الصالح جزء لا يتجزأ من الإيمان – وهذا مذهب أهل السنة والجماعة [٢] – ، إذا انتفى جنسه انتفى أصل الإيمان، وإن انتفى بعضه فإن كان من الواجبات انتفى كمال الإيمان الواجب، وإن كان من المستحبات انتفى كمال الإيمان المستحب، وإن كان العمل المتروك قد نص الشارع على كفر تاركه انتفى أصل الإيمان[٣].

والتربية القرآنية تؤكد تأكيدا شديدا على العمل الصالح، فقد جاء ذكره في مواطن كثيرة، على أوجه عديدة، فتارة يذكر معه الإيمان، كما في آية سورة العـــصر:] ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 Z [العصر: ١ – ٣]، ومرة مع الصبر، يقول تعالى:] © ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ Z [هود: ١١]، ومرة يقرن بالنهي عن الشرك، قال تعالى:] â ﴿كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ ç è é ê ë ﴿بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ﴾ î Z [الكهف: ١١٠].

فأعمال الإنسان هي مصدر شقائه وسعادته، لا الزمان ولا المكان، وهي التي توقعـــه في الهلاك والخسران [٤] ، أو في الفوز والفلاح، يقول تعـــالى:] ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 Z [العصر: ١ – ٣].

فالناس فريقان: فريق يلحقه الخسران، وفريق لا يلحقه شيء منه؛ فالذين آمنوا وعملـــوا الصالحات لا يلحقهم الخسران بحال [٥] ، لأنهم آمنوا أن لهم إلها واحدا، يكافئ المطيـــع، ويعاقب العاصي، فباعوا الفاني بالباقي الثمين، واستبدلوا الباقيات الصالحات بالغاديـــات الرائحات، وجمعوا بين الإيمان بالله والعمل الصالح، وجدُّوا في أداء الفرائض، واجتنـــاب

(١) مجموع الفتاوى ،(٣٠٦/٧).
(٢) انظر: العقيدة الواسطية لابن تيمية، (٣٩).
(٣) انظر: وقفات تربوية في ضوء سورة العصر لعبدالعزيز ناصر الجليل، (١٠٣).
(٤) انظر: مفاتيح الغيب للرازي، (٨١/٣٢).
(٥) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، (٥٣١/٣٠).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المعاصي –إذ عمل الصالحات يشمل ترك السيئات ، وفعل الخير –لعموم (أل) في (الصالحات) والتي هي للاستغراق[١]- ، واشتروا الآخرة بالدنيا فيا لها من صفقة رابحة، فازوا فيها بالحياة والسعادة الأبدية [٢] .

أما من ترك الإيمان والعمل الصالح، وانغمس في الآفات المهلكة، ونهج درب الغواية والمعاصي فقد وقع في الهلاك والشقاوة، وخسرت تجارته خسرانا عظيما ، لأنه اشترى الدنيا بالآخرة ، وذهب رأس ماله في هلاك نفسه وعمره بالمعاصي، وهما أكبر رأس ماله [٣] .

قال ابن سعدي: عمم الله الخسارة لكل إنسان إلا من اتصف بأربع صفات، هي الإيمان بما أمر الله بالإيمان به، والعمل الصالح – وهذا شامل لأفعال الخير كلها، الظاهرة والباطنة، المتعلقة بحقوق الله وحقوق عباده، الواجبة والمستحبة -، والتواصي بالحق، الذي هو الإيمان والعمل الصالح، والتواصي بالصبر؛ وبتكميل الأمور الأربعة يكون العبد قد سلم من الخسار، وفاز بالربح العظيم [٤] .

وهذه السورة فيها وعيد شديد، فقد قرن الله بهذه الآية قرائن تدل على مبالغته تعالى في بيان كون الإنسان في خسر، أحدها: حرف الظرفية في قوله: (لفي خسر) والمشعر أن الإنسان مستغرق في الخسران، ومحيط به من كل جهة، وثانيها: حرف التوكيد (إن)، وثالثها: اللام في (لفي خسر)[٥] .

واكتفى سبحانه ببيان سبب الربح دون الخسارة لأنه المقصود، وما عداه يؤدي إلى النقص والخسران، أو تكرما فإن الإبهام في جانب الخسر كرم [٦] .

وجاءت نصوص أخرى صريحة بخسارة من يترك عمل الصالحات، كما في قوله تعالى:]

---

(١) انظر:التحرير والتنوير لابن عاشور ، (٣٠/٥٣٢).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، (٤/٥٤٨)، إرشاد العقل السليم ،(٩/١٩٧).

(٣) انظر: الكشاف ، (٤/٨٠٠)، معالم التنزيل ،(٤/٥٢٣)، وقال القاسمي: (رأس ماله هو نور الفطرة والهداية الأصلية). محاسن التأويل، (١٧/٢٤٥).

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن، (٩٣٤).

(٥) انظر: مفاتيح الغيب للرازي، (٣٢/٨٣).

(٦) انظر: المصدر السابق، (٣٢/٨٥).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ Z [المؤمنون: ١٠٣]، لأن الموازين هي معايير الأعمال، وقوله تعالى:] إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ Z [المجادلة: ١٩] أي: بطاعتهم إياه في معصية الله.

ومن غلبته نفسه الأمارة بالسوء، وأمرته بالشهوات، وارتكاب المعاصي – صغائرها وكبائرها – ، وترك الفرائض والنوافل فقد سعى في انحطاط نفسه، واستقراره في دركات الشقاء والحرمان، ونجد في سورة الشمس تبيين هذا، ومقارنته بأثر الطاعة على النفس، قال تعالى:] 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E F G H Z [الشمس: ٧ – ١٠]، فمن ترك نفسه وهواها فمصيره الخيبة والخسران، ومثله قوله تعالى:] وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ Z [طه: ١٢٤]، وغيرها من الآيات [(١)] .

وترك الأعمال الصالحة مجلبة للخوف وزوال الأمن، وسبب للجزع، وانطفاء نور السعادة والطمأنينة، قال تعالى:] Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k Z [النحل: ٩٧]، وظلمة في القلب والبصيرة، وخروج عن محبة الله للعبد، قال تعالى:] ! " # $ % & ' ( ) Z [مريم: ٩٦][(٢)] .

ومن أراد النجاة من الشرور والخسران، وعلو البنيان، عليه إحكام الأساس؛ إذ علو البنيان على قدر إحكام الأساس، والأعمال هي البنيان، والإيمان أساسها؛ وليحمل بنيانه على قوة أساس الإيمان، ولا يترك العمل حتى ينجو [(٣)] .

---

(١) انظر: شؤم المعصية وبركة التقوى، لأحمد عزالدين البيانوني، (٧٧)، مكتبة الهدى، حلب، الطبعة الأولى، ١٣٩٢ هـ– ١٩٧٢م، المعصية وأثرها في الحياة الإنسانية، للسيد كامل الهاشمي (١٠)، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، الدار العالمية – بيروت.

(٢) انظر: وقفات تربوية في ضوء سورة العصر لعبدالعزيز ناصر الجليل، (١٥٢ – ١٥٦).

(٣) انظر الفوائد لابن القيم، (٢١٤)، عقيدة المسلم في ضوء القرآن والسنة لخالد العك، (٥١ – ٥٢).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

قال ابن تيمية: صلاح الإنسان في العلم النافع والعمل الصالح [١] .

والإنسان وإن ربح الثروة الكبيرة فهو في خسارة محققة إن لم يعمل للآخرة عملا صالحا طيبا، وهذه السورة دافع إلى استفراغ الجهد في الجد والعمل المربح، لأنه لا زال المجال متاحا للكسب والربح، نسأل الله التوفيق والفلاح.

وفي المطلب التالي سيتم الحديث عن أسباب الخسران الواردة في سورة العصر.

(١) انظر: مجموع الفتاوى، (١٦/٦٥).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المطلب الثاني
ترك التواصي بالحق والصبر

الوصية هي التقدم إلى الغير بما يعمل به مقترنا بوعظ،وتَوَاصَى القَوم إذا أَوَصَى بعضهم إلى بعض. (١)

والقيام بالحق يكون بفعل المأمور ظاهرا وباطنا، وترك المحظور ظاهرا وباطنا (٢).

وأحق الحق توحيد الله U - وبه فسر الزجاج قوله تعالى:] - . Z، حيث قال: تواصوا بالإقامة على توحيد الله والإيمان بنبيه r (٣) -، وهو أول شيء يجب العلم به، والانقياد له، والتواصي به، يقول ابن القيم: الحق هو توحيده وعبادته وحده لا شريك له، وهو أحق الحق. (٤)

والمتأمل في آيات سورة العصر، وما تحمله من المعاني الإيمانية والتربوية، يدرك أهمية الترابط بين آياتها، وأن الفائدة لا تتم إلا بتناول آياتها كاملة (٥)، واستكمالا لأسباب الخسارة الوارد ذكرها في السورة، نأتي على ذكر آخرها، وهو: ترك التواصي بالحق والصبر، و قد عُطف على عمل الصالحات- وإن كان داخلا فيها- وذلك من قبيل عَطْف الخاص على العام، للاهتمام به لأنه قد يُغفل عنه (٦)، يقول تعالى:] ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 Z [العصر : ١ - ٣].

---

(١) انظر: المفردات للراغب، مادة وصى، (٥٢٥).
(٢) انظر: وقفات تربوية في ضوء سورة العصر، لعبدالعزيز ناصر الجليل،(١٦٥).
(٣) انظر: معاني القرآن، (٢٧٥/٥).
(٤) انظر: مفتاح دار السعادة، (٢٠١).
(٥) انظر: وقفات تربوية في ضوء سورة العصر، لعبدالعزيز ناصر الجليل، (٥).
(٦) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، (٥٣٢/٣٠).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

فجنس الإنسان هالك، مغبون، خاسر في أعماله، وفي تجارته، وفي عمره ، وفي عقوبة إلا إن كان من الذين آمنوا بربهم، وقرن ذلك الإيمان بالتزود بالطاعات، والإكثار من الصالحات، وصار لشدة محبته للطاعة لا يقتصر على ما يخصه بل يوصي غيره بلزوم الإيمان والعمل الصالح ، وأداء الطاعات وترك المعاصي والمحرمات، و بالخير كله ، من إيمان بالله U، واتباع كتبه، ورسله ؛ وكان ممن يوصي بعضهم بعضا بالصبر عن المعاصي التي يُزينها الشيطان فتشتاق الأنفس لها، وعلى الطاعات، فإنها لا تخلو من إكراه النفس على ترك ما تميل إليه، وفي الحديث : (حجبت النار بالشهوات، وحجبت الجنة بالمكاره) [١]، وعلى ما يبتلي به الله عباده من المصائب والرزايا - إذ الوصول إلى الحق سهل، أما البقاء عليه والصبر على الاستقامة عليه هو دليل صدق الإيمان- ؛ وهذا نهاية الكمال،فإن الكمال إنما يتأتَّى فيمن كمل في نفسه وكان مكملا لغيره، وكماله بإصلاح قوتيه العلمية – وذلك بالإيمان–، والعملية –وذلك بالعمل الصالح–، وتكميله غيره بتعليمه إياه، والصبر عليه [٢].

وحتى يُدرك حجم الخسران المتحقق فيمن لم يسلك طريق النجاة، يُقارن بين متاع الدنيا الزائل، وبين نعيم الآخرة الباقي، ومحال أن يتساوى النعيمان، ولا نجاة للناس من الخسران إلا بمعرفة الحق واتباعه، ثم حمل بعضهم بعضا على سلوكه، وحثهم عليه. [٣] لأنه من المعلوم أن المعاصي والذنوب تُعمي القلب فلا يدرك الحق، وتضعف عزيمته فلا يصبر عليه، فينقلب في أمره، ويسوء حاله. [٤]

واختير التعبير في ملازمة الحق والصبر عليه بلفظ الوصية بصيغة الجمع إشارة إلى الرفق، واستعمال اللين في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتنبيها إلى أن يكون أمر المؤمنين قائم على التآمر بهما، وذلك يقتضي اتصاف المؤمنين بإقامة الحق، وصبرهم على المكاره، حتى لا يكون ممن يأمر غيره وينسى نفسه، فقد قال الله تعالى موبخاً بني إسرائيل:

[t u v w x y z { | } ~ Z]البقرة:

---

(١) تقدم تخريجه ص ٢٣٧.

(٢) انظر: مفاتيح الغيب ،(٣٢/٨٥)، أنوار التنزيل ، (٥/٥٢٦)، تفسير ابن كثير،(٤/٥٤٩)، مفتاح دار السعادة لابن القيم، (١/٥٦-٥٧).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (٢٠/١٨١)، تفسير ابن كثير،(٤/٥٤٩)، تفسير المراغي، (١٠/٤٨٧-٤٨٨).

(٤) انظر: الجواب الكافي لابن القيم،(٦٣-٦٤).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

٤٤][(١)]، وللدلالة على أهمية الاجتماع في أمر الدعوة إلى الله، والائتلاف، وللإشارة إلى أن الحق والدعوة إليه محتاج إلى التواصي والتكاتف والتعاون، وهذا من صفات الجماعة الناجية، يقول الدكتور الراوي: (وروح الجماعة سارية في صفات الذين يخرجون من الخسران، فهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وهم جمع في ذواتهم وإيمانهم وأعمالهم، وجمع في تواصيهم بالحق، وتواصيهم بالصبر؛ ولا يتصور تواصي بلا جمع، ولا جمع يبقى بلا تواصي بالحق والصبر) [(٢)].

ويفهم –أيضا – من قوله تعالى: (وَتَوَاصَوْا) أن لزوم الحق علما وعملا وتعليما من الأمور الشاقة، التي تحتاج إلى التواصي والتعاون، وذلك لما يعترض طريق الحق من عقبات، يقول الرازي: دلت الآية على أن الحق ثقيل، وأن المحن تلازمه، لذلك قرن به التواصي. [(٣)]

ويضرب ابن القيم مثالا للحق والعقبات من حوله بقوله:(مثل الحق مثل طريق مستقيم واسع، وعلى جنبيه قطاع ولصوص، وعندهم خواطئ قد ألبسوهن الحلي والحلل، وزينوهن للناظرين، فيمر الرجل بالطريق فيتعرضن له، فإن التفت إليهن طمعن في حديثه فألقين إليه الكلام، فإن راجعهن وأجابهن دعينه إلى الذبح، فإذا دخل عرين الموت صار في قبضتهن أسيرا أو قتيلا، فكيف يحارب قوما من هو أسير في قبضتهم قتيل سلاحهم؟ بل يصير هذا عونا من أعوانهم قاطعا من قطاع الطريق، ولا يعرف حقيقة هذا المثل إلا من عرف الطريق المستقيم وقطاع الطريق ومكرهم وحيلهم، وبالله التوفيق وهو المستعان). [(٤)]

وصوّر الصادِّين عن الحق ووسائلهم مع أهله بقوله: فإذا جاء الحق معارضا في طريق رياستهم طحنوه وداسوه بأرجلهم، فإن عجزوا عن ذلك دفعوه، فإن عجزوا عن ذلك حبسوه في الطريق وحادوا عنه إلى طريق أخرى؛وإن جاء الحق ناصرا لهم وكان لهم صالوا به وجالوا وأتوا إليه مذعنين، لا لأنه حق بل لموافقته غرضهم وأهواءهم وانتصارهم به،

~ } | { z y x w v u t s r q p o n [

(١) انظر: نظم الدرر للبقاعي، (٥٢٤/٨)، التحرير والتنوير لابن عاشور،(٥٣٣/٣٠)

(٢) كلمة الحق في القرآن الكريم، لمحمد الراوي، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، (٧٣٩/٢).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب،(٨٥/٣٢).

(٤) الصواعق المرسلة، (١٢٥٦/٤).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ © أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ ´ µ Z [النور : ٤٨ - ٥٠]. (١)

ولثقل الحق كان السلف يتواصون به، وينبهون على ثقله، فقد جاء في وصية أبي بكر الصديق لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، أنه قال: (إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم في الدنيا الحق وثقله عليهم، وحق لميزان ألايوضع فيه إلا الحق أن يكون ثقيلا، وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم في الدنيا الباطل وخفته عليهم، وحق لميزان ألا يوضع فيه إلا الباطل أن يخف)(٢).

وكُرر لفظ (التواصي) لاختلاف متعلقه، ففي الموضع الأول يتضمن الدعاء إلى الله، وفي الثاني الثبات عليه، أو لكمال الاعتناء بالتواصي بالصبر.

وقيل: عَطْف التواصي بالصبر على الحق من قبيل عطف الخاص على العام للمبالغة، فإن إفراده بالذكر، وتخصيصه بالنص عليه من أعظم الأدلة الدالة على فضله على خصال الحق، ومزيد شرفه عليها. (٣)

وقد نبه ابن القيم على أن موضوع السورة كلها هو الحق، فقال: تضمنت هذه السورة مراتب أربعة: معرفة الحق، والعمل به، وتعليمه من لا يحسنه، والصبر على تعلمه وتعليمه والعمل به. (٤)

والتواصي بالحق من صفات أهل الإيمان، قال تعالى: [c b a ` _ ^] \ [Z k j i h g f e d]Z[التوبة:٧١]، ومن مقومات خيرية هذه الأمة ومعالم سبقها، قال تعالى: [3 2 1 0 / . - , + *) (' & % $ # " ! Z 9 8 7 6 5 4]Z[آل عمران:١١٠]، وهو سبيل

---

(١) انظر: مدارج السالكين، (٥٣/١).

(٢) الزهد، لابن المبارك، (٩١٣/١)، دار الكتب العلمية - بيروت، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي.

(٣) انظر: أنوار التنزيل ، (٥٢٦/٥)، إرشاد العقل السليم ، (١٩٧/٩)، فتح القدير ، (٤٩٢/٥)، النشر لفوائد سورة العصر للشوكاني (١٣١).

(٤) انظر: مفتاح دار السعادة، (٥٩).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الفلاح في الدارين، قال تعالى: [f g h i j k l m
p q r s t Z][آل عمران: ١٠٤]، وهو من صفات
أهل النصر والتمكين، قال تعالى في سورة الحج: [J K L M O
P Q R S T U V W X Y Z [\
^ _ ` a c d e f Z][الحج: ٤٠-٤١]،
وتركه من أسباب الهلاك والخسران.

ومن الأسباب التي تصدُّ عن الحق: الحسد، والبغي، والظلم، والكبر، والعناد، وحب الجاه والشهرة، يقول ابن القيم: الأسباب المانعة من قبول الحق كثيرة جدا، منها الجهل به، وهذا السبب هو الغالب على أكثر النفوس، لأن من جهل شيئا عاداه وعادى أهله، فإن انضاف إلى هذا السبب بغض من أمره بالحق ومعاداته له وحسده كان المانع من القبول أقوى، فإن انضاف إلى ذلك ألفه على ما كان عليه آباؤه ومن يحبه ويعظمه قوي المانع. (١)

فليسأل الإنسان ربه الهداية إلى طريق الحق ولزومه، وليلزم التواصي به؛ ومن صور لزوم الحق والتواصي به (٢):

- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله، وبدون ذلك يضعف التواصي بالحق أو ينعدم، لأن التواصي بالحق هو أصل الأمر والنهي، والدعوة والجهاد، والمقصِّر في التواصي بالحق قد قصَّر في أصل عظيم من أصول النجاة في الدنيا والآخرة، وسماه ابن القيم ب(موت القلوب) (٣) .

- التجرد في قبول الحق والإذعان له إذا تبين له، على أي لسان و من أي جهة، فقد ذم الله تعالى من يردُّ الحق إذا جاء به من يبغضه، ويقبله إن جاء به من يحبه، وقال بعض الصحابة: (اقبل الحق ممن قاله وإن كان بغيضا، ورد الباطل على من قاله

---

(١) انظر: هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم، (٦٤)، طبعة الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة.

(٢) انظر: وقفات تربوية في ضوء سورة العصر، لعبدالعزيز ناصر الجليل،(١٧٩-٢٠٠).

(٣) انظر: أعلام الموقعين، (٢/١٧٧)، النشر لفوائد سورة العصر، للشوكاني، (١٣٧) وما بعدها.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وإن كان حبيبا) [١].

- المناصحة بين المسلمين، خاصة بين أهل العلم والدعوة والصلاح.

وليلزم الصبر والتواصي به مع التواصي بالحق، لأنه إن لم يكن مع التواصي بالصبر تواصيا بالحق لم ينفع التواصي بالصبر، إذ التواصي بالصبر لا يجدي إن لم يكن على الحق والتقوى والعمل الصالح [٢]، يقول ابن تيمية: (لايمكن للعبد أن يصبر إن لم يكن له ما يطمئن بـــه، ويتنعم ويتغذى به، وهو اليقين) [٣].

وقال: والتواصي بالحق بدون الصبر كما يفعله الذين يقولون آمنا بالله فإذا أوذي أحدهم في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله، وكقول الذين قالوا V U T S RM L [Z Y X [ص : ٦] كلاهما موجب للخسران، وإنما نجا من الخسران الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر. [٤]

وكل أصول النجاة من الخسران المذكورة في سورة العصر لا تقوم ولا تستقيم إلا بالصبر، فهو من أعظم أصول النجاة، إذ يشمل التواصي بالصبر بطاعة الله، وترك معاصيه، والصبر على بلائه. [٥]

ومن هنا ندرك كثرة حديث القرآن عن الصبر فقد ورد في كثير من السور المكية والمدنية ، لحاجة المؤمن أن يتزود بهذا الزاد الإيماني في جميع الأحوال، ولضرورة الصبر في جميـــع مراحل الدعوة وهو ضرورة دنيوية كما أنه ضرورة دينية، فلا نجاح في الدنيا، ولا فـــلاح في الآخرة إلا بالصبر.

وهو أول منازل الإيمان [٦]،والتخلق به ملاك فضائل الأخلاق كلها، لأن التحلي بكـــريم

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم، (٣/٥٢٢).

(٢) انظر: وقفات تربوية في ضوء سورة العصر، لعبدالعزيز ناصر الجليل،(٢١٢).

(٣) مجموع الفتاوى، (٢٨/١٥٣).

(٤) انظر: قاعدة في المحبة، (٣/٢٠٥)،مكتبة التراث الإسلامي - القاهرة، تحقيق : د. محمد رشاد سالم

(٥) انظر: وقفات تربوية في ضوء سورة العصر، لعبدالعزيز ناصر الجليل،(٢٠٩)، منازل الـــسائرين، لعبـــد الله الأنصاري الهروي، (٤٩-٥٠)،دار الكتب العلمية - بيروت – ١٤٠٨هـــ– ١٩٨٨م.

(٦) انظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم، (٣٣٨).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الخصال مرهون بحمل النفس بمخالفة شهوات كثيرة، وفي مخالفتها تعب يقتضي الصبر عليه حتى تكون مكارم الأخلاق ملكه [١].

ومما يعين على الصبر إدراك ما في المأمور من الخير والنفع، ومافي المحظور من الشر والضر، مع العزيمة الصادقة، والهمة العالية، ومتى تحقق هذا فقد تحقق الصبر. [٢]

وإذا تحقق الصبر كان بإمكان النفس التي تريد النجاة من الخسران التواصي بالصبر، ومن صور ذلك [٣]:

- تسلية المصابين، وتعزية من مات له ميت، فعن أبي هريرة t قال: قال r : (حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس) [٤].
- والوصية لأهل النعم والغنى بالصبر وشكر النعم، فهم أحوج من غيرهم إلى الوصية بالصبر، قال بعض السلف: البلاء يصبر عليه المؤمن والكافر، ولا يصبر على العافية إلا الصديقون [٥].
- التواصي بترك ما يضاد الصبر، والتحذير مما يقدح فيه، من التشكي، واليأس من رحمة الله، والجزع والتسخط.
- التواصي بالصبر عند الغضب، حتى لا يحدث مالا يُحمد عقباه، فقد جمع الرسول r بين الصبر عند المصيبة والصبر عند الغضب، ففي الحديث الصحيح الذي رواه مسلم أن رسول الله r قال : ما تعدون الرَّقُوب فيكم؟ قالوا :الرقوب الذي لا يولد له، قال: ليس ذاك بالرقوب، ولكن الرقوب الرجل الذي لم يقدم من ولده شيئا، ثم قال: ماتعدون الصُرَعة فيكم؟ قالوا: الذي لا يصرعه الرجال، فقال: ليس

---

(١) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور،(٥٣٣/٣٠).

(٢) انظر: عدة الصابرين لابن القيم، (٤٧).

(٣) انظر في ذلك: وقفات تربوية في ضوء سورة العصر، لعبدالعزيز ناصر الجليل،(٢٣٩،٢٤١،٢٤٣،٢٤٨).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب الأمر باتباع الجنائز، (٤١٨/١)، ح(١١٨٣)، ومسلم في كتاب السلام، باب من حق المسلم للمسلم رد السلام، (١٧٠٤/٣)، ح (٢١٦٢).

(٥) انظر: عدة الصابرين لابن القيم، (٥٥).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

بذلك، ولكن الصرعة الذي يملك نفسه عند الغضب) [١]، قال ابن تيمية: فذكر ما يتضمن الصبر عند المصيبة، وعند الغضب، لأن الصبر صبران: صبر عند الغضب، وصبر عند المصيبة [٢].

وحُكْمُ الله بالخسارة على جميع الناس إلا من كان متصفا بصفات أربع، وهي: الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر دالٌ على أن النجاة منوطة بتكميل الأمور الأربعة، فبالأمرين الأولين يُكمِّل العبد نفسه، وبالأمرين الأخيرين يُكمِّل غيره، وبهذا يسلم العبد من الخسار، ويفوز بالربح العظيم، أما من فاته الربح فبحسبه يحصل له نوع من الخسران. [٣]

وكما قرن الله بين التواصي بالحق والتواصي بالصبر، فقد قرن بين التواصي بالصبر والتواصي بالمرحمة، قال تعالى:] ثُمَّ كَانَ مِنَ ´ µ ¶ ¸ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ Z [البلد: ١٧]، والتواصي بالمرحمة داخل في التواصي بالحق. [٤]

وعلى اختصار سورة العصر إلا أنها من أجمع سور القرآن الكريم للخير، كما قال ابن القيم، لتضمنها النصيحتين،والتكميلتين، وكمال القوتين، فأما النصيحتان: فنصيحة العبد نفسه، ونصيحته لأخيه بالحق والصبر، وأما التكميلان: فتكميل العبد لنفسه، وتكميله أخاه، وأما كمال القوتين، فالقوتان هما: قوة العلم وكمالها بالإيمان، وقوة الإرادة والعلم وكمالها بعمل الصالحات، ولا يتم ذلك لها إلا بالصبر، ومن اتصف بذلك فهو الرابح كل الربح. [٥]

ورحم الله الشافعي حين قال: (لو فكر الناس كلهم في هذه السورة لكفتهم) . [٦]

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب، (٤/٢٠١٤)، ح(٢٦٠٨).

(٢) انظر: الاستقامة، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، (٢/٢٧٢)، جامعة الإمام محمد بن سعود - المدينة المنورة – ١٤٠٣هـ، الطبعة : الأولى، تحقيق : د. محمد رشاد سالم، مجموع الفتاوى، (٢٨/١٥٩-١٦٠).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب للرازي،(٣٢/٨٥)، تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي، (٩٣٤).

(٤) انظر في ذلك: وقفات تربوية في ضوء سورة العصر، لعبدالعزيز ناصر الجليل،(٢١٣-٢١٤).

(٥) انظر: مفتاح دار السعادة، (١/٥٧)، الكلام على مسألة السماع، لابن القيم، (٤٠٤)، دار العاصمة-الرياض-١٤٠٩هـ، الطبعة الأولى، تحقيق راشد عبدالعزيز الحمد.

(٦) مفتاح دار السعادة لابن القيم، (١/٥٦).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

إذ السورة قد تضمنت ذكر صفات الناجين من الخسران، ومنها: تواصيهم بالحق ولزومه، وتواصيهم بالصبر، وبدون التواصي بالحق تضعف النفوس أمام شبهات الباطل، فإذا كثر الباطل، ولم يوجد التواصي بالحق تكتسب النفوس حب الباطل، ورد الحق [١]، والحق ثقيل، والعقبات من أمامه كثيرة، وبدون التواصي بالصبر يتعذر تحقيق التواصي بالحق؛ وتضمنت هذه السورة الأمر بالمعروف والنهي عن النكر، والتناصح، ومحبة الخير للغير، وبهذا يُدحض كيد الشيطان، ويسعى الناس في إصلاح أنفسهم، وفي إصلاح غيرهم، فيجتمع لهم ملاك الفوز والفلاح، وصلاح المجتمع؛ جعلنا الله ممن أوصى نفسه وغيره بأصول النجاة وعمل بها، فنال النجاح والنجاة في الدارين .

(١) انظر: وقفات تربوية في ضوء سورة العصر، لعبدالعزيز ناصر الجليل،(١٧٥).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المطلب الثالث

عدم الأخذ بميثاق الله ونقضه

الميثاق هو: عقد مؤكد بيمين وعهد يعسر نقضه، وهو العهد المحكم. (١)

والنقض هو: انتثار العِقْدِ من البناء والحبل والعَهد، وهو ضد الإبرام، وأصله في طاقات الحبل، واستعمل في إبطال العهد مجازا واستعير استعارة مكنية، لأنه تمثيل لإبطال العهد شيئا فشيئا وفي أزمنة متكررة، ولأن النقض أبلغ في الدلالة على الإبطال من القطع والصرم. (٢)

والنقض هو إفساد ما أبرمه الإنسان من بناء أو عهد(٣) ، أو هو فسخ التركيب(٤) .

والمراد بنقض العهد، عدم الوفاء بما أعلن الإنسان الالتزام به، أو قطعه على نفسه، من عهد أو ميثاق، سواء فيما بينه وبين الله، أو فيما بينه وبين الناس.

والفرق بين النقض والخيانة: أن الخيانة تقتضي نقض العهد سراً، أما النقض فإنه يكون سراً وجهراً، فيكون النقض أعمّ من الخيانة، ويراد منه الغدر(٥) .

وقد دلت الآيات والأحاديث الصحيحة على وجوب الوفاء بالعهد، وبينت شناعة جرم نقضه أو الاخلال به، وأن ذلك موجب للخسران، وقد يصل بفاعله إلى الكفر (٦)، قال تعالى: [@ A B Z[الأنعام : ١٥٢]، و [ ] ^ _ ` a Z [النحل : ٩١]، وروى البخاري أن رسول الله r قال: (أربع من كن فيه كان منافقا

---

(١) انظر : المفردات للراغب، مادة وثق، (٥١٢)، غريب القرآن للسجستاني، (٤٥٤)، معجم مقاييس اللغة لابن فارس، مادة وثق، (٨٥/٦).

(٢) انظر :المفردات للراغب، مادة نقض، (٥٠٤)،عمدة الحفاظ للسمين الحلبي، ماة نقض، (٢٤٦م٤)، أنوار التنزيل للبيضاوي، (٢٦٣/١-٢٦٥)، التحرير والتنوير لابن عاشور، (٣٦٨/١).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٤٦/١)، لسان العرب لابن منظور، مادة نقض، (٢٤٢/٧).

(٤) انظر: روح المعاني للألوسي، (٢١٠/١).

(٥) انظر: المفردات للراغب، (١٦٣).

(٦) انظر: العهد والميثاق في القرآن الكريم، لناصر بن سليمان العمر، (٢٠١)، الطبعة الأولى، ١٤١٣، دار العاصمة، الرياض.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

خالصا: من إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها) [١]، والأحاديث كثيرة جدا، فنقض العهد محرم بصريح الكتاب والسنة. وهو كبيرة من كبائر الذنوب[٢].

ومن أخطر القضايا التي نسيها الكثير من المسلمين لجهلهم واتباع أهوائهم قضية العهد(عهد الله)، لذا ظل القرآن يؤكد هذه القضية سورة بعد سورة، وآية بعد آية، ويفصل معناه، ويبين أسسه وشروطه، وأهمية الوفاء به. [٣]

وحينما تعظم الآيات شأن العهد، ووجوب الالتزام به فإنها في الوقت نفسه تعظم من خطر التفلت منه، ومخالفته أو نقضه، وأن من يفعل ذلك فهو في خسران مبين، وله عذاب أليم، قال تعالى:] V U T S R Q P O N M L K J I H G F E D C B A @ ? > = < ; : 9 8 7 6 5 4 3 2 1 0 / . - , + *) (' & % $ # " ! ~ } | { z y x w v u t s r q p o n m l k j i h g f e d c b a ` _ ^] \ [Z Y X W ﴿أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ ۝ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ Z [البقرة : ٢٦-٢٧].

وورد العهد في القرآن بمعانٍ عديدة [٤]، منها: الالتزام واليمين [٥]، كما في قوله تعالى:] ﴿ ۝ ﴾ Z [البقرة : ٤٠]، ومنها: الوعد [٦] قال تعالى:] ﴿لَا عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ Z [البقرة : ١٢٤]، ومنها العقد والميثاق [٧] قال تعالى:]

---

(١) تقدم تخريجه ص١٩٩.

(٢) انظر: الكبائر للذهبي ،(١٦٨)، والزواجر لابن حجر الهيثمي، (١٤٠).

(٣) انظر: عهد الله والعهد مع الله بين التفلت والالتزام، لعدنان رضا النحوي، (١٩)، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، دار النحوي للنشر.

(٤) انظر: العهد والميثاق في القرآن الكريم، لناصر بن سليمان العمر، (١٥٥-١٥٦).

(٥) انظر: النكت والعيون للماوردي، (٤٥٣/١).

(٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (٢٠٨/٢).

(٧) انظر: النكت والعيون، (١٧١/١)، إرشاد العقل السليم،(٣٠٧/١).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

F G H I Z [البقرة : ١٧٧]، و جاء العهد بمعنى الوصية والأمر [١]، كقوله تعالى: [v w x y z { | } ~ ﴿أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ ۝ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ Z [البقرة : ٢٧].

وجاء بمعانٍ أخرى عديدة لكن ما يهمنا من المعاني في هذا المبحث هو المعنى الأخير، أن العهد يراد به الوصية والأمر؛ ففي أول آية يرد فيها لفظ العهد في القرآن نجد الحكم على من نقض العهد بالكفر، فيفهم أن الالتزام بالعهد من صميم الإيمان، وأنه لا إيمان إلا بالتزام عهد الله، يقول تعالى في معرض ذكر صفات الكفار[٢]: [J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m n o p q r s t u v w x y z { | } ~ ﴿أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ ۝ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ Z [البقرة : ٢٦-٢٧]، ثم جاء بعدها مباشرة قوله تعالى:] ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ﴾ Z [البقرة : ٢٨]، إشارة إلى أن فعل ذلك موجب للكفر.

وقد ورد خلاف بين المفسرين في المراد بالعهد الذي وصف الله هؤلاء الفاسقين بنقضه، وذكروا أقوالا عديدة[٣]، منها:

١- هو وصية الله إلى خلقه، وأمره إياهم بما أمرهم به من طاعته، ونهيه إياهم عما نهاهم عنه من معصيته في كتبه وعلى لسان رسوله r ، ونقضهم ذلك تركهم

(١) انظر: جامع البيان، (١/١٨٢)، الجامع لأحكام القرآن، (١/١٤٦).

(٢) كما نص على ذلك ابن القيم، فقد فسر الفسق هنا بالكفر. انظر: الجواب الكافي، (٣/٣٥٩-٣٦٠).

(٣) انظر: جامع البيان ، (١/١٨٢-١٨٣)، معالم التنزيل ، (١/٥٩)، البحر المحيط، (١/٢٧٢).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

العمل به، وبه قال القاسمي [١].

٢- هو ما أخذه الله على أهل الكتاب في التوراة من العمل بما فيها، واتباع محمد r إذا بُعث، والتصديق به، ونقضهم له حينما جحد كفار أهل الكتاب والمنافقين منهم نبوة محمد r بعد معرفتهم بحقيقته، وإنكارهم ذلك، وهذا اختيار ابن جرير[٢]، وهو قول مقاتل [٣]، وبه قال ابن عاشور [٤].

٣- هو عهد الله إلى جميع أهل الشرك والكفر والنفاق في توحيده، وما وضع لهم من الأدلة الدالة على ربوبيته، وعهده إليهم في أمره ونهيه ما احتج به لرسله من المعجزات التي يعجز أحد عن مجاراتها، ونقضهم ذلك تركهم الإقرار بما قد تبينت لهم صحته بالأدلة، وتكذيبهم بالرسل والكتب، وروي عن مقاتل نحو هذا، وحسنه ابن كثير [٥]، وإليه مال الزمخشري [٦].

٤- هو العهد الذي أخذه عليهم حين أخرجهم من صلب آدم، قال تعالى:] 6

| C B A @ ? > = < ; : 9 8 7

U T S R Q P O N M L K J | H |F E

c b a ` _ ^] \ [Z Y X W V

---

(١) انظر: محاسن التأويل، (٨٨/١)

(٢) انظر: جامع البيان لابن جرير، (١٨٣/١).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم، (٧٢/١)،(٢٩٤)، وهو مقاتل بن سليمان بن كثير الأزدي الخراساني، أبو الحسن البلخي المفسر، كان من أوعية العلم، رُمي بالتجسيم، من مصنفاته: نظائر القرآن، مات سنة ١٥٠هـ.
انظر : طبقات المفسرين للداوودي، (٥٢٠)، سير أعلام النبلاء للذهبي، (٢٠١/٧).

(٤) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، (٣٦٧/١،٣٧٢،٣٧٠).

(٥) انظر: تفسير ابن كثير، (٦٧/١).

(٦) انظر: الكشاف للزمخشري، (١٤٩/١).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

Z d [الأعراف : ١٧٢-١٧٣]، ونقضهم هو تركهم الوفاء به، وروي عن مقاتل [١].

٥- العهد الإلهي عهدان: عهد فطري خلقي، وعهد ديني شرعي، ووُثِّق الأول بجعل العقول قابلة لإدراك سنن الله في الكون، ووُثِّق العهد الديني بما أيد به الأنبياء من آيات بينات وأحكام محكمات، ووُثِّق العهد الأول بالعهد الثاني، فمن أنكر الرسل فهو نا قض لعهد الله.

٦- يعم العهد الذي بينهم وبينه، والذي بينهم وبين عباده.

والمراد بالفاسقين هنا المنافقين والكفار، بدليل أن الأوصاف في الآية جاءت مغايرة لأوصاف المؤمنين المذكورة في سورة الرعد، قال تعالى:] 7 6 5 4 3 F E D C B A @ ? > = < ; : 9 8 S R Q P O N M L K J I H G T U V W X Y Z [\ Z [الرعد: ٢٠ - ٢٢]، إلى أن قال: [w x y z { | } ~ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ Z [الرعد : ٢٥]، فعقب باللعنة وسوء الدار، وهذا لا يكون إلا للكفار[٢]، و لأن الميثاق هنا مفرد مضاف وهو للعموم. [٣]

ونقل ابن عطية تعليل ذلك –أن المراد بالآية الكفار- بأن ظاهر الآيات التي قبلها والتي

(١) أخرجه ابن أبي حاتم، (١/٧١).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، (١/٦٦).

(٣) انظر: البحر المحيط في أصول الفقه، لبدر الدين محمد بن بهادر بن عبدالله الزركشي، تحقيق محمد محمد تامر، (٢/٢٢٩)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

بعدها في الكفار. [١]

وخالف ابن عاشور، حينما أكد أن الآية ظاهرة في أنها موجهة إلى اليهود، و متضمنة الوعيد والتوبيخ للمشركين وأهل الكتاب، وعلل هذا بأن قوله تعالى:] p q r s t Z[البقرة : ٢٦] المراد به اليهود، لكثرة إطلاق وصف الفاسقين على اليهود، ولاشتهارهم به، فقد شهدت عليهم كتب أنبيائهم بأنهم نقضوا عهد الله غير مرة، وأنه وإن ورد وصف المشركين بالأوصاف الواردة في سورة الرعد فهذا لا يناقض جعل آية سورة البقرة موجهة إلى اليهود، لأنه لا يلزم المفسر حمل آي القرآن على معنى واحد [٢].

أقول: ما ذهب إليه ابن عاشور له وجاهته، لكن القول بأن الآية في شأن الكفار عموما ويدخل فيهم اليهود أولى، لعمومه وشموله، ولدلالة آية الرعد على أن هذه الصفات للكفار دون تحديد، ولما نص عليه ابن القيم من أن المراد هنا بالفاسقين الكفار[٣] ولأن سياق آية سورة البقرة في شأن الحديث عن الكفار كما قال ابن عطية [٤]، ولفظ الفاسقين يطلق في آيات عديدة ولا يراد به اليهود، كقوله تعالى:] وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ Z [المائدة : ١٠٨]، وقوله تعالى:] 0 1 2 3 4 5 6 7 Z A @ ? > = ; : 9 8 B [المنافقون : ٦].

وعلى كل فإن الآية تحذير لمن ينقض عهد الله على العموم،وكل عهدٍ لله يصدق عليه ذلك، لأن العهد مفرد مضاف، والمفرد إذا أضيف فإنه من صيغ العموم.

فالذين ينقضون عهد الله هم الفاسقون الخاسرون الهالكون، الذين تركوا ما عهد الله إليهم في الكتب التي أنزلها إلى رسله باتباع محمد r ، و الإقرار به وبما جاء به، وتبيين نبوته للناس، وكتموا بيان ذلك بعد علمهم به، كما قال تعالى:] k l m n

(١) انظر: المحرر الوجيز ، (١/١١٣).
(٢) انظر: التحرير والتنوير ، (١/٣٦٧، ٣٧٢-٣٧٣).
(٣) انظر: الجواب الكافي، (٣/٣٥٩-٣٦٠).
(٤) انظر: المحرر الوجيز، (١/١١٣).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

z y x w v u t s r q p o

} | { ﴿ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ Z [آل عمران : ٨١]، واستبدلوا النقض بالوفاء، والعقاب بالعذاب، فاستحقوا الخزي في الدنيا والذل والهوان، وعذاب الآخرة، قال تعالى:] ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾ Z[الرعد : ٢٥]، وحرموا رحمة الله التي هم يوم القيامة أحوج ما كانوا إليها، وخسروا أعمالهم التي عملوها، فنقص حظهم من الفلاح والفوز وخسروا الدين وهو أعز نعمة، وفي الآخرة كما حرموا من الجنة حُرموا رضا الله ،وفاتهم ما أثاب الله به الوافين بالعهد.(١)

قال الشيخ عبدالرحمن الدوسري مبينا نهاية أمر من ينقض العهد: حظوظ الناقضين العهد منحصرة في الخسران بجميع أنواعه، حكما من الله لا مبدل لكماته. (٢)

فنقض العهد مذمة في الدنيا ووبال في الآخرة، وهو خسران مبين.

ويقوم عهد الله بالشهادتين، وبما ينشأ عنهما من تكاليف ربانية جاءت في القرآن والسنة، وهو ماضٍ إلى قيام الساعة، ملزم لكل إنسان، وهو الأساس لكل العهود التي يقيمها بنو آدم في الدنيا ويرضاها الله. (٣)

وتتواصل آيات العهد مبينة كفر من نقض عهد الله، ونافية الإيمان عنه، تأكيدا على وجوب تحقيق الالتزام بعهد الله، فيقول تعالى:] ﴿ © أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ ´ | ¶ ¸ وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ Z [البقرة : ٩٣]، وبينت آية أخرى أن من أهم أسباب نقض العهد

---

(١) انظر: جامع البيان ، (١/١٨٣-١٨٥)، مفاتيح الغيب ، (٢/١٣٧)،تفسير ابن كثير، (١/٦٧)،الوفاء بالعهد في القرآن الكريم، لحسني أمين مصري ، (٢٨٦)، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، دار المنار، القاهرة.

(٢) انظر: صفوة الآثار، (٢/٦٤)

(٣) انظر: عهد الله، لعدنان رضا النحوي، (٥٠).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

هو عدم الإيمان قال تعالى:] أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ © نَبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ Z [البقرة : ١٠٠] (١)، وبينت آية النساء التلازم الكبير بين نقض العهد والكفر بالله قال تعالى:] ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 Z [النساء : ١٥٥].

ولا يمكن أن نجد أشد من تعبيرات القرآن لتبيين خطورة نقض العهد، فقد حفلت آيات القرآن الكريم بالتحذير من نقض العهد وتبيين آثار نقضه، فمن أعظم آثار نقض العهد – كما بينا – الكفر وعدم الإيمان، فقد كان نقض العهد والكفر قرينان في القرآن، قال تعالى:] v w x y z { | } ~ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ © هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ Z [البقرة : ٢٧]، ثم قال:] كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ Z [البقرة : ٢٨]؛ وحصول الفسق كما قال تعالى:] وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ Z [الأعراف : ١٠٢]؛ وتحقق الخسران، وهو أثر عظيم، لأنه إذا كان الناس يفرون من خسارة الدنيا فرقا منها فكيف بخسارة الدنيا والآخرة؛ واستحقاق اللعن كما في قوله تعالى:] v w x y z { | } ~ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ Z [الرعد : ٢٥] (٢)؛ وبغض الله له، والحرمان الكامل من رؤية الله له وكلامه معه والنظر إليه، قال تعالى:] إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ Z [آل عمران:٧٧] (٣)وتخييم الذل والهوان، ولننظر في حال المسلمين اليوم، ولنتساءل: ما سبب

(١) انظر: العهد والميثاق في القرآن، لناصر العمر، (١٥٦-١٥٧).
(٢) انظر: العهد والميثاق في القرآن، لناصر العمر، (٢١٥-٢١٩).
(٣) الوفاء بالعهد في القرآن الكريم ، لحسني أمين مصري، (٣٠٠).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الذل الذي أصاب المسلمين اليوم؟ إنه ليس ظلما من الله، بل من أنفسهم ومما كسبت أيديهم، فحل بهم الذل والهوان، وظهرت الفتن وأسباب الفرقة،فدخل أعداء الله وشياطين الإنس والجن من أبواب الفرقة،فنزل عقاب الله، وسلط عليهم من لا يخافه ولا يرحمهم. (١)

ونقض العهد هو من خصال النفاق، وطبائع اليهود، فقد عُرفوا بذلك عبر تاريخهم الطويل والأسود، فعرفوا بنقض العهود والمواثيق، مع الله، ومع أنبيائهم، وهم في كل زمان ومكان ناقضون للعهد، فاستحقوا الطرد من رحمته(٢).

ونقض العهد يؤدي إلى تفكك المجتمع، وشيوع البغضاء والفساد فيه، فهو سبب الفساد والإفساد المعنوي والحسي، تفسد به العقول والتصورات، فيكون الإخلال بالواجبات، وعدم المبالاة بانتهاك المحرمات، ولا فساد أعظم من فتنة الناس عن ملة إبراهيم u . (٣)

يقول قتادة محذرا من شناعة نقض عهد الله: (لا نعلم الله جل ذكره أوعد في ذنب ما أوعد في نقض الميثاق، فمن أعطى عهد الله وميثاقه من ثمرة قلبه فلْيَفِ به لله) (٤).

فالناقضون العهد الكفر متحقق فيهم، والخسران نهايتهم، واللعن في انتظارهم؛ والمتأمل لواقع البشرية الآن يدرك ما تعيشه من مآسي، فهي من محنة إلى محنة، ومن اضطراب لآخر، وحروب ودمار؛ وما ذاك إلا لخلل في الإيمان، واضطراب في العهد ومعناه ومبناه؛ ولا سبيل للنجاة إلا بالتوبة، والعودة إلى دين ربها، وتحكيم شرع الله، وبهذا يحدث الأمن، ويحل الاستقرار. (٥)

فالمسلمون اليوم بأمس الحاجة إلى إدراك حقيقة عهد الله، ومدى ارتباطه بقضية التوحيد

---

(١) انظر: عهد الله، لعدنان رضا النحوي، (٦٦-٦٧)،

(٢) انظر: من هدي القرآن في كشف مفاسد بني إسرائيل، لعبدالقادر شيخ إبراهيم، (٣، ٥)، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م ، دار القلم العربي، سوريا، اليهود في القرآن ، لعفيف عبدالفتاح طبارة، (٥٩).

(٣) انظر: صفوة الآثار، (٢/٦٧-٦٨)

(٤) أخرجه ابن جرير في جامع البيان، (١/١٨٤).

(٥) انظر: العهد والميثاق في القرآن، لناصر العمر، (٢٢٦-٢٢٧)،عهد الله، لعدنان رضا النحوي، (٢٠)، الوفاء بالعهد في القرآن الكريم، لحسني أمين مصري، (٢٩٣-٢٩٤).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

والإيمان، وبالولاء لله ورسوله، ويفرض عليهم واقعهم المرير العودة إلى عهد الله، والتذكير به وبالدار الآخرة، و أن ينهضوا ليقدموا للعالم دعوة الإسلام [١]، وإذا ما قصروا فهم أول الخاسرين، ويمتد الفساد والظلم في الأرض حتى ينالهم .

(١) انظر: عهد الله، لعدنان رضا النحوي، (٦٧،٧٦).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المبحث الخامس
عدم مغفرة الله ورحمته (١)

الناس في الدنيا مستودع الذنوب والخطايا، غرهم الدنيا بزخرفها، وأعانهم على ذلك شيطان رجيم، ونفس أمارة بالسوء، فأقاموا على الذنوب والمعاصي، وتركوا الطاعات؛ ولا ملجأ لهم ولا مفر إلا عفو الله ورحمته، ومغفرته وإحسانه، فهو الغفور الرحيم سبحانه، واسع المغفرة والرحمة، قال تعالى :] رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً

(١) أثبت السلف صفة الرحمة لله عزوجل،ووقفوا على معناها العام دون اللجوء إلى إدراك الكنه والكيفية، وهي من صفات الأفعال، لأنه سبحانه يرحم من يشاء ويعذب من يشاء، ويمكن عدُّها من صفات الذات باعتبار أن الله لم يزل متصفا بالرحمة-كما رجح ذلك الشنقيطي-، وهي ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، وهي صفة كمال لائقة بالله تعالى، لا يجوز نفيها ولا تعطيلها.

وخالفت المعتزلة والأشاعرة فأنكروا صفة الرحمة بحجة أن الرحمة رقة في الراحم، وهي ضعف وخور في الطبيعة، وهذه المعاني نقص، وما كان كذا فهو مستحيل في حقه تعالى.

وما ذكره هؤلاء هو من لوازم صفات المخلوق، أما بالنسبة إلى صفات الخالق فهذه اللوازم غير لازمة لصفاته، وقياس صفات الخالق على صفات المخلوق قياس فاسد، وهو سر ضلال الجهمية؛ والكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، وأين الضعف والخور من رحمة الله التي وصف بها نفسه، وأمر عباده أن يتواصوا بها. وقد رد ابن القيم على القائلين بأن رحمة الله مجاز رداً مفصلاً، وأتى بما لا مزيد عليه في كتابه (الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة).

وهناك طائفة أخرى فسرت صفة الرحمة بالإرادة، وهذا تفسير مبتدع ومرفوض، لأن الإرادة صفة مستقلة قائمة بنفسها، كما أن الرحمة صفة قائمة بنفسها، وكما قال ابن القيم: تنازع الناس في كثير من الأحكام، و لم يتنازعوا في آيات الصفات وأخبارها في موضع واحد، بل اتفق الصحابة والتابعون على إقرارها وإمرارها مع فهم معانيها، وإثبات حقائقها، وقد بينها الله بيانا شافيا لا يقع فيه لبس.

انظر: الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه، لمحمد أمان علي الجامي، (٢٨٥، ٢٨٧-٢٨٨)، الطبعة الأولى، ١٤٠٨، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، أسماء الله الحسنى لابن القيم ، (٦٣)، تحقيق: يوسف بديوي وأيمن عبدالرزاق، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م ، منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات لمحمد الأمين الشنقيطي، (٢٥-٢٦)،الدار السلفية - الكويت - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، الطبعة : الرابعة، النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى، لمحمد الحمود النجدي (١/٨٠)، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، مكتبة الإمام الذهبي/ الكويت، الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ، لابن القيم، (١/٢٢٠-٢٢٩)، (٢/٦٣٢-٦٣٣)، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الثالثة / ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م ، تحقيق علي محمد الدخيل الله.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

Z [غافر : ٧]، و قال تعالى: [u v w x Z [النجم : ٣٢].

والمغفرة من الله أن يصون العبد من أن يمسه العذاب ، بستر ذنوب العبد وتغطيتها والعفو عنها ، ويتجاوز عن مؤاخذته. (١)

والرحمة هي: النعمة على المحتاج (٢)، وقيل: هي رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وإذا وصف بها الباري سبحانه فليس يراد به إلا الإحسان المجرد عن الرقة، وعلى هذا رُوي: أن الرحمة من الله إنعام وإفضال، ومن الآدميين رقة وتعطف . (٣)

والرحمة المضافة إلى الله نوعان: أحدهما : مضاف إليه إضافة مفعول إلى فاعله، والثاني: مضاف إليه إضافة صفة إلى موصوف، فمن الأول ما جاء في الحديث القدسي: (فقال للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء) (٤)، فهذه رحمة مخلوقة مضافة إليه إضافة المخلوق بالرحمة إلى الخالق، وسماها رحمة لأنها خلقت بالرحمة. (٥)

ورحمة الله تامة عامة؛ تامة من جهة قضاء حاجات المحتاجين، وعامة لشمولها المستحق وغير المستحق (٦)، وهي صفة أزلية قائمة بذاته تعالى، لا تدرك بذاتها وإنما بآثارها، ومن آثارها: العفو عمن يستحق العقوبة. (٧)

---

(١) انظر في مادة غفر: المفردات للراغب، (٣٦٢)، عمدة الحفاظ للسمين الحلبي، (٣/٢٠٠)، وانظر: تفسير أسماء الله الحسنى، لإسحاق بن إبراهيم الزجاج، (٣٨)، تحقيق أحمد يوسف الدقاق، بدون، دار الثقافة العربية، شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين، (١/٢٥٣)، شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية،لمحمد خليل هراس، (١٠٦)، النهج الأسمى لمحمد الحمود النجدي، (١/١٧٧).

(٢) انظر: نزهة الأعين النواظر، لابن الجوزي، (٣٣١).

(٣) انظر في مادة رحم: المفردات للراغب، (١٩١)، عمدة الحفاظ للسمين الحلبي، (٢/٨٧)، وانظر في ذلك أيضاً: المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، لمحمد بن محمد الغزالي، (١/٦٢)، الرحمة في القرآن، لموسى عبده العسيري، (٢١-٢٢).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى: (وتقول هل من مزيد)، (٤/١٨٣٥) ح(٤٥٦٩)، و مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، (٤/٢١٨٦) ، ح(٢٨٤٦).

(٥) انظر: أسماء الله الحسنى لابن القيم، (٢٩٤).

(٦) انظر: المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، لمحمد بن محمد الغزالي، (١/٦٢)، الجفان والجابي - قبرص – ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م، الطبعة : الأولى، تحقيق : بسام عبد الوهاب الجابي.

(٧) انظر: الرحمة في القرآن، لموسى عبده عسيري، (٢١)، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ-

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ومعرفة هذين الوصفين يملأ القلب رغبة وطمعا في فضل الله وإحسانه وجوده؛ إذ عدم مغفرة الله ورحمته للعبد مدعاة لفوات الربح عليه، وخسارة حاله في الدنيا والآخرة، حيث أن الكل محتاج إلى رحمة الله تعالى في الدنيا وفي الآخرة-وهو الأهم-، حيث أنه لن ينفع أحدا عمله يوم القيامة، ففي الحديث الصحيح: (لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ .قالوا: ولا أنت يا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: لَا ولا أنا إلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا)[١]، فبها أسكنهم دار ثوابه، وبها أرسل رسله إليهم، وأنزل كتبه عليهم، وبها هداهم، ورزقهم وعافاهم، ولذا اقترنت الرحمة بالربوبية قال تعالى: [F G H Z] [طه : ٩٠] [٢]، ومن تمام رحمة أرحم الراحمين ابتلاء العبد، وتضييق الدنيا عليه حتى لا يركن إليها، ويرغب في النعيم المقيم [٣]،فالعبد في غاية الافتقار إلى رحمة الله، إذ كل ما فيه من النعم واندفاع النقم من رحمة الله، وشرع الله كله رحمة وحكمة، ومبني على ذلك. [٤]

والعبد محتاج أيضا إلى عفو الله ومغفرته، إذ الكل مثقل بأوزار الخطايا، ولا سبيل للفكاك والنجاة من خزي الدنيا وعذاب الآخرة إلا بنيل مغفرة الله للذنوب، وتكفير السيئات، والعفو عما اقترفه.

ولذا جاء اقتران الاسمين (الغفور، الرحيم) في آيات القرآن، بل هما من أكثر أسماء الله اقترانا، لأنهما يدلان على معنى متشابه، ففي المغفرة زوال الكروب وسقوط عقوبة الذنوب، ، وفي الرحمة حصول المطلوب والإنسان مفتقر إلى هذا وهذا [٥]، ولأن الرحمة من لوازم المغفرة، إذ المغفرة لا تكفي للعبد، لأن معناها ستر الذنب لا إزالته والعفو عنه، لكن الله كما ستر الذنب عن أعين الخلق قد يستره عن العبد فتكون الرحمة، حتى أن

١٩٩٢م.

(١) تقدم تخريجه ص (٢٣٧).

(٢) انظر: مدارج السالكين لابن القيم، (١/٣٥)، الرحمة في القرآن لموسى عسيري، (١٤٥).

(٣) انظر: إغاثة اللهفان لابن القيم، (٢/١٧٤).

(٤) انظر: الرحمة في القرآن لموسى عسيري، (٣٠٢)، الصواعق المرسلة لابن القيم، (٢/١٢١-١٢٤)، الرحمة في القرآن والسنة، لجاد مخلوف جاد، ٢٥-٢٨، بدون ، مكتبة المسلم العصرية، القاهرة، الهداية لأسباب السعادة لعبدالله جار الله الجار الله، (٢٦) ، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧ م، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة.

(٥) انظر: شرح العقيدة الواسطية لمحمد بن صالح العثيمين، (١/٣٤٤)، (١/٢٥٣).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

دخول الجنة لن يكون بسبب المغفرة بل برحمة الله.

قال ابن القيم: المغفرة تمنع الشر، والرحمة توجب الخير، والرب سبحانه إن لم يغفر للإنسان فيقيه السيئات وعقابها، ويرحمه فيؤتيه الحسنات وإلا هلك وخسر ولا بد، إذ كان ظالما لنفسه ظلوما بنفسه [١]، ولا أعظم من خسارة من حُرم رحمة الله وغفرانه، قال تعالى:] : ; < = > ? @ A B C D E

F G H I J K L M N | P Q R S T

U V W X Z [البقرة: ٦٣ - ٦٤]، فهم نقضوا العهد والميثاق مع الله، فحرفوا التوراة، وتركوا التمسك بما فيها بعدما عملوا بها حينا من الزمن، ولولا رحمة الله ولطفه بهم، وتفضله عليهم بالتوبة من خطيئتهم، والعفو عنهم، وإرساله النبيين، وإنعامه عليهم بالإسلام، وإمهاله لهم حيث لم يعاجلهم بالعقوبة، لكانوا من الهالكين بما اجترموا من المخالفة والانغماس في المعاصي، المغبونين بالعقوبة، الخاسرين سعادتي الدنيا والآخرة [٢]، والخاسرين أنفسهم وأهليهم في الدنيا بالهلاك والحرمان من الفوز، وفي الآخرة بأن خسروا منازلهم في الجنة -وهي خير ثوابا وخير أملا- [٣].

قال الراغب: الخاسر المطلق في القرآن هو الذي خسر أعظم ما يُقتنى، وذلك نعيم الآخرة، وهو المذكور في قوله تعالى:] I H J K L M N O P | R S T U V Z [الزمر: ١٥]. [٤]

و(لو) في الأصل امتناع الشيء لامتناع غيره، فإذا دخل على (لا) أفاد الثبوت، وهو امتناع الشيء لثبوت غيره. [٥]

وهؤلاء كادت أن تحل بهم العقوبة، وينزل بهم الخسران لولا فضل الله ورحمته بهم، إذ

---

(١) انظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين، (١٨٤).

(٢) انظر: جامع البيان، (٣٢٨/١)، معالم التنزيل، (٨٠/١)، أنوار التنزيل، (٣٣٦/١).

(٣) انظر: تفسير المنار لمحمد رشيد رضا، (٣٤٢/١)، صفوة الآثار والمفاهيم لعبدالرحمن الدوسري، (١٧٥/٢-١٧٦).

(٤) انظر: المفردات، (١٤٧).

(٥) انظر: أنوار التنزيل للبيضاوي، (٣٣٦/١).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

رحمة الله بهم أنجتهم من العذاب؛ وأسباب الرحمة والمغفرة متعددة، فقد جعل الله بعلمه وحكمته وفضله أسبابا وطرقا متنوعة لنيل عفوه ومغفرته، فهناك التوبة والاستغفار، والحسنات الماحيات، ودعاء المؤمنين للمؤمن ، والتوسل إلى الله بصفات عفوه ومغفرته[١]، وغيرها الكثير؛ وكما جعل للمغفرة أسبابا، فقد هيأ للدخول في رحمته أسبابا، وفتح لذلك أبوابا، ومتى ما أراد العبد الرحمة وأراد استبقاءها، والاستزادة منها فليعمل بجميع الأسباب، ومنها: التوبة ، والإحسان في العبادة، وتقوى الله والرحمة بالخلق، واستماع القرآن، وطاعة الله ورسوله، ويجمع هذه الأسباب قوله تعالى:] إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ Z [الأعراف : ٥٦]، وقوله تعالى:] 7 6 5 8 : ; < = > ? @ A B C D E F G H Z [الأعراف :١٥٦-١٥٧].[٢]

وقد أغوى الشيطان أبانا آدم وزوجه للأكل من الشجرة التي نهيا عنها، فما كان منهما إلا المسارعة بالتوبة، وطلب المغفرة من الله، قال تعالى :] ! " # $ % & ' ( ) * + , Z[الأعراف : ٢٣]، أي: ظلمنا أنفسنا بطاعة الشيطان، وبمخالفة أمرك، وإن لم تستر علينا ذنبنا فتغطيه علينا، وتتركه فضيحتنا به بعقوبتك إيانا عليه، وترحمنا بتعطفك علينا، والرضا عنا، لنكونن من الهالكين، الخاسرين لأنفسنا في الدنيا والآخرة، وللفوز والفلاح بتزكيتها[٣]، والخاسرين جميع ما حصل لنا من

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى، (٧/٤٨٧-٤٨٩)، فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن، لعبدالرحمن بن ناصر السعدي، (٣٧)، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، دار ابن الجوزي - الرياض.

(٢) انظر: الاستقامة لابن تيمية، (١/٧٩)، بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار لعبدالرحمن ابن سعدي،(١٨٨)، تحقيق عبدالكريم الدريبي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م، مكتبة الرشد، الرياض، الرحمة في القرآن لموسى عسيري، (٣٠٣)، النهج الأسمى لمحمد الحمود النجدي، (١/٩٢)

(٣) انظر: جامع البيان ، (٨/١٤٤)، تفسير المراغي، (٣/٢٧٨)، تيسير الكريم الرحمن ،(٢٨٥).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

كمالات [١].

(وأكدا جملة جواب الشّرط بلام القسم ونون التّوكيد إظهاراً لتحقيق الخسران، استرحاما واستغفاراً من الله تعالى)[٢]، فمنَّ الله عليهما بالتوبة وبقبولها، قال تعالى:] فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ Z [البقرة : ٣٧].

وصدرت هذه المقولة(طلب المغفرة والرحمة) من قوم موسى u لما عاد من مناجاة ربه- وكان قد أخبره الله باتخاذ قومه عبادة العجل-، فلما عاد وأوضح لقومه حقيقة الحال، وحرّق العجل، وردهم إلى الصواب ندم قومه على فعلتهم، وازدادت حسرتهم، قال تعالى حاكياً حالهم وحالتهم:] ¶ ، فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ Z [الأعراف : ١٤٩]، فتابوا واستغفروا ربهم، وقالوا: إن لم يرحمنا الله بقبول التوبة، ومغفرة الذنب لنكونن من الهالكين، الذين خسروا سعادة الدنيا والآخرة ، وخسروا أعمالهم وأعمارهم بالعقوبة [٣].

وكما سطر لنا القرآن طلب أبونا آدم المغفرة والرحمة، فقد سطر لنا طلب نوح u لمغفرة الله ورحمته، إذ (المغفرة إزالة السيئات، والرحمة إنزال الحسنات) [٤]، وجنس البشر محتاج إليها، قال تعالى على لسان نوح u :] > = < ; : C B A @ ? Z O N M L K J I G F E D [هود : ٤٧].

فيذكر الله إنابة نوح u بالتوبة إليه من زلته في مسألته التي سألها ربه في ابنه، ومبادرته إلى الاعتراف بالخطأ، وطلبه المغفرة والرحمة، حتى لا يكون من الذين غبنوا أنفسهم

---

(١) قال بعض العلماء: سعد آدم بخمسة أشياء: باعترافه بذنبه، وندمه عليه، ولوم نفسه، ومسارعته في التوبة، وعدم قنوطه من رحمة الله، وشقي إبليس بهذه الخمسة لأنه لم يعملها. انظر: محاسن التأويل للقاسمي، (٣٩/٧).

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور، (٦٧/٨).

(٣) انظر: جامع البيان ، (٦٢/٩-٦٣)، التفسير المنير ، (١٠٣/٥-١٠٤)، محاسن التأويل ، (٢٥٤/٧)، التفسير الموضوعي لآيات التوحيد، لعبدالعزيز الدردير، (١٣٩)، مكتبة القرآن - القاهرة، بدون.

(٤) مجموع الفتاوى ،(٢٧٧/٢٩-٢٧٨).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

حظوظها من الخير وهلكوا.(١)

ولي وقفة يسيرة بعقد مقارنة بين هذه الآيات الثلاث:

- قولـــه تعـــالى : [! " # $ % & ' ( ) * + , Z [الأعراف : ٢٣].

- و قوله تعـــالى : [¶ ¸ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ وَرَأَوۡاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ Z [الأعـــراف : ١٤٩].

- و قوله تعالى : [< = > ? @ A B C D E F G H I J Z K L M N O Z [هود : ٤٧].

أولا: هذه الآيات جميعها جاء خبر كان فيها شبه جملة (الجار والمجـــرور) [* + , Z، [M N O Z، ولم يجيء (لنكونن خاسرين) ، (أكن خاسرا) لأن ذلك أقوى في إثبات الخسارة ، ولأن المقصود إثبات الخسارة في حال عدم مغفرة الله ورحمته، حيث أن التعريف في [O Z تعريف جنس، وإخبار المتكلم عن نفـــسه بأنه يخشى أن يكون من الخاسرين يفيد خشيته أن يكون واحدا من هذه الفئة، وهذا أبلغ من التصريح (لنكونن خاسرين) (أكن خاسرا)؛ يقول الزمخشري: قولك فلان من العلماء أبلغ من قولك فلان عالم، لأنك تشهد له بكونه معدودا في زمرتهم، معروفة مـــساهمته في العلم.(٢)

ثانيا: آية الأعراف التاسعة والأربعين بعد المائة [¶ ¸ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ وَرَأَوۡاْ أَنَّهُمۡ

(١) انظر: جامع البيان ، (٥٤/١٢)، المحرر الوجيز ،(١٧٨/٣)، فتح القدير ، (٥٠٣/٢).
(٢) انظر: الكشاف ، (٣٣٦/٣)، التحرير والتنوير ، (٢٦٣/٧-٢٦٤)، (١١٣/٩).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ Z [الأعراف : ١٤٩]، نجدها تختلف عن الآية الثالثة والعشرين من السورة نفسها، و عن آية سورة هود u ، من وجهين:

الأول: أن آية الأعراف الثالثة والعشرين، وآية سورة هود u جاء الكلام فيها بتاء الخطاب، أما آية الأعراف] ¶ , فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ Z [الأعراف : ١٤٩]، فجاءت بياء الغيبة، وقد قُرئت بتاء الخطاب [١]، وارتضى هذه القراءة القرطبي[٢] وجعلها هي الأولى، لأنها أبلغ في الاستكانة، ففيها معنى الاستغاثة والتضرع والابتهال في السؤال والدعاء.

الثاني: قُدمت الرحمة على المغفرة في آية الأعراف التاسعة والأربعين بعد المائة - مع أن التخلية حقها التقديم على التحلية-، إما للمسارعة إلى ما هو المقصود الأصلي، وإما لأن المراد بالرحمة مطلق إرادة الخير بهم، وهو مبدأ لإنزال التوبة المكفرة لذنوبهم[٣]، وإما لأنها سببها [٤]، وإما لأن ذنبهم من أعظم الذنوب [٥].

وجاء اقتران الرحمة والمغفرة في آيات عديدة، وقدمت على الرحمة المغفرة في جميع المواضع [٦]، كقوله تعالى:] @ A B C D F G H I Z [يوسف : ٩٨]، وقوله:] نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ Z [الحجر : ٤٩]،

---

(١) وهي قراءة حمزة والكسائي، انظر: السبعة في القراءات، لأبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد،(٢٩٣).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (٢٨٦/٧). وهو محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري القرطبي المالكي، أبو عبدالله، فقيه مفسر محدث، من مؤلفاته: الجامع لأحكام القرآن ، التذكار في أفضل الأذكار، مات سنة ٦٧١هـ.

انظر: طبقات المفسرين للسيوطي، (٧٩)، طبقات المفسرين للداوودي، (٣٤٧).

(٣) انظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود، (٢٧٣/٣).

(٤) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، (١١٣/٩).

(٥) انظر: البحر المحيط لأبي حيان، (٣٩٢/٤).

(٦) انظر: أسماء الله الحسنى لابن القيم، (٢٦٨).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وقوله : [} { | } ~ ¬ Z [الكهف : ٥٨]، وقولـه: [! " # $ % & ' ( ) * + , Z [الأعراف : ٢٣]، وقوله : [~ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْۖ © أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ Z [يوسف : ٩٢]؛ لأن المغفرة توطئة للرحمة، فـ(المغفرة سلامة، والرحمة غنيمة، والسلامة تطلب قبل الغنيمة) [(١)]؛ إلا في قوله تعالى: [4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B D E F Z [سبأ : ٢]، فالرحمة مقدمة على المغفرة إما بالفضل والكمال، وإما بالطبع لأنها منتظمة بذكر أصناف الخلق من المكلفين وغيرهم من الحيوانات فالرحمة تشملهم، والمغفرة تخصهم،والعموم مقدم على الخصوص، كقوله تعالى:

[m n o p q r s t u v w

x Z [البقرة : ٩٨] ؛وفي قوله تعالى: [قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ Z [الأعراف : ١٤٩]، قدمت الرحمة على المغفرة وتقدم ذكر سبب ذلك.

ومن الجهل والضلال، والاعتقادات الفاسدة الاعتماد على مغفرة الله ورحمته مجردا عن العمل الصالح، وتناسي أن الله كما هو غفور رحيم فإنه شديد العقاب سبحانه، فلا يجوز الإسراف في المعاصي لهذه الحجة، فالمغفرة إنما تكون للتائبين الأوابين، قال تعالى: [¸ تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا Z [الإسراء:٢٥]، وقال تعالى: [´ µ ¶ ¸ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ Z [النمل:١١] ، فاشترط تبدل الحال من عمل المعاصي والسيئات إلى عمل الصالحات لكي تتحقق المغفرة والرحمة[(٢)]؛ وهذا الاعتقاد الفاسد، والوهم الباطل رسخ في اعتقاد اليهود، وظنوا أن الخلاص والنجاة أمر جماعي لا فردي، وأنه بمجرد الانتساب لذرية إبراهيم u ضمان لصاحبه من العذاب، فأدى هذا

(١) بدائع الفوائد لابن القيم، (٦٧/١).

(٢) انظر: النهج الأسمى لمحمد الحمود النجدي، (١٧٨/١-١٧٩).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الاعتقاد إلى إسرافهم في الانحرافات، وكانوا أهلا للخسار والضلال؛ ورد القرآن مبدأهم الفاسد فقال:] 9 : ; < = > @! A B C D [Z M L K J I H G F E [النساء : ١٢٣]. (١)

قال ابن الجوزي: ينبغي لكل ذي لب أن يحذر عاقبة المعاصي، فإن الله U وإن كان حلمه يسع الذنوب ، إلا أنه إذا شاء عفا عن كثير من الذنوب ، وإذا شاء أخذ باليسير، فالحذر الحذر(٢).

فطوبى لمن كان له حظ وافر من رحمة الله ومغفرته،ويا لسعادة من التمس سبل وأسباب رحمة الله، وقام بشرع الله، وحظي بغفران الله، وتكفير السيئات عنه؛ وتبا لمن خرج عن رحمة الله التي وسعت كل شيء، وزهد بشرع الله، واستبدله بالعذاب، وترك أسباب المغفرة وسبل العفو جهلا وتقصيرا، واغتر بمتاع الدنيا الزائل، ورضي به بديلا من الآخرة، فعاش في أعظم خسران: خسران الدنيا والآخرة؛ إذ رحمة الله ومغفرته أساس النجاة، وعدمها موجب للهلاك.

ونحن إن عرفنا غرائزنا، وأدركنا خطر الشيطان، وربينا أنفسنا على الالتزام بعهد الله بإفراده بالعبادة، وبتزكية النفوس بالأخلاق الحسنة والأعمال الصالحة، وسارعنا حال خطئنا إلى التوبة وطلب المغفرة من الباري جل شأنه كنا سعداء برحمة الله ومغفرته في الدارين.

---

(١) انظر: اليهود في القرآن تحليل علمي لنصوص القرآن في اليهود على ضوء الأحداث المعاصرة، لعفيف عبدالفتاح طبارة، (٤٤-٤٥)، الطبعة الثانية، ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م، بدون.

(٢) انظر: صيد الخاطر، لأبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي، (١٣٥)، بدون ، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م، دار الكتب العلمية - بيروت.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المبحث السادس
ترك الدعوة للحق

الدعوة هي(جمع الناس على الخير، ودلالتهم على الرشد بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر). [١]

وقيل: هي المحاولة العملية والقولية لإمالة الناس إلى الدين. [٢]

وأولى دعوة هي دعوة النفس، دعوتها إلى عبادة الله وطاعته، ويدخل في ذلك الأهل والقرابات[٣].

والدعوة إلى دين الله هي وظيفة المرسلين الذين اختارهم الله لحمل رسالته وتبليغها للناس، ولذا كانت أشرف الوظائف، لأن الرسل هم أشرف الخلق، فوجب أن تكون وظيفتهم بهذه المنزلة الرفيعة [٤]، والرسل هم أسوة وقدوة، وواجب على كل أمة الاقتداء برسولها [٥]، وقد فرض الله على المسلمين أن يحملوا مواريث الأنبياء ، ويقوموا بالدعوة، فتعلو بذلك إنسانيتهم، ويحققوا الهدى والرشاد.

إضافة إلى وجوب التأسي في الدعوة نجد الحاجة الماسة إليها، إذ وجود الدعاة وقيامهم بواجبهم هو صمام أمان للمجتمع، يحفظه من البلاء، ويجنبه الفتن، التي إن ظهرت كانت سببا في هلاك المجتمع [٦]، ويسلموا من النقص والخسران؛ كيف وقد أمر الله بها،قال تعالى:] v w x y z { | ~ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ

---

(١) أسس الدعوة وأدب الدعاة، لمحمد السيد الوكيل، (٩)،الطبعة الثالثة، ١٤١٢هـ-١٩٩١م، دار المجتمع- جدة، دار الوفاء- المنصورة.

(٢) انظر: الدعوة الإسلامية أصولها وفروعها، لأحمد أحمد غلوش، (٩-١٠)، بدون ، ١٩٨٧م، دار الكتاب اللبناني- بيروت.

(٣) منارات في الطريق، لعبدالعزيز بن ناصر الجليل، (٧)، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، دار طيبة، الرياض.

(٤) انظر: أسس الدعوة وأدب الدعاة، لمحمد السيد الوكيل، (١٥).

(٥) انظر: منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله، لمحمد سالم محيسن، (٢٣-٢٤)، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، دار الجيل- بيروت.

(٦) انظر: أسس الدعوة وأدب الدعاة، لمحمد السيد الوكيل، (٢١).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

Z [النحل : ١٢٥]؛ وتركها مؤذنٌ بانحراف البشرية، والبعد بالمجتمع عن الجادة، وخوضه غمار التخلف والانحطاط الروحي والخلقي.

ومنذ بداية الرسالات إلى زمن محمد r وجميع الأنبياء يدعون إلى الله، ولم يثنهم في ذلك مخالفة الأكثر لهم، أو الأذى الذي يصيبهم؛ وكانت جميع رسالاتهم عليهم السلام قد اتفقت على الدعوة إلى وحدانية الله، قال تعالى: [! " # $ % & ') (* + , - . / Z [الأنبياء : ٢٥]، والدعوة إلى الإيمان باليوم الآخر، تخويفا للناس من الإهمال، وتحذيرا لهم من العصيان؛ والدعوة إلى أصول العبادات الخالصة لله، ومكارم الأخلاق حتى تكون حاجزا بين النفوس وشهواتها. (١)

وتهدف الدعوة الدعوة إلى الخير دائما، والوصول بالإنسان إلى كماله، وتحقيق السعادة الأبدية، وهداية الناس وإنقاذهم من الضلال، وأداء الأمانة التي حمّلها الله الدعاة، وإقامة الحجة على الناس (٢)؛ وبكل اختصار يحدد لنا القرآن معالم الدعوة الرئيسة في آيتين، هما قوله تعالى: [! " # $ % & ') (* + , - . / Z [الأنبياء : ٢٥]، وقوله تعالى: [C D E F G H Z Z K L M N O P Q R S T U V W X Y Z Z I J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z Z [الذاريات : ٥٦ - ٥٨].

وهاهو نبي الله صالح u يحذر قومه من مخالفة أمر الله، وترك الدعوة إلى دينه، فيقول: [! " # $ % & ') (* + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 Z [هود : ٦٣]، أي: فمن يمنعني من عذاب الله إن كتمت الرسالة، وكتمت بطلان آلهتكم، وتركت دعوتكم إلى الحق، وعبادة الله وحده

---

(١) انظر: منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله، لمحمد سالم محيسن، (٢١)، الدعوة الإسلامية أصولها وفروعها، لأحمد أحمد غلوش، (١٥٥-١٦٣).

(٢) الدعوة الإسلامية أصولها وفروعها، لأحمد أحمد غلوش، (٢٩)، أسس الدعوة وأدب الدعاة، لمحمد السيد الوكيل، (٨٨-٨٩).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

[١]، فلا أحد يدفع العذاب في هذه الحال؛ وإضافة إلى عدم مقدرتهم منع عذاب الله منه ما يزيدونه إن تابعهم وترك الدعوة إلى الحق وعبادة الله وحده حينئذ غير ضلال وإيقاع في الخسران، باستبدال بما عند الله ما عندكم[٢].

واختلف العلماء في المراد بقوله تعالى:] 4 5 6 7 Z، على أقوال يمكن إجمالها فيما يلي [٣]:

- قيل: تخسرون أعمالي وتبطلونها بإبطال ما منحني الله به، وبه قال الرازي [٤]، وأبو حيان [٥].

- وقيل: فما تزيدونني بما تقولون لي غير بصارة في خسرانكم وأن أخسركم، أي: أنسبكم إلى الخسران.

- وقيل : ما تزدادون أنتم إلا خساراً وضلالا وبعدا عن الخير، وليس التخسير إلا لهم، وأضيف إلى صالح u من حيث أنه مقتض لأقوالهم، موكل بأيمانهم، وهو قول مجاهد [٦] وعطاء [٧]،والفراء [٨]، واختيار ابن جرير[١]، وابن عطية [٢]،

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير،(٤٥٢/٢).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب ، (١٦/١٨)، أنوار التنزيل ، (٢٤٣/٣)، إرشاد العقل السليم ، (٢٢١/٤-٢٢٢).

(٣) انظر: جامع البيان ، (٦٤/١٢)، معالم التنزيل ،(٣٩١/٢)، الكشاف ، (٣٨٥/٢).

(٤) انظر: مفاتيح الغيب، (١٦/١٨).

(٥) انظر: البحر المحيط، (٢٤٠/٥). وهو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف أبو حيان الأندلسي الغرناطي، نحوي عصره ولغويه ومفسره ومحدثه ومقرئه ومؤرخه وأديبه، من مصنفاته: البحر المحيط، إتحاف الأريب، مات سنة٧٤٥هـ.

انظر: طبقات المفسرين للداووي، (٤٩٢)، معجم المؤلفين لرضا كحالة،(١٣٠/١٢).

(٦) أخرجه ابن جرير في جامع البيان، (٦٤/١٢).

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم، (٢٠٤٩/٦). وهو عطاء بن أبي مسلم أبو عثمان الخراساني، صدوق يهم كثيرا، له كتاب تنزيل القرآن وتفسيره وناسخه ومنسوخه، توفي سنة ١٣٥هـ.

انظر : طبقات المفسرين للداوودي، (٢٦٤)، الأعلام للزركلي، (٢٣٥/٤).

(٨) انظر: معاني القرآن، (٢٠/٢). وهو العلامة صاحب التصانيف أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبدالله بن منظور الأسدي الكوفي النحوي، صاحب الكسائي، ثقة ، له كتاب معاني القرآن، مات سنة ٢٠٧هـ.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

والقرطبي [٣].

وقال الراغب: الزيادة أن ينضم إلى ما عليه الشيء في نفسه شيء آخر، ومن الزيادة المكروهة (فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ). [٤]

وقال الألوسي: المراد بـ(تزيدونني) أي : تفيدونني؛ لأن أصل الخسران لم يكن في نبي الله صالح u حتى يزيدوه[٥].

ومما يبعث في النفس المؤمنة النشاط والرغبة في الدعوة رجاء عظيم الثواب من الله U، فقد قال r : (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه، من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً) [٦].

و الرغبة في إنقاذ الخلق من مهالك الضلال، والقراءة في سير الأنبياء –كما في قصة صالح u التي بين أيدينا- والدعاة إلى الله، الذين صبروا وصابروا، ولم يثنهم عن مواصلة الدعوة المتاعب والمشاق، ومما يحفز أيضا ما تهيأ في زماننا اليوم من وسائل معينة على نشر الدعوة،فهناك المؤسسات العلمية، والندوات والمحاضرات، ودور النشر، وشبكة المعلومات، ووسائل الإعلام المرئية والمسموعة، وغيرها؛ إلا أن أعظم دافع للدعوة إلى الدين هو ما يكيده أعداء الإسلام لأهله، وما يبثونه من سموم الكفر والفساد، فإن هذا موجب لمقاومته بضده،وذلك بالدعوة إلى الدين الحق، وحث أتباعه على التمسك به. [٧]

وحرمان الناس اليوم من السعادة الروحية، والطمأنينة النفسية، وفقدها الأمن يزيد من

انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (١٠/١١٨)،تذكرة الحفاظ للذهبي، (١/٣٧٢).

(١) انظر: جامع البيان لابن جرير، (١٢/٦٤).

(٢) انظر: المحرر الوجيز، (٣/١٨٤) .

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (٩/٥٩).

(٤) انظر: المفردات، مادة زاد، (١٢٦-١٢٧).

(٥) انظر: روح المعاني، (١٢/ ٩٠).

(٦) تقدم تخريجه ص (١٦٨).

(٧) انظر: صفات الداعية الناجح، لصالح بن محمد العليوي، (١٣، ١٦-١٨)، الطبعة الأولى،١٤١٦هـ-١٩٩٣م،دار القاسم- الرياض.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

حاجة العالم إلى الدعوة، والعودة إلى الحق [١].

(١) انظر: أسس الدعوة وأدب الدعاة، لمحمد السيد الوكيل، (١٦-١٧).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المبحث الـــسابع

خفة الموازين

قال ابن القيم: أصل كل خير العلم والعدل، وأصل كل شر الجهل والظلم. (١)

ومن تمام عدل الله سبحانه وضعه الموازين القسط ليوم القيامة، فتوزن أعمال العباد وزنا في غاية العدالة والإنصاف، فلا يظلم الله أحدا؛ وهذه الموازين منها ما يخف ومنها ما يثقل، و (حق لميزان توضع فيه الحسنات أن يثقل، وحق لميزان توضع فيه السيئات أن يخـــف) (٢)؛

ومن ثقلت موازينه نجا، أما من خفت موازينه فقد هلك، قـــال تعـــالى:] s t

[الأعراف : ٩] Z } | { z y x w v u

فمن خفت موازين أعماله الصالحة فلم تثقل بإقراره بتوحيد الله، والإيمان به وبرســـوله، واتباع أمره ونهيه، ورجحت سيئاته، فأولئك الذين غبنوا أنفسهم حظوظها مـــن جزيـــل ثواب الله وكرامته، و فاتهم النعيم المقيم، وحل بهم العذاب الأليم بما كـــانوا بحجـــج الله وأدلته يجحدون، وتلك غاية الخسارة. (٣)

وهؤلاء هم الكفار قد خسروا بسبب ظلمهم، لأنه لا معنى لكون الإنسان ظالما بآيات الله إلا كونه كافرا بها، منكرا لها، وهذا هو الكافر. (٤)

قال أبو بكر t حين حضره الموت في وصيته لعمر بن الخطاب t : (وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل في الدنيا، وخفته عليهم،وحق لميزان يوضع فيه الباطل غدا أن يكون خفيفا) (٥)

وفي الإشارة ب(أُولَئِكَ) معنى البعد، لبعدهم عن رحمة الله. (٦)

ومعلوم أن الخسران في الحقيقة ضد الربح، واستعير هنا في فقد نفع ما يرجى منه النفع(١)،

---

(١) انظر: إغاثة اللهفان، (١٣٧/٢).

(٢) انظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود، (٢١٣/٣).

(٣) انظر: جامع البيان ، (١٢٤/٨-١٢٥)، المحرر الوجيز ، (٣٧٦/٢)، تيسير الكريم الرحمن،(٢٨٤).

(٤) انظر: اللباب في علوم الكتاب لعمر بن علي بن عادل الدمشقي، (٢٤/٩)،أضواء البيان للشنقيطي، (٩/٢).

(٥) معالم التنزيل للبغوي، (١٤٩/٢).

(٦) انظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود، (٢١٣/٣).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

فالكفار اغتروا في الحياة الدنيا، وزعموا أنهم خير الناس عند الله، وأن عملهم خير العمل، فلما كان يوم الحساب كانت الخيرية والأفضلية لمن اتبع أمر الله، وباء هؤلاء الكفار المكذبون بالخسران، قال تعالى: [l k j i h g f e d c Z s r q p o n m] [الكهف: ١٠٣-١٠٤].

وبين الله في بعض المواضع من القرآن ما ينص على أن المراد بخسارتهم كونهم في الهاوية، قال تعالى: [U T S R Q P O N M L K Z Y X W V] [القارعة: ٨ - ١١] [٢]؛ وبينه أيضا بصورة أبشع في (سورة المؤمنون)، حينما صوّر عذابهم بشيء محسوس تقشعر منه الأبدان للتنفير من هذا العمل والتنفير من دربه، فقال جل شأنه: [وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ Z] [المؤمنون: ١٠٣]، فهم هلكوا وباؤوا بالصفقة الخاسرة، إذ استمرؤوا المعاصي، وغبنوا أنفسهم بتضييع زمان استكمالها، وتضييع فطرة الإيمان والعمل الصالح، وسيطرت عليهم الشهوات، حتى ثقلت سيئاتهم على حسناتهم، وأحاطت بهم خطيئاتهم، وانعدمت منهم الأعمال الصالحة، فكان مآلهم إلى جهنم لا يخرجون منها أبدا[٣]، و [تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ Z] [المؤمنون: ١٠٤]، فتحرقهم النار وهم عابسون متقلصوا الشفاه عن الأسنان من شدة الاحتراق [٤] [جَزَآءً وِفَاقًا Z] [النبأ: ٢٦]؛ لأنهم كذبوا بما جاء به الإسلام، وحسبوا أنهم قد أعدُّوا لأنفسهم الخير فوجدوا ضده، فكانت نفوسهم في خسارة أبدية، وشقاوة سرمدية-حينما صارت منازلهم للمؤمنين-، وهذا لا يكون إلا للكافر، أما من كان معه أصل الإيمان، ولكن عظمت سيئاته فرجحت على حسناته، فإنه وإن دخل النار لا يخلد فيها، كما دلت على ذلك

---

(١) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، (٣١/٨).

(٢) انظر: أضواء البيان للشنقيطي، (٩/٢).

(٣) انظر: جامع البيان، (٥٥/١٨)، تفسير ابن كثير، (٢٥٨/٣)، أنوار التنزيل ، (١٦٨/٤)، محاسن التأويل، (١٠٢-١٢).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج، (٢٠/٤) ،تفسير ابن كثير،(٢٥٨/٣) .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

نصوص الكتاب والسنة [١].

قال ابن عثيمين : الكافر خسر نفسه وأهله وماله؛ خسر نفسه لأنه لم يستفد من وجوده في الدنيا، بل ما استفاد إلا الضرر، وخسر ماله لأنه لم ينتفع به، قال تعالى:] وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ ´ μ ¶ د بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ Z [التوبة : ٥٤]، وخسر أهله لأنه في النار وصاحب النار لا يأنس بأهله. [٢]

وخلاصة القول: ميزان النجاة من النار والفوز بالجنة هو رجحان الحسنات على السيئات، وإلا فالمآل الخسران بدخول النار.

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي، (٥٥٩).

(٢) انظر: شرح العقيدة الواسطية، (١٤٥/٢).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المبحث الثامن
الأمن من مكر الله

المكر في الأصل الخداع وإخفاء الحيلة، وصرف الغير عما يقصده بحيلة، فإن كان يتحرى بفعله فعل جميل فهذا محمود، وإلا فهو مذموم. (١)

فالمكر هو التوصل بالأسباب الخفية لإيقاع الخصم. (٢)

ومكر الله إمهاله العبد وتمكينه من أغراض الدنيا، وإرداف النعم له مع المخالفة، وإبقاء الحال مع سوء الأدب، وأخذ الله لعبده من حيث لا يحتسب. (٣)

ولم يصف الله نفسه بالمكر إلا على وجه الجزاء لمن فعل ذلك بغير حق، [k l m o p q r Z [الأنفال : ٣٠]، والمجازاة حسنة من المخلوق فكيف بالخالق سبحانه. (٤)

ولا يوصف الله بالمكر على الإطلاق إلا مقيدا، فيقال: الله ماكر بالماكرين. (٥)

والمراد بالأمن من مكر الله الاسترسال في المعاصي اتكالا على عفو الله مع الاستدراج بالنعم. (٦)

والشرك نوعان: شرك أكبر، وشكر أصغر؛ والشرك الأكبر منافٍ للتوحيد ومخرج من الملة، ومن أنواعه: الشرك في الخوف، ومن أنواع الخوف: خوف السر كأن يخاف من غير

---

(١) انظر في مادة مكر: المفردات للراغب، (٤٧١)، عمدة الحفاظ للسمين الحلبي، (٤/١١٨-١١٩).

(٢) انظر: شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين، (١/٣٣١).

(٣) انظر: فتح المجيد لعبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، (٣٣٤)، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد لصالح الفوزان، (٥١)، شرح العقيدة الواسطية لصالح الفوزان، (٦٥) .

(٤) انظر: شرح العقيدة الواسطية لصالح الفوزان، (٦٦)، أعلام السنة المنشورة لحافظ الحكمي، (٧٢).

(٥) انظر: المحلى في شرح القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى لمحمد بن صالح العثيمين، تأليف: كاملة الكواري، (١٨٠)، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ -٢٠٠٢م دارابن حزم- بيروت، القول المفيد على كتاب التوحيد لمحمد بن صالح العثيمين، (٢/١٠١-١٠٢)، الطبعة الرابعة، ١٤٢١ هـ ، دار ابن الجوزي،الدمام.

(٦) انظر: حاشية العطار على جمع الجوامع، لحسن العطار،(٢/١٨٨)، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، الطبعة : الأولى، القول المفيد لابن عثيمين، (٢/١٠٦)، فتح المجيد لعبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، (٣٣٥).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الله كوثن، أوميت، أوطاغوت؛ وخوف السر من أهم أنواع العبادة، ويجب إخلاصه لله وحده، قال تعالى:] 7 8 9 : ; < Z [آل عمران : ١٧٥]، وهو من أعظم مقومات الدين، وأجل منازل الطريق إلى الله وأنفعها للقلب، وهو فرض على كل أحد، فقد مدح الله أهله في كتابه فقال:] ﴿ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ Z [الأنبياء : ٩٠]. (١)

والقنوط من رحمة الله سوء ظن بالله، وجهل بسعة رحمته سبحانه ومغفرته؛ والأمن من مكر الله جهل بالله وبقدرته، وثقة بالنفس وإعجاب بها، ومدعاة للاستكثار من المعاصي تبعا للهوى وتزيين الشيطان واغترارا بالدنيا. (٢)

قال ابن عثيمين : يفهم من قوله تعالى:] P O N M L J I H Z R Q [الأعراف : ٩٩] تحريم الأمن من مكر الله، لأن الجملة بصيغة الاستفهام الإنكاري، ولقول الله:] Z R Q P O N M L [الأعراف : ٩٩]. (٣)

فواجب صرفه لله تعالى وحده، وأن يكون مقرونا بالرجاء والمحبة؛ وقد دل عليه الكتاب والسنة، وأرشد إليه السلف، وقرره أهل السنة والجماعة ، فالمؤمن يسير في حياته بين خوفه من ربه سبحانه وبين رجائه له، فيكون خوفه خوفا محمودا يحول بين صاحبه وبين محارم الله (٤)، مقرونا بالرجاء والمحبة، حتى لا يذهب مع الرجاء فقط فيأمن مكر الله، ولا يذهب مع الخوف حتى يقنط من رحمة الله؛ لأن القنوط من رحمة الله والأمن من مكر الله ينافيان التوحيد، وهما من أعظم الذنوب، قال تعالى :] M L J I H Z R Q P O N [الأعراف : ٩٩]، وقال جل شأنه:] E D

---

(١) انظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد لصالح الفوزان، (٤٧)، مدارج السالكين لابن القيم، (١٣٦/٢).

(٢) انظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد لصالح الفوزان، (٥٢-٥٣)، فتح المجيد لعبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، (٣٣٥).

(٣) انظر: القول المفيد لابن عثيمين، (١٠٦/٢،١٠٨).

(٤) انظر: مدارج السالكين لابن القيم، (١٣٦/٢).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

F G H I J K Z [الحجر : ٥٦].

قال ابن القيم منبهاً على أهمية الخوف والرجاء والمحبة: القلب في سيره إلى الله بمنزلة الطائر، فالمحبة رأسه، والخوف والرجاء جناحاه، وكان بعض السلف يستحبون أن يُقوّى جانب الخوف في الصحة، وفي المرض الرجاء. (١)

فليكن حال المؤمن خائفا راجيا،يخاف ذنوبه، و يعمل بطاعة ربه ويرجو رحمته، كما قال تعالى: [﴿ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ ﴾ Z [الزمر : ٩]، و قال تعالى : [﴿ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ Z [الأنبياء : ٩٠]؛ وأن لا يعتمد على الخوف فيقنط من رحمة الله، ولا على الرجاء فيأمن مكر الله، لأن توازن القلب بين الخوف والرجاء دافع إلى العمل الصالح والبعد عن المعاصي، أما إذا اختل توازن القلب فمال إلى أحدهما فهذا مما يمنع العمل والتوبة، ويوقع في الهلاك، فإنه إن يئس من رحمة الله يترك العمل، وإن أمن مكر الله وعقابه اندفع للمعاصي. (٢)

وفيما قصه الله عن الأمم السابقة التي عطلت جانب الخوف فحل بها عقاب الله خير مذكر لأهل الإيمان، فقد وصفهم سبحانه بأنهم الخاسرون ، قال تعالى: [4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E F Z [الأعراف : ٩٧-٩٨]، ثم كرر ذلك الاستفهام لزيادة التوبيخ، فقال جل شأنه: [H I J K L M N O P Q R S Z [الأعراف : ٩٩].

فهو سبحانه لما ذكر حال المكذبين بيّن أن الذي حملهم على ذلك هو الأمن من مكر الله، وعدم الخوف منه، فهم أمِنوا مكر الله لما استدرجهم بالسراء، واستبعدوا أن يكون ذلك

---

(١) انظر: مدارج السالكين لابن القيم، (٢/١٤٥).

(٢) انظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد لصالح الفوزان، (٥٠-٥٣)، فتح المجيد لعبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، (٣٣٣).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

مكرا، قال الحسن البصري: من وسّع الله عليه فلم ير أنه مكر فلا رأي له. [١]

فسبب أمنهم بأس الله هو غفلتهم، لذا استحقوا أن يكونوا من الهالكين؛ لأنهم خسروا الانتفاع بعقولهم، وخسروا أنفسهم، وأضاعوا فطرة الله التي فطر الناس عليها، فإنه لا يأمن أحد أخذ الله تعالى للعبد من حيث لا يشعر إلا القوم الذين خسروا عقولهم [٢].

وهم أخسر الخاسرين في الدنيا والآخرة، لأنهم قد أوقعوا أنفسهم في الدنيا في الضرر، وفي الآخرة في أشد العذاب[٣]، حينما ركنوا إلى السلامة الحاضرة واطمأنوا بها، وأعرضوا عن التفكر فيما يعقبها من عاقبة السوء [٤]، والله قد منَّ عليهم بالنعم وهم على معاصيه، فظنوا الربح وهم في الحقيقة خاسرون، فأهلكهم الله ؛ وحذّر من بعدهم أن يفعلوا فعلتهم، فقال: [T U V W X Y Z [\ ] ^

_ ` a b c d e f g Z [الأعراف : ١٠٠]. [٥]

وهذه الآية -المحذّرة من الأمن من مكر الله-متضمنة التخويف البليغ من أن يأمن العبد نفسه على ما معه من الإيمان-فإنه لا أحد يأمن مكر الله واستدراجه للعبد، وسلبه ما أعطاه من إيمان-، بل المشروع في حقه أن لا يزال خائفا وجلا أن يبتلى في إيمانه، وأن يلزم الدعاء بما كان النبي r يكثر منه، وهو: (اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)[٦]، وأن يبتعد عن كل ما يؤدي إلى الفتن، إذ هو ليس على يقين بالسلامة، وهذا ما يخافه العارفون بالله، من أن يؤخر عنهم العذاب، فيحصل منهم الاغترار فيجيئهم

---

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، (٤٢٦)، عالم الكتب - بيروت - ١٩٩٩م، الطبعة : الأولى، تحقيق : محمد أيمن الشبراوي.

(٢) انظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود، (٢٥٤/٣)، محاسن التأويل للقاسمي،(٢٢/٧).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير، (٢٣٥/٢)، مفاتيح الغيب، (١٥١/١٤)، تفسير المراغي، (٣٦٢/٣).

(٤) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، (٢٤/٩).

(٥) انظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد لصالح الفوزان، (٥١)،القول المفيد على كتاب التوحيد لمحمد بن صالح العثيمين، (١٠١/٢).

(٦) أخرجه الترمذي في كتاب القدر، باب ماجاء في أن القلوب بين إصبعي الرحمن، (٤٤٨/٤)، ح(٢١٤٠)، وقال: حديث حسن، والنسائي في كتاب التعبير، باب قوله تعالى: (ولتصنع على عيني)، (٤١٤/٤، ح(٧٧٣٧)، وأحمد في مسنده، (١١٢/٣) ، ح(١٢١٢٨)، وصححه الحاكم (٧٠٦/١) ، (١٩٢٦)، ووافقه الذهبي، (٧٠٦/١)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، (٤٤٤/٢)، ح(٢١٤٠).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

العذاب على حين غرة [١].

قال الحسن البصري: المؤمن يعمل بالطاعات وهو مشفق وَجِل، والفاجر يعمل المعاصي وهو آمن. [٢]

وقال المراغي [٣]: إذا كانت الآية ناطقة بأن أمن الصالح المتعبد من مكر الله جهلا يورث الخسارة، فكيف بمن يأمن مكر الله وهو غارق في المعاصي اتكالا على عفو الله ومغفرته! [٤]

فالمحسنون المؤمنون من السلف والخلف يخافون سلب الإيمان وانسلاخ القلب من تحكيم الوحي والقرآن [٥]، يقول حاديهم:

والله ما أخشى الذنـــوب فإنها لعلى طريق العفو والغفران

لكنما أخشى انسلاخ القلب عن تحكيم هذا الوحي والقرآن. [٦]

وخوف مكر الله وعقابه قد قطع ظهور المتقين، وغفل عنه الظالمون ظناً منهم أنهم أخذوا موثقا من الله بالأمان، قال تعالى:] أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ à سَلْهُمْ â بِذَلِكَ زَعِيمٌ Z [القلم : ٣٩-٤٠]، وهو من أسباب الثبات على الصالحات.

---

(١) انظر: الفوائد لابن القيم،(١٦٤).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، (٢/٢٣٥).

(٣) هو أحمد مصطفى المراغي، مفسر مصري، من العلماء، له مصنفات عديدة، منها: الحسبة في الإسلام، الوجيز في أصول الفقه، توفي عام ١٣٧١هـ.
انظر: الأعلام للزركلي، (١/٢٥٨).

(٤) انظر: تفسير المراغي، (٣/٣٦٢).

(٥) انظر في سير السلف وخوفهم من الله كتاب التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، لعبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، (٣٢)،مكتبة دار البيان - دمشق - ١٣٩٩ هـ، الطبعة : الأولى ، صفة الصفوة لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، (١/٢٥١فما بعده)، (١/٤٠٥، ٤٨٣، ٤٩٢، ٥٩٥، ٧٠٩، ٧٦٥)، دار المعرفة - بيروت - ١٣٩٩ هـ- ١٩٧٩م الطبعة : الثانية، تحقيق : محمود فاخوري - د.محمد رواس قلعه جي،الخوف من الله وأحوال أهله، لمجدي فتحي السيد، (٣٤) فما بعدها.

(٦) انظر: توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، لأحمد بن إبراهيم بن عيسى، (٢/٦٠٢)، المكتب الإسلامي - بيروت – ١٤٠٦ هـ،الطبعة : الثالثة، تحقيق : زهير الشاويش.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

فهؤلاء المتقون خائفون من عذاب الله، أما من عداهم من أهل الكفر وأهل المعاصي المصرون عليها اتكالاً على رحمة الله فهم الذين أمنوا مكر الله، فهم أولى الناس بالخسارة(١).

ومن خاف الله في الدنيا أمَّنه في الآخرة [? @ A B C Z [الرحمن : ٤٦]، وأما من أمن مكر الله،وكان لا يبالي بالجزاء والحساب، فيؤتى كتابه بشماله ويصلى سعيراً، كما في قوله تعالى:] وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ۝أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن ´ µ ¶ ¸ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ Z [الواقعة : ٤١ - ٤٧]

فكل سائر إلى الله يعتريه شيئان يعوقانه عن ربه، هما: الأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله؛ وتكون مقاومة هذين الشيئين بالخوف والرجاء، والإخلال بهذين الشيئين إخلال بالتوحيد، وإفساد العقيدة (٢)، لأن من ثمرات الخوف قمع الشهوات، وتأديب الجوارح وتسخيرها في طاعة الله، وذلة القلب،ومحاسبة النفس، إذ قوة المحاسبة بحسب قوة الخوف من الله، والجد في طلب الصالح من العمل، وترك الركون إلى الدنيا. (٣)

ونحن اليوم في أزمة اختلقناها نحن، يوشك أن يعمنا الله بعذابه، إذ امتلأت الأرض بالخطايا والفجور بما لم يعهد له في التاريخ مثيل، فهاهو الزنا والربا والخمر، والمجاهرة بالمعاصي، وهاهي فتنة تُكَمِّل دور الهدم والدمار (فتنة النساء)، وصدق المصطفى r حين قال: (مَا تَرَكْتُ بَعْدي فِتْنَةً أضرَّ على الرِّجالِ مِنَ النِّساءَ) (٤)؛ ومامن تعظيم لحق الله، وما من خوف

(١) انظر: منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله، لمحمد سرور نايف زين العابدين، (١٣٩/٢).

(٢) انظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد لصالح الفوزان، (٥٣)،القول المفيد على كتاب التوحيد لمحمد بن صالح العثيمين، (١٠٧/٢).

(٣) انظر: مختصر منهاج القاصدين لأحمد بن عبدالرحمن بن قدامة المقدسي، (٣٢٣-٣٢٦)، الطبعة الرابعة، ١٣٩٤ هـ.، المكتب الإسلامي –دمشق.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب بيان ما يتقى من شؤم المرأة، (١٩٥٩/٥)، ح(٤٨٠٨)، ومسلم في

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

من عقابه وعذابه، نعوذ بالله من أمن مكره، ونعوذ به من الخسارة والدمار.

كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب أكثر أهل الجنة الفقراء، وأكثر أهل النار النساء، وبيان فتنة النساء، (٤/٢٠٩٨)، ح(٢٧٤١).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الفصل لثاني

عقوبة ا اسرين

وفيه م حثان:

المبحث الأول: عقوبة الخاسرين في الدنيا .

المبحث الثاني: عقوبة الخاسرين في الآخرة.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

تمهيد:

إن الله عدل حكيم سبحانه، أبان طريق الفلاح والسُبل الموصلة إليه، وحذر من الخسران وأسبابه؛ ومن رغب عن الفلاح وآثر الخسارة، عاقبه الله على سوء اختياره.

والمتأمل لآيات جزاء الخاسرين يجد أن القرآن يقدر العقوبة لهم في الدنيا قبل الآخرة، قال تعالى:] : ; < = > ? @ A B C Z [التوبة: ٦٩].

وكما أسلفنا الحديث عند أسباب الخسران من تفاوت الأسباب والذي ينشأ عنه التفاوت في العقوبة؛ ويظهر لي من خلال استقراء نصوص القرآن في عقوبة الخاسرين أنها واردة في شأن من أتى بما يخرج عن الملة، ويناقض أصول الإسلام، وأركان الإيمان.

ويا لخسارة من ابتعد عن الشرع فشقي في دنياه وأخراه بما استحق من عقاب، ويا لهناء من ابتعد عن أسباب الخسارة، وتمسك بالحبل المتين، وتخطى مهاوي الردى، فانفتحت له أبواب السعادة في الدارين.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المبحث الأول: عقوبة الخاسرين في الدنيا ،

و فيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: عدم الإيمان.
المطلب الثاني: إحباط العمل.
المطلب الثالث: إضلال الخاسرين.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المطلب الأول
عدم الإيمان [١]

ترك الإيمان هو كفر بالله تعالى وبما أمر به، وقد عاقب الله الذين تمادوا في الكفر والعصيان، وخسروا أنفسهم بإهمالهم العقل والتدبر، وحكم عليهم بأنهم لا يؤمنون ولهذا لا تؤثر فيهم النذر [٢]، (وأعلمهم أنهم بأعمالهم قد امتنعوا من الإيمان)[٣] ، فلا يقرون بوحدانية الله، ولا يؤمنون برسول الله r ، ولا بالحجج والبراهين البينة [٤] ، كما قال تعالى:] كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمْ à يُؤْمِنُونَ Z [يونس: ٣٣]، وقال – أيضاً – في السورة نفسها:] إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ Z [يونس: ٩٦].

لأن منشأهم هو الإصرار على الكفر والضلال، فهم لا ينتفعون بالإيمان بل يموتون على الكفر، ولأن الله قد سبق في علمه سبحانه شقاوتهم وعدم انتفاعهم مع وضوح أدلة الحق [٥] كما قال تعالى:] _ ` a b c d e f Z [يونس: ١٠١].

وهم لابد أن يصيروا إلى ما قدره الله وقضاه فلا يؤمنون، وما ظلمهم الله ولكن ظلموا أنفسهم بردهم الحق، فعاقبهم الله بالطبع على قلوبهم [٦] ، قال تعالى:]]

---

(١) حكم الله عليهم بعدم الإيمان لم يكن ظلما منه سبحانه، بل عدلاً منه وحكمة، فالله يهدي من كتب له السعادة بفضله، ويضل من كتب عليه الشقاوة بعدله، وهو سبحانه أعلم بمواضع فضله وعدله، وله الحكمة البالغة.

(٢) انظر: مع الإيمان في رحاب القرآن لمحمد محمد خليفة ، (٤٦٧)، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م، مكتبة النهضة المصرية – مصر.

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج، (١٦/٣).

(٤) انظر: جامع البيان لابن جرير، (١٦٩/١١)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، (٣٤٠/٨).

(٥) انظر: روح المعاني للألوسي، (١٩١/١١)، أضواء البيان للشنقيطي ، (١٦٢/٢).

(٦) انظر: تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ، (٣٧٤).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

\ [^ _ ` Z [١] ، فحكم الله على من خسر نفسه وأضاعها بالفسق والكفر والفجور، بأنه لا يؤمن بالله ولا برسوله صلى الله عليه وسلم، ولا باليوم الآخر – كما في الموضع الأول – ثم كرر الحكم بعدم الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم كما في الموضع الثاني.

يقول تعالى: [D E F G H I K L N O P Q

S T U V W X Y [\ ] ^ _ `

Z [ألأنعام: ١٢].

فالذين أهلكوا أنفسهم وغبنوها بادعائهم لله الند والعديل، وأنكروا قدرة الله على البعث، وضيعوا رأس مالهم وهو الفطرة النقية، وعُدموا الانتفاع بما ينتفع به الناس من العقل، والتفكير، والعلم، والانتفاع باستماع الوحي ومشاهدة الرسول r [٢] ؛ هؤلاء خسروا أنفسهم بإضاعتهم أنفع سبب للفوز في العاجل والآجل، وبإيجابهم سخط الله وعقابه في المعاد فخسروا دينهم ودنياهم، فكان ذلك سبب ألا يؤمنوا بالله والرسول واليوم الآخر لما سبق فيهم من القضاء [٣] .

فعدم الإيمان مسبَّبٌ من حرمانهم الانتفاع بأفضل نافع، ومسبب عن خسرانهم، بدلالة الفاء في قوله تعالى: (فهم) المتضمنة معنى الشرط أي: من يخسر نفسه فهو لا يؤمن [٤] ؛ لأن إبطال العقل، وإغفال النظر، والتقليد، والمشي خلف الوهم يؤدي إلى الإصرار على الكفر، والامتناع من الإيمان [٥] .

يقول الألوسي: (الحكم بالخسران سابق على عدم الإيمان)[٦] .

---

(١) تكرر هذا الجزء من الآية مرتين في سورة الأنعام، و يرى الكرماني أنه ليس بتكرار، لأن الموضع الأول في حق الكفار، أما الموضع الثاني ففي حق أهل الكتاب. انظر: أسرار التكرار في القرآن، (٦٦).

(٢) انظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود، (١١٥/٣).

(٣) انظر: جامع البيان لابن جرير، (١٥٧/٧ – ١٥٨) ، أنوار التنزيل للبيضاوي ، (٢ /٣٩٥)، تفسير المنار لمحمد رشيد رضا، (٣٢٧/٧ – ٣٢٨)، التحرير والتنوير لابن عاشور، (١٥٤/٧).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج، (١٨٧/٢).

(٥) انظر: أنوار التنزيل للبيضاوي ، (٣٩٥/٢)، التحرير والتنوير لابن عاشور ، (١٥٤/٧).

(٦) روح المعاني ، (١٠٦/٧)، وقريباً من كلام الألوسي قال الزمخشري، إلا أن فيه دسيسة الاعتزال. انظر:

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وقال تعالى في الموضع الآخر:] S R Q P O N M [Z Z Y X W V U [الأنعام: ٢٠]، وهذا تأكيد لخسارة أهل الكتاب والمشركين(١)، الذين أهلكوا أنفسهم وألقوها في نار جهنم بما وقعوا فيه من البعد عن الحق، وتضييع فطرة الله، وترك العمل بما عرفوا حيث أنكروا نبوة محمد عليه الصلاة والسلام (٢) عناداً أو تمرداً لا جهلاً منهم، وضعفاً في إرادتهم، هم بخسارتهم بذلك أنفسهم لا يؤمنون بمحمد r وبما جاء به لأنه مطبوع على قلوبهم ولتضييعهم ما به يكتسب الإيمان (٣) .

والخاسر نفسه هو من تعلق بحظوظ الدنيا الزائلة، وتمسك بأهدابها الحقيرة، وضعفت إرادته، وخبثت نفسه فلم تعد متقبلة للإيمان، ولا لتعاليم الدين، فخسر صفقته، وخسر رأس المال والربح، وخسر دينه ودنياه فكان خاسراً كل الخسارة.

الكشاف، (٢/١٠ – ١١).

(١) كما قال الزجاج: جائز أن يكون المراد هنا جملة الكفار من أهل الكتاب وغيرهم. انظر: معاني القرآن وإعرابه، (٢/١٩٠).

(٢) لأن الضمير في قوله تعالى: (يعرفونه) راجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، كما قال به جماعة من السلف، وإليه ذهب الزجاج وابن أبي حاتم.

انظر: تفسير ابن أبي حاتم، (٤/١٢٧٢)، البحر المحيط ، (٤/٩٧)، معاني القرآن وإعرابه، (٢/١٩٠)، فتح القدير ، (٢/١٠٥).

(٣) انظر: جامع البيان، (٧/١٦٤)، المحرر الوجيز ، (٢/٢٦٧ – ٢٧٧)، فتح القدير ، (٢/١٠٥).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المطلب الثاني
إحباط العمل

حبط الأعمال: زوال آثارها التي جعلت مرتبة عليها شرعاً، ويشمل آثارها في الدنيا، والثواب في الآخرة، وهو سر قوله تعالى:] : ; > = < > Z B A @ [التوبة: ٦٩].

والآثار التي في الدنيا: هي ما يترتب على الإسلام من خصائص المسلمين، وأولها آثار كلمة التوحيد، وآثار العبادات، وآثار الحقوق؛ وأما الآثار التي في الآخرة فهي النجاة من النار بسبب الإسلام، وما يترتب على الأعمال الصالحة من الثواب والنعيم(١) .

والمراد بالأعمال: الأعمال التي يتقربون بها إلى الله، ويرجون ثوابها.

ولم يرد ذكر الأعمال في القرآن مع حبطت إلا غير مقيدة بالصالحات، اكتفاءً بالقرينة. (٢)

والذي يحبط جميع العمل الشرك الأكبر، وهو: اتخاذ الند مع الله، فإن هذا مخرجٌ عن الملة، محبطٌ للعمل، يخلد صاحبه في النار إن مات عليه، أما الشرك الأصغر – وهو ما دون الشرك الأكبر، لكنه ذريعة إليه – فلا يخرج من الملة، ولا يحبط جميع العمل، وإنما العمل الذي قارنه وخالطه (٣) .

وما ورد من إثبات الخسارة لمن حبط عمله بصريح القرآن إنما هو في حق المنافقين، وفي حق من كفر وكذب بالأنبياء؛ وعلى هذا يكون المراد بـ(إحباط العمل) هنا في هذا المطلب و(المطلب القادم: إحباط العمل): إحباط جميع العمل، لأنه لا يحبط جميع العمل إلا الشرك الأكبر، يقول تعالى عن المنافقين:] Z [\ ] ^ _ ` a b d e g h i j Z [المائدة: ٥٣]، ويقول عن

---

(١) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، (٢/٣٣٢ – ٣٣٣).

(٢) انظر: المصدر السابق، (٢/٣٣٣).

(٣) انظر: القول المفيد لابن عثيمين، (١/٢٠٦)، (٢/١٣٠)، كتاب التوحيد لصالح الفوزان، (٩٩)، الإيمان لعبدالله الأثري، (٢٣٥، ٢٣٧ – ٢٣٨).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الكفار:] ! " # $ % & ' ( ) *

3 2 1 0 / . - , +

> = < ; : 9 7 6 5 4

Z B A @ [التوبة: ٦٩].

وأهل السنة والجماعة يقولون: (إن الله جعل للسيئات ما يوجب رفع عقابها، كما جعل للحسنات ما قد يبطل ثوابها، لكن ليس شيء يبطل جميع السيئات إلا التوبة، كما أنه ليس شيء يبطل جميع الحسنات إلا الردة)[١] .

والكبائر لها تأثير في إحباط العمل، لكنها لا تحبط العمل والإيمان كله، يقول ابن تيمية: (يقول الخوارج [٢]والمعتزلة [٣] : من فعل كبيرة أحبطت جميع حسناته، وأهل السنة والجماعة لا يقولون بهذا الإحباط، بل أهل الكبائر معهم حسنات وسيئات، وأمرهم إلى الله)[٤] .

---

(١) مجموع الفتاوى، (٤٨٣/١٢).

(٢) الخوارج هم كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين لهم بإحسان والأئمة في كل زمان، ونشأت هذه الفرقة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن أشهر آرائها: القول بأن الأعمال جزء حقيق من الإيمان، يضيع الإيمان بضياعه، والحكم بكفر العصاة كفر ملة، وأنهم خارجون عن الإسلام مخلدون في النار، والوقوف موقف النفي أو التأويل لصفات الله ابتعادا عن اعتقاد المشبهة على قولهم.

انظر: الملل والنحل للشهرستاني، (١١٤/١-١١٥، ١٣٨)، المواقف للإيجي، (٦٩٥/٣-٧٠٤).

(٣) المعتزلة فرقة ظهرت في القرن الثاني الهجري، وهم أتباع واصل بن عطاء الذي اعتزل مجلس الحسن البصري، وقال بأن مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين، وأضاف بعد ذلك آراء أخرى، أصبحت فيما بعد من أصول المعتزلة؛ وأغلب آراء المعتزلة مأخوذة من القدرية والجهمية والخوارج، ومن مسميات المعتزلة: الجهمية، والقدرية، والوعيدية؛ومن أشهر رجالها واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد؛ وأصولهم الخمسة هي: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

انظر: الملل والنحل للشهرستاني، (٤٣/٢-٥٣)، المواقف للإيجي، (٦٥٢/٣-٦٦)، الفرق بين الفرق للبغدادي،(٤٢،٥٥،٩٤).

(٤) مجموع الفتاوى ، (٦٦١/١١).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

واللافت للنظر أن القرآن تحدث عن إحباط عمل الفرد، وليس إحباط الفرد نفسه، وربما يكون السبب أن العمل هو الهدف الذي يسعى إليه الإنسان لتمكين ذاته؛ وضرب الهدف يؤثر على الفرد، فيجعله غير قادر على القيام بأعمال أخرى؛ وإحباط عمل الفرد هو إحباط له [١] .

والله عز وجل يجازي العمل السيئ بعقوبات عديدة، منها: إضلال العمل، يقول تعالى:] وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَتَعْسًا لَّهُمْ ´ µ Z [محمد: ٨]، وإبطاله، يقول سبحانه: d c b a ` _ ^] \ [Z Y X W V [Z f e D C B [[هود: ١٦]، وجعله هباءً منثوراً، يقول تعالى:] Z J I H G F E [الفرقان: ٢٣]، وإحباطه، وقد ورد هذا في آيات عديدة منها ما جاء فيه الحكم على حبوط العمل في الدنيا والآخرة، يقول تعالى:] أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ Z [آل عمران: ٢٢]، وبطلان العمل في الدنيا أن لا يقبل، وفي الآخرة أن لا يجازى عليه [٢] .

ومنها ما جاء إطلاق الحكم فيه بإحباط العمل بدون تقييد بالدنيا والآخرة، يقول تعالى:] Z [\ ] ^ _ ` a b d e f g h i j Z [المائدة: ٥٣].

فالمنافقون بنفاقهم، وخبث أعمالهم ونياتهم بطلت أعمالهم التي تكلفوها نفاقاً، ووقاية لأنفسهم وأموالهم وأولادهم، وذهبت باطلاً لا ثواب لها؛ فافتضح أمرهم، وحبطت أعمالهم في الدنيا، وخسروا أجرها في الآخرة، وخابت صفقتهم وهلكوا [٣] .

وهم خاسرون في شرائهم الدنيا بالآخرة لأنهم لما بطلت أعمالهم بقيت عليهم المشقة،

---

(١) انظر: ألفاظ أحوال النفس وصفاتها في القرآن الكريم، رسالة مقدمة لنيل الماجستير من: زيد حسين أحمد ياسين، إشراف د. يحيى عبدالرؤوف ، (٢٢٩)، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، ٢٠٠٩م.

(٢) انظر: معالم التنزيل للبغوي، (٢٨٨/١).

(٣) انظر: جامع البيان ، (٢٨١/٦)، معالم التنزيل ، (٤٥/٢)، تيسير الكريم الرحمن ، (٢٣٥).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وفاتهم ثمرات تلك المشقة، فحضر الشقاء، وفاتهم مقصودهم، وجنوا في الآخرة الوبال، فكانوا في خسارة دائمة [١] .

وهؤلاء الذين لم يُخلصوا أعمالهم لله، ولم يريدوا بها وجه الله والدار الآخرة ليسوا ببعيد من فعل الهالكين من الأمم قبلهم، ممن سبقوهم إلى النفاق والكفر، والعدول عن أمر الله، والإعراض عن ذكر الله، والاستهزاء بالأنبياء، والذي كان عملهم الاستمتاع بالخلاق، والخوض بالباطل، فاستحقوا العقوبة والإهلاك، وعجل الله لهم في الدنيا الخزي، مع ما أعد لهم من العقوبة والنكال في الآخرة، يقول تعالى مصوراً لنا حالهم ومآلهم: [

+ *) (' & % $ # " !

5 4 3 2 1 0 / . - ,

A @ ? > = < ; : 9 8 7 6

B Z [التوبة: ٦٩].

نعم ذهبت أعمالهم باطلاً، فلا ثواب لها في الدارين، لأنها كانت فاسدة، حيث كانت فيما يسخط الله ويكرهه.

بطلت أعمالهم فلم تنفعهم في الدنيا ولا في الآخرة، ففي الدنيا لم تقبل منهم، ولم يحصل لهم ما كانوا يرجونه من الغنى والعز، ولم ينالوا محمدةً من الناس ولا ثناءً، بل كان المقت من المؤمنين لهم، وفساد أعمالهم، وكَشْفُ سترهم؛ ففاتهم خير الدنيا والآخرة، وحل بهم العقاب [٢] .

قال المراغي: حبطت أعمالهم الدنيوية فكان ضررها أكبر من نفعها لهم، وكذلك أعمالهم الدينية في الآخرة، من عبادة وصوم، فلم يكن لهم أجر عليها ينقذهم من النار ويدخلهم الجنة [٣] .

وكل الغبن لمن فوّت على نفسه رحمة الله وثوابه ببيعه الباقي بالفاني، وشرائه الدنيا

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب للرازي، (١٢/١٧)، نظم الدرر للبقاعي، (٢/٤٨٣).

(٢) انظر: جامع البيان لابن جرير، (١٠/١٧٥)، (٣/٢١٧)، المحرر الوجيز لابن عطية، (٣/٥٧).

(٣) انظر: تفسير المراغي، (٤/١٢٩).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

بالآخرة، لأن في هذا الخسارة العظيمة.

لذا كان دأب المؤمنين الخوف من أن يصير حالهم إلى ضياع، وأن تحبط أعمالهم، رغبة في تحقيق الفلاح، وهرباً من الخسران، يقول ابن القيم في معرض حديثه عن منزلة الإشفاق حاكياً حال المؤمن: إشفاق على العمل أن يصير إلى الضياع، فيخاف على عمله أن يكون من الأعمال التي قال الله فيها: [B C D E F G H I Z J]الفرقان: ٢٣]، وهي الأعمال التي كانت لغير الله، وعلى غير أمره وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ويخاف أيضاً أن يضيع عمله في المستقبل إما بتركه، وإما بمعاصي تفرقه وتحبطه فيذهب ضائعاً، ويكون حال صاحبه كحال التي قال الله عن أصحابها: [> ? @ A B C D E F G H I J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z]البقرة: ٢٦٦][1].

وكان حالهم أيضاً – أي: حال المؤمنين – السعي في معرفة ما يحبط العمل، وما يبطل الثواب، وهذا من شأنه تربية المسلمين على الخوف من الله، والمراقبة للأعمال، ومن ثم الحذر التام من المبطلات، يقول ابن القيم: (ليس الشأن في الفعل، وإنما الشأن في حفظ العمل مما يفسده ويحبطه)[2] .

عصمنا الله من مضلات الفتن، وموجبات الزلل.

---

(١) انظر: مدارج السالكين، (١/٥١٨).

(٢) الوابل الصيب، (٢١).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المطلب الثالث

إضلال الخاسرين

الضلال هو العدل عن الطريق المستقيم، وهو ضد الهداية [١] .

والإضلال عند أهل السنة والجماعة على معنى خلق الضلال في قلوب أهل الضلال عدلاً من الله وحكمة؛ ولا حجة لهم عليه، ولا عذر لهم لديه [٢] .

ولا يفهم أن إضلال الله ظلم منه سبحانه، لأن خلق الله وفعله وقضاءه وقدره خير كله، يقول ابن القيم: (ولهذا نزه نفسه عن الظلم الذي حقيقته وضع الشيء في غير موضعه، فلا يضع الأشياء إلا في مواضعها اللائقة بها، وذلك خير كله، والشر: وضع الشيء في غير محله، فإذا وضع في محله لم يكن شراً)[٣]، فالله يهدي من يشاء ويضل من يشاء عدلاً منه وحكمة، والإيمان بهذا لا يمنح العاصي حجة على ما ترك من الواجبات، أو ما فعل من المعاصي، يقول ابن تيمية: وليس لأحد أن يحتج بالقدر من الذنب باتفاق المسلمين، وسائر أهل الملل، وسائر العقلاء؛ لأنه معلوم فساده في بداية العقول [٤] .

بل قد يكون المحتج بالقدر على فعل المعاصي، أو ترك الطاعات أكفر من اليهود والنصارى، يقول ابن تيمية عن المحتجين بالقدر: (هؤلاء القوم إذا أصروا على هذا الاعتقاد كانوا أكفر من اليهود والنصارى)[٥] .

وكما تأولت القدرية هداية الله لعباده، فقد تأولوا النصوص الواردة في إضلال الله لبعض خلقه، وفسروها بمعانٍ أخرى، كالعقوبة، فلم يجعلوا من معانيها خلق الله وإرادته لذلك، بل صرحوا أن ذلك لا يجوز عليه سبحانه، هرباً من إثبات القبيح لله، فوقعوا في

---

(١) انظر: المفردات للراغب، مادة ضل ، (٢٩٧).

(٢) انظر: الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية لعبدالقاهر بن طاهر بن محمد البغدادي ، (٣٣٠)، دار الآفاق الجديدة – بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٧م.

(٣) شفاء العليل، (١٧٩).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى، (٨/١٧٩).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى، (٨/٢٦٢).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

نفي خلق الله أفعال العباد [١] .

وجاءت النصوص الصريحة في إبطال تأويلاتهم هذه، منها قوله تعالى:] ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 Z 4 5 6 [الجاثية: ٢٣]، وقوله:] ^ _ ` a b c d Z [الزمر: ٣٦]، فهذه النصوص وأمثالها صريحة في خلق الله تعالى للضلالة، وفيها إبطال لهذه التأويلات الفاسدة [٢] .

ومنشأ شبهة القدرية من أمرين، الأول: عدم التفريق بين الخالق والمخلوق، فزعموا أن نسبة الإضلال ونحوه إلى الله يلزم منه – على قولهم – الظلم من الله لعباده، لأن مبدؤهم أن كل ما هو حسن من المخلوق حسن من الله، وما قبح من المخلوق قبح من الخالق؛ لكن هذا الكلام ليس على إطلاقه، فالله] 1 2 3 4 5 6 7 Z [الشورى: ١١]، فكما لا نحيط علماً بحكمته سبحانه، -وإن كنا نقطع بأن الله سبحانه حكيم عليم، وأن جميع أفعاله لحكم وغايات محمودة- ندرك بعضها، ونجهل الكثير منها.

الأمر الثاني: التسوية بين الأمر والمحبة والرضا، وبين الإرادة والمشيئة [٣] .

والله خالق كل شيء، ووجود المعاصي والقبائح في مخلوقاته لا يخرجها عن كونها مخلوقة لله، ولا يلزم من كون الله خالقاً لها القدح في ذات الرب، ولا في صفاته و أفعاله[٤].

---

(١) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار، (٤٦٢)، المغني في أبواب العدل والتوحيد، لعبدالجبار بن أحمد الهمذاني، (٣/٨)، دار الثقافة والإرشاد، مطبعة دار الكتب، الطبعة الأولى، ١٣٨٠ هـ – ١٩٦٠م، وانظر: موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة لسليمان الغصن، (٦١٥/٢ – ٦١٦).

(٢) انظر: موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة لسليمان الغصن ، (٦٥١/٢).

(٣) انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ، (٣٨٦/١)، موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة لسليمان الغصن ، (٦٥٤/٢، ٦٢٧).

(٤) الهدى والضلال دراسة قرآنية لأماني الطويلي، (١٤٦).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وقد صرف الله الهداية عن أقوام، كالظالمين، والفاسقين، والكافرين، يقول جل شأنه: [f e g h i Z [البقرة: ٢٥٨]،] وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ Z [البقرة: ٢٦٤]،] وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ Z [المائدة: ١٠٨]؛ وحكم سبحانه على الخاسرين بالإضلال، فقال تعالى:] مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ Z [الأعراف: ١٧٨].

فالفائز بسعادة الدنيا والآخرة هو من وفقه الله لسلوك طريق الهداية والإيمان، وعصمه من المكروهات، وهو المهتدي بهداية الله له فلا مضل له، أما من خذله الله و لم يوفقه للخير واتباع القرآن، واتبع ما يمليه عليه هواه والشيطان فقد خاب وضل، وخسر سعادة الدنيا والآخرة [١] .

وزِيْدَ في جانب الخاسرين الفصل باسم الإشارة (هم) لزيادة الاهتمام بتمييزهم بعنوان الخسران تحذيراً منهم [٢] .

ولا أخسر ممن أضله الله فختم على قلبه، وجعل على بصره غشاوة، وأبعده عن طريق الخير والهداية، فاستحق الخلود في النار والعياذ بالله، تاه في طرق الحياة إذ لم يكن معه سبيل نجاة، وخسر نفسه في الدنيا بالضلال، وفي الآخرة بالهلاك والعذاب.

(١) انظر: جامع البيان، (٩/١٣٠ – ١٣١) ، تفسير ابن كثير، (٢/٢٦٨) ، تيسير الكريم الرحمن، (٣٠٩).
(٢) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، (٩/١٨١).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المبحث الثاني: عقوبة الخاسرين في الآخرة

و فيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: دخول النار.
المطلب الثاني:وجوب العذاب.
المطلب الثالث: إحباط العمل.
المطلب الرابع: خسران النفس والأهل.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المطلب الأول

دخول النار

النار هي جزاء من كفر بالله تعالى، أو كذب بما أوحاه إلى أنبيائه ورسله، أو من فسق عن دينه و لم يتب.

والكفار مخلدون فيها، والعصاة من المؤمنين الموحدين تحت مشيئة الله، إن شاء عذبهم، وإن شاء عفا عنهم، وإن عذبهم فلا يخلدون فيها.

وقد جعل الله عذاب النار لمن استحقه بمحض عدله عذاباً أليماً فوق ما يتصوره عقل البشر، حيث لا تموت فيها الأنفس كما ذكر الله عن أهل النار من الكفار حين ينادون خازن النار فيقولون:] 7 8 9 : ; < = > ? Z [الزخرف: ٧٧]، وكما قال:] { | } ~ ﴿ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ Z [فاطر: ٣٦]، وروى مسلم أن رسول الله r قال: (إذا صار أهل الجنة إلى الجنة، وصار أهل النار إلى النار، أتي بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار، ثم يذبح، ثم ينادي منادٍ يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزناً على حزنهم)[١] . [٢]

وهي عقوبة من الله على ظلمهم، وهي عدل من الله، لأن الله لا يعاقب أحداً إلا بعد حصول سبب العقاب، يقول تعالى:] ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ Z [الشورى: ٣٠]، والأعمال الصالحة سبب لدخول الجنة، والأعمال السيئة سبب لدخول النار [٣] .

والمشرك مخلد في نار جهنم والعياذ بالله، وإذا مات العبد على ما دون الشرك من

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، (٤/٢١٨٨)،ح(٢٨٥٠).

(٢) انظر: عقيدة المسلم لخالد العك، (٩٧).

(٣) انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ، (٢/٦٤١)، (٢/٦٥٦)، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد لصالح الفوزان ، (٢٢٦).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المعاصي ومن الكبائر فإنه يدخل تحت مشيئة الله، وليس بكافر، بل مؤمن ناقص الإيمان، ولا يخلد في النار [١] .

قال ابن بطة العكبري [٢] : (وقد أجمع العلماء بلا خلاف بينهم أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب، ولا يخرج من الإسلام بمعصية)[٣] .

وقال ابن تيمية: (ومذهب أهل السنة والجماعة أن فساق أهل الملة ليسوا مخلدين في النار كما قالت الخوارج والمعتزلة، وليسوا كاملين في الدين والإيمان والطاعة، بل لهم حسنات وسيئات، ويستحقون بهذا العقاب وبهذا الثواب)[٤] .

ولضلال الكافرين المكذبين وهلاكهم استحقوا الخسارة في الدنيا والآخرة؛ ففي الدنيا أهلكوا أنفسهم بأعمال لا يثابون عليها، وعاشوا في حيرة وضلال، وانشغلوا بالفاني عن الباقي، فخسرت صفقتهم، وحرموا السعادة.

وفي الآخرة خسروا أنفسهم وأهليهم، وحرموا السعادة الأبدية والدخول في دار النعيم باستحقاقهم العذاب الأليم، يقول تعالى: [H G F E D C B A Z K J I] [النمل: ٥].

أي: استحقوا العذاب في الدنيا والآخرة، وهم أخسر الناس، حيث خسروا ثواب الله وصاروا إلى النار [٥] .

والخاسرون جزاؤهم في الآخرة العذاب المقيم، يقول تعالى: ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا

---

(١) انظر: القول المفيد لابن عثيمين، (١/١٢١ – ١٢٢)، الإيمان لعبدالله الأثري، (٢٠٩).

(٢) الإمام القدوة الفقيه المتحدث المتكلم شيخ العراق أبو عبدالله عبيدالله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبري الحنبلي، المعروف بابن بطة ، من مصنفاته المتعددة: السنن، المناسك، الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية.
انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (١٦/٥٢٩)، معجم المؤلفين لعمر كحالة،(٢/٣٥٤).

(٣) الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة المسمى بـ(الإبانة الصغرى) ، تحقيق د. رضا نعسان معطي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ،٢٠٠٢م.

(٤) مجموع الفتاوى، (٧/٦٧٩).

(٥) انظر: معالم التنزيل ، (٣/٤٠٦)، أنوار التنزيل، (٤/٢٥٩)،تفسير ابن كثير، (٣/٣٥٧).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

كَٰلِحُونَ Z [المؤمنون: ١٠٣ – ١٠٤].

باؤوا بالصفقة الخاسرة، فمآلهم إلى نار جهنم خالدين فيها أبداً، وتحرق وجوههم النار وتغشاهم من جميع جوانبهم، وهم فيها عابسون متقلصوا الشفاه عن الأسنان من شدة اللفح والإحراق، وتؤول منازلهم للمؤمنين [١] .

ويذكر عز وجل خسارة الكفار العظيمة، خسارة أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، ويبين نوع خسارتهم بعد تهويلها بطريق الإبهام فيقول جل شأنه:] H F E D C B [X W V U T S R P O N M L K J I Z i h f e d c b ` _ ^] \ [Z Y [الزمر: ١٥ – ١٦].

صاروا إلى جهنم المحيطة بهم من كل جانب، فلا مفر ولا مهرب، إذ هي أطباق متراكمة عليهم من فوقهم ومن تحتهم [٢] ، كما قال تعالى:] 9 8 7 6 [Z = < ; : [العنكبوت: ٥٥]، وقال:] y x w v u [Z { z [الأعراف: ٤١] .

هذا جزاء خسارتهم العظيمة التخليد في النار، وعدم الوصول إلى الجنة.

ويظهر الأسلوب التهكمي في قوله تعالى:] Z Y X [_ ^] \ [` Z، لأن إطلاق الظلة على النار المحرقة تهكم [٣] .

ونلحظ تسلسل الآيات في بيان خسارة الكفار يوم القيامة، فقد بين الله عز وجل في آية النمل أنهم الأخسرون، يقول جل شأنه:] H G F E D C B [Z K J I [النمل: ٥].

---

(١) انظر: معالم التنزيل ، (٣١٨/٣)، تفسير ابن كثير، (٢٥٨/٣)، تيسير الكريم الرحمن ، (٥٦٠).

(٢) انظر: البحر المحيط ، (٤٠٣/٧)،فتح القدير ،(٤٥٥/٤)، تفسير المراغي، (٢٥١/٨).

(٣) انظر: التفسير المنير لوهبة الزحيلي، (٢٨٧/١٢).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وصرحت آية سورة (المؤمنون) بأن الخسارة هي الخلود في نار جهنم، قال تعالى:] وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ Z [المؤمنون: ١٠٣]، وذكرت شيئاً من ملامح عذابهم] تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ Z [المؤمنون: ١٠٤].

وصورت آية الزمر عذابهم بأشنع الأوصاف وأشدها، يقول تعالى:] J I H [Z Y X W V U T S R P O N M L K] \ [^ _ ` b c d e f g h i Z [الزمر: ١٥ – ١٦].

وقد جاءت النصوص الكثيرة دالة على كثرة من يدخل النار من بني آدم، وقلة من يدخل الجنة منهم، قال تعالى:] وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ Z [يوسف: ١٠٣]، ولعل السبب في كثرتهم هو قلة من استجاب للرسل، وكثرة من كفر، ولعل السبب الأعظم هو اتباع الشهوات، ذلك أن النار حُفت بالشهوات، وحب الشهوات مغروس في طبيعة النفس البشرية] p q r s t u v w x y z { | } ~ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا Z [آل عمران: ١٤]، إضافة إلى ذلك تمسك الأبناء بما عليه الآباء من أمور مناقضة لشرع الله] " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 Z[الزخرف: ٢٣][(١)].

دخول النار هو الخزي الأكبر، والخسران العظيم،لا خزي أعظم منه] { | } ~ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ Z [آل عمران: ١٩٢][(٢)].

---

(١) انظر: اليوم الآخر: الجنة والنار لعمر سليمان الأشقر، (٨٠ – ٨١)، مكتبة الفلاح – الكويت، الطبعة الثالثة، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

(٢) انظر: اليوم الآخر: الجنة والنار لعمر سليمان الأشقر، (١١).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وما أشنعها من خسارة، وما أشدها إذ هي مستمرة لا انقطاع لها، وهي من الفظاعة بمكان حيث لا تعويض لها.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المطلب الثاني
وجوب العذاب

شاءت مشيئة الله أن يكون الإنسان ذا مشيئة حرة، فإن اختار طريق الإيمان سَعِدَ في الدنيا والآخرة، وإن اختار طريق الكفر دخل جهنم وخلد فيها.

وكل من يكذب بالله، وبرسالات الله، وينطلق في الحياة وفق شهواته وأهوائه ونزواته هو خاسر هالك، سيشقى في الدنيا والآخرة؛ لأن من انحرف عن منهج الله خسرت تجارتـــه، ووجب له العقاب ، وحلت به النقمة، وباء بغضب من الله، يقول تعـــالى:] b a ` _ ~ } | { z y x w v u t s r q p o n m l k j i h g f e d c Z[فصلت: ٢٥].

أي: ثبت ووجب عليهم من العذاب ما وجب على من كفر قبلهم ممن كانوا على فعله؛ وعلة استحقاقهم العذاب استوائهم جميعا في الخسارة والدمار بتكذيبهم وقـــبح أفعـــالهم، وعظم جرمهم، فاستحقوا اللعن والخزي في الحياة الدنيا والآخرة، ولم يربحوا شيئا ، بـــل خسروا أعمالهم في الدنيا ، وأنفسهم وأهليهم يوم القيامة[١]، بعدما (تحقق فيهم القول وهو وعيد الله إياهم بالنار). [٢]

قال ابن سعدي: (من خسر فلا بد أن يذل ويشقى ويعذب). [٣]

ويقول تعالى مبينا وجوب العذاب على الخاسرين المنكرين للبعث والحـــساب:] أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ۝ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ µ ¶ ¸ Z [الأحقاف: ١٨].

أي: قد وجب عليهم العذاب، واستحقوا غضب الله وسخطه، وعوقبوا بالخزي والنكال ، وكانوا من جملة من حلَّ بهم العذاب من الأمم قبلهم ممن كذبوا بالرسل وبما جاؤوا بـــه،

---

(١) انظر: أنوار التنزيل ، (١١٣/٥)، تفسير ابن كثير، (٩٨/٤)، فتح القدير ، (٥١٤/٤).

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور، (٢٧٥/٢٥).

(٣) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي، (٧٤٨).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

لأنهم ساروا على نهجهم، وغرقوا في تيارهم[١]، و (كانوا خاسرين ببيعهم الهدى بالضلال، والباقي بالفاني).[٢]

يقول الشنقيطي : الظاهر أن (القول) في قوله تعالى:] l m n o p q r s t u v w x y z { | } ~ ¡ ¢ £ ¤ ¥ ¦ § ¨ © ª « ¬ ® ¯ ° ± ² ³ ´ µ ¶ ¸ ¹ º » ¼ ½ ¾ ¿ À Á Â Ã Ä Å Æ Ç È É Ê Ë Ì Í Î Ï Ð Ñ Ò Ó Ô Õ Ö × Ø Ù Ú Û Ü Ý Þ ß à á â ã ä å æ ç è é ê ë ì í Z... [فصلت: ٢٥]. ، وفي قوله تعالى:] أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمۡ © فِيٓ أُمَمٖ... Z [الأحقاف: ١٨]، هو قوله تعالى:] 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m n o p q r s t u v w x y z { | } ~ ¡ ¢ £ ¤ ¥ ¦ § ¨ © ª « ¬ ® ¯ ° ± ² ³ ´ µ ¶ ¸ ¹ º » ¼ ½ ¾ ¿ À Á Â Ã Ä Å Æ Ç È É Ê Ë Ì Í Î Ï Ð Ñ Ò Ó Ô Õ Ö × Ø Ù Ú Û Ü Ý Þ ß à á â ã ä å æ ç è é ê ë ì í Z > = < ; : [هود: ١١٩]، كما دلت على ذلك آيات من كتاب الله، كقوله تعالى:] 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m n o p q r s t u v w x y z { | } ~ ¡ ¢ £ ¤ ¥ ¦ § ¨ © ª « ¬ ® ¯ ° ± ² ³ ´ µ ¶ ¸ ¹ º » ¼ ½ ¾ ¿ À Á Â Ã Ä Å Æ Ç È É Ê Ë Ì Í Î Ï Ð Ñ Ò Ó Ô Õ Ö × Ø Ù Ú Û Ü Ý Þ ß à á â ã ä å æ ç è é ê ë ì í [السجدة: ١٣]، وقوله تعالى: .] ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m n o p q r s t u v w x y z { | } ~ ¡ ¢ £ ¤ ¥ ¦ § ¨ © ª « ¬ ® ¯ ° ± ² ³ ´ µ ¶ ¸ ¹ º » ¼ ½ ¾ ¿ À Á Â Ã Ä Å Æ Ç È É Ê Ë Ì Í Î Ï Ð Ñ Ò Ó Ô Õ Ö × Ø Ù Ú Û Ü Ý Þ ß à á â ã ä å æ ç è é ê ë ì í Z [ص: ٨٤-٨٥].[٣]

والعلة في إحقاق القول عليهم، وحلول العذاب المقيم بهم أنهم خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة بتضييعهم الفطرة السليمة، وبيعهم النعيم بالعذاب، فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين.[٤]

قال أبو السعود[٥]: ((y z {) تعليل للحكم بطريق الاستئناف التحقيقي).[٦]

---

(١) انظر: جامع البيان ، (٢٠/٢٦) ، تفسير ابن كثير، (١٦٠/٤)، إرشاد العقل السليم ، (٤٨/٨)، تفسير المراغي، (١٥٧/٩-١٥٨).

(٢) محاسن التأويل للقاسمي، (١٨/١٦).

(٣) أضواء البيان، (٢٨٧/٦).

(٤) انظر : إرشاد العقل السليم ، (٨٤/٨)، تفسير المراغي، (١٥٨/٩).

(٥) هو محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، أبو السعود، فقيه أصولي مفسر، من مصنفاته:إرشاد العقل السليم، بضاعة القاضي، تحافت الأمجاد، توفي سنة ٩٨٢هـ.
انظر: معجم المؤلفين لرضا كحالة، (٣٠١/١١).

(٦) إرشاد العقل السليم لأبي السعود، (٤٨/٨).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وللدلالة على أن الخسارة متمكنة منهم جيء بالفعل (كانوا) ولم يقتصر على الاسم (الخاسرين). [١]

(١) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، (٢٦/٤٠).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المطلب الثالث

إحباط العمل

كما بينا أن من آثار إحباط العمل زوال آثار الأعمال في الدنيا والآخرة، وبينا الآثار التي في الدنيا؛ وأما الآثار في الآخرة فهي النجاة من النار بسبب الإسلام، وما يترتب على الأعمال من الثواب والنعيم [١] .

فإحباط العمل في الآخرة عدم الثواب لأصحاب العمل، وإحلال العقاب بهم [٢].

قال تعالى: [Z [\ ] ^ _ ` a b d e

g h i j Z [المائدة: ٥٣].

ما أعظمها من خسارة للمنافقين، قد علقوا آمالهم بالأجر مقابل ما عملوه من أعمال رياء وسمعة لا إيماناً وعقيدة، فخابت آمالهم عندما أحبط الله أجرها، إذ لم تكن له [٣] .

فحالهم افتضاح الأمر، وفوات الأجر، وحلول العذاب، بعدما كدُّوا في العمل، وعلقوا على الجزاء الأمل؛ ويا لها من صفقة خاسرة، حيث فقدوا رأس المال وربحه.

وحكى الله خسارة المكذبين الكافرين، وحبوط عملهم في الآخرة، فقال:

[! " # $ % & ' ( ) *

+ , - . / 0 1 2 3

4 5 6 7 9 : ; < = >

@ A B Z [التوبة: ٦٩].

فهم حبطت أعمالهم لأنها لم تكن خالصة لله عز وجل، فلا يثابون عليها، بل يجازون عليها العذاب الأليم؛ ولم تنفعهم أعمالهم التي ظنوا أنها قربة وطاعة، فهم المغبونون ببيعهم نعيم الآخرة الدائم بزيف الدنيا؛ وهم الكاملون في الخسران، حيث خسروا أنفسهم في

---

(١) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، (٣/٣٣٣).

(٢) انظر: جامع البيان لابن جرير ، (٣/٣١٧).

(٣) انظر: جامع البيان ، (٦/٢٨١)، أنوار التنزيل ، (١/٢٨٨).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الدارين[١].

وهذا هو المصير المحتوم لمن كفر وكذب، العذاب الأليم وبطلان العمل في الدنيا والآخرة، وفوات النعيم.

(١) انظر: المحرر الوجيز، (٣/٥٧)،تفسير ابن كثير، (٢/٣٦٩)، زاد المسير ، (٣/٤٦٧)،فتح القدير، (٢/٣٨٠).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المطلب الرابع
خسران النفس والأهل

يقول تعالى:] يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا Z [التحريم: ٦]، وهذا أمر منه سبحانه لنا بالنجاة بالنفس والأهل من النار، وهذا يرشدنا إلى أهمية النصح للأهل والتواصي لأجل إيصال الخير.

وقد جعل الباري إصلاح الذرية من صلاح النفس لعظيم أثر الذرية على الإنسان في دنياه وآخرته، فقال:] C D E F G H I J Z [الأحقاف: ١٥]، كأن صلاح الذرية صلاح للإنسان نفسه [١] .

والآيات التي تصف الجنة والنار تبين لنا الارتباط الوثيق بين المرء وبين أهله في النجاة والخسران، وكأن السعادة والشقاء لا يكتملان إلا باقترانهما بأهل المرء وذريته، يقول تعالى:] ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ Z [الزخرف: ٧٠]،] U V W X Y Z [\ Z [الطور: ٢١]، ويقول سبحانه واصفاً الخسارة الكبرى التي لا تعوض خسارة المشركين والكفار أنفسهم وأهليهم يوم القيامة:] H I J K L M N O P Q R S T U V Z [الزمر: ١٥].

فهم خسروا أنفسهم بالضلال عن الحق، وخسروا أهلهم الذين أضلوهم وأوقعوهم في العذاب المقيم يوم القيامة؛ وهذا هو الخسران البين المستمر، إذ أنه لفظاعته لا مجال لتعويضه[٢].

وقد اتفقت أقوال المفسرين في معنى خسارة النفس، وأجمعوا على أنها الخلود في نار جهنم؛ لكن تباينت أقوالهم في تبيين المراد بخسارة الأهل في أقوال عديدة، أوجزها فأقول:

- قيل: خسروا أهلهم بأن لم يكونوا معهم في نار جهنم.

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ، (٧٨١).

(٢) انظر: تفسير المراغي، (٨/٢٥١)، التفسير المنير ، (١٢/٢٩٢).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

- وقيل: أعد الله لهم أهلاً في الجنة، فخسروهم، وقيل: خسروا الحور العين.

- وقيل: خسروا أهليهم؛ فإن كانوا من أهل النار فقد خسروهم كما خسروا أنفسهم، وإن كانوا من أهل الجنة فقد ذهبوا عنهم فلا ينتفعون بهم [١] .

فخسارة الخاسرين لأهليهم انقطاع صلتهم بهم، وعدم التقائهم بهم، وفي ذلك خسارة لهم تزيدهم ألماً على ألمهم، وهماً على همهم.

وخسرانهم وصف هنا بغاية الفظاعة حيث صُدِّرَت الجملة بحرف التنبيه (ألا)، وفصل بين المبتدأ والخبر بالضمير المنفصل (هو) وهذا يفيد الحصر بأن لا خسران يساويه؛ وعُرِّفَ (الخسران) ووصف بـ(المبين) لتهويله؛ وهذه المؤكدات تدل على فداحة ما أصاب هذا الكافر من خسارة في نفسه وأهله [٢] .

ويقول تعالى في آية أخرى:] ! " # $ % &

' ( ) * + , - . / 0 1 2 3

4 5 6 7 8 9 : ; < = > Z [الشورى: ٤٥].

فالمغبونون هم الذين غبنوا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة في الجنة، حيث فوتوا على أنفسهم جزيل الثواب، وحصلوا على أشد العقاب، وفُرِّقَ بينهم وبين أهليهم فلم يجتمعوا بهم، ولو آمنوا لكان لهم أهل في الجنة من الحور [٣] .

وعقوبة خسارة النفس عظيمة، فإن جُمع إليها خسارة الأهل كانت أعظم وأفظع.

---

(١) انظر: جامع البيان، (٢٠٤/٢٣)، النكت والعيون، (١١٩/٥)، فتح القدير، (٤٥٥/٤)، القول المفيد لابن عثيمين، (١٢٢/١).

(٢) انظر: الكشاف، (١٢١/٤)، مفاتيح الغيب، (٢٢٣/٢٦)، التفسير الموضوعي لآيات التوحيد، (١٧٤).

(٣) انظر: جامع البيان، (٤٢/٢٥)، معالم التنزيل، (١٣١/٤)، المحرر الوجيز، (٤١/٥).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الخاتمة

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

اللهم لك الحمد على ما يسَّرت، ولك الشكر على ما وفقت، لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك،فلك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، فاغفر الزلات، وأَقِلِ العثرات، واجعل هذا العمل خالصا لوجهك الكريم، ونافعا لي وللمسلمين، اللهم آمين.

وبعد:

ففي ختام هذا البحث أوجز أهم النتائج التي ظهرت لي من خلال بحث هذا الموضوع، وقد انتظمت في القضايا التالية:

- وقفت على شيء من بلاغة النظم القرآني، الذي هو أساس الإعجاز وعموده، حيث وقفت عن قرب وكثب أمام عرض القرآن للفلاح والخسران بطرق بلاغية متنوعة، كالتوكيد، والنفي، والشرط، والقَسَم، والتعجب، والقصر، والمدح والترغيب، والذم والترهيب، والتي أشارت في مجملها إلى النظم المعجز، والذوق الرفيع.
- اتفقت معاني الفلاح في القرآن الكريم على معنى السعادة والفوز، بينما تعددت معاني الخسران، حيث جاء على معانٍ عديدة، منها: العجز، والغبن، والضلال، والنقص ، والعقوبة.
- لا يخلو حال الإنسان من أحد أمرين: إما أن يكون مفلحا، وإما أن يكون خاسرا؛ ومتى ما اختار أن يكون مفلحا فعليه بأسس الفلاح، والتمسك بصفات أهل الفلاح، والبعد كل البعد عن موانع الفلاح وأسباب الخسارة والهلاك.
- أسس الفلاح وصفات المفلحين لا تقتصر على ما بين المرء وخالقه، بل تشتمل على أمور تتعلق بالتعامل بين البشر أنفسهم، كأداء الزكاة، وفعل الخير، وأداء الأمانة، وترك الربا؛ وكذلك أسباب الخسران فأكبرها ما كان في حق الله، كالكفر، والتكذيب بآيات الله، ثم يليه ما كان في حق البشر،

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

كالقتل ، والإفساد في الأرض، مع أن ذلك في حقيقة الأمر هو إعراض عن أوامر الله، فيكون داخلا في حقوق الله، مع كونه من حقوق البشر.

- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دعامتان أساسيتان لحماية المجتمع من أسباب الخسارة والأخذ بأيديهم إلى مدارج الفلاح، فما دام أن الناس يتآمرون بالمعروف ، ويتناهون عن المنكر، ويتمسكون بهذه الميزة التي لأجلها كانوا خير أمة، فإنهم في مأمن من الانزلاق في درب الخسران، وفي مأمن من نزول العقوبة.
- متى ما تحققت العقيدة الصحيحة الصافية ضَمِن الإنسان حصوله الفلاح، فإن كمّل ذلك بالاتصاف بصفات المفلحين كتزكية القلوب، وطاعة الله والدعوة إلى دينه، وفعل الواجبات، وترك المحرمات، وابتعد عن موانع الفلاح كالكفر،والظلم، والسحر كَمُلَ فلاحه، وسَعُدت روحه.
- مثلما بيّن القرآن أسس الفلاح وأصوله لم يغفل عن تبيين ما يكون جديرا لأهل الفلاح الاتصاف به، فبين الصفات التي تتعلق بتزكية القلوب كالتقوى، والصبر، وتزكية النفس، والصفات التي تتعلق بطاعة الله والدعوة إلى دينه كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفعل الخير، وذكر الله، والجهاد في سبيله، والصفات التي تتعلق بأداء الواجبات كحفظ الفروج، وأداء الأمانة، والوفاء بالعهود، والصفات التي تتعلق بترك المحرمات، كالربا، والخمر والميسر.

فما أروعه من دين، و ما أشمله وما أكرمه، اهتم بالمسلم وبأخص شؤونه وأدقها ضمانة لاستمرار سعادته، وحماية له من الشقاء والخسران.

- طائفة أهل الفضائل والتقوى والفلاح سينيلها الله من الثواب ما تقرّ به العين، وتهنأ به الروح، فلهم خير الدنيا والآخرة، والنعيم الكبير حيث وراثة الفردوس، ولهم ثقل الموازين، والهداية.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

- حذَّر القرآن من موانع الفلاح –والتي هي أسباب للخسارة والضلال- حيث نفى الله الفلاح عن الظالمين، والمجرمين، والكافرين، والمفترين الكذب على الله، والسحرة.
- كل من نُفي عنه الفلاح بنص القرآن فهو الكافر عدا ما ورد في قوله تعالى: [. / 0 1 2 3 4 5 ....Z] [يوسف:٢٣] على القول بأن الظالمين هم الزناة.
- أسباب الخسارة في القرآن الكريم متعددة، منها أسباب عقدية كالكفر والتكذيب بآيات الله، ومنها أسباب عملية كالقتل، والصد عن الدين، ومنها أسباب خُلقية كترك التواصي بالصبر؛ ومنشأ هذه الأسباب واحد، وهو عدم الإيمان بالله ، واستحباب الدنيا على الآخرة، والغفلة عن ثواب الله وعقابه.

وتبعا لتفاوت هذه الأسباب يتفاوت حجم الخسارة، فهناك الخسارة المطلقة، وهناك مطلق الخسارة، إذ محال أن تتساوى خسارة من يكفر بالله مع من يترك التواصي بالصبر، ويكفي في بيان هذا ما ورد في سورة العصر ، حيث أتت على مجمل أسباب الخسران، وبيّنت ما به خسارة مطلقة، وما به مطلق الخسارة.

- تفاوت أسباب الخسارة أدى إلى تفاوت العقوبة؛ لكن من استقراء نصوص القرآن في عقوبة الخاسرين تبين أنها واردة في شأن من فعل ما يُخرج من الملة، وينقض أصول الإسلام.

ولئن حرص القرآن على إبراز الثواب للمفلحين فإنه لم يغفل عن بيان جزاء أهل الضلال والخسران، حيث الإضلال، وإحباط العمل في الدنيا والآخرة، وعدم الإيمان، و عذاب جهنم، وخسران النفس والأهل جزاءً وفاقا.

ختاما:

إننا نرى البشرية اليوم بأمس الحاجة إلى الاستقرار والسعادة بعد طول عناء وشقاء، و نجد في زماننا هذا تهيأ كثير من أسباب الخسارة، فنرى التكذيب

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

بآيات الله الكونية والشرعية، وطاعة الشيطان وحزبه، والميل إلى الدنيا واستحبابها على الآخرة، وترك التواصي بالحق والصبر، والمنقذ من هذا كله هو الرجوع إلى دين الله ، والأخذ بأسس الفلاح، وغلق الأبواب أمام أسباب الخسران والهلاك، وأن يكون الإسلام قائد الدول والأفراد.

والله أسأل أن يوفقنا عالمين ومتعلمين لخدمة كتابه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ملخص الرسالة

تتضمن هذه الرسالة(الفلاح والخسران في القرآن الكريم) دراسة موضوعية لما ورد من حديث القرآن عن الفلاح والخسران، وكيفية عرض القرآن لهذين الموضوعين، وما تضمنه ذلك العرض من وجوه بلاغية.

جاء ذلك في مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة، حيث كان الحديث في المقدمة عن أهمية الموضوع ، وأسباب اختياره، وهدف البحث، والدراسات السابقة، وخطة البحث ومنهجه.

ففي الباب الأول جاء الكلام عن مفهوم الفلاح والخسران ومعانيهما ، وطريقة القرآن في ذكرهما، ثم الباب الثاني –والذي تقاسم هو والباب الثالث لبَّ الرسالة- في الحديث عن أسس الفلاح ، وصفات أهله، وجزاؤهم، وأسباب الحرمان من الفلاح ، فالباب الثالث متضمنا بيان أسباب الخسران ، وعقوبته في الدنيا والآخرة، ثم خاتمة حوت أهم نتائج البحث.

وتبين الرسالة اتفاق معاني الفلاح في القرآن الكريم على معنى الفوز والسعادة، وتعدد معاني الخسران ، فمنها: العجز، والغبن، والعقوبة، وتعدد أساليب عرض القرآن للفلاح والخسران، فتارة بطريقة التوكيد، وتارة بالنفي، وتارة أخرى بالشرط والقسم؛ وأن أسس الفلاح وصفات أهله لاتقتصر على ما بين المرء وخالقه، بل تشمل أمورا تتعلق بين التعامل بين البشر أنفسهم ، كأداء الزكاة ، وفعل الخير، وكذلك أسباب الخسران، فأكبرها ما كان في حق الله كالكفر والتكذيب بآيات الله، ثم يليه ما كان في حق البشر كالقتل.

وصفات المفلحين منها ما يرتبط بتزكية القلوب، وطاعة الله والدعوة إلى دينه، وفعل الواجبات، وترك المحرمات، وترك موانع الفلاح، كالسحر والكفر.

وطائفة أهل التقوى والفلاح سينيلها الله من الثواب ما تقر به العين، فلهم خير الدنيا والآخرة، على النقيض تماما من أهل الخسران الذين وُعدوا بخسارة الدارين.

أسأل الله بمنه وكرمه أن يجعلنا من أهل الفلاح والتقوى، وأن يجنبنا خسارة الآخرة والأولى.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

Thesis Abstract

This Thesis includes (success and loss in the quran) objective study as stated talk of the Koran by success and loss, and how the quran those two subjects, and the rhetorical faces which this presentation cludes.
This came in an introduction and three chapters and an conclusion, the introduction talk about the importance of this subject, the reason for choosing it, the research purpose, the previous studies and the research plan and methods .
the first chapter discuss the concept of success and loss and their meanings and the quran method in mention it , then Part II - which sharing Part III the Thesis core - to talk about the foundations for success, and the qualities of his family, and their reward, and the reasons for denial then from success the third chapter includs the reasons for lose, and the punishment in this world and the Hereafter, then aconclusion which contains the most important results of this message.
the massage clarify that the meaning of success in the quran go on with the meaning of happines and winning , multitudedthe meaning of losing includes the following, dis ability , in justi cand the punishment and the different methods which the quran used to explains the meaning of success and losing .
fnce by confirmation and otur by denial or by condition and oath . moreover ,the basis of success doesn’t confine on the creature and his maker but in

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

cludes other thinqs about who the human beinjs treat each other like alms and charity .
in addition, the blasphemes and denial of gods prodigjes is the most important cause for losing the alter it came what was against human beings right like murders. Successful man have qualitier which linked to heart purification, obedience to god, and bid to his religin , leaving the taboos, and leave the Success Contraindications
like magic and disbelief.
And a host of pious people and success to them by God good in this world and the Hereafter, in contrast to the people of losers who have lost both .realms

I ask Allah by His grace and generosity of the people that make us successful and piety, and that takes us away from the loss of life and the Hereafte.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الفهارس

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث النبوية.
- فهرس الأعلام.
- ثبت المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

فهرس الآيات

سورة الفاتحة

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
[& ' ( ) Z	١	٧٧
[2 3 4 5 Z	٥	١٥٩
[7 8 9 Z	٦	٢٤١

سورة البقرة

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
[! " # $ % & (....Z	٢-١	٣٩
[- . / 0 1 ....Z	٣	٣٣-٣٩-٨٥-٨٦-١٠٤-١١٧-١٢٣-٢٤٠
[6 7 8 9 : ....Z	٤	٣٣-٣٩-٨٥-٨٦-٩٦-٢٤٠
[C D E F G ....Z	٥	٢١-٣٣-٣٩-٤٧-٥٩-٨٥-٨٦-٢٤٠
[! " # $ ....Z	٦	٢٥١-٢٩٦
[- . / 0 ....Z	٧	٢٥١-٢٩٦
[إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ Z	١٤	٥٦
[اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ....Z	١٥	٥٦

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

[Z.... P O N M L K J	٢٦	٣٨٥-٣٨٤-٣٨٨
[Z.... z y x w v	٢٧	٣٢١-٣٢٧-٣٨٤- ٣٨٥-٣٩٠
[كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ .... Z	٢٨	٣٨٥-٣٩٠
[هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ .... Z	٢٩	٧٧
[Z.... 0 / . - , +	٣٠	٣٢٥
[فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ .... Z	٣٧	٣٩٨
[Z.... J I H G	٤٠	٢٠٢-٣٨٤
[Z.... v u t	٤٤	٣٧٦
[وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ .... Z	٤٥	١١٥
[Z.... C B A @ ?	٥٩	٢٦٦
[Z i h g f e	٦٠	٣٢٥-٣٢٦
[Z.... ¸ ¶ µ ´	٦١	٣١٨
[Z.... = < ; :	٦٣	٣٩٦
[Z....N M L K J	٦٤	٣٩٦
[Z....U T S R Q	٨٠	٢٦٠
[Z.... J I H	٨٥	١٧٤
[© جَآءَكُمْ رَسُولٌ .... Z	٨٧	٣١٨-٣٦٦
[© أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا .... Z	٩٣	٣٨٩
[Z.... q p o n m	٩٨	٤٠١

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

] أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ © نَّبَذَهُۥ ....Z	١٠٠	٣٩٠
] (* + , - . ....Z	١٠٢	٢٧٣-٢٧٤
] ^ _ ` a b ....Z	١٠٩	٣٥٩
] لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ ....Z	١١١	٩٦
] بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ ....Z	١١٢	٢٣٣
] D E F G ....Z	١٢١	٣٠٩-٥٤
] لَا © عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ Z	١٢٤	٣٨٤
] D E F G H ....Z	١٢٩	١٣١-١٣٦
] فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ....Z	١٥٢	١٨٥
] I J K L M ....Z	١٥٧	٢٣٩
] x y z Z	١٦٦	٢٧٨
] وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ....Z	١٦٨	٣٥٥-٣٥٦
] ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ ....Z	١٧٥	٣٠٩
] ! " # $ % & ....Z	١٧٧	٧٧-٨٣-١٠٤-٢٠١- ٢٠٦-٢٩٨-٣٦٨- ٣٨٥
] وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ....Z	١٧٩	٣١٤-٣١٥
] } ~ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ....Z	١٨٩	١٣٨-٢٠٣
] F G H I J ....Z	١٩٣	١٥٤

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

[G H I J K L Z	٢١٢	٢٣٣
[N O P Q .... Z	٢١٣	٣٠٤
[h i j k l .... Z	٢١٧	٢٥٦-٢٨٥-٢٨٨- ٣٥٣
[إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ Z	٢٢٢	١٤٧
[! " # $ .... Z	٢٥٧	١٨٥
[e f g h i Z	٢٥٨	٤٣١
[وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ Z	٢٦٤	٤٣١
[> ? @ A B C .... Z	٢٦٦	٤٢٨
[ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم .... Z	٢٧٤	٢٢٢
[! " # .... Z	٢٧٥	٢١٧-٢١٩-٢٢١- ٢٢٢
[T U V .... Z	٢٧٦	٢١٩-٢٢١-٢٢٢
[u v w x y .... Z	٢٧٨	٢١٧-٢٢١
[فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ ©ٱللَّهِ .... Z	٢٧٩	٢١٨
[g h i j k .... Z	٢٨٥	٨١-٩١-٣١٠

سورة آل عمران

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
[p q r s .... Z	١٤	٣٣٩-٣٤١-٤٣٦
[قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ .... Z	١٥	٣٤٠

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

[أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ....Z	٢٢	٤٢٦
[لَا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ ....Z	٢٨	١١٢-١٨٠
[N O P Q ....Z	٣٢	١٧٩
[! " # $ ....Z	٥٣	٩٢
[إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ....Z	٧٧	٣٩٠
[! " # $ % ....Z	٧٨	٢٦٠
[k l m n o ....Z	٨١	٣٨٩
[? @ A B C ....Z	٨٥	٢٨٤
[3 4 5 6 7 ....Z	٩٣	٣٤٥
[M N O P Q ....Z	٩٤	٣٤٤
[قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ ....Z	٩٩	٣٤٩
[4 5 6 7 8 ....Z	١٠٢	٢
[H I J K ....Z	١٠٣	١٤٦
[f g h i j k ....Z	١٠٤	١٦٤-١٦٥-١٦٧- ١٧١-٣٧٨
[. / 0 1 ....Z	١١٠	١٧٠-١٧١-٣٧٧
[U V W X Y Z ....Z	١١٢	٣٦٥
[وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ Z	١٣٠	١٣٩-٢١٩-٢٢٢
[وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ Z	١٣١	١٣٩
[وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ ...Z	١٣٢	١٧٨

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

[. / 0 1 2 ....Z	١٣٤	٢٢٢
[f g h i j ....Z	١٣٧	٢٦٣
[s t u v w x Z	١٤٥	٢٣٣
[$ % & ' ....Z	١٤٩	٣٦٠-٤٥
[´ µ ¶ ¸ ٱلْمُؤْمِنِينَ ....Z	١٦٤	١٤٦
[إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ ....Z	١٧٣	٣٦٣
[7 8 9 : ; < Z	١٧٥	٤١٢
[y z {	.... Z	١٨٥	٢٤٧-٢٣٥
[{	} ~ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ Z	١٩٢	٤٣٦
[يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ ....Z	٢٠٠	١٥٦-١٤٣-١٣٩-٥١

سورة النساء

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
[! " # $ ....Z	١	٢
[تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ....Z	١٣	١٧٨
[وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ....Z	١٤	١٨٠
[g h i j k l ....Z	٣٦	٢٠٨-٢٠٧-٧٧
[5 6 7 8 9 ....Z	٣٩	١٢٤
[F G H I J K ....Z	٤٠	٢٤٥
[© ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ ....Z	٥٨	١٩٧

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

[يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ ....Z	٥٩	٩٥
[@ A B C .... Z	٦١	٣٤٩
[فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ ...Z	٦٥	١٨٠
[! " # $ % & ....Z	٨٠	١٧٦-٣٥٤
[! " # $ % ....Z	٨٧	٩٥
[O P Q R S .... Z	٨٩	٣٥٩
[c d e f ... Z	٩٣	٣١٣-٧٨
[@ A B C D E F ... Z	٦١	٣٥٠
[فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ ...Z	٦٥	١٨٣
[إِنَّ â كَانُواْ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا Z	١٠١	٣٥٤-٣٦١
[وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ....Z	١١٣	٨٦
[T U V W X Y Z ....Z	١١٦	١٥٩
[j k l m n o .... Z	١١٧	٣٥٦
[v w y z .... Z	١١٨	٣٥٦
[ع وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا....Z	١١٩	٥٣-٦١-٦٧-٦٧- ٣٢٩-٣٥٦
[أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ....Z	١٢١	٣٥٦
[9 : ; < = ... Z	١٢٣	٤٠٢
[4 5 6 ....Z	١٢٨	١٢٣
[p q r s t .... Z	١٣١	١٣٨

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

[\ ] ^ _ .... Z	١٣٦	٨١
[~ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا Z	١٣٨	١١٢
[ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ © .... Z	١٣٩	١١٢
[A B C D E .... Z	١٥٠	٩٠
[X Y Z [.... Z	١٥١	٩٠
[b c d e .... Z	١٥٢	٩٠
[! " # $ .... Z	١٥٥	٣٩٠
[فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا.... Z	١٦٠	٢١٨
[وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ ´ µ .... Z	١٦١	٢١٨
[، > ? @ A .... Z	١٦٤	٩٠
[p q r s .... Z	١٦٧	٢٩٦
[	} ~ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ .... Z	١٦٨	٢٩٦-٢٥١
إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا .... Z	١٦٩	٢٩٦-٢٥١
[يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ ´ µ ¶ ¸ .... Z	١٧٤	٢٨

سورة المائدة

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
[وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ .... Z	٥	٢٨٥-٢٥٦
[! " # .... Z	١٨	٢٦٠
[{	} ~ .... Z	٢١	٣٢٣

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

[Z.... E D C B	٢٦	٣٢٢
[فَطَوَّعَتْ لَهُۥ ´ µ ¶ .... Z	٣٠	٣١٤-٣٤٧-٦١
[Z.... N M L K	٣٣	٢٢٦
[يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ .... Z	٣٥	١٤٠-١٥٥-١٦٠
[Z.... ' & % $ # " !	٥١	١١٢
[Z j i h g	٥٣	٤٤-٤٢٤-٤٢٦-٤٤١
[كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا à .... Z	٦٤	٣٢٩-٣٣٠
[Z....P O N M L K J	٧٢	٢٨٧
[Z.... = < ; : 9	٧٨	١٧٣
[Z.... P O N M L	٧٩	١٧٣
[Z.... \ [Z Y	٨٦	٢٦٤
[Z.... e d c b a	٨٧	٣٤٤
[Z....% $ # " !	٩٠	٥٨-٢٢٥
[Z.... 5 4 3 2 1	٩١	٣٤٩
[{ z y x w Z |	١٠٠	٥٨-١٤٠
[مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ .... Z	١٠٣	٢٥٩
[وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ Z	١٠٨	٣٨٨-٤٣١

سورة الأنعام

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
[D E F G H I ...Z	١٢	٤٢٢
[M N O P .... Z	٢٠	٤٢٣
[\ ] ^ _ ` a b .... Z	٢١	٢٠-٢٦٤-٢٦٧-٢٦٨
[T U V W X Y .... Z	٣١	٣٤-٤٣-٤٩-٦٧- ٢٩٩
[© لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ .... Z	٣٣	٢٦٥-٢٨٣
[à شَآءَ â لَجَمَعَهُمۡ عَلَى .... Z	٣٥	٢٣٩
[9 : ; < ....: Z	٦١	٨٢
[, - . / 0 .... Z	٧٢	٢٥٧
[وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ Z	٨٨	٢٥٦- ٢٨٨
[9 : ; < = ... Z	١١٢	٣٦٢
[S T U V .... Z	١١٣	٩٨
[ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ .... Z	١٢٤	٨٩
[J K L M .... Z	١٣٥	٣٠-٢٦٧
[W X Y Z [\ ... Z.	١٤٠	٤٣-٦٧-٣١٦-٣٤٥
[V W X Y Z [.... Z	١٤٤	٢٥٩
[r s t u v .... Z	١٥٠	٨٩
[@ A B .....Z	١٥٢	١٩٩-٢٠١- ٣٨٣

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

Z.... M L K J [	١٥٣	٢٤٠
Z.... s r q p [	١٥٥	٣٠٦-١٧٤
] قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي ....Z	١٦٢	١١٦

سورة الأعراف

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
Z.... 6 5 4 3 2 1 [	٣	٣٠٧
Z.... n m l [	٨	-٢٤٣-٦٧-٤٨-٤٢ ٢٤٤
Z.... v u t s [	٩	٤٠٨-٣٠٦-٤٩
Z.... $ # " ! [	٢٣	-٣٩٧-٤٥-٣٨-٢٦ ٤٠١-٣٩٩
Z.... H G F E D [	٢٦	١٣٨
Z.... 8 7 6 5 4 3 [	٣٢	٣٣٦
]ۙ فَمَنِ ٱتَّقَىٰ © فَلَا خَوْفٌ ....Z	٣٥	١٣٧
Z.... x w v u [	٤١	٤٣٥
Z.... $ # " ! [	٥٢	٣٠٨
R Q P O N M L [Z S	٥٣	٣٠٨-٥٩
] وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا Z....	٥٦	٣٩٧-٣٢٥

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

[A B C D E Z	٦٩	٦٧-١٤٥
[Z [\ ] .... Z	٨٥	٣٢٦
[l m n o .... Z	٨٦	٣٢٦
[h i j k l m .... Z	٩٠	٢٦-٣١٣
[| } ~ كَأَن لَّمْ .... Z	٩٢	٤٠-٥٠-٣١٠
[4 5 6 7 8 .... Z	٩٧	٤١٣
[> ? @ A B .... Z	٩٨	٤١٣
[H I J .... Z	٩٩	٤١٢-٤١٣
[T U V W X .... Z	١٠٠	٤١٣
[وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ .... Z	١٠٢	١٩٩-٢٠٢-٣٩٠
[f g h i j .... Z	١٢٧	٣٢٩
[l m n o p .... Z	١٤٧	٢٦٥
[لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا .... Z	١٤٩	٣٨-٥٦-٣٩٨-٣٩٩-٤٠٠-٤٠١
[5 6 7 8 .... Z	١٥٦	٣٩٧
[c d e f g .... Z	١٥٧	٤٠-٤٨-٨٧-٩٤-١٧١-١٧٥-٣١٠-٣٩٧
[J K L M N O P .... Z	١٦٦	٣٢٠
[أَلَمْ يُؤْخَذْ ´ µ ¶ ¸ لَا .... Z	١٦٩	٢٦٠

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

[وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ ....Z	١٧٠	١١٦
[6 7 8 9 : ; ....Z	١٧٢	٢٦٩-٣٨٧
[T U V W X ....Z	١٧٣	٣٨٧
[مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ....Z	١٧٨	٤١-٥٣-٤٣١
[C D E F ....Z	١٨٠	٧٧

سورة الأنفال

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
[! " # % & ....Z	١	١٧٩
[7 8 9 : ; < ....Z	٢	١٠٩-١٨٤
[I J K L ....Z	٣	١٠٩
[P Q R S ....Z	٤	١٠٩
[{ ~ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ....Z	٢٣	٢٣٩
[5 6 7 8 9 ....Z	٢٧	١٩٧
[A B C D ....Z	٢٨	٣٣٧
[k l m ....Z	٣٠	٤١١
[G H I J K ....Z	٣٦	٣٥-٣٥١
[_ ` a b c ....Z	٣٧	٣٥-٣٥١
[يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً ....Z	٤٥	٥٨-١٥٥-١٨٤
[! " # $ % ....Z	٤٦	١٧٧

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

[5 6 7	9 : .... Z	٥٤	٢٦٣

سورة التوبة

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
[6 7 8 9 Z	٢	٢٥١
[فَإِن © وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ .... Z	٥	١١٦
[h i j k l .... Z	١١	١١٥
[K L M N O .... Z	٢٤	٣٤١
[2 3 4 .... Z	٢٨	١٣٤
[D E F G H Z..	٣٤	٣٤٩
[Y Z [\ ] .... Z	٤٤	١٥٤
[i j k l m .... Z	٤٥	١٥٤
[وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ ´ .... Z	٥٤	٤١٠
[q r s t .... Z	٦٠	٢٠٩-١٢٢
[b c d e f g .... Z	٦٦	٢٧١
[! " # $ .... Z	٦٩	٥٥-٣٢١-٤١٩ -٤٢٤-٤٢٥-٤٢٧ ٤٤١
[a b c d .... Z	٧١	٣٧٧
[- . / 0 1 .... Z	٨٨	٤١-٥١-٥٢-١٥٧-

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

		٢٤٦
[j k l m n .... Z	١٠٣	١٣٣
[! " # Z	١١٢	١٠٨
[? @ A B C .... Z	١٢٤	٣٠٨
[G H I J K .... Z	١٢٥	٣٠٨

سورة يونس

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
[! " # $ % .... Z	٧	٣٣٢
[1 2 3 4 .... Z	٨	٣٣٢
[وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ .... Z	١٣	٢٦٧-٢٧٢
[b c d e f g .... Z	١٧	٢٠-٣٥-٢٤٩-٢٦٤- ٢٧٢
[كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى .... Z	٣٣	٤٢١
[E F G H I J .... Z	٤٥	٤٩-٢٩٨
[l m n o p .... Z	٥٩	٢٦١-٣٤٤
[وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ © .... Z	٦٠	٢٦١
[} ~ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ .... Z	٦٨	٢٦٠
[قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ .... Z	٦٩	٢٠-٥٤-٥٨-٢٦١- ٤٤٤-٣٤٦

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

] مَتَٰعٌ فِي ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ إِلَيۡنَا ....Z	٧٠	٣٤٦-٢٦١-٥٨
] وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ Z	٧٧	٢٧٤-٢٧٣-٥٤-٣٠
] ¸ تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ....Z	٩٥	٣٠٥-٢٦٤
] إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ ....Z	٩٦	٤٢١
] _ ` a b c d e Z f	١٠١	٤٢١

سورة هود

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
] © ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ....Z	١١	٣٧٠-١٤٢
] V W X Y Z [....Z	١٦	٤٢٦
] ¶ ¸ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ...Z	١٨	٢٥٩
] ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ....Z	١٩	٣٤-٤١-٣٠١-٣٥٠
] ! " # $ ....Z [	٢٠	٣٤-٤١-٣٠١-٣٥٠
] < = > ? ....Z [	٢١	٣٤-٤١-٣٠١-٣٥٠
] F G H I J K L Z [	٢٢	٣٤-٤١-٦٢-٣٠١-٣٥٠
] I J K L M N Z O [	٤٧	٤٥-٣٩٨-٣٩٩

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

] Z 7 6 5 4 [	٦٣	٤٠٤-٦١
] وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ....Z	٨٨	١٣
] إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ....Z	١١٤	١٥٠
] Z.... 8 7 6 5 [	١١٩	٤٣٩-١٦٤

سورة يوسف

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
] قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ ....Z	١٤	٢٥
] Z.... Q P O N M [	١٨	١٤٢
] Z.... 5 4 3 2 1 0 / . [	٢٣	٢٥٠-٢٦٧-٢٦٩-٤٤٨
] Z.... 3 2 1 0 / . - [	٨٧	٢٩٤
] ~ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَۖ ....Z	٩٢	٤٠١
] Z....D C B A @ [	٩٨	٤٠٠
] وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ Z	١٠٣	٤٣٦
] Z....U T S R Q P [	١٠٨	١٥٢

سورة الرعد

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
] . / 0 1 Z	١٩	٢٠٢

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

[3 4 5 6 ....Z	٢٠	٢٠٢ - ٣٨٧
[; < = > ? @....Z	٢١	٣٨٧
[I J K L M ....Z	٢٢	٣٨٧
[w x y z ....Z	٢٥	٣٢٦-٣٢٨-٣٨٧ ٣٨٩-٣٩٠
[ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم ....Z	٢٨	١٨١-١٨٤

سورة إبراهيم

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
[N O P Q R Z	٢	٣٤٩
[T U V W ....Z	٣	٣٣٢-٣٤٩
[μ ¶ ، بِرَبِّهِمۡ ....Z	١٨	٢٩٥

سورة الحجر

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
[T U V W X Y ....Z	٣٩	٣٥٨
[_ ` a b Z	٤٠	٣٥٨
[نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ Z	٤٩	٤٠٠
[D E F G H I ....Z	٥٦	٤١٣

سورة النحل

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

[c d e f g .... Z	٢	٨٢
[c d e g .... Z	٢٢	٩٨
[= > ? @ A B Z	٣٥	٩٠-٣٤٥
[D E F G H I .... Z	٣٦	٣١٠
[5 6 7 8 9 .... Z	٤٤	٨٥
[وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ .... Z	٥٣	١٤٥
[a b c d e f .... Z	٦٠	٢٩٨
[! " # $ % & .... Z	٨٨	٣٢٨-٣٥٠
[J K L M N O .... Z	٩٠	٢٠٨
[ ] ^ _ ` a .... Z	٩١	١٩٩-٣٨٣
[Y Z [\ ] ^ .... _ Z	٩٧	١٠٩-٢٣٣-٢٨٣- ٣٧٢
[@ A B C .... Z	١٠٥	٢٥٩
[M N O P Q R .... Z	١٠٦	٢٥٧-٢٩٦
[f g h i .... j Z	١٠٧	٣٣٣
[t u v w .... Z	١٠٨	٣٣٣
[لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ Z	١٠٩	٦٢-٦٨-٣٣٣
[إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ .... Z	١١٦	٣١-٥٤-٢٦١

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

[µ ¶ ¸ عَذَابٌ أَلِيمٌ Z	١١٧	٢٦١
[v w x y z .... Z	١٢٥	٤٠٤

سورة الإسراء

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
[@ A B C D .... Z	١٠	٢٩٨
[¸ تَكُونُوا صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ .... Z	٢٥	٤٠١
[وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ .... Z	٢٦	٢٠٩
[. / 0 1 2 3 .... Z	٢٩	١٢٥
[وَأَوْفُوا بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا Z	٣٤	١٩٩
[\ ] ^ _ ` a Z	٥٣	٣٥٤
[D E G H I .... Z	٧٨	١١٧
[{ ~ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا Z	٨٢	٣٠٧-١٢
[قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ ´ µ ¶ .... Z ¸	١٠٢	٢٨٣

سورة الكهف

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
[وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا Z	٢٠	٣١-٥٧-٦٧-٢٥٦- ٢٥٧
[. / 0 1 .... Z	٣٦	٢٩٥

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

[! " # $ %	....Z	٣٣٦-٣٤١
[g h i j Z	٤٩	٢٦٦
[	} ~ .... Z	٥٠	٣٥٥
[{	} ~ ....ط Z	٥٨	٤٠١
[& ' ( ) * Z	٨٤	٢٧٨
[, - Z	٨٥	٢٧٨
[W X Y Z [\ ....Z	٨٨	١٠٩
[c d e f g Z	١٠٣	٢٩٥-٣٠٢-٤٠٩
i j k l m n ....Z	١٠٤	٢٩٥-٣٠٢-٤٠٩
[} ~ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا Z	١٠٥	٢٤٤-٢٥٣-٢٩٥-٣٠٢
ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا © ....Z	١٠٦	٢٩٥
[إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ´ ....Z	١٠٧	١٠٩
[â كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ ç ....Z	١١٠	٣٧٠

سورة مريم

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
[_ ` a b |....Z	٤٤	١٧٩
[w x y z {	.... Z	٥٩	١١٥
[تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا ....Z	٦٣	٢٣٦
[k l m n .... Z	٧٢	٢٦٦

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

] قُلْ مَن كَانَ ´ µ ....Z	٧٥	٢٤١
] ! " # $ % ....Z	٩٦	٣٧٣

سورة طه

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
] s t u v w|y z { Z	٨	٧٧
] U V W X Y Z	٦٩	٣٠-٦٧-٢٧٤
] وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ....Z	٧٥	١٣٢-١٨٨
] جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن ç è ....Z	٧٦	١٣٢
] F G H ....Z	٩٠	٣٩٥
] وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى ....Z	١٢٤	٣٧٢

سورة الأنبياء

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
] ! " # $ % ....Z	١١	٢٦٧
] ! " # $ ....Z	٢٥	٤٠٤
] : ; < = > ....Z	٤٧	٢٤٢-٢٤٣-٢٤٥-٣٠٦
] وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم ....Z	٥٧	٦٤-٣٦٥
] حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ ....Z	٦٨	٣٦٣

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

[قُلْنَا يَٰنَارُ © بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ Z	٦٩	٣٦٣
[وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ´ Z	٧٠	٦٢-٦٤-٦٤٦٥-٣٦٥
[! " # $ ....Z	٧٣	١٦٧
[¸ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ....Z	٩٠	٤١٢-٤١٣
[` a b c d Z	١٠٧	٩٤

سورة الحج

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
[f g h i j k l ....Z	١١	٦٥-٢٩٤
[فَلْيَمْدُدْ à إِلَى â ....Z	١٥	٢٧٨
[^ _ ` a b c d ....Z	١٨	٣١٩
[+ , - . / 0 1 ....Z	٢٥	٣٥٣
[J K L M ....Z	٤٠	٣٠٩-٣٧٨
[T U V W X .... Z	٤١	٣٧٨
[e f g h .... Z	٧٧	٣٣-٥١-٥٧-٧٩- ١١٩-١٥٩-١٦٢- ٢٠٨
[r s t u v .... Z	٧٨	١٥٣

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

سورة (المؤمنون)

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
[! " # Z	١	٢١-٣٢-٤٧-٥١-٥٧-٦٧-٧٨-١٠٨-١١٨-٢٠١-٢١٣-٢٣٦-٢٦٨
[% & ' ( ) Z	٢	٣٢-٥١-١٠٨-١١٨-٢٠١-٢١٣-٢٣٦-٢٦٨
[+ , - . / Z	٣	٣٢-٥١-١٠٨-٢٠١-٢١٣-٢٣٦
[1 2 3 4 Z	٤	٣٢-٥١-١٠٨-١٢٣-٢٠١-٢١٣-٢٣٦
[6 7 8 9 Z	٥	٣٢-٥١-١٠٨-١٩٠-٢٠١-٢٣٦
[; < = > ? @ A B C D Z	٦	٣٢-٥١-١٠٩-١٩٠-٢٠١-٢٣٦
[F G H I J K L Z	٧	٣٢-٥١-١٠٩-١٩٠-١٩٢-٢٠١-٢٣٦
[N O P Q R Z	٨	٣٢-٥١-١٠٩-١٩٦-١٩٨-٢٠٠-٢٠١-٢٣٦
[T U V W X Z	٩	٣٢-٥١-١٠٩-١١٨-٢٣٦

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

[Z [Z \	١٠	٥١-١٠٩-٢٠١-٢٣٦
[^ _ ` a b c Z	١١	٥١-١٠٩-٢٠١-٢٣٦
[Y Z [\ ] ^ ....Z	٣٣	٢٦
[s t u v ....Z	٣٤	٢٦
[إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا ....Z	٣٧	٣٠٠
[إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلُۢ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ....Z	٣٨	٣٠٠
[وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ ....Z	٧٤	٩٨
[وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ .... Z	١٠٣	٥٥-٣٧٢-٤٣٥- ٤٠٩-٤٣٦
[تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ Z	١٠٤	٥٥-٤٠٩-٤٣٥-٤٣٦
[إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ Z	١١٧	٣٠-٥٧-٢٤٩-٢٥٢

سورة النور

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
[3 4 5 6 7 ....Z	٢١	١٣٣
[N O P Q R ....Z	٣٠	١٨٩
[وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا ....Z	٣١	٥١-١٤٩
[F G H I ....Z	٣٩	٢٨٣
[n o p q r ....Z	٤٨	٣٧٧

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

[z { | } ~ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ Z	٤٩	٣٧٧
[أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ ....Z	٥٠	٣٧٧
[¶ ¸ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ....Z	٥١	١٧٧-٤٨-٣٧
[وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ....Z	٥٢	١٧٩-١٧٨
[< = > ? @ ....Z	٥٥	٣٦٠
[e f g h ....Z	٥٦	١١٥
[ ] ^ _ ` a Z	٦٣	٣٤٧-١٨٠

سورة الفرقان

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
[B C D E F G ....Z	٢٣	٢٩٥-٣٠٢-٤٢٦-٤٢٨
[وَكَذَٰلِكَ ´ µ ¶ ¸ ....Z	٣١	٣٦٢
[! " # $ % & ' ....Z	٦٨	١٨٩
[b c d e f Z	٧٢	٢١٣

سورة الشعراء

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
[: ; < = > ? Z	٨٨	٣٤٠
[A B C D E F Z	٨٩	٣٤٠

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

[~ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ Z	١٥٢	٣٢٨
[i h j k Z	١٩٣	٨١
[m n o p q Z	١٩٤	٨١

سورة النمل

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
[7 8 9 : ; .... Z	٤	٣٤-٣٠٠
[B C D E F .... Z	٥	٣٤-٥٤-٣٠٠-٤٣٤ ٤٣٥
[´ µ ¶ ¸ بَدَّلَ حُسْنًا .... Z	١١	٤٠١
[! " # $ .... Z	١٤	٢٨٣

سورة القصص

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
[W X Y Z [.... Z	١٦	٢٦٦
[L M N O P Q .... Z	٢٤	١٩٦
[\ ] ^ _ ` .... Z	٢٥	١٩٦
[y z { | .... Z	٢٦	١٩٦
[B C D E Z	٣٧	٢٤٩-٢٦٨
[O P Q R S .... Z	٥٥	٢١٤
[فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا .... Z	٦٧	٧٨-١٠٨-١٤٩

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

٣٤٠-٣٣١	٧٧	] وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ .... Z
١٠٩	٨٠	Z.... Y X W V [
٢٥٢-٢٤٩-٤٤	٨٢	] وَيۡكَأَنَّهُۥ ´ µ ¶ Z
١٦٥	٨٧	X W V U S R Q [Z
٢٥٢	٨٨	Z.... ` _ ^] \ [Z [

سورة العنكبوت

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
[´ µ ¶ ¸ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ.... Z	٤٥	١٢١-١١٥
] وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ .... Z	٥٢	٢٨٦-٦٠-٤٠
Z.... : 9 8 7 6 [	٥٥	٤٣٥
.... c b a ` _ ^] [Z	٦٨	٢٦٣

سورة الروم

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
Z.... 2 1 0 / . [	٧	٣٤٢

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

[v u w x y z .... Z	١٠	٢٦٣
[X Y Z [\ ] .... Z	٣٧	٢٠٧
[i j k l m .... Z	٣٨	٢٠٧-٢١٠
[| { ~ ﴿ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ ﴾ .... Z	٣٩	٢١٨-٢١٩-٢٢٢
[﴿ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ ﴾ .... Z	٤١	٢٦٩
[v w x y .... Z	٤٧	٢٧١

سورة لقمان

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
[! " # $ % & Z	١-٢	٩٧
[( ) * Z	٣	٩٧
[, - . / 0 .... Z	٤	٣٣-٩٧-١١٨-١٢٤
[6 7 8 9 : .... Z	٥	٣٣-٤٧-٦٠-٩٧-١١٨-١٢٤-٢٤٠
[A B C D Z	١٣	٢٦٦
[| { ~ ﴿ نَضۡطَرُّهُمۡ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴾ Z	٢٤	٢٦٢
[﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ .... Z	٣٤	٩٦

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

سورة السجدة

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
[قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ....Z	١١	٨١
[2 3 4 5 6 7 ....Z	١٣	٤٣٩-٢٣٩
[p q r s t u ....Z	١٧	٢٣٥
[J K L M N ...Z	٢٤	١٤٣

سورة الأحزاب

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
[# $ % & ' (....Z	١	٣٦١-٢٨٨
[! " # $ % ....Z	٧	٩١
[r s t ....Z u	٣٥	١٩٠
[2 3 4 5 6 7 8 ...Z	٣٦	٢٤١
[y z { | } ~ قَبْلُ....Z	٣٨	١٠٠
[+ , - . / 0 Z 1	٤٥	١٦٥
[3 4 5 6 7 8 Z	٤٦	١٦٥
[C D E F G H ....Z	٤٨	٣٦١
[u v w x y ....Z	٧٠	٢

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

] ~ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ....Z	٧١	٢
] إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى µ ´ ....Z	٧٢	١٩٥

سورة سبأ

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
] 4 5 6 7 8 9 : ; ....Z	٢	٤٠١
] V W X Y Z ....Z	٣	١٠٤
] { ~ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ ....Z	٣٧	٣٤٠

سورة فاطر

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
] o p q r s ....Z	١	٨٣
] F G H I J K L Z	٦	٣٥٨
] o p q r Z	١٤	٣٤٧
] u v w x y z....Z	١٥	١٨٨
] v w x y z ....Z	٣٦	٢٥١-٤٣٣
] 6 7 8 9 : ; Z	٣٩	٢٥-٢٨٩
[´ µ ¶ ¸ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ....Z	٤٣	٣٥١

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

سورة يس

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
K J I H G F E DC [Z.... L	٦٠	٣٥٥

سورة الصافات

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
Z V U T S R [	٨٦	٢٩١
Z [Z Y X [	٨٧	٢٩١
[قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَـٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ Z	٩٧	٦٤
[فَأَرَادُوا۟ ´ µ ¶ ¸ Z	٩٨	٣٦٥

سورة ص

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
Z.... S R Q P O [	٦	٣٨٠
Z.... F E D C B [	٢٩	٣٠٩
Z $ # " ! [	٨٤	٤٤٠
Z.... *) (' & [	٨٥	٤٤٠

سورة الزمر

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
[¸ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ....Z	٩	٤١٣

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

[H I J K L M N Z....	١٥	٢٤-٣٦-٤١-٥٥-٦٠-٦٣-٦٥-٦٦-٣٩٦-٤٣٥-٤٣٦-٤٤٣
[X Y Z [\ ] .... Z	١٦	٥٥-٤٣٥-٤٣٦
[^ _ ` a b c d .... Z	٣٦	٤٣٠
[C D E F G H I .... Z	٦٠	٢٥٩
[S T U V .... Z	٦١	٥٧
[_ ` a b .... Z	٦٢	٧٧
[o p q r s t u Z	٦٣	٤٠-٥٦-٣٠٥
[وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ .Z	٦٥	٤٦-٢٨٨

سورة غافر

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
[ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ....Z	٧	٨٢-٤٩٤
[ ) * + , - .... Z	٢٦	٣٢٩
[b c d Z	٣٦	٢٧٨
[f g h i j k Z	٣٧	٢٧٨

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

[: ; < = > ? @ A B Z	٧٨	٢٩٠-٦٨-٦٣-٥٨
[فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ.... Z	٨٥	٢٩١

سورة فصلت

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
[Y Z Z	٦	١٣٠
[\ ] ^ _ ` a b Z c	٧	١٣٠
[5 6 7 8 9 : ; < = ... Z	٢٢	٢٩١-٢٩٣-٢٩٤
[J K L M N O Z....	٢٣	٢٩١-٢٩٣-٢٩٤
[T U V W X .... Z	٢٤	٢٩٣
[b c d e f g h i .... Z	٢٥	٤٣٨-٤٣٩
[} ~ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ.... Z	٢٦	٢٨
[L M N O P Q R .... Z	٣٣	١٦٨
[قُلْ ´ µ ¶ ¸ وَشِفَآءٌ....	٤٤	٣٠٧

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

Z		
] سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ....Z	٥٣	٣٠٣

سورة الشورى

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
] 1 2 3 4 5 6 Z 7	١١	٤٣٠-٧٧
] { ~ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ Z....	٢١	٣٤٣
] وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ....Z	٣٠	٤٣٣-٣٢٠
] إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ ....Z	٤٢	٢٦٦
] , - . / 0 1 2 3 4 ....Z	٤٥	٤٤٤-٦٣

سورة الزخرف

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
] " # $ % & ' ( ) * + , ...Z	٢٣	٤٣٦
] ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ ....Z	٧٠	٤٤٣

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

٢٣٧	٧٢	[وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ Z
٢٧١	٧٤	Z & % $ # " ! [
٤٣٣	٧٧	Z....; : 9 8 7 [
٢٨٨-٤٦	٨١	Z.... _ ^] \ [[

سورة الجاثية

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
m l k j i h g [Z....	١٨	٣٦١
Z { z y x w v u [	١٩	٣٦١
Z.... % $ # " ! [	٢٣	٤٣٠
Z....| z y x w [	٢٧	٢٩٠-٥٩

سورة الأحقاف

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
I H G F E D C [Z J	١٥	٤٤٣
[أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ © فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم ....Z	١٨	٤٣٩-٤٣٨

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

سورة محمد عليه الصلاة والسلام

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
[! " # $ % & ' (Z	١	٣٥٣
[وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَتَعْسًا لَّهُمْ ´ µ Z	٨	٤٢٦
[N O P Q R S T U .... Z	٢٢	٢٠٨

سورة الفتح

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
[! " # $ % & ... Z	١٠	٢٠٢
[B C D E F .... Z	١١	٣٤١
[{	} ~ وَرَسُولِهِۦ .... Z	١٣	٩٢

سورة الحجرات

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
[i j k l m .... Z	٩	١٧٢
[$ % & ' .... Z	١٢	٢٩٣
[Q R S T U .... Z	١٣	١٣٧
[	} ~ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ .... Z	١٥	١٢٤-٩٢

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

سورة ق

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
[! " # $ ... Z	١٦	٣٤٧
[: ; < = > .... Z	١٨	٢١٥
[q r s t .... Z	٤٣	٣١٤

سورة الذاريات

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
[وَلَا à مَعَ â إِلَـٰهًا ءَاخَرَ ۖ .... Z	٥١	٢٥٢
[C D E F G H Z	٥٦	٤٠٤
[K L M N O P Q R Z	٥٧	٤٠٤
[T U V W X Y Z Z	٥٨	٤٠٤

سورة الطور

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
[U V W X Y .... Z	٢١	٤٤٣

سورة النجم

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
[+ , - . Z	٣	٨٦
[0 1 2 3 4 Z	٤	٨٦

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

] © تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ Z	٣٢	٣٩٤-١٣٤

سورة القمر

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
] إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٖ Z	٤٧	٢٧١
] إِنَّا كُلَّ à خَلَقۡنَٰهُ â Z	٤٩	١٠٠

سورة الرحمن

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
] وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن © مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ Z	١٥	٣٥٤
] ? @ A B C Z	٤٦	٤١٦

سورة الواقعة

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
] وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ©أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ Z	٤١	٤١٦
] فِي سَمُومٖ وَحَمِيمٖ Z	٤٢	٤١٦
] وَظِلّٖ مِّن ´ Z	٤٣	٤١٦
] ¶ ¸ وَلَا كَرِيمٍ Z	٤٤	٤١٦
] إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُتۡرَفِينَ Z	٤٥	٤١٦
] وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلۡحِنثِ ٱلۡعَظِيمِ Z	٤٦	٤١٦
] وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابًا...Z	٤٧	٤١٦

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

سورة الحديد

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
[s t u v w x | ....Z	٢١	٢٣٨
[J K | M N O Z	٢٦	٢٧٨
[{ | } ~ ٱللَّهَ ....Z	٢٨	٩٢

سورة المجادلة

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
[أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ Z	١٩	٣٦-٣٩-٣٥٧-٣٧٢
[S T U V W X Z	٢٢	٣٦-٣٩-٦٧-١١٣

سورة الحشر

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
[p q r s .... Z	٧	٨٥-١٧٤
[وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ ....Z	٩	٤٢-٤٨-٢٢٨

سورة الصف

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
[o p q r s t u .... Z	١٠	١٥٤
[{ | } ~ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ....Z	١١	١٥٤

سورة الجمعة

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

[. / 0 1 2 3 4 ....Z	٢	١٣١-١٣٥
[8 9 : ; < = ...Z	١٠	١٨٣

سورة (المنافقون)

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
[0 1 2 3 ....Z	٦	٣٨٨
[d e f g ....Z	٨	٢٦٩
[m n o p q r ....Z	٩	٣٣٧-٣٤٠

سورة التغابن

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
[. / 0 1 2 3 4....Z	١١	١٠٢-٢٣٠-٢٤١
[Y Z [\ ] ^ ....Z	١٤	٣٣٧
[m n o p ....Z	١٥	٣٣٧
[وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ Z	١٦	٤٨-٢٣٠

سورة الطلاق

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

[` a b c d e f Z....	٢	٩٥
[c d e f g h i j Z....	٨	٣٢٠-٥٣
[r s t u v w x Z	٩	٣٢٠-٥٣
[z {	} ~ .... Z	١٠	٣٢٠-٥٣

سورة التحريم

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
[! " # $ % & ' (.... Z	١	٣٤٤
[يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا Z	٦	٤٤٣
[Q R S T U Z....	٩	١٥٤

سورة الملك

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
[, - . / 0 1 2 Z	١٤	٢٩٤

سورة القلم

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
[أَمۡ لَكُمۡ أَيۡمَٰنٌ عَلَيۡنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ... Z	٣٩	٤١٥

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

] سَلْهُمْ â بِذَلِكَ زَعِيمٌ Z	٤٠	٤١٥

سورة الحاقة

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
] Z v u t s r	٢٠	٢٩٣

سورة المعارج

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
] Z N M L K	١٩	١٠٠-١٢١
] Z S R Q P	٢٠	١٠٠-١٢١
] Z X W V U	٢١	١٠٠-١٢١
] Z [Z	٢٢	١٠٠-١٢١
] ~ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ Z	٢٩	١٩٢
] إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا © أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ Z	٣٠	١٩٢
] فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ ´ µ ¶ Z	٣١	١٩٢

سورة نوح

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
] قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا Z	٥	١٦٨
] فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا Z	٦	١٦٨

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

] وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ ´ µ ...Z	٧	١٦٨
] ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا Z	٨	١٦٨
] ثُمَّ إِنِّيَ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا Z	٩	١٦٨
[d c e f g h i j k Z o n m l	٢١	٣٣٩-٣٤٠

سورة المدثر

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
] وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا ´ ...Z	٣١	٨٢
] لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ Z	٣٧	١٠٧
[E F G Z	٥٤	١٠١
[I J K Z	٥٥	١٠١
[M N O P Q R Z...	٥٦	١٠١

سورة الإنسان

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
] = > ? Z....	٢٩	١٠١
[H I J K L M Z....	٣٠	١٠١

سورة المرسلات

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

] كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ Z	١٨	٢٧١

سورة النبأ

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
] جَزَآءً وِفَاقًا ´ Z	٢٦	٤٠٩

سورة النازعات

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
] قَالُواْ تِلۡكَ إِذٗا كَرَّةٌ خَاسِرَةٞ Z	١٢	٣٠٣
] فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ Z	١٣	٣٠٣
] فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ Z	١٤	٣٠٣
Z 3 2 1 0 / . [	١٨	١٣١
Z 8 7 6 5 [	١٩	١٣١
Z K J I H [	٢٤	٣٥٣

سورة التكوير

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
] إِنۡ ´ µ ¶ ¸ Z	٢٧	١٠١
] لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ Z	٢٨	١٠١
] وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ...Z	٢٩	١٠١

سورة الإنفطار

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
[O P Q Z	١٠	٨٢
[S T Z	١١	٨٢
[V W X Z	١٢	٨٢

سورة المطففين

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
[وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو ´ µ Z	٣	٢٥
[I K M N O P Q R S Z	١٤	١٤٨

سورة الأعلى

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
[@ A B C Z	١٤	٣٣-٦٧-١٢٠-١٣١-١٣٤-١٣٥-١٨٤
وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ Z	١٥	١٢٠-١٣١-١٣٤-١٨٤
[& ' (Z	١٧	٣٣٥

سورة البلد

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
[s t u Z	١١	١٦٣
[w x y z Z	١٢	١٦٣
[	} Z	١٣	١٦٣

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

] أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ Z	١٤	١٦٣
] يَتِيمًا ذَا © Z	١٥	١٦٣
] أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ Z	١٦	١٦٣
] ثُمَّ كَانَ مِنَ ´ µ ...Z	١٧	٣٨١-١٦٣

سورة الشمس

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
] 8 9 : ; Z	٧	٣٧٢-١٣١
] < = > ? Z	٨	٣٧٢-١٣١
] @ A B C Z	٩	-١٣٤-١٣١-٦٧-٥٧ ٣٧٢
] E F G H Z	١٠	٣٧٢-١٣١

سورة القارعة

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
] A B C D Z	٦	٢٤٥
] F G H I Z	٧	٢٤٥
] K L M N Z	٨	٤٠٩-٣٠٦
] P Q Z	٩	٤٠٩-٣٠٦
] S T U V Z	١٠	٤٠٩-٣٠٦
] X Y Z	١١	٤٠٩-٣٠٦

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

سورة العصر

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
[! Z	١	٢٥-٣٥-٤٩-٦٠-١٦٨-٣٧٠
[# $ % & Z	٢	٢٥-٦٨-٣٥-٤٩-٦٠-١٦٨-٣٧٠
[( ) * + , ...Z	٣	٣٥-٤٩-٦٠-١٦٨-٣٧٠

سورة الماعون

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
[6 7 8 9 Z	١	١٢١
[; < = > Z	٢	١٢١
[@ A B C D Z	٣	١٢١
[F G Z	٤	١٢١
[I J K L M Z	٥	١٢١
[O P Q Z	٦	١٢١
[S T Z	٧	١٢١

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

فهرس الأحاديث النبوية

	الحديث	رقم الصفحة
١.	(اتقِ الله حيثما كنت، وأتبع السيّئة ...)	١٣٨
٢.	(اجتمع عند البيت ثلاثة نفر: قرشي ...)	٢٩٢
٣.	(اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: ...)	٢١٧-٢٧٣
٤.	(إذا صار أهل الجنة إلى الجنة، ...)	٤٣٣
٥.	(إذا ضُيِّعت الأمانة فانتظر الساعة، ...)	١٩٦
٦.	(أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل ...)	١٣٣
٧.	(أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً...)	١٩٩-٢٠٠-٣٨٤
٨.	(ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في...)	٣٣٥
٩.	(استقيموا ولن تحصوا، اعلموا أن خير...)	١١٩
١٠.	(أسلمت على ما سلف من خير)	٢٥٤
١١.	(أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل قتله ...)	٣٦٦
١٢.	(أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء ...)	٩٣
١٣.	(أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ، الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وقَتْل النَّفْسِ...)	٢٨٧-٣١٣
١٤.	(ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ قال معاذ...)	٢١٤
١٥.	(ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت ...)	١٢٩-١٣٧
١٦.	(أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله...)	٧٧
١٧.	(آمركم بالإيمان بالله وحده)	١١٠
١٨.	(إن الرجل لينصرف وما كتب له إلا...)	١١٧
١٩.	(إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر ...)	٢٦٢
٢٠.	(إِنَّ الْعَبْدَ إذا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ في قَلْبِهِ ...)	١٤٨
٢١.	(إن الله تعالى قال: من عادى لي وليا...)	١٣٣-٣٦٩

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

٢٢.	(إن الله سيخلص رجلا من أمتي على ...)	٢٤٣
٢٣.	(إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم ...)	٢٥٣
٢٤.	(إن الله لو عذب أهل سماواته وأهل أرضه...)	٢٤٦
٢٥.	(إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر)	٢٩١
٢٦.	(أن تؤمن بالله ،وملائكته،وكتبه،ورسله، ...)	١٠٣
٢٧.	(إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين..)	٢٣٥
٢٨.	(إن لكل أمة فتنة، وفتنة أمتي المال)	٣٤٢
٢٩.	(إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون...)	٨٢
٣٠.	(أن يحيى بن زكريا قال لبني إسرائيل: إن الله ...)	١٨٢
٣١.	(أنا عند ظن عبدي بي...)	٢٩٣-١٨٣
٣٢.	(أنهم كانوا إذا أحرموا في الجاهلية أتوا البيت...)	٢٠٣
٣٣.	(إني خلقت عبادي حنفاء، وإنهم أتتهم ...)	٣٤٤
٣٤.	(أي الذنب أعظم عند الله ؟ قال : (أن تجعل ...)	٢٨٧-١٩٠
٣٥.	(إياكم والشح، فإن الشح أهلك من كان ...)	٢٢٩-٢٢٧
٣٦.	(إياكم ومحدثات الأمور، فإنها ضلالة، ...)	١٧٧-١٧٤
٣٧.	(آية المنافق ثلاث: إذا حدث...)	١٩٧
٣٨.	(الإيمان بضع وسبعون شعبة...)	١١٠
٣٩.	(بايعنا رسول الله r على السمع والطاعة ...)	١٧٧
٤٠.	(تنصح للمسلم، وتبرأ من الكافر)	١١٢
٤١.	(ثلاث من فعلهن فقد ذاق طعم الإيمان ...)	١٣٢
٤٢.	(حجبت النار بالشهوات،وحجبت الجنة بالمكاره)	٣٧٥-٢٣٧
٤٣.	(حديث الآذان: (حي على الفلاح)	١٧
٤٤.	(حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام ...)	٣٨٠
٤٥.	(خمس صلوات في اليوم والليلة)، فقال: هل...)	٧٠
٤٦.	(خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين ...)	١٩٨-١٧٠

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

٤٧.	(الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر)	٣٣٤
٤٨.	(رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة، ...)	١١٦
٤٩.	(رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ من الدُّنْيَا ...)	١٥٦
٥٠.	(رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه...)	١٥٧
٥١.	(الرحم معلقة بالعرش، تقول: من وصلني ...)	٣٢٢
٥٢.	(سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله: أي العمل أحب إلى الله؟ ...)	١١٩-١٥٥
٥٣.	(سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله...)	١٩١
٥٤.	(سحر رسول الله r يهودي يقال له: لبيد ...)	٣٦٦
٥٥.	(سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن...)	١٣٨
٥٦.	(الصدقة على المسكين صدقة،...)	٢٠٨
٥٧.	(فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به...)	١٧٤
٥٨.	(فقال للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من ...)	٣٩٤
٥٩.	(فوالله لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً ...)	١٦٩
٦٠.	(قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ...)	٢٣٥
٦١.	(قصة الثلاثة الذين انطبق عليهم الغار ...)	١٩١
٦٢.	(كان أفضل قول إبراهيم حين ألقي في...)	٣٦٣
٦٣.	(كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه ...)	٢٨٤
٦٤.	(كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته...)	١٩٥
٦٥.	(كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان ...)	٢٤٣
٦٦.	(كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن ...)	٨١
٦٧.	(لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة)	٨٢
٦٨.	(لا تزول قدما عبد يوم القيامة من عند ربه ...)	٣٤١
٦٩.	(لا تُقْتَل نفسٌ ظلما إلا كان على ابن آدم...)	٣١٥
٧٠.	(لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم ...)	٢٢٧

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

٧١.	(لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله...)	٣١٣
٧٢.	(لا يدخل الجنة قاطع)	٢٠٨
٧٣.	(لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب...)	٣١٣
٧٤.	(لا يستقيم إيمان عبدٍ حتى يستقيم قلبه...)	٢١٤
٧٥.	(لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله...)	٢٩٢
٧٦.	(لا ينفعه، إنه لم يقل يوما رب اغفر لي ...)	٢٥٣
٧٧.	(لكني أصوم وأفطر، وأنام وأقوم، ...)	٣٤٦
٧٨.	(لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حين يَتُوبُ إليه، ...)	١٤٨
٧٩.	(لن يدخل أحداً عمله الجنة) قالوا: ...)	٢٣٧-٣٩٥
٨٠.	(اللهم إني أعوذ بك من الجوع ...)	١٩٧
٨١.	(اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)	٤١٤
٨٢.	(ما الدنيا في الآخرة إلا مثلما يجعل أحدكم ...)	٣٣٤
٨٣.	(ما تَرَكْتُ بَعْدي فِتْنَةً أضرَّ على الرِّجالِ مِنَ...)	٤١٦
٨٤.	(ما تعدون الرَّقُوب فيكم؟ قالوا :الرقوب...)	٣٨٠
٨٥.	(ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن ...)	٣٠٤
٨٦.	(ما منكم من أحد إلا وقد وُكِّل به قرينه ...)	٣٥٨
٨٧.	(ما منكم من أحد إلا وله منزلان...)	٢٣٦
٨٨.	(مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه...)	١٨٦
٨٩.	(مَثَلُ المؤمنين في توادِّهم وتراحُمِهم ...)	١١٢-١٦٦-٢٠٦-٢٠٨
٩٠.	(من أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه)	٢٩٧
٩١.	(من دعا إلى هدى كان له من الأجر ...)	١٦٨-٤٠٦
٩٢.	(من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن ...)	١٧١
٩٣.	(من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد)	٢٨٤

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

٩٤.	(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه)	٢٠٩
٩٥.	(من يضمن لي ما بين لحييه، وما بين رجليه...)	١٨٩-١٩٢
٩٦.	(المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بَعْضُه بعضاً...)	١١٢
٩٧.	(والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه...)	٩٤
٩٨.	(والذي نفسي بيده لو تدومون على ما ...)	١٨٢
٩٩.	(وأما المهلكات: فشحٌ مطاع، وهوىً متبع...)	٢٢٧
١٠٠.	(يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي ...)	٢٦٦
١٠١.	(يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة...)	١٩٣
١٠٢.	(يؤتى يوم القيامة بالرجل السمين فلا يزن...)	٢٤٤

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

فهرس الأعلام

العلم	رقم الصفحة
ابن الجوزي	٢٥٥-٣١٥-٤٠٢
ابن القيم	٧٩-١٠١-١٢٠-١٢٩-١٣٠-١٣٣-١٣٥-١٣٧-١٤٨-١٥٦-١٦٥-١٨٥-٢٢٨-٢٢٢-٢٣٨-٢٩٢-٣٢١-٣٢٨-٣٧٤-٣٧٦-٣٧٧-٣٧٨-٣٨١-٣٨٨-٣٩٦-٤٠٨-٤١٣-٤٢٨
ابن بطة العكبري	٤٣٤
ابن تيمية	٧٤-٧٥-٧٦-٧٨-٨٩-١٠١-١٠٧-١١١-١١٥-١١٩-١٢٩-١٣٤-١٤٥-١٤٨-١٥٤-١٦٠-١٦٣-١٧٣-١٩٢-٢٢٨-٢٦٤-٢٨٤-٢٨٨-٢٩٤-٢٩٧-٣٠٩-٣٣٤-٣٤٥-٣٤٧-٣٧٣-٣٧٩-٣٨١-٤٢٥-٤٢٩-٤٣٤
ابن جرير	٨٦-١٠٢-١٣٣-٢٠٢-٢٤٩-٣٠٢-٣٠٧-٣٠٩-٣٢١-٣٥٢-٣٨٦-٤٠٥
ابن حجر	٣٦٩
ابن سعدي	٢٣٩-٣٠٥-٣٠٦-٣٦٤-٣٧١-٣٣٨
ابن عاشور	٢٠-٨٦-٨٧-١٦٤-٢٤٦-٢٨٤-

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

	٢٨٦-٢٨٨-٢٨٩-٣٨٦-٣٨٨
ابن عباس	٨٦-١١٠-٣٠٩-٣٢٧-٣٦٣
ابن عبد البر	١٠٨
ابن عثيمين	٧٥-٢٠٤-٤١٠-٤١٢
ابن عطية	٣٢٢-٣٦٤-٣٨٧-٣٨٨-٤٠٥
ابن فارس	١٧-٢٢-٢٩
ابن كثير	١٩-١٦٧-٢٤٤-٣٠٢-٣٠٧-٣٢٨-٣٣٣-٣٨٦
أبو السعود	٤٣٩
أبو حامد الغزالي	٣٥٨
أبو حيان	٣٠٢-٤٠٥
أبو هريرة	٨٢-٩٤-١٣٢-١٣٨-٢٧٣-٣٠٤-٣٨٠
أحمد بن حنبل	٧٨-١٩٠-٣٤٧
الألوسي	٣٢٢-٣٥٠-٣٦٠-٤٠٦-٤٢٢
أم المؤمنين عائشة	٢٥٣-٣٢١-٣٦٦
أنس بن مالك	٣١٣
الحسن البصري	٣١٩-٤١٤-٤١٥
حنظلة الأسيدي	١٨٢
الراغب	١٨-٢٣-٣٩٦-٤٠٦
الزبيدي	١٧
الزجاج	٢٤٣-٣٧٤
الزمخشري	٤٣-٣٦٣-٣٨٦-٣٩٩
سلمان الفارسي	١٥٦
السمعاني	٣٣١

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

سهل بن سعد الساعدي	١٥٦
الشافعي	١٧٦-٣٨١
الشنقيطي	٢٠-٤٦-١١٣-٢٨٨-٣٠٢-٣١١-٤٣٩
عبادة بن الصامت	١٧٦
عَبد الله بن معاوية الغاضري	١٣٢
عبدالرحمن الدوسري	٣٢٧-٣٨٩
عبدالله بن جدعان	٢٥٣
عبدالله بن جرير البجلي	١١٢
عبدالله بن مسعود	٨٦-١١٦-١١٩-١٥٥-١٨٩-٢٥٣-٢٨٧-٢٩٢-٣٠٩-٣١٣-٣١٤-٣٣٣
العرباض بن سارية	١٧٧
عطاء	٤٠٥
عكرمة	٣٠٩
عمران بن الحصين	١٧٩-١٩٨
الفخر الرازي	١٦٩- ٢٢١-٢٨٦-٢٨٩-٣٧٦-٤٠٥
الفراء	٤٠٥
قتادة	١٦١-٢٩٣-٣٩١
القرطبي	٤٠٠-٤٠٦
مالك بن أنس	١٥٨-٢١٨
مجاهد	١٦١-٢٦٩-٤٠٥
محمد بن عبدالوهاب	١٦٣
المراغي	٤١٥-٤٢٧

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

معاذ بن جبل	٢١٤
مقاتل	٣٨٦-٣٨٧
النعمان بن بشير	١٣٨
النووي	٢١٥-٤٦
هرم بن حيان	٣٣٢

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ثبت المصادر والمراجع

١. إبراهيم عليه السلام ودعوته في القرآن الكريم، لأحمد البراء الأميري ، دار المنار، جدة ، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٢. الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي، لعلي بن عبدالكافي السبكي، دار الكتب العلمية،بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

٣. الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين عبدالرحمن السيوطي، تحقيق سعيد المندوب، دار الفكر – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .

٤. أثر الإيمان في تحرير الإنسان، لعمر الأشقر، مكتبة الفلاح- الكويت- ١٤٠٥هـ.

٥. أحكام القرآن ، لأبي بكر محمد بن عبد الله ابن العربي ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا،دار الفكر للطباعة والنشر – لبنان.

٦. أحوال الآخرة من نصوص الكتاب والسنة، لسيد محمد ساداتي الشنقيطي، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ -٢٠٠٣م، دار الفضيلة - الرياض.

٧. إحياء علوم الدين لمحمد محمد الغزالي،دار المعرفة – بيروت – بدون.

٨. الاختيار تعليل المختار، لعبد الله بن محمود بن مودود الموصلي، تحقيق: عبداللطيف محمد عبدالرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

٩. اختيارات الشيخ محمد بن صالح العثيمين في كتاب العدد والرضاع والنفقات، بحث تكميلي لنيل درجة الدكتوراه، إعداد ياسر العاصم، إشراف الدكتور سعد الخراشي، ، ١٤٢٦-١٤٢٧هـ.

١٠. الأخلاق الإسلامية، لحسن الشرقاوي، دار المعرفة الجامعية ، مصر، بدون ، ١٩٩٩م.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

١١. الأخلاق الفاضلة قواعد ومنطلقات لاكتسابها، لعبدالله ضيف الله الرحيلي،الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م - بدون.

١٢. الآداب الشرعية والمنح المرعية ، لأبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط وعمر القيام، مؤسسة الرسالة ،بيروت ،الطبعة الثانية ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .

١٣. الأذكار من كلام سيد الأبرار، لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي، عناية صلاح الدين محمد مأمون الحمصي وجماعة،دار المنهاج - بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م.

١٤. أربعة عشر عاما مع سماحة العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، لعبدالكريم المقرن،دار طويق، الرياض، ١٤٢٤هـ.

١٥. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون.

١٦. الأساس الأخلاقي للأمة من سورة آل عمران ، ليوسف كمال، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

١٧. الأساليب الإنشائية في العربية، للدكتور إبراهيم عبود السامرائي، دار المناهج – الأردن ، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

١٨. أساليب المدح والذم والتعجب المحورية، لعبدالفتاح الحموز، دار عمار – الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

١٩. أسباب هلاك الأمم السالفة كما وردت في القرآن الكريم لسعيد محمد بابا سيلا ،دار ابن الجوزي – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٢٠. الاستقامة، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، جامعة الإمام محمد بن سعود - المدينة المنورة – ١٤٠٣هـ، الطبعة : الأولى، تحقيق : د. محمد رشاد سالم.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

٢١. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ليوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر، تحقيق: علي البجاوي، دار الجيل ، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ،١٩٩٢م.

٢٢. أسد الغابة في معرفة الصحابة، لعز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري، تحقيق: عادل الرفاعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ،١٩٩٦م.

٢٣. أسرار التكرار في القرآن، لمحمود بن حمزة بن نصر الكرماني، تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا، دار الاعتصام – القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٦هـ.

٢٤. أسس الدعوة وأدب الدعاة، لمحمد السيد الوكيل، دار المجتمع- جدة، دار الوفاء- المنصورة ،الطبعة الثالثة، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

٢٥. أسماء الله الحسنى لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي المعروف بابن القيم ،تحقيق: يوسف بديوي وأيمن عبدالرزاق، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٢٦. الإشارات التربوية في قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام، بحث مقدم لنيل الماجستير مقدم من فايزة أحمد يوسف، إشراف الدكتور حاتم التميمي، كلية الآداب، جامعة القدس، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

٢٧. الأشباه والنظائر في القرآن الكريم لمقاتل بن سليمان البلخي ، تحقيق: عبدالله محمود شحاته، المكتبة العربية – مصر، بدون ، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م.

٢٨. الإصابة في تمييز الصحابة، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: علي البجاوي، دار الجيل ، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ،١٩٩٢م.

٢٩. أصول الإيمان لمحمد بن عبد الوهاب، طبع بإشراف إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام، ١٤١٣هـ،١٩٩٢م.

٣٠. أصول الدعوة، لعبدالكريم زيدان،مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة التاسعة، ١٤٢٠هـ،١٩٩٩م.

٣١. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين بن محمد المختار الجكني

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الشنقيطي ، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات ، دار الفكر للطباعة والنشر – بيروت، بدون ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٣٢. إعجاز القرآن لمحمد بن الطيب الباقلاني، القاهرة، ١٣٤٩هـ.

٣٣. أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، لحافظ أحمد الحكمي ، تحقيق: أحمد علي علوش، مكتبة الرشد ، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ،١٩٩٨م.

٣٤. إعلام الموقعين عن رب العالمين ، لابن القيم، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد ، دار الجيل - بيروت – ١٩٧٣هـ.

٣٥. الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين،لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة عشر، ٢٠٠٢م.

٣٦. إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي المعروف بابن القيم، تحقيق محمد الفقي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ،١٩٧٥م.

٣٧. آفات على الطريق للسيد محمد نوح،دار اليقين، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ،١٩٩٩م.

٣٨. اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، لأحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني، تحقيق محمد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٦٩هـ.

٣٩. ألفاظ أحوال النفس وصفاتها في القرآن الكريم، رسالة مقدمة لنيل الماجستير من: زيد حسين أحمد ياسين، إشراف د. يحيى عبدالرؤوف ،فلسطين،جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، ٢٠٠٩م.

٤٠. الأمانة والأمناء، لأحمد نصيب المحاميد، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م – بدون.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

٤١. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني،مكتبة المدني - جدة ، تحقيق : محمد جميل غازي.
٤٢. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لجلال الدين العمري، ترجمة: محمد أجمل أيوب، شركة الشعاع، الكويت - بدون.
٤٣. أمراض القلوب وشفاؤها ، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ،المطبعة السلفية - القاهرة – الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ .
٤٤. الإنسان والشيطان لمحمد أمين البقشي، دار البيان العربي – بيروت ، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.
٤٥. أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي، لناصرالدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي،دار الفكر، بيروت، بدون.
٤٦. أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية والرد على الطوائف الضالة فيه، للدكتور علي نفيع العلياني، دار طيبة، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٢٢هـ،٢٠٠١م.
٤٧. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، للإمام عبدالله بن يوسف بن أحمد بن هشام الأنصاري، المكتبة العصرية، بيروت، بدون ، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
٤٨. الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، للخطيب القزويني جلال الدين محمد بن عبدالرحمن، تحقيق : محمد عبدالمنعم خفاجي، مكتبة المعارف – الرياض ، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.
٤٩. الإيمان بالقضاء والقدر، لمحمد إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة-الرياض-١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، الطبعة الثالثة.
٥٠. الإيمان حقيقته خوارمه، نواقضه، لعبد الله الأثري،مدار الوطن– الرياض-١٤٢٤هـ، الطبعة الأولى.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

٥١. البحر المحيط في أصول الفقه، لبدر الدين محمد بن بهادر بن عبدالله الزركشي، تحقيق محمد محمد تامر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٥٢. البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض وجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت،الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ،٢٠٠١م.

٥٣. بدائع السلك لابن الأزرق، تحقيق: علي سامي النشار، وزارة الإعلام، العراق، الطبعة الأولى.

٥٤. بدائع الفوائد لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي المعروف بابن القيم، تحقيق: هشام عبدالعزيز وجماعة، مكتبة نزار الباز ، مكة المكرمة،الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.

٥٥. البرهان في علوم القرآن، لمحمد بن بهادر بن عبدالله الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل، دار المعرفة – بيروت، بدون ، ١٣٩١هـ.

٥٦. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق محمد علي النجار، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، بدون ، ١٣٨٤هـ،١٩٦٤م.

٥٧. البصائر والذخائر، لأبي حيان علي بن محمد التوحيدي، تحقيق: وداد القاضي، دار صادر - بيروت - الطبعة الرابعة - ١٤١٩هـ.

٥٨. بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، لعبدالمتعال الصعيدي ، مكتبة الآداب – القاهرة، الطبعة السابعة عشر، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٥٩. بلاغة القرآن لأحمد أحمد بدوي، دار نهضة مصر، الجيزة، ٢٠٠٥م، بدون.

٦٠. البلاغة القرآنية في آيات صفات المؤمنين، لهند جميل نايته، دار كنوز أشبيليا- الرياض-الطبعة الأولى-١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

٦١. البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، لمحمد محمد أبو موسى،مكتبة وهبة – القاهرة.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

٦٢. البلاغة فنونها وأفنانها، (علم المعاني)، للدكتور فضل حسن عباس، دار الفرقان – الأردن، الطبعة الحادية عشر، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.
٦٣. البلاغة في ثوبها الجديد، للدكتور بكري شيخ أمين،دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة التاسعة، ٢٠٠٤م.
٦٤. بنو إسرائيل في ميزان القرآن، لصابر طعيمة، الطبعة الأولى، ١٩٧٥م، بدون .
٦٥. بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار لعبدالرحمن ابن سعدي، تحقيق عبدالكريم الدريني، مكتبة الرشد، الرياض ،الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
٦٦. تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي، دار الهداية، بدون.
٦٧. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، لشمس الدين أحمد بن محمد الذهبي، تحقيق عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ،١٩٩٠م.
٦٨. التبيان في أقسام القرآن ، لابن القيم، دار الفكر، بيروت، بدون.
٦٩. التحبير شرح التحرير في أصول الفقه، لأبي الحسن علي بن سليمان المرداوي، تحقيق: عبدالرحمن الجبرين وعوض القرني وأحمد السراح ، مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
٧٠. التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون – تونس، بدون ، ١٩٩٧م.
٧١. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، لمحمد عبدالرحمن عبدالرحيم المباركفوري، دار الكتب العلمية - بيروت، بدون.
٧٢. التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، لعبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي،مكتبة دار البيان - دمشق، الطبعة الأولى - ١٣٩٩ هـ.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

٧٣. التدابير الواقية من الربا في الإسلام لفضل إلهي، إدارة ترجمان الإسلام ، باكستان ، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.
٧٤. تذكرة الحفاظ لأبي عبدالله شمس الدين محمد الذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون.
٧٥. التذكرة في الوعظ، لأبي الفرج عبدالرحمن الجوزي، تحقيق: أحمد عبدالوهاب فتيح، دار المعرفة، بيروت- الطبعة الأولى - ١٤٠٦هـ.
٧٦. التسهيل لعلوم التنزيل، لمحمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي، دار الكتاب العربي - لبنان، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، الطبعة الرابعة.
٧٧. التعبير القرآني، للدكتور فاضل صالح السامرائي، دار عمار – الأردن، الطبعة السادسة، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٩م.
٧٨. التعريفات لعلي بن محمد بن علي الجرجاني، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
٧٩. تفسير الثعلبي، لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، تحقيق: أبو محمد ابن عاشور ،دار إحياء التراث العربي، لبنان ، الطبعة الأولى - ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
٨٠. تفسير ابن عثيمين(الفاتحة – البقرة)، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
٨١. تفسير أسماء الله الحسنى، لإسحاق بن إبراهيم الزجاج، تحقيق أحمد يوسف الدقاق، بدون، دار الثقافة العربية.
٨٢. تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، لمحمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت،الطبعة الثانية، بدون.
٨٣. تفسير القرآن العظيم (سورة آل عمران)، للشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار الثريا – الرياض ،الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
٨٤. تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، دار الفكر – بيروت، بدون.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

٨٥. تفسير القرآن المسمى (تفسير ابن أبي حاتم)، لعبدالرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، تحقيق: أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، صيدا، بدون.

٨٦. تفسير القرآن، لأبي المظفر منصور بن عبدالجبار السمعاني ،تحقيق: ياسر إبراهيم وغنيم عباس غنيم ، دار الوطن – الرياض، الطبعة الأولى - ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٨٧. تفسير المراغي ، لأحمد مصطفى المراغي، دار الكتب العلمية- بيروت- الطبعة الثانية- ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م

٨٨. التفسير الموضوعي لآيات التوحيد، لعبدالعزيز الدردير، مكتبة القرآن - القاهرة، بدون.

٨٩. تفسير سورة النور، لأحمد عبدالحليم بن تيمية الحراني ،مكتبة المنار الإسلامية - الكويت ، بدون ، ١٣٩٧ هـ.

٩٠. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري ، تحقيق : مصطفى بن أحمد العلوي ،محمد عبد الكبير البكري،وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية- المغرب – ١٣٨٧هـ .

٩١. تنزيه الشريعة المرفوعة من الأخبار الشنيعة الموضوعة، لعلي بن محمد علي الكناني ، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف وعبدالله محمد صديق الغماري ،دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ.

٩٢. تهذيب سيرة ابن هشام، لعبدالسلام هارون،بدون ، دار الفكر – بيروت.

٩٣. تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب ،دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

٩٤. توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، لأحمد بن إبراهيم بن عيسى، تحقيق : زهير الشاويش،المكتب الإسلامي - بيروت،الطبعة الثالثة – ١٤٠٦ هـ.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

٩٥. التوضيح والبيان لشجرة الإيمان تفسيره، أصوله وموارده، من أي شيء يستمد، فوائده وثمراته، لعبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق أشرف عبدالمقصود، أضواء السلف ، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

٩٦. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، تحقيق : محمد أيمن الشبراوي ، عالم الكتب - بيروت - ١٩٩٩م، الطبعة الأولى.

٩٧. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٩٨. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جعفر الطبري، دار الفكر – بيروت، بدون.

٩٩. جامع الرسائل ، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، تحقيق : محمد رشاد رفيق سالم، بدون.

١٠٠. الجامع الصحيح سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وجماعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون.

١٠١. الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الشعب، القاهرة، بدون.

١٠٢. الجامع لحياة العلامة محمد بن صالح العثيمين، لوليد أحمد الحسين، سلسلة إصدارات مجلة الحكمة، بريطانيا، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٠٣. الجرائم والعقوبات في الشريعة الإسلامية، لأبي الحمد أحمد موسى، ومحمود العكازي، دار الاتحاد العربي ، مصر ، الطبعة الأولى، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

١٠٤. جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي المعروف بابن القيم، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعبدالقادر الأرناؤوط، دار العروبة - الكويت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

١٠٥. الجنة والنار، لعمر سليمان الأشقر، مكتبة الفلاح – الكويت، الطبعة الثالثة، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

١٠٦. جند الله ثقافة وأخلاقاً، سعيد حَوّى، الطبعة الثانية، بدون

١٠٧. الجهاد في الإسلام بين الطلب والدفاع ، للشيخ صالح اللحيدان، دار الصميعي –الرياض، الطبعة الخامسة، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

١٠٨. الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح، لأحمد بن عبدالحليم بن تيمية، مطبعة المدني، مصر، بدون ، تحقيق: علي سيد المدني.

١٠٩. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي المعروف بابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون.

١١٠. حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي المعروف بابن القيم ،دار الكتب العلمية – بيروت، بدون.

١١١. حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع، لعبدالرحمن بن محمد بن قاسم، بدون، الطبعة التاسعة، ١٤٢٣هـ.

١١٢. حاشية العطار على جمع الجوامع، لحسن العطار،دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١١٣. الحضارة الإسلامية في القرآن الكريم مقوماتها وأهدافها وعوامل نموها وانحطاطها، رسالة مقدمة لنيل الماجستير من الطالب: عبدالكريم الشملان، بإشراف: د. عبدالرحمن المطرودي، عام ١٤١٧هـ، قسم الثقافة الإسلامية، جامعة الملك سعود.

١١٤. حقيقة الشيطان بالمنظور القرآني لشاكر عبدالجبار، دار مكتبة الهلال ، الطبعة الرابعة، ١٩٩٨م.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

١١٥. حقيقة الولاء والبراء في معتقد أهل السنة والجماعة،لسيد سعيد عبد الغني، الطبعة الثانية-١٤٢٢هـ.

١١٦. حلول لمشكلة الربا لمحمد محمد أبو شهبة، دار الجيل، بيروت،الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ،١٩٩٢م.

١١٧. الحياة الدنيا في القرآن الكريم، لمحمد كامل حسن، المكتب العالمي –بيروت ، بدون ، ١٩٨٩م.

١١٨. خصائص القرآن الكريم، لفهد الرومي، دار طيبة - الرياض، الطبعة السابعة ، ١٤١١هـ.

١١٩. دراسات في علوم القرآن، للدكتور فهد بن عبدالرحمن الرومي،الطبعة الرابعة عشر، ١٣٢٦هـ-٢٠٠٥م.

١٢٠. درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز، لأبي عبدالله محمد بن عبدالله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي، دار الآفاق الجديدة – بيروت، الطبعة الثالثة ،١٩٧٩م.

١٢١. درجات تغيير المنكر ، لعبدالعزيز المسعود، دار الوطن- الرياض- ١٤١٤هـ، الطبعة الأولى.

١٢٢. الدعوة الإسلامية أصولها وفروعها، لأحمد أحمد غلوش، بدون ، ١٩٨٧م، دار الكتاب اللبناني- بيروت.

١٢٣. الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، لمحمد الراوي ، دار العربية- بيروت، بدون.

١٢٤. دعوة التوحيد: أصولها الأدوار التي مرت بها، ومشاهير دعاتها، لمحمد خليل هراس، مكتبة ابن تيمية- القاهرة-١٤٠٧هـ.

١٢٥. دلالة السياق في القصص القرآني، لمحمد عبدالله علي سيف العبيدي، وزارة الثقافة والسياحة باليمن، بدون ، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

١٢٦. دليل الطالب على مذهب الإمام المبجل أحمد بن حنبل ،المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية – ١٣٨٩هـ.

١٢٧. ذم الهوى، لأبي الفرج عبدالرحمن بن أبي الحسن الجوزي،تحقيق: مصطفى عبدالواحد، بدون ، ١٩٦٢م.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

١٢٨. الذيل على طبقات الحنابلة للحافظ عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، تحقيق عبدالرحمن العثيمين ، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٥م.

١٢٩. الربا والمعاملات المصرفية في نظر الشريعة الإسلامية، عمر عبدالعزيز المترك، دار العاصمة – الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ.

١٣٠. الرحمة في القرآن والسنة، لجاد مخلوف جاد، بدون ، مكتبة المسلم العصرية، القاهرة.

١٣١. الرحمة في القرآن، لموسى عبده عسيري، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

١٣٢. الرسالة، لمحمد بن إدريس الشافعي،تحقيق أحمد محمد شاكر، القاهرة ، ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م.

١٣٣. الرسائل الشخصية ، لمحمد بن عبدالوهاب، تحقيق: عبدالعزيز زيد الرومي ومحمد بلتاجي وسيد حجاب، الطبعة الأولى، مطابع الرياض - الرياض.

١٣٤. رسائل في العقيدة للشيخ محمد بن صالح العثيمين، مكتبة المعارف، الرياض،الطبعة الثانية،١٤٠٤هـ،١٩٨٣م.

١٣٥. الرسل والرسالات لعمر الأشقر، مكتبة الفلاح –الكويت، الطبعة الثالثة - ١٤٠٥هـ.

١٣٦. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمد الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون.

١٣٧. الروض المربع شرح زاد المستقنع ، لمنصور بن يونس بن إدريس البهوتي ، مكتبة الرياض الحديثة - الرياض - ١٣٩٠هـ.

١٣٨. روضة المحبين ونزهة المشتاقين، لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي المعروف بابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون ، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

١٣٩. روضة الناضرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين لمحمد بن عثمان بن صالح القاضي، مكتبة الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.
١٤٠. رياض الأنس في بيان أصول تزكية النفس ، لإبراهيم محمد العلي، مركز حراء، الأردن، الطبعة الثالثة، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
١٤١. الزهد، لعبد الله بن المبارك بن واضح المروزي، دار الكتب العلمية - بيروت، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي.
١٤٢. السبعة في القراءات لأبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف - مصر، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ
١٤٣. السحر في الشريعة الإسلامية نشأته وحكمه والوقاية منه، لمحمود قاسم الحمد، دار وائل – عمان – الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
١٤٤. سلسلة الأحايث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ،١٩٩٦م.
١٤٥. سنة الله في عقاب الأمم في القرآن الكريم، لعبدالسلام نصر الله الشريف،دار المعراج الدولية،الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ،١٩٩٤م.
١٤٦. سنن ابن ماجه، لأبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني،دارالفكر-بيروت، بدون.
١٤٧. سنن أبي داوود، لسليمان بن الأشعث السجستاني، دار الفكر-بيروت ، بدون.
١٤٨. سنن البيهقي الكبرى، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ،١٩٩٤م.
١٤٩. سنن الدارمي ، لأبي محمد عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي، دار الكتاب العربي،بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
١٥٠. سنن النسائي(السنن الكبرى)، لأبي عبالرحمن أحمد بن شعيب النسائي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ،١٩٩١م.
١٥١. سير أعلام النبلاء للذهبي، لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة ، بيروت، الطبعة الثانية،١٤٠٢هـ،١٩٨٢م.

١٥٢. سيرة إبراهيم الخليل في القرآن المجيد والأحاديث الصحيحة، لهشام فهمي العارف، الطبعة الأولى، دار البشائر الإسلامية – بيروت ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

١٥٣. السيرة النبوية لعبدالملك بن هشام ، تحقيق: طه عبدالرؤوف، دار الجيل – بيروت – ١٤١١هـ، الطبعة الأولى.

١٥٤. الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الثقافة الإسلامية، إعداد: ناصر عبدالله التركي، قسم الثقافة الإسلامية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٦هـ-١٤٠٧هـ.

١٥٥. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لشهاب الدين أبي الفلاح عبدالحي بن أحمد بن محمد العكبري، تحقيق عبالقادر الأرناؤوط، دار ابن كثير ، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ،١٩٩٣م.

١٥٦. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، لهبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي،تحقيق : أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض بدون، ١٤٢٠هـ .

١٥٧. شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار بن أحمد الهمذاني، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٥م.

١٥٨. شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٣٩١هـ

١٥٩. شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، للشيخ صالح الفوزان،مكتبة المعارف- الرياض- ١٤١٣هـ، الطبعة السادسة.

١٦٠. شرح العقيدة الواسطية لمحمد بن صالح بن عثيمين، تحقيق: سعد الصميل، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة السادسة، ١٤٢١هـ.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

١٦١. الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة المسمى بـ(الإبانة الصغرى) ، تحقيق د. رضا نعسان معطي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ،٢٠٠٢م.

١٦٢. شعب الإيمان، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

١٦٣. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي المعروف بابن القيم ،تحقيق : عمر سليمان الحفيان، مكتبة العبيكان- الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م .

١٦٤. شؤم المعصية وبركة التقوى، لأحمد عزالدين البيانوني، مكتبة الهدى، حلب، الطبعة الأولى، ١٣٩٢ هـ– ١٩٧٢م.

١٦٥. صحيح ابن ماجه لأبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ،١٩٩٧م.

١٦٦. صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، لمحمد ناصر الدين الألباني، دار الدليل، الجبيل، الطبعة الرابعة، ١٤١٨هـ،١٩٩٧م.

١٦٧. صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري الجعفي ، دار ابن كثير، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

١٦٨. صحيح الترغيب والترهيب، لمحمد بن ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ،٢٠٠٠م.

١٦٩. صحيح سنن أبي داود للإمام محمد بن ناصر الدين الألباني، مؤسسة غراس، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

١٧٠. صحيح مسلم بشرح النووي، ليحيى بن زكريا بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.

١٧١. صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

١٧٢. صحيح وضعيف الجامع الصغير، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة،١٤٠٨هـ،١٩٨٨م.
١٧٣. الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه، لمحمد أمان علي الجامي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
١٧٤. صفات الداعية الناجح، لصالح بن محمد العليوي،دار القاسم- الرياض ، الطبعة الأولى،١٤١٦هـ-١٩٩٣م.
١٧٥. صفة الصفوة، لأبي الفرج عبدالرحمن الجوزي ، تحقيق: محمود فاخوري، ومحمد رواس، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية ، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.
١٧٦. صفوة الآثار والمفاهيم في تفسير القرآن العظيم، لعبدالرحمن محمد الدوسري، دار المغني ، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م.
١٧٧. الصلاة في القرآن مفهومها وفقهها، لفهد الرومي،الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد- الرياض، الطبعة الثانية - ١٤٠٩هـ.
١٧٨. الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي المعروف بابن القيم ، تحقيق علي محمد الدخيل الله ،دار العاصمة، الرياض، الطبعة الثالثة / ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
١٧٩. صيد الخاطر، لأبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي، دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
١٨٠. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، لشمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي،دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى،١٤١٢هـ،١٩٩٢م
١٨١. الطاعة والمعصية في ضوء الكتاب والسنة، لصفوت عبدالفتاح محمود، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
١٨٢. الطاعة وأنواعها في القرآن الكريم دراسة موضوعية،رسالة مقدمة من الطالب عبدالعزيز محمد السحيباني، بإشراف الدكتور محمد الراوي، كلية أصول الدين بجامعة الإمام، قسم القرآن وعلومه.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

١٨٣. طبقات الحنابلة للقاضي أبي الحسين محمد بن أبي يعلى الفـــراء البغـــدادي، تحقيق عبدالرحمن العثيمين، ١٤١٩هـــ،١٩٩٩م.

١٨٤. طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين أبي نصر عبدالوهاب بـــن علـــي بـــن عبدالكافي الـــسبكي، تحقيـــق: محمـــد محمـــود طناحي،الطبعـــة الأولى، ١٣٨٣هـــ،١٩٦٤م.

١٨٥. طبقات الشافعية لأبي بكر أحمد بن محمد بن عمر بن محمد تقي الدين ابن قاضي شهبة ، اعتنى به عبدالحليم خان، وزارة المعارف الهندية، ١٤٠٠هـــ، ١٩٨٠م.

١٨٦. طبقات المفسرين لشمس الدين محمد علي أحمد الـــداوودي، دار الكتـــب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى،١٤٢٢هـــ-٢٠٠٢م.

١٨٧. طبقات المفسرين لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق : علـــي محمـــد عمر، مكتبة وهبة – القاهرة،الطبعة الأولى،١٣٩٦هـــ.

١٨٨. طريق الهجرتين وباب السعادتين ، لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعـــي المعروف بابن القيم ، تحقيق : عمر بن محمود أبو عمر ،دار ابـــن القـــيم - الدمام، الطبعة الثانية - ١٤١٤ هـــ -١٩٩٤م.

١٨٩. عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعـــي المعروف بابن القيم ،تحقيق زكريا علي يوسف،دار الكتب العلمية، بيروت ، بدون.

١٩٠. العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، لعبد الحميد بـــن باديس ،تحقيق : محمد الصالح رمضان،دار الفتح، الشارقة، الطبعـــة الأولى، ١٤١٦هـــ،١٩٩٥م.

١٩١. عقيدة التوحيد بيان ما يضادها أو يناقضها من الشرك الأكـــبر والأصـــغر والتعطيل والبدع وغير ذلك، لصالح الفوزان، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأول ، ١٤٢٢هـــ- ١٩٩٩م.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

١٩٢. عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، لمحمد أحمد محمد عبدالقادر ملكاوي، مكتبة الرشد، الرياض، بدون ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

١٩٣. عقيدة المسلم في ضوء القرآن والسنة النبوية، لخالد عبدالرحمن العك، مراجعة وتدقيق الشيخ محمد أديب الكلاس، دار الإيمان، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ،١٩٨٨م.

١٩٤. العقيدة الواسطية ، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، تحقيق : محمد بن عبد العزيز بن مانع ،الرئاسة العامة لإدارات البحوث والإفتاء - الرياض، الطبعة الثانية - ١٤١٢هـ.

١٩٥. علم المعاني، لعبدالعزيز عتيق ، دار الآفاق العربية – القاهرة، بدون طبعة، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.

١٩٦. علماء ومفكرون عرفتهم لمحمد المجذوب،دارالشواف، مصر، الطبعة الرابعة.

١٩٧. علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع، لأحمد مصطفى المراغي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٦هـ،٢٠٠٥م.

١٩٨. عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: محمد التونجي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ،١٩٩٣م.

١٩٩. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين محمود بن أحمد العيني ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون.

٢٠٠. عهد الله والعهد مع الله بين التفلت والالتزام، لعدنان رضا النحوي، دار النحوي للنشر ، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٢٠١. العهد والميثاق في القرآن الكريم، لناصر سليمان العمر، دار العاصمة - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

٢٠٢. غريب القرآن لأبي بكر محمد بن عزيز السجستاني، تحقيق محمد أديب عبدالواحد، دار قتيبة، ١٤١٦هـ،١٩٩٥م.

٢٠٣. الفائق في غريب الحديث لمحمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: علي محمد

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة – لبنان، بدون.

٢٠٤. الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية،قدم له: حسنين محمد مخلوف، دار المعرفة – بيروت ، بدون.

٢٠٥. فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق محب الدين الخطيب، دار المعرفة ،بيروت.

٢٠٦. فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن، لعبدالرحمن بن ناصر السعدي، دار ابن الجوزي - الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

٢٠٧. الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، لعبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي أبي منصور،دار الآفاق الجديدة ، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٧م.

٢٠٨. الفساد والمفسدون في الأرض وبيان فساد بني إسرائيل واليهود، نشوة العلواني، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٢٠٩. فضل الجهاد والمجاهدين، للشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، بدون.

٢١٠. فقه الدعوة وأساليبها، لمحمود محمد حمودة ومحمد مطلق عساف، مؤسسة الوراق - عمّان، بدون ، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

٢١١. فقه السنة للسيد سابق، دار الكتاب العربي، بيروت ، الطبعة الثامنة، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٢١٢. الفلسفة التربوية في القرآن لمحمد فاضل الجمالي ، دار الكتاب الجديد، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٢١٣. الفوائد ، لابن القيم ،دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية - ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م.

٢١٤. قاعدة في المحبة، لأحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني، مكتبة التراث الإسلامي - القاهرة، تحقيق : د. محمد رشاد سالم

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

٢١٥. القاموس المحيط لمحمد يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، بدون.
٢١٦. القرآن الكريم منهجه ووسائله في التربية الأخلاقية، لمحمد جمعة عبدالله، المكتبة الأزهرية، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ٢٠٠٢م.
٢١٧. القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه،للشيخ عبدالرحمن بن صالح المحمود،دار النشر الدولي، الطبعة الأولى -١٤١٤هـ.
٢١٨. القضاء والقدر لعمر الأشقر، دار النفائس- الكويت، الطبعة الثانية - ١٤١٠هـ.
٢١٩. قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر ، لمحمد صديق حسن خان القنوجي ، تحقيق : د. عاصم عبد الله القريوتي شركة الشرق الأوسط للطباعة- الأردن، الطبعة الأولى - ١٤٠٤ هـ.
٢٢٠. قواعد الأحكام في مصالح الأنام،لأبي محمد عزالدين السلمي، ، دار الكتب العلمية – بيروت.
٢٢١. قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله U، لعبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم - دمشق - الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ.
٢٢٢. قواعد الترجيح عند المفسرين، لحسين علي حسين الحربي، دار القاسم، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٩هـ،٢٠٠٨م.
٢٢٣. القواعد الحسان لتفسير القرآن ، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، دار البصيرة-الإسكندرية- مصر، بدون.
٢٢٤. القول المفيد على كتاب التوحيد لمحمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي،الدمام ، الطبعة الرابعة، ١٤٢١ هـ.
٢٢٥. الكافي في فقه الإمام المبجل أحمد بن حنبل، لعبدالله بن قدامة المقدسي، المكتب الإسلامي، بيروت، بدون.
٢٢٦. الكبائر، لمحمد بن عثمان الذهبي، دار الجيل – بيروت، بدون
٢٢٧. كتاب الطبقات الكبرى (طبقات ابن سعد) لمحمد بن سعد بن منيع الزهري، دار صادر، بيروت، بدون.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

٢٢٨. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون.

٢٢٩. كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي، لعلاء الدين عبدالعزيز أحمد البخاري، تحقيق : عبدالله محمود محمد ، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٢٣٠. كشف الشبهات لمحمد بن عبدالوهاب، تحقيق: ناصر الطريم، وسعود البشر، وعبدالكريم اللاحم، الطبعة الأولى، مطابع الرياض، بدون.

٢٣١. الكفر والمكفرات لأحمد عز الدين البيانوني،دار السلام – القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٢٣٢. الكلام على مسألة السماع، لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي المعروف بابن القيم، تحقيق راشد عبدالعزيز الحمد،دار العاصمة- الرياض، الطبعة الأولى -١٤٠٩هـ.

٢٣٣. الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة، لعبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، مطبوع ضمن الجامع الفريد ،بدون ، توزيع الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء – الرياض.

٢٣٤. كلمة الإخلاص وتحقيق معناها لأبي الفرج زين الدين عبدالرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي ، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الرابعة، ١٣٩٧هـ.

٢٣٥. كلمة الحق في القرآن الكريم: موردها ودلالتها، لمحمد الراوي، جامعة الإمام- الرياض- ١٤٠٩هـ.

٢٣٦. كلمة الحق في القرآن الكريم، لمحمد الراوي، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

٢٣٧. كليات الألفاظ في التفسير دراسة نظرية تطبيقية، لبريك سعيد القرني، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

٢٣٨. الكليات الشرعية في القرآن الكريم، للحسن حريفي، دار ابن القيم - الدمام ، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
٢٣٩. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللفظية، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي ،مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ،١٩٩٨م.
٢٤٠. لباب التأويل في معاني التنزيل ،لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، دار الفكر ، بيروت، ١٣٩٩هـ،١٩٧٩م.
٢٤١. لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور، دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى، بدون .
٢٤٢. لماذا لعن اليهود في القرآن والسنة، لأحمد إبراهيم الحاج، دار ابن حزم – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
٢٤٣. لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، لأبي محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي، تحقيق: بدر عبدالله البدر ، الدار السلفية – الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
٢٤٤. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، لمحمد السفاريني الحنبلي، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة - بيروت- ١٤١١هـ.
٢٤٥. ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، لأبي الحسن الندوي، دار القلم – الكويت، الطبعة الثالثة عشر، ١٤٠٢هـ.
٢٤٦. مباحث في التفسير الموضوعي، لمصطفى مسلم، دار القلم، دمشق ، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.
٢٤٧. مبادئ الإسلام لأبي الأعلى المودودي،طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤٠٤ هـ ، ١٩٨٤م.
٢٤٨. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لأبي الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبدالكريم المعروف بابن الأثير،تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية – بيروت، بدون طبعة، ١٩٩٥م.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

٢٤٩. مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي، علق عليه: محمد فؤاد، الطبعة الثانية ، مكتبة الخانجي، دار الفكر.

٢٥٠. المجتمع الجاهلي في القرآن الكريم، لعلي عبدالحليم محمود،رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر، إشراف الدكتور عبدالحسيب طه حميده.

٢٥١. مجلة الاقتصاد الإسلامي، العدد (٢٨٩)، ربيع الآخر، ١٤٢٦هـ.

٢٥٢. مجلة الحرس الوطني، العدد٢٨٨، ربيع الأول - ربيع الآخر، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٢٥٣. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، لأحمد عبدالحليم بن تيمية الحراني، جمع عبدالرحمن بن محمد بن قاسم،مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية.

٢٥٤. مجموع مؤلفات محمد بن عبدالوهاب: كتاب التوحيد، لمحمد بن عبدالوهاب، تحقيق: عبدالعزيز الرومي وجماعة، مطابع الرياض، الطبعة الأولى.

٢٥٥. مجموعة رسائل في التوحيد والإيمان ،للشيخ محمد بن عبد الوهاب ، تحقيق : فضيلة الشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري ،مطابع الرياض - الرياض، الطبعة الأولى.

٢٥٦. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبدالسلام محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ،١٩٩٣م.

٢٥٧. المحلى في شرح القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى لمحمد بن صالح العثيمين، تأليف: كاملة الكواري، دارابن حزم- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ -٢٠٠٢م .

٢٥٨. مختار الصحاح ، لمحمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، تحقيق : محمود خاطر ، مكتبة لبنان - بيروت - ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

٢٥٩. مختصر الفقه الإسلامي، لمحمد إبراهيم التويجري، بيت الأفكار الدولية- بيروت، الطبعة الثالثة- ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٢٦٠. مختصر منهاج القاصدين لأحمد بن عبدالرحمن بن قدامة المقدسي، الطبعة الرابعة، ١٣٩٤ هـ.، المكتب الإسلامي –دمشق.

٢٦١. مداخل الشيطان، لعبدالله عبد الكريم العزاز، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م، مكتبة المنار- الكويت.

٢٦٢. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي المعروف بابن القيم ، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.

٢٦٣. المدخل إلى الثقافة الإسلامية، لمحمد رشاد سالم، دار القلم- الكويت- ١٤٠٢هـ، الطبعة السادسة،

٢٦٤. المستدرك على الصحيحين، لمحمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري ومعه تعليقات الذهبي في التلخيص ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا،دار الكتب العلمية – بيروت،الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.

٢٦٥. المسلمون ودورهم لأبي الحسن علي الحسيني الندوي،مكتبة الأمل، بيروت، بدون .

٢٦٦. مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني، مؤسسة قرطبة، مصر، بدون.

٢٦٧. مشكاة المصابيح لمحمد بن عبدالله الخطيب التبريزي، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٧٧هـ،١٩٧٩م.

٢٦٨. مع الإيمان في رحاب القرآن لمحمد محمد خليفة، مكتبة النهضة المصرية – مصر ،الطبعة الأولى، ١٩٧٩م.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

٢٦٩. معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، لحافظ بن أحمد حكمي، تحقيق : عمر بن محمود أبو عمر ، دار ابن القيم - الدمام، الطبعة الأولى – ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

٢٧٠. معالم التنزيل للحسين بن مسعود البغوي، تحقيق خالد عبدالرحمن العك، دار المعرفة – بيروت، بدون.

٢٧١. معالم في السلوك وتزكية النفوس لعبد العزيز العبد اللطيف،دار الوطن، الرياض،الطبعة الأولى،١٤١٤هـ

٢٧٢. معالم في الشخصية الإسلامية، للدكتور زيد الزيد، ضمن الكتاب السنوي لكلية الدعوة والإعلام: بحوث ودراسات في الدعوة والإعلام ، العدد الأول- ١٤٠٣هـ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٢٧٣. معاني القرآن وإعرابه ، لأبي إسحاق إبراهيم بن السري ، تحقيق: عبدالجليل عبده شلبي، دار الحديث ، القاهرة، ١٤٢٤هـ،٢٠٠٤م.

٢٧٤. المعجم الصغير لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: محمد شكورمحمود الحاج، المكتب الإسلامي، دار عمار، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

٢٧٥. معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة،مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.

٢٧٦. معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون ،دار الجيل – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٢٧٧. المعصية وأثرها في الحياة الإنسانية، للسيد كامل الهاشمي، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، الدار العالمية – بيروت.

٢٧٨. المغني في أبواب العدل والتوحيد، لعبدالجبار بن أحمد الهمذاني، دار الثقافة والإرشاد، مطبعة دار الكتب، الطبعة الأولى، ١٣٨٠ هـ– ١٩٦٠م.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

٢٧٩. المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ، لعبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي ،دار الفكر - بيروت – ١٤٠٥هـ، الطبعة الأولى.
٢٨٠. مفاتيح الغيب لفخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي، دار الكتب العلمية ، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
٢٨١. مفاهيم قرآنية حول حقيقة الإنسان، لفاروق الدسوقي، المكتب الإسلامي- بيروت- ١٤٠٦هـ، الطبعة الثانية.
٢٨٢. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي المعروف بابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون.
٢٨٣. المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة – لبنان، بدون.
٢٨٤. المفسدون في الأرض، لسليمان ناجي، الطبعة الثانية، ١٩٧٣م، دار العربي للإعلان – دمشق.
٢٨٥. المفلحون، لمحمد منير الجنباز، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، بدون .
٢٨٦. المفلحون،ساهرة فاضل،مكتبة خالد بن الوليد – صنعاء-١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، الطبعة الأولى.
٢٨٧. المفلحون في القرآن الكريم،للأستاذ الدكتور بدر بن ناصر البدر،دار ابن خزيمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
٢٨٨. مكائد الشيطان لعباد الرحمن وطرق الوقاية منها لسلمان نصيف الدحدوح ، الطبعة الأولى ١٩٩٩م، دار البشائر – بيروت.
٢٨٩. ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي،تحقيق: سعيد الفلاح ، دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٤م.
٢٩٠. الملل والنحل لمحمد بن عبدالكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني،تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٤هـ.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

٢٩١. من بلاغة سورة (المؤمنون)، لعائشة حسين فريد، دار قباء - القاهرة، بدون ، ٢٠٠٠م.

٢٩٢. من هدي القرآن في كشف مفاسد بني إسرائيل، لعبدالقادر شيخ إبراهيم، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م ، دار القلم العربي، سوريا.

٢٩٣. منازل السائرين، لعبد الله الأنصاري الهروي، دار الكتب العلمية - بيروت – ١٤٠٨هـ– ١٩٨٨م.

٢٩٤. منهاج السنة النبوية ، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة ، الطبعةالأولى – ١٤٠٦هـ .

٢٩٥. منهاج المسلم ، لأبي بكر الجزائري، دار الشروق – جدة- ١٤١٠هـ، الطبعة العاشرة.

٢٩٦. منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله، لمحمد سالم محيسن، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، دار الجيل- بيروت.

٢٩٧. منهج القرآن الكريم في تقرير الأحكام، لمصطفى الباقجني، المنشأة العامة للنشر والتوزيع- ليبيا، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م.

٢٩٨. منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات لمحمد الأمين الشنقيطي،الدار السلفية - الكويت - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، الطبعة الرابعة.

٢٩٩. الموافقات في أصول الفقه ، لإبراهيم موسى اللخمي المالكي، تحقيق: عبدالله دراز - دار المعرفة - بيروت – بدون.

٣٠٠. مواقف إيمانية، لأحمد فريد، دار طيبة-الرياض ،الطبعة الثالثة، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

٣٠١. المواقف لعضد الدين عبدالرحمن بن أحمد الإيجي، تحقيق عبدالرحمن عميرة، دار الجيل-لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٣٠٢. موسوعة المسلم في التوبة والترقي في معارج الإيمان ، لمنير البيَّاتي، دار النفائس، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م.

٣٠٣. موقع دار المشورة الذي يشرف عليه الدكتور حسين شحاته.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

٣٠٤. ميزان العمل، لأبي حامد محمد بن محمد الغـــزالي ، دار الكتـــاب العـــربي، بيروت، بدون ، ١٤٠٣هـــ - ١٩٨٣م.

٣٠٥. الناس في سورة الحج، لمحمـــد عطـــا أحمـــد يوســـف،الطبعة التاســـعة ، ١٤٢٣هـــ-٢٠٠٢م، دار الوفاء - المنصورة.

٣٠٦. نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لأبي الفرج عبـــدالرحمن بـــن الجوزي ، مؤسسة الرسالة – بـــيروت، الطبعـــة الأولى، ١٤٠٤هـــــ - ١٩٨٤م.

٣٠٧. نسب قريش لأبي عبدالله المصعب بن عبدالله بن مصعب الزبيري،عني بـــه ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة.

٣٠٨. نظرية التربية الإسلامية للفرد والمجتمع ،لمحمد الغزالي،ضمن بحـــوث نـــدوة خبراء أُسس التربية الإسلامية المنعقدة بجامعة أم القرى في مكة المكرمة خلال الفترة من ١١ – ١٦ جمادى الثاني ١٤٠٠هـــ ،مكة المكرمة- جامعـــة أم القرى ، مركز البحوث التربوية والنفسية.

٣٠٩. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور،لأبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتب العلمية، بيروت،١٤١٥هـــ،١٩٩٥م.

٣١٠. النفس البشرية كما تحدث عنها القرآن، لخليل محمد خليل،طبعـــة جامعـــة الإمام،الطبعة الأولى،١٤٢٢هـــ،٢٠٠١م.

٣١١. النكت والعيون (تفسير الماوردي)،لأبي الحسن علي بن محمد بـــن حبيـــب الماوردي، تحقيق السيد بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم، دارالكتب العلمية، بيروت،بدون.

٣١٢. النهاية في غريب الحديث والأثر ، لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، المكتبة العلمية - بيروت - ١٣٩٩هـــ - ١٩٧٩م ، تحقيق : طاهر أحمـــد الزاوي- محمود محمد الطناحي،

٣١٣. النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى، لمحمد الحمود النجـــدي الطبعـــة الثانية، ١٤١٧هـــ - ١٩٩٧م، مكتبة الإمام الذهبي/ الكويت.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

٣١٤. نور الهدى وظلمات الضلال في ضوء الكتاب والسنة، لسعيد بن علي بن وهف القحطاني، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، بدون.

٣١٥. هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي المعروف بابن القيم، طبعة الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة، بدون.

٣١٦. الهداية لأسباب السعادة لعبدالله جار الله الجار الله،الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧ م، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة.

٣١٧. الهدى والضلال دراسة قرآنية رسالة مقدمة لنيل الماجستير، لأماني عبدالله الطويلي، إشراف د. محمد الطاهر الجوابي،جامعة الملك سعود ، قسم الثقافة الإسلامية شعبة التفسير والحديث، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

٣١٨. الهدى والضلال، لأحمد عز الدين البيانوني ، ، دار السلام – القاهرة ، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٣١٩. الوابل الصيب من الكلم الطيب ، لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي المعروف بابن القيم، تحقيق : محمد عبد الرحمن عوض ، دار الكتاب العربي - بيروت ، الطبعةالأولى، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥ م.

٣٢٠. وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للشيخ عبدالعزيز بن باز، دار العاصمة –الرياض-١٤١٢هـ.

٣٢١. الوجوه والنظائر في القرآن الكريم دراسة وموازنة لسليمان القرعاوي،مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٣٢٢. الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، لمقاتل بن سليمان البلخي، تحقيق حاتم الضامن، مركز جمعة الماجد- دبي، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ،٢٠٠٦م.

٣٢٣. الوفاء بالعهد في القرآن الكريم، لحسني أمين مصري، دار المنار ، القاهرة ، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٣٢٤. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس،دار صادر – بيروت، بدون.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

٣٢٥. ولاية الله والطريق إليها لإبراهيم إبراهيم هلال، دار الكتب الحديثة - القاهرة.

٣٢٦. اليهود في القرآن تحليل علمي لنصوص القرآن في اليهود على ضوء الأحداث المعاصرة، لعفيف عبدالفتاح طبارة، الطبعة الثانية، ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م، بدون.

٣٢٧. اليوم الآخر القيامة الكبرى، لعمر سليمان الأشقر، دار النفائس – الكويت ،الطبعة الثالثة، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٣٢٨. اليوم الآخر: الجنة والنار لعمر سليمان الأشقر، مكتبة الفلاح – الكويت، الطبعة الثالثة، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	٢
أهمية الموضوع ،وأسباب اختياره	٣
هدف البحث	٣
الدراسات السابقة	٤
خطة البحث	٦
منهج البحث	١٢
الباب الأول: الفلاح و الخسران،و طريقة القرآن الكريم في ذكره لهما،وفيه فصلان:	١٥
الفصل الأول : معنى الفلاح و الخسران، وفيه أربعة مباحث:	١٦
المبحث الأول:مفهوم الفلاح.	١٧
الدلالة اللغوية	١٧
الدلالة الشرعية	١٩
المبحث الثاني:معاني الفلاح في القرآن الكريم.	٢١
المبحث الثالث: مفهوم الخسران.	٢٢
الدلالة اللغوية	٢٢
الدلالة الشرعية	٢٣
المبحث الرابع: معاني الخسران في القرآن الكريم.	٢٥
الفصل الثاني : طريقة القرآن الكريم في ذكر الفلاح والخسران ، وفيه أربعة مباحث:	٢٧
تمهيد	٢٨
المبحث الأول: الطرائق البلاغية التي سلكها القرآن في عرضه	٢٩

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

للفلاح والخسران.	
أولا: النفي	٢٩
ثانيا: التوكيد	٣٢
ثالثا:القسم	٣٨
رابعا:القصر	٣٩
خامسا: التعجب	٤٣
سادسا:الشرط	٤٥
سابعا: المدح	٤٧
ثامنا: الذم	٤٩
تاسعا :الترغيب	٥١
عاشرا: الترهيب	٥٣
المبحث الثاني : التعبير بالاسم أو الفعل .	٥٦
المبحث الثالث : وصف هذه الألفاظ .	٦٥
المبحث الرابع: موقع ذكر هذه الألفاظ في الآية .	٦٧
الباب الثاني : أسس الفلاح وصفات أهله وجزاؤهم، وفيه أربعة فصول:	٦٩
تمهيد	٧٠
الفصل الأول:أسس الفلاح وأركانه، وفيه اثنا عشر مبحثاً:	٧٢
تمهيد	٧٣
المبحث الأول : الإيمان بالله.	٧٤
المبحث الثاني : الإيمان بالملائكة .	٨١
المبحث الثالث: الإيمان بالقرآن والكتب السابقة.	٨٥
المبحث الرابع: الإيمان بالرسل عليهم السلام.	٨٩
المبحث الخامس: الإيمان بالنبي عليه الصلاة والسلام ونصرته.	٩٣

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المبحث السادس : الإيمان باليوم الآخر .	٩٥
المبحث السابع: الإيمان بالقدر خيره وشره.	١٠٠
المبحث الثامن : الإيمان بالغيب.	١٠٤
المبحث التاسع: اقتران الإيمان بالعمل الصالح.	١٠٧
المبحث العاشر: الولاء والبراء .	١١١
المبحث الحادي عشر: الصلاة .	١١٥
المبحث الثاني عشر: الزكاة وما يلحق بها من الصدقات.	١٢٢
الفصل الثاني : صفات المفلحين، وفيه أربعة مباحث :	١٢٦
تمهيد	١٢٧
المبحث الأول : الاهتمام بتزكية القلوب ، وفيه خمسة مطالب:	١٢٨
تمهيد	١٢٩
المطلب الأول : تزكية النفوس.	١٣١
المطلب الثاني : التقوى.	١٣٧
المطلب الثالث: الصبر.	١٤٢
المطلب الرابع :تذكر آلاء الله.	١٤٤
المطلب الخامس :التوبة.	١٤٧
المبحث الثاني : طاعة الله تعالى والدعوة إلى دينه، وفيه ثمانية مطالب:	١٥١
تمهيد	١٥٢
المطلب الأول: الجهاد في سبيل الله.	١٥٣
المطلب الثاني:عبادة الله.	١٥٩
المطلب الثالث:فعل الخير.	١٦١
المطلب الرابع:الدعوة إلى الخير .	١٦٥

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المطلب الخامس:الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.	١٧٠
المطلب السادس:اتباع القرآن.	١٧٤
المطلب السابع:السمع والطاعة لله ورسوله.	١٧٦
المطلب الثامن: ذكر الله .	١٨١
المبحث الثالث: الإتيان بالواجبات ، وفيه خمسة مطالب:	١٨٧
تمهيد	١٨٨
المطلب الأول: حفظ الفروج.	١٨٩
المطلب الثاني:أداء الأمانة .	١٩٥
المطلب الثالث:الوفاء بالعهود.	١٩٩
المطلب الرابع:إتيان البيوت من أبوابها.	٢٠٣
المطلب الخامس:أداء الحقوق.	٢٠٦
المبحث الرابع : اجتناب المحرمات ، وفيه أربعة مطالب:	٢١١
تمهيد	٢١٢
المطلب الأول: اللغو.	٢١٣
المطلب الثاني: الربا.	٢١٧
المطلب الثالث: الخمر والميسر والأنصاب والأزلام.	٢٢٤
المطلب الرابع: شح النفس.	٢٢٧
الفصل الثالث : ثواب المفلحين وجزاؤهم ،وفيه أربعة مباحث:	٢٣٢
تمهيد	٢٣٣
المبحث الأول : وراثة الفردوس.	٢٣٥
المبحث الثاني: ضمان الهداية لهم من الله .	٢٣٨
المبحث الثالث: ثقل الموازين يوم القيامة.	٢٤٢
المبحث الرابع: وعدهم بالخيرات.	٢٤٦

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الفصل الرابع : أسباب الحرمان من الفلاح، وفيه سبعة مباحث:	٢٤٨
تمهيد	٢٤٩
المبحث الأول: الكفر .	٢٥١
المبحث الثاني : الردة عن الدين .	٢٥٥
المبحث الثالث : افتراء الكذب على الله .	٢٥٩
المبحث الرابع: التكذيب بآيات الله .	٢٦٣
المبحث الخامس : الظلم عموماً .	٢٦٦
المبحث السادس : الإجرام .	٢٧١
المبحث السابع : السحر .	٢٧٣
الباب الثالث: أسباب الخسران و عقوبته، وفيه فصلان:	٢٧٦
تمهيد	٢٧٧
الفصل الأول: أسباب الخسران، وفيه ثمانية مباحث:	٢٨٠
تمهيد	٢٨١
المبحث الأول:الكفر بالله.	٢٨٣
المبحث الثاني:التكذيب بلقاء الله ،وآياته، وأنبيائه.	٢٩٧
المبحث الثالث: فعل المحرمات،وفيه تسعة مطالب:	٣١٢
المطلب الأول: القتل.	٣١٣
المطلب الثاني: عدم الاستجابة لأوامر الله ورسله.	٣١٩
المطلب الثالث: الإفساد في الأرض.	٣٢٥
المطلب الرابع :استحبا ب الدنيا على الآخرة.	٣٣١
المطلب الخامس: التفاخر بالأموال و الأولاد، والانشغال بها عن ذكر الله.	٣٣٦
المطلب السادس: تحريم ما أحل الله .	٣٤٣
المطلب السابع: الصد عن سبيل الله .	٣٤٨

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المطلب الثامن: طاعة الشيطان ، والكفار.	٣٥٤
المطلب التاسع: الكيد بأنبياء الله.	٣٦٢
المبحث الرابع : ترك الواجبات، و فيه ثلاثة مطالب:	٣٦٧
تمهيد	٣٦٨
المطلب الأول: عدم عمل الصالحات.	٣٦٩
المطلب الثاني :ترك التواصي بالحق،والصبر.	٣٧٤
المطلب الثالث: عدم الأخذ بميثاق الله، ونقضه.	٣٨٣
المبحث الخامس: عدم مغفرة الله ورحمته.	٣٩٣
المبحث السادس : ترك الدعوة إلى الحق.	٤٠٣
المبحث السابع : خفة الموازين.	٤٠٨
المبحث الثامن: الأمن من مكر الله.	٤١١
الفصل الثاني عقوبة الخاسرين، وفيه مبحثان:	٤١٨
تمهيد	٤١٩
المبحث الأول: عقوبة الخاسرين في الدنيا، وفيه ثلاثة مطالب:	٤٢٠
المطلب الأول:عدم الإيمان.	٤٢١
المطلب الثاني:إحباط العمل.	٤٢٤
المطلب الثالث: إضلال الخاسرين.	٤٢٩
المبحث الثاني: عقوبة الخاسرين في الآخرة، وفيه أربعة مطالب:	٤٣٢
المطلب الأول: دخول النار.	٤٣٣
المطلب الثاني:وجوب العذاب.	٤٣٨
المطلب الثالث: إحباط العمل.	٤٤١
المطلب الرابع : خسران النفس والأهل.	٤٤٣

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الخاتمة وتشمل أهم نتائج البحث.	٤٤٥
الفهارس	٤٥٠
● فهرس الآيات القرآنية.	٤٥١
● فهرس الأحاديث النبوية.	٤٩٩
● فهرس الأعلام.	٥٠٤
● ثبت المصادر والمراجع.	٥٠٨
● فهرس الموضوعات.	٥٣٩

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com